نيل الأماني شرح

نُونِيَّةِ القَحْطَانِي



اسم الكتاب: نيل الأماني شرح نونية القحطاني

تأليف فضيلة الشيخ: عمر بن محمد بن صالح العمراني

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/٩٨٧٩.

نوع الطباعة: لون واحد.

عدد الصفحات: ٦٧٤ .

القياس: ١٧X٢٤.

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف: الأستاذ /هاني صالح

٢٠٢١



١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة
أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة
مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة زمار
جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

نيل الأماني شرح

نونية القحطاني

إعداد

عمر بن محمد بن صالح العمراني

تقديم فضيلة الشيخ

محمد بن محمد المهدي

عفا الله عنه






بسم الله الرحمن الرحيم



مُقَدِّمَة

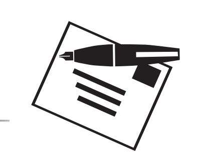
الحمد لله رب العالمين الذي أكرمنا بالتوحيد والذي أرسل رسله داعين إلى توحيده وإفراده بالعبادة فهو القائل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦] ، والقائل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل صرف شيء من العبادة لغيره سببًا لعدم المغفرة للعبد، وسببًا لخلوده في النار القائل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾ [النساء: ١١٦] ، والقائل: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢] .

والصلاة والسلام على خير الأنام الذي كان يصدر رسائله لأهل الأرض بدعوتهم أن يفردوا الله وحده لا شريك له بالعبادة كما كتب إلى هرقل وغيره، «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد، عبد الله ورسوله، إلى هرقل ، ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [آل عمران: ٦٤] الآية [١] .

---

(١)صحيح البخاري، رقم (٧٥٤١) ، من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.



وكذلك كان يرسل رسله داعيين إلى توحيد الله، ومثال ذلك ما جاء عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في الصحيحين أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: « أنك تأتي قو مًا أهل كتاب وليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاع وك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ... » [١] إلخ ، فقد صدره بدعوتهم إلى إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبادة .

اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته ، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد :

فإن الدعوة إلى الاعتقاد الصحيح ونبذ الشرك ومداخله وأسبابه ووسائله هو أساس الدين الذي نزلت به الكتب وأ رسلت به الرسل وبشر الموحدون بجنة النعيم، والمشركون بالخلود في العذاب الأليم، وسبحان الله فقد وقع ويقع من بعض المحسوبين على الإسلام ما يناقض الاعتقاد الصحيح من الوقوع بالشرك وكذلك من نفي ما سمى الله به نفسه أو وصف به نفسه يقع بعض هؤلاء في هذا النفي والتعطيل ظنًّا من بعضهم أنه ينزه الله تعالى عن التشبيه والتمثيل وجهل هؤلاء أنهم لا يعرفون ولا يعلمون ولا نعلم كلنا عن الله إلا ما أخبرنا به في كتابه وعلى لسان رسوله، ومن خلال كتابه ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عرفنا بعض أسمائه وصفاته، وتعرفنا على الكون وما فيه من الآيات، وقد أمرنا أن نتدبر ونتفكر في الآيات الكونية والآيات المنزلة لكن ما عرفنا هذا إلا بالوحي، لقد وقع بعض الأمة في تعطيل صفات الله واتهام من

---

(١) صحيح البخاري، رقم) ١٣٩٥) ، وصحيح مسلم، رقم (٢٩) .



أثبتها بأنه يمثل الله بخلقه، وجهل هذا وأمثاله أن علماء الأمة في الصدر الأول والثاني والثالث وهي القرون المفضلة .

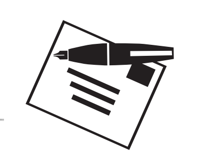
فعن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « **خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء من بعدهم قوم تسبق شهادتهم أيمانهم، وأيمانهم شهادتهم** » (١) ، عندما نفوا عن الله إنما نفوا ما نفاه عن نفسه وعندما أثبتوا إنما أثبتوا له ما أثبت لنفسه فأخذوا بهذه الآية التي جمعت ما بين النفي والإثبات ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١] .

فإذا أثبتوا لله الأسماء والصفات إنما أثبتوها مع نفي المماثلة، أما من جاء ونفى عن الله ما أثبته الله لنفسه فكأن لسان حاله يقول إنه أعلم بالله من نفسه وينفي عنه ما وصف به نفسه من أنه يحب المؤمنين، ويكره الكافرين، ويحب المتقين، ويحب الصابرين، ويكره الكفر وأهله، ويغضب، ويرضى، ويحب، كل هذا مع نفي المماثلة بين الخالق والمخلوق، وكان عدد من أهل السُنَّة تصد روا للرد على الفرق التي جاءت مع تفاوت ما بينها، فالجهمية نفوا الأسماء والصفات، والمعتزلة أثبتوا الأسماء ونفوا وعطلوا الصفات، والأشعرية وأمثالهم أثبتوا بعض الصفات، والممثلة الذين يمثلون الله بخلقه أثبتوا الأسماء والصفات مع التمثيل والتشبيه، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والسلف الصالح والصدر الأول من هذه الأمة أثبتوا لله الأسماء والصفات مع نفي المماثلة بين الخالق والمخلوق.

وكان علماء السُنَّة يردون على أهل التمثيل والتعطيل ومنهم الشاعر القحطاني العالم الرباني، وهذا هو الدين

---

(١) صحيح البخاري، رقم(٢٦٥٢)،ورقم (٣٦٥١)، ورقم(٦٤٢)، صحيح مسلم، رقم(٢٥٣٣) المراد بعد الله هو ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



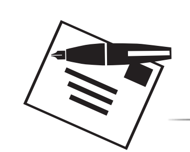
وهذه هي العقيدة الصحيحة التي من اعتقدها يخاف الله ويحبه ويرجوه ولا يكون آمنًا مكره، ولا يقنط من رحمته؛ لأنه قد جمع وعرف هذه الصفات العظيمة لله جَلَّوَعَلَا ، فيسير على هدى من ربه إلى أن يلقاه، ونسأل الله أن يجعلنا من أولئك الذين سارسوا على نهج السلف.

فكل خير في اتباع من سلف ... وكل شر في ابتداع من خلف

فتابع السُنَّة ممن سلفا ... وجانب البدعة ممن خلفا

وخير الأمور السالفات على هدى ... وشر الأمور المحدثات البدائع

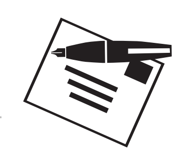
وممن سار على عقيدة سليمة وأوذي في عصره من أهل التعطيل العلامة والإمام محمد بن عبد الله القحطاني- رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- صاحب النونية وكان في أرض الأندلس والمغرب ونظم نونيته المشهورة والتي هي كما في شرح الشيخ صالح بن سعد السحيمي، والشيخ عمر بن محمد بن صالح العمراني قد تقرب من سبعمائة بيت فهي ستمائة وستة وثمانون بيتًا وقل أن يجد الإنسان لها شر حًا؛ لأنها كانت قوية وكتبت في وقت تضييق وشدة على صاحبها، فكان قو يا ورماا استخدم أحيا نا بعض الشدة لنقد من ينتقدونه وأراد نشر العقيدة الصحيحة ورفض رفضًا باتًّ مسلك أهل التعطيل والتأويل، وكان له مع الأشاعرة خصام طويل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-، ولعل قلة شروحها لقوة أبياتها ولكثرة الخصوم الذين كانوا متبصين به، ولذلك ذكر الأشاعرة ونقدهم نقدًا شديدًا؛ لأنهم كانوا الواجهة في تلك الفتة التي عاشها، وقد تنوعت في فنونها وطرحها لكن الخلاصة أنها كانت داعية إلى التوحيد بأقسامه: توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، وهذا يدركه من يقرأها من أولها إلى آخرها.



وقد اطلعت على شرح الشيخ/ صالح بن سعد السحيمي المدرس في مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو شرح مفيد، ثم أوصل إلي أخي الكريم الحبيب الشيخ/ عمر العمراني شرحه ، فسبحان الله أعجبت بشرحه، وكان لم يطلع على شرح السحيمي كما أشار هو إلى ذلك في آخر شرحه للأبيات، وقال: إنه لم يطلع على هذا الشرح إلا بعد أن انتهى من الشرح للنونية ولم يبق منها إلا نحو ستة عشر بيتًا لم يشرحها، فربما قد استفاد أشياء من كتاب السحيمي حول هذه الأبيات فالشيخ عمر سباق إلى الخير في مجالات كثيرة وقد تعددت وتنوعت مؤلفاته في نواح كثيرة يطرقها ويحرص أنه يطرق مسائل لما تطرق بعد، ومن ذلك شرح هذه النونية، ومؤلفاته معروفة في مجالات كثيرة وفنون متعددة، رغم أنه شاب لكن من فضل الله عليه أن الله رزقه من العلم والتواضع والتسديد والتوفيق فيما يكتبه، عندما أقرأ له رسائل وكتبًا في فنون متعددة أشعر أن الله من فضله ورحمته وتوفيقه قد رزقه قد را من البصيرة فهو في طرحه يطرح طرحًا معتدلا وينحو نحو علماء أهل السُنَّة والجماعة والسلف الصالح باللين والرفق، ولهذا وفق في مجالات متعددة وأبواب كثيرة ومنها في شرح هذه النونية التي كنت أتمنى أن أجد لها شرحًا ؛ لأني كنت أسمعها من بعض مشايخنا في المدينة وفي بريده وغيرهما أسمع الاستشهاد ببعض الأبيات، ومنها كنت أتذكر هذا البيت وهو آخر بيت الذي ذكره الناظم نفسه عندما كانوا يقولون في الدعاء له بناء على طلبه

بالله قولوا كلما أنشد رحم الإله صَداك يا قحطاني

فكنت أسمعها من المشايخ ولم أسمعها كلها، كنت أسمع أبيا ت من أولها ومن وسطها ومن آخرها فكنت أتمنى أن أحصل على شرحها كلها وحصل



هذا ولله الحمد كما ذكرت من شرح الشيخ صالح بن سعد السحيمي، والشيخ عمر العمراني.

وقد كنت درست بعض الطلاب في مسجد نجد الجماعي شرح الشيخ الدكتور/ صالح السحيمي وحفظوا منها عددًا من الأبيات ثم وصلني شرح الشيخ عمر العمراني -حفظه الله-.

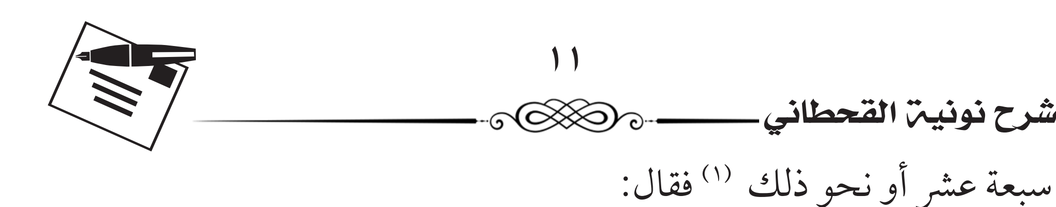
والقصيدة النونية للقحطاني -رحمة الله عليه- كما عرفنا أنها تقتب من سبعمائة بيت، افتتحها بالثناء على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ومدحه وشكره على نعمه، وتعهد بأنه سيقوم بالواجب الذي عليه، وبعد ذلك وصف القرآن بما وصفه الله به وأنه كلام الله، وذكر وجوب العمل به مع اتباع السُنَّة، وهكذا حتى دخل بعد ذلك للحديث عن الفرق وبدأ ينتقدها وهو يذكر الآخرة قال في بيت من أجمل الأبيات:

يوم القيامة لو علمت بهولِه   لفررت من أهل ومن أوطان

وهذا بإذن الله يكون سببًا في غرس العقيدة الصحيحة من الإيمان بالآخرة وما في الآخرة من الأهوال العظام، وما فيها أيضًا من النعيم المقيم لأهل الجنة، وبعد ذلك دخل من البيت الرابع والثلاثين بعد المائة في النقد فقال وهو يثني على الصحابة والقرابة وعلى الشيخين الجليلين أبي بكر وعمر وكذلك بقية الخلفاء -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ- :

إن الروافض شر من وطء الحصا   من كل أنس ناطق أو جان

هذه نظرته إلى الروافض؛ لأنهم يكفرون الصحابة إلا أفردًا يعدون بأصابع اليد الواحدة ، وعلى ما قالوا هم إنهم كانوا ثلاثة أو خمسة أو سبعة أو تسعة أو



سبعة عشر أو نحو ذلك [١] فقال:

مدحوا النبي وخونوا أصحابه ورموهم بالظلم والعدوان [٢]

إلى آخر الأبيات ثم دخل يتكلم عن الفرق وأطال الكلام جدًا جدًا حول الفرق المنحرفة المخالفة لما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم، ونقد هذه الفرق نقدا شديدا، ثم دخل في ذم علم الكلام وأن هذه الفرق ما وقعت فيما وقعت فيه إلا لكونها أخذت علم الكلام و تركت كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وسُنَّة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال:

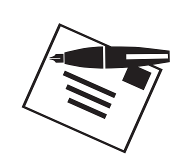
لا تلتمس علم الكلام فإنه يدعو إلى التعطيل والهيمان
لا يصحب البدعي إلا مثله تحت الدخان تأجج النيران
علم الكلام وعلم شرع محمد يتغايران وليس يشتبهان
أخذوا الكلام عن الفلاسفة الأُلَى جحدوا الشرائع غرة وأمان [٣]

إلى آخر الأبيات التي يذم فيها علماء الكلام وأنهم غيروا وبدلوا وانحرفوا عن الكتاب والسُنَّة.

ويقول في البيت الواحد والخمسين بعد الخمسمائة داعيًا إلى المذهب الذي كان عليه سلفنا قال:

---

(١) ينظر: محاسن الاعتقاد في تأويل الدين، للبحراني،(ص: ١٥٧). بحار الأنوار، للمجلسي، (٣٠/ ٢٣٠).والروضة من الكافي، للكليني، (٨/ ٢٤٥) .
(٢) شرح النونية، للشيخ عمر العمراني، متن النونية، (ص: ١٠) .
(٣) المصدر السابق، (ص: ٣٩) .



امرر أحاديث الصفات كما أتت ... من غير تأويل ولا هذيان

هو مذهب الزهري ووافق مالك ... وكلاهما في شرعنا علمان [(١)]

ثم أخذ يتكلم في صفات الله صفة صفة وهو يدعو في ذلك كله إلى أن نسير على منهج السلف في إثبات ما أثبته الله لنفسه ونفي ما نفاه عن نفسه من دون زيادة ولا نقصان، فرحمة الله عليه رحمة الأبرار.

ومن ذلك أنه في البيت السادس والعشرين بعد الستمائة وهو يناقش الأشعرية وكانت مناقشته للأشعرية مناقشة طويلة وربما كانت أحيانًا شديدة عليهم ومما قال:

أشعرتموا يا أشعرية أنني ... طوفان بحر أيما طوفان

أنا همكم أنا غمكم أنا سقمكم ... أنا سمكم في السِّر والإعلان

أذهبتموا نور القرآن وحسنه ... من كل قلب واه لهفان

فو حق جبار على العرش استوى ... من غير تمثيل كقول الجان

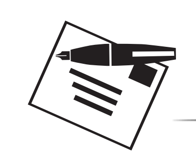
ووحق من ختم الرسالة والهدى ... ماحمد فزها به الحرمان

لأقطعن بمعولي أعراضكم ... مادام يصحب مهجتي جثماني [(٢)]

إلى آخره فهجاهم هجاء طويلاً وتكلم على الأشعرية كلامًا كثيرًا .

---

(١) المصدر السابق، (ص: ٤٠) .
(٢) شرح النونية، للشيخ عمر العمراني، متن النونية، (ص: ٤٥ – ٤٦) .



وفي البيت الثالث والستين بعد الستمائة يقول:

سل علن بني قحطان كيف فعالهم ... يوم الهياج إذا التقلى الزحفان

سل كيف نثرهم الكلام ونظمهم ... وهما لهم سيفان مسلولان

نصروا بألسنة حلداد سُلَّق ... مثلَ الأسنة شُرعت لطعَان

سل عنهما عند الجدال إذ التقلى ... منهم ومن أضدادهم خصمان (١)

وهو يفتخر أنه من قحطان وأصله من اليمن لكن أجداده هاجروا إلى الأندلس وبلاد المغرب وبقوا هناك، ثم يخاطب الأشعرية وما زال ينتقدهم انتقادات كثيرة إلى أن قال في البيت السابع والسبعين بعد الستمائة:

هي في قلوب الأشعرية كلهم ... صاب وفي الأجساد كالسعدان

لكن لأهل الحق شهدا صافيًا ... أو تمر يثرب ذلك الصَّيحاني (٢)

فرحمة الله عليه وهذا البيت يعني السادس والسبعين والذي بعده السابع والسبعين بعد الستمائة.

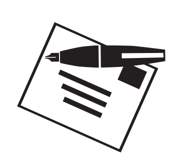
كما عرفنا أن القصيدة كلها هي ستمائة وست وثمانون بيتًا، وآخرها يقول فيها:

صلى الإله على النبي محمد ... ما ناح قمري على الأغصان

وعلى جميع بناته ونسائه ... وعلى جميع الصحب والإخوان

---

(١) المصدر السابق، (ص: ٤٨).
(٢) شرح النونية، للشيخ عمر العمراني، متن النونية، (ص: ٤٩).



بالله قولوا كلما أنشد رحم الإله صداك يا قحطان (١)

هذه القصيدة الجامعة المفيدة كتبها -رحمة الله تعالى عليه- في وقت كان فيه غريبًا في تلك الديار بين الأشعرية.

ولا شك أنه من القرن الرابع وما بعده سيطر الأشعرية على أغلب العلماء والبلاد؛ لأن الإمام أبا الحسن -رحمة الله عليه- كما نعلم توفي سَنَة ثلاثمائة وأربعة وعشرين هجرية، والراجح والواضح أنه قد رجع إلى منهج أهل السُنَّة والجماعة وأنه مر بثلاثة أطوار: طور الاعتزال على مذهب أبي علي الجبائي الذي كان زوجًا لأمه، ثم تحول من معتزلي إلى مذهب بين المعتزلة والسلف فذهب إلى إثبات بعض الصفات وهذا المذهب هو مذهب أخذه من الكلابية مذهب -محمد بن كلاب- فأثبت السبع الصفات وعطل الصفات الباقية وهذا هو مذهب الأشعرية الذين يسيرون فيه على خطى أبي الحسن في هذه المرحلة.

ثم قرأ في كتب أحمد بن حنبل -رحمة الله عليه- فرجع إلى ما كان عليه الإمام أحمد وما كان عليه أهل السُنَّة من إثبات الأسماء والصفات ويدل على ذلك كتاباه القيمان (**الإبانة في أصول الديانة، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين)** فهذان الكتابان يثبت فيهما الصفات كما جاءت في الكتاب والسُنَّة من دون تمثيل لكن لما كان شائعًا بعد ذلك المذهب الأشعري وكان عند الأشعرية سيطرة كاملة على كثير من الدول كان يحصل هناك تضييق على من خالفهم والمشهور أنه في العصور المتأخرة كان الغالب على جماهير علماء المسلمين أنهم كانوا بين أشعرية وماتريدية ومعتزلة كما ذكر ابن عاشور في منظومته فقال:

---

(١) شرح النونية، للشيخ عمر العمراني، متن النونية، (ص: ٥٠) .



في عقد الأشعري وفقه مالك   على طريقة الجنيد السالك

كان الواحد منهم يكون له في الأصول مذهب وهو في الغالب مذهب الأشاعرة وفي الفروع قد يكون مالكيا وقد يكون شافعيا، وفي التزكية والسير إلى الله يأخذ طريقة من الطرق الصوفية وهي متعددة فكان الغالب على الناس هكذا، لكن القحطاني خر عن هذا النطاق وحصل بينه ما حصل مع الأشعرية وهذا تعبر عنه قصائده النونية وغيرها.

والسير إلى الله إنما يكون بالكتاب والسُنَّة مع الزهد والورع لا بالخرافات والبدع.

في اليمن في العصور المتأخرة كان الأمر كذلك أي ضا وكنت أسمع شيخنا العلامة المحدث حماد بن محمد الأنصاري رحمة الله عليه في المدينة النبوية، وقد توفي فيها سَنة ثماني عشرة وأربعمائة وألف للهجرة، وكنت أحضر في بعض دروسه في المسجد النبوي، وكان يحدثنا في شرح التوحيد لابن خزيمة وغيره، ويقول في العصور المتأخرة صار كل شافعي ومالكي أشعريًا إلا القليل، وصار كل حنفي ماتريد يًا إلا القليل، والماتردية كالأشعرية وبينهما خلاف في مسائل محددة، وكل حنبلي سلفيًا إلا القليل كابن الجوزي وابن عقيل، وكل زيدي صار معتزليًا هذا هو الواقع الذي كان يتحدث عنه الشيخ الأنصاري وهو الواقع المشاهد اليوم في الأمة.

ومن باب الشيء بالشيء يذكر أقول ابن القيم -رحمة الله عليه- بالتأكيد أنه اطلع على نونية القحطاني - قد كتب نونية ناقش فيها مناقشة طويلة الكرامية، والجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، والمشبهة وغيرها من الفرق، وإن لم يكن كثير الذكر للأشعرية بالاسم لكن كان يناقش المضمون ومعلوم أن النونية



لابن القيم أكبر من نونية القحطاني، فنونية القحطاني اقتبت من السبعمائة، ونونية ابن القيم تجاوزت خمسة آلاف بيت، فهي نحو خمسة آلاف وثمانمائة واثنان وأربعون بيتًا فقد اقتبت من الستة آلاف ومطلعها.

حكم المحبة ثابت الأركـان　　ما للصدود بفسخ ذاك يدان

أ نَّ وقاضي الحسن نفَّذ حكمها　　فـلـذا أقـرَّ بـذلـك الخـصـمان

وبعد مقدمة طللية - لا يراد منها العزل وإنما هي مدخل إلى المضمون - أشار إلى الجهمية عندما قال في البيت الأربعين من النونية:

جهم بن صفوان وشيعته الأولى　　جحدوا صفات الخالق الديان

بل عطلوا منه السموات العلى　　والـعـرش أخـلـوه مـن الرحمن

كاونت تحمل نفس المضمون إلا أنها كانت أخف بالنقد، وابن القيم - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - توسع في أبواب كثيرة في العقيدة؛ ليغرس - بإذن الله - العقيدة الصحيحة في قلوب القراء فكانت مليئة بالرقائق، وكانت تدفع قراءها في الشوق إلى الله، وإلى لقائه، وإلى الجنة، وإلى نعمة النظر إلى وجه الله الكريم.

وقد ذكر ابن القيم الحور العين وجمالهن ومعانقتهن وصورهن ولباسهن.... إلخ، وكان العلماء في بريدة والعامة يبكون عند سماعها إذا ذكر فيها الوعد والوعيد والحور العين وأعظم نعيم هو التلذذ بالنظر إلى وجه الله الكريم، ومن ذلك قوله:

يا خاطب الحور الحسان وطالبًا　　لـوصـالهـن بـجـنـة الحـيـواني



لو كنت تدري من خطبت وما طلبـ ـت بذلت ما تحوي من الأثمان
أو كنت تعرف أين مسكنها جعلـ ـت السعيَ منك لها على الأجفان[(١)]

إلى آخر الأبيات، فالأقلام أكثرت من وصف الحور العين والجماع والعناق وهو يرغب الناس أن يسيروا إلى الله، وأن يتوبوا إليه، وشروح نونية ابن القيم أكثر من شروح نونية القحطاني وقد اشتهرت وانتشرت وخاصة بين الحنابلة فشرحت كث يرا وهي موجودة ومتداولة وكثير من الصالحين يحفظون منها كثيرًا.

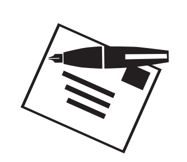
وما أروع أبيات النونية في الفصل الخاص برؤية أهل الجنة ربهم ونظرهم إلى وجهه الكريم فهو يقول:

ويرونه سبحانه من فوقهم نظر العيان كما يرى القمران
هذا تواتر عن رسول الله لم ينكره إلا فاسد الإيمان
وأتى به القرآن تصريحًا وتعـ ـريضًا وهما بسياقه نوعان
وهي الزيادة قد أتت في يونس تفسير من قد جاء بالقرآن

وقد توسع في فصل الرؤية وذكر الأدلة من القرآن والسُنَّة والإجماع وذكر روايات متواترة من البيت ٥٤٣٧ إلى ٥٥١٥ ومن أجمل ما قال في باب الرؤية:

والله لولا رؤية الرحمن في الـ ـجنات ما طابت لذي العرفان
أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه وخطابه في جنَّة الحيوان

(١) الكافية الشافية، (٣/ ٩١٤)، رقم الأبيات من (٤٩٣١ – ٤٩٣٣).



وأشد شيء في العذاب حجابه سبحانه عن ساكني النيران
وإذا رءاه المؤمنون نسوا الذي هم فيه مما نالت العينان
فإذا توارى عنهم عادوا إلى لذاتهم من سائر الألوان (١)

والبيتان الأخيران من النونية هما:

وعلى رسلوك أفضل الصلوات والـ ـتسليم منك وأكمل الرضوان
وعلى صحابته جميعًا والأولى تبعوهم من بعد بالإحسان (٢)

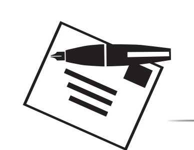
والنونيتان مليئتان بالفوائد وتشد إليهما الرحال.

فعلى كل حال لقد وفق الله أخانا الحبيب عمر العمراني وبقي كغيره ممن نحو نحو السلف.

فكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

فهو ذكرنا أيضًا بعقيدة علماء اليمن قبل انتشار الأشعرية والمعتزلة ومعلوم كما ذكرته مرارًا، وذكره الشيخ عمر وغيره أن القرون الأولى من الأول إلى السادس وربما بعض القرن السابع ومعظم مناطق تعز وإب وغيرهما كانوا شافعية حنابلة بمعنى شافعية في الفروع حنابلة سلفية في الأصول وعلى سبيل المثال كما ذكرت في غير هذا الموضع يحيى بن أبي الخير العمراني، وسيف السُنَّة البريهي، والمحدث العرشاني وغيرهم من أئمة المسلمين في اليمن في ذلك

(١) الكافية الشافية، (٣/ ١٠٠٩ - ١٠٢٠).
(٢) المصدر السابق، (٣/ ١٠٦٠).

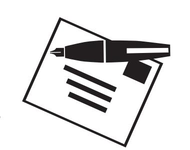


الوقت، فكانوا على منهج السلف، ولما قدم الأشعرية في نفس القرن السادس إلى إب بعدما هربوا من الحروب في زبيد وغيرها – من الخوارج – جاؤوا ونشروا العقيدة الأشعرية وحصل بينهم وبين الحنابلة أو السلفين خلاف وبدأ الخلاف في ذلك الوقت ولكن الحمد لله رغم أن الأشعرية سيطرت في العصور المتأخرة لكن كان هناك بين الفينة والأخرى سواء من يظهر من بين المعتزلة والزيدية أو في مناطق الشافعية فكلنا لم ننس ابن الوزير، والأمير، والشوكاني، وما جاء بعد ذلك كالعبادي والبيحاني ، والحمد لله اليوم البلاد مكتظة بالدعاة إلى ما كان عليه سلفنا الصالح ويؤلفون في هذا المجال وكم من طلاب ودعاة، وبعضهم من تلامذة الشيخ مقبل –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى– في مراكز هم على نفس المعتقد بغض النظر على تخطئتنا لهم في تبديع من خالفهم أو جرحه أو تحزيبه كما يقولون هذا شيء عارض لا نوافقهم عليه لكن المعتقد السائد هو ما كان عليه السلف والحمد لله ومنهم أخونا الشيخ عمر حفظه الله مع اعتداله وتواضعه، وأنا أغبطه بل أحسده حسدًا مشروعًا لا حسد إلا في اثنتين، فعن عبد الله بن مسعود – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آته الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، وآخر آته الله حكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها**»(١).

أحسده وأتمنى أن أكون مثله في كثرة التأليف والتصنيف في مجالات متعددة ينفع الله بها الأمة في حياته وبعد موته، وقد جاء في الصحيح «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(٢).

---

(١) صحيح البخاري رقم (٧١٤١) ، وصحيح مسلم رقم) ٨١٦) .
(٢) صحيح مسلم، رقم (١٦٣١) .



فهنيئًا لمن كان كذلك وبارك الله في أخينا الشيخ عمر وسدد خطاه فقد شرح هذه المنظومة شرحًا أنيقًا، وتتبع أبياتها، وعالج بعض أخطائها، والمتن والشرح مكتظان بالفوائد الفريدة التي تتبع مصادرها وأخرجها.

فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعلها في ميزان حسناته، وأن يبارك في جهوده، وألا يحرمنا نحن أيضًا من التأليف والتدريس، لما يعود علينا من خير في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه الشيخ الدكتور/

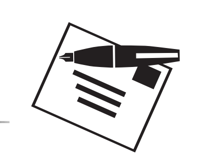
محمد بن محمد المهدي

في ١١ شوال/ ١٤٤١ هـ

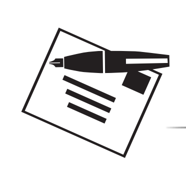
نونية القحطاني

لأبي عبد الله محمد القحطاني الأندلسي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -

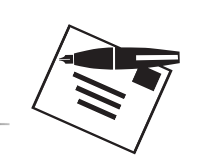
١ يَا مُنْزِلَ الآيَـاتِ وَالْفُرْقَانِ   بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ
٢ اِشْرَحْ بِهِ صَدْرِي لِمَعْرِفَةِ الْهُدَى   وَاعْصِمْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الشَّيْطَانِ
٣ يَسِّرْ بِهِ أَمْـرِي وَأَقْـضِ مَآرِبِي   وَأَجِرْ بِهِ جَسَدِي مِنَ النِّيرَانِ
٤ وَاحْطُطْ بِهِ وِزْرِي وَأَخْلِصْ نِيَّتِي   وَاشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَصْلِحْ شَانِي
٥ وَاكْشِفْ بِهِ ضُرِّي وَحَقِّقْ تَوْبَتِي   وَارْبِـحْ بِهِ بَيْعِي بِلاَ خُسْرَانِ
٦ طَهِّرْ بِهِ قَلْبِي وَصَفِّ سَرِيرَتِي   أَجْمِلْ بِهِ ذِكْرِي وَأَعْلِ مَكَانِي
٧ وَاقْطَعْ بِهِ طَمَعِي وَشَرِّفْ هِمَّتِي   كَثِّرْ بِهِ وَرَعِـي وَأَحْـيِ جَنَانِي
٨ أَسْهِرْ بِهِ لَيْلِي وَأَظْمِ جَوَارِحِي   أَسْبِلْ بِفَيْضِ دُمُوعِهَا أَجْفَانِي
٩ وَامْزِجْهُ يَا رَبِّي بِلَحْمِي مَعْ دَمِي   وَاغْسِلْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الأَضْغَانِ
١٠ أَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَنِي وَخَلَقْتَنِي   وَهَدَيْتَنِي لِـشَرَائِـعِ الإِيـمَانِ
١١ أَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَنِي وَرَحِمْتَنِي   وَجَعَلْتَ صَدْرِي وَاعِيَ الْقُرْآنِ
١٢ أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي وَسَقَيْتَنِي   مِنْ غَيْرِ كَسْبِ يَدٍ وَلاَ دُكَّانِ



١٣ وَجَبَرْتَنِي وَسَتَرْتَنِي وَنَصَرْتَنِي وَغَمَرْتَنِي بِالْفَضْلِ وَالإِحْسَانِ
١٤ أَنْتَ الَّذِي آوَيْتَنِي وَحَبَوْتَنِي وَهَدَيْتَنِي مِنْ حَيْرَةِ الْخِذْلاَنِ
١٥ وَزَرَعْتَ لِي بَيْنَ الْقُلُوبِ مَوَدَّةً وَالعَطْفُ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ
١٦ وَنَشَرْتَ لِي فِي الْعَالَمِينَ مَحَاسِنًا وَسَتَرْتَ عَنْ أَبْصَارِهِمْ عِصْيَانِي
١٧ وَجَعَلْتَ ذِكْرِي فِي الْبَرِيَّةِ شَائِعًا حَتَّى جَعَلْتَ جَمِيعَهُمْ إِخْوَانِي
١٨ وَاللهِ لَوْ عَلِمُوا قَبِيحَ سَرِيرَتِي لأَبَى السَّلاَمَ عَلَيَّ مَنْ يَلْقَانِي
١٩ وَلأَعْرَضُوا عَنِّي وَمَلُّوا صُحْبَتِي وَلَبُؤْتُ بَعْدَ كَرَامَةٍ بِهَوَانِ
٢٠ لَكِنْ سَتَرْتَ مَعَايِبِي وَمَثَالِبِي وَحَلِمْتَ عَنْ سَقَطِي وَعَنْ طُغْيَانِي
٢١ فَلَكَ الْمَحَامِدُ وَالْمَدَائِحُ كُلُّهَا بِخَوَاطِرِي وَجَوَارِحِي وَلِسَانِي
٢٢ وَلَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ رَبِّ بِأَنْعُمٍ مَا لِي بِشُكْرِ أَقَلِّهِنَّ يَدَانِ
٢٣ فَوَحَقِّ حِكْمَتِكَ الَّتِي آتَيْتَنِي حَتَّى شَدَدتَّ بِنُورِهَا بُرْهَانِي
٢٤ لَئِنِ اجْتَبَتْنِي مِنْ رِضَاكَ مَعُونَةٌ حَتَّى تُقَوِّيَ أَيْدُهَا إِيمَانِي
٢٥ لأُسَبِّحَنَّكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً وَلَتَخْدُمَنَّكَ فِي الدُّجَى أَرْكَانِي
٢٦ وَلأَذْكُرَنَّكَ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا وَلأَشْكُرَنَّكَ سَائِرَ الأَحْيَانِ
٢٧ وَلأَكْتُمَنَّ عَنِ الْبَرِيَّةِ خَلَّتِي وَلأَشْكُوَنَّ إِلَيْكَ جَهْدَ زَمَانِي



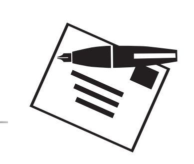
٢٨ وَلأَقْصِدَنَّكَ فِي جَمِيعِ حَوَائِجِي مِنْ دُونِ قَصْدِ فُلاَنَةٍ وَفُلاَنِ
٢٩ وَلأَحْسِمَنَّ عَنِ الأَنَامِ مَطَامِعِي بِحُسَامِ يَـأْسٍ لَمْ تَشُبْهُ بَنَانِي
٣٠ وَلأَجْعَلَنَّ رِضَاكَ أَكْبَرَ هِمَّتِي وَلأَضْرِبَنَّ مِنَ الْهَوَى شَيْطَانِي
٣١ وَلأَكْسُوَنَّ عُيُوبَ نَفْسِي بِالتُّقَى وَلأَقْبِضَنَّ عَنِ الْفُجُورِ عِنَانِي
٣٢ وَلأَمْنَعَنَّ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا وَلأَجْعَلَنَّ الزُّهْدَ مِنْ أَعْوَانِي
٣٣ وَلأَتْلُوَنَّ حُرُوفَ وَحْيِكَ فِي الدُّجَى وَلأُحْـرِقَـنَّ بِـنُـورِهِ شَيْطَانِي
٣٤ أَنْتَ الَّذِي يَا رَبِّ قُلْتَ حُرُوفَهُ وَوَصَفْتَهُ بِالْوَعْظِ وَالتِّبْيَانِ
٣٥ وَنَـظَـمْـتَـهُ بِـبَـلاَغَـةٍ أَزَلِـيَّـةٍ تَكْيِيفُهَا يَخْفَى عَلَى الأَذْهَـانِ
٣٦ وَكَتَبْتَ فِي اللَّوْحِ الْحَفِيظِ حُرُوفَهُ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْخَلْقِ فِي أَزْمَانِ
٣٧ فَـاللهُ رَبِّي لَمْ يَـزَلْ مُتَكَلِّمًا حَقًّا إِذَا مَا شَاءَ ذُو إِحْسَانِ
٣٨ نَادَى بِصَوْتٍ حِينَ كَلَّمَ عَبْدَهُ مُوسَى فَأَسْمَعَهُ بِلاَ كِتْمَانِ
٣٩ وَكَـذَا يُنَادِي فِي الْقِيَامَةِ رَبُّنَا جَهْرًا فَيَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلاَنِ
٤٠ أَنْ يَا عِبَادِي أَنْصِتُوا لِي وَاسْمَعُوا قَـوْلَ الإِلَـهِ الْمَـالِـكِ الدَّيَّانِ
٤١ هَـذَا حَدِيثُ نَبِيِّنَا عَـنْ رَبِّـهِ صِدْقًا بِلاَ كَـذِبٍ وَلاَ بُهْتَانِ
٤٢ لَسْنَا نُشَبِّهُ صَوْتَهُ بِكَلاَمِنَا إِذْ لَيْسَ يُـدْرَكُ وَصْفُهُ بِعِيَانِ



٤٣ لاَ تَحْصُرُ الأَوْهَـامُ مَبْلَغَ ذَاتِهِ   أَبَـدًا وَلاَ يَحْوِيهِ قُطْرُ مَكَانِ
٤٤ وَهُوَ المُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ   مِنْ غَـيْرِ إِغْفَالٍ وَلاَ نِسْيَانِ
٤٥ مَنْ ذَا يُكَيِّفُ ذَاتَـهُ وَصِفَاتِهِ   وَهُوَ القَدِيمُ مُكَوِّنُ الأَكْوَانِ
٤٦ سُبْحَانَهُ مَلِكًا عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى   وَحَوَى جَمِيعَ المُلْكِ وَالسُّلْطَانِ
٤٧ وَكَـلاَمُـهُ الـقُـرْآنُ أَنْـزَلَ آيَهُ   وَحْيًا عَلَى المَبْعُوثِ مِنْ عَدْنَانِ
٤٨ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ خَـيْرَ صَلاَتِهِ   مَا لاَحَ فِي فَلَكَيْهِمَا القَمَرَانِ
٤٩ هُوَ جَاءَ بِالْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ الَّذِي   لاَ تَعْتَرِيهِ نَـوَائِـبُ الحُـدَثَـانِ
٥٠ تَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ وَوَحْيُهُ   بِشَهَادَةِ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ
٥١ وَكَـلاَمُ رَبِّي لاَ يَجِـيءُ بِمِثْلِهِ   أَحَدٌ وَلَوْ جُمِعَتْ لَهُ الثَّقَلاَنِ
٥٢ وَهُوَ المَصُونُ مِنَ الأَبَاطِلِ كُلِّهَا   وَمِنَ الزِّيَادَةِ فِيهِ وَالنُّقْصَانِ
٥٣ مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنْ يُبَارِيَ نَظْمَهُ   وَيَـرَاهُ مِثْلَ الشِّعْرِ وَالهَذَيَانِ
٥٤ فَلْيَأْتِ مِنْهُ بِسُـورَةٍ أَوْ آيَةٍ   فَإِذَا رَأَى النَّظْمَيْنِ يَشْتَبِهَانِ
٥٥ فَلْيَنْفَرِدْ بِاسْمِ الأُلُوهَةِ وَلْيَكُنْ   رَبَّ البَرِيَّةِ وَلْيَقُلْ سُبْحَانِي
٥٦ فَإِذَا تَنَاقَضَ نَظْمُهُ فَلْيَلْبَسَنْ   ثَوْبَ النَّقِيصَةِ صَاغِرًا بِهَوَانِ
٥٧ أَوْ فَلْيُقِرَّ بِـأَنَّـهُ تَنْزِيلُ مَنْ   سَـمَّاهُ فِي نَصِّ الكِتَابِ مَثَانِي




٥٨ لاَ رَيْبَ فِيهِ بِأَنَّهُ تَنْزِيلُهُ   وَبِدَايَةُ التَّنْزِيلِ فِي رَمَضَانِ
٥٩ اللهُ فَصَّلَهُ وَأَحْكَمَ آيَهُ   وَتَلاَهُ تَنْزِيلاً بِلاَ أَلْحَانِ
٦٠ هُوَ قَوْلُهُ وَكَلاَمُهُ وَخِطَابُهُ   بِفَصَاحَةٍ وَبَلاَغَةٍ وَبَيَانِ
٦١ هُوَ حُكْمُهُ هُوَ عِلْمُهُ هُوَ نُورُهُ   وَصِرَاطُهُ الْهَادِي إِلَى الرِّضْوَانِ
٦٢ جَمَعَ الْعُلُومَ دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا   فَبِهِ يَصُولُ الْعَالِمُ الرَّبَّانِي
٦٣ قَصَصٌ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ قَصَّهُ   رَبِّي فَأَحْسَنَ أَيَّمَا إِحْسَانِ
٦٤ وَأَبَانَ فِيهِ حَلاَلَهُ وَحَرَامَهُ   وَنَهَى عَنِ الآثَامِ وَالْعِصْيَانِ
٦٥ مَنْ قَالَ إِنَّ اللهَ خَالِقُ قَوْلِهِ   فَقَدِ اسْتَحَلَّ عِبَادَةَ الأَوْثَانِ
٦٦ مَنْ قَالَ فِيهِ عِبَارَةٌ وَحِكَايَةٌ   فَغَدًا يُجَرَّعُ مِنْ حَمِيمٍ آنِ
٦٧ مَنْ قَالَ إِنَّ حُرُوفَهُ مَخْلُوقَةٌ   فَالْعَنْهُ ثُمَّ اهْجُرْهُ كُلَّ أَوَانِ
٦٨ لاَ تَلْقَ مُبْتَدِعًا وَلاَ مُتَزَنْدِقًا   إِلاَّ بِعَبْسَةِ مَالِكِ الْغَضْبَانِ
٦٩ وَالْوَقْفُ فِي الْقُرْآنِ خُبْثٌ بَاطِلٌ   وَخِدَاعُ كُلِّ مُذَبْذَبٍ حَيْرَانِ
٧٠ قُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلاَمُ إِلَهِنَا   وَاعْجَلْ وَلاَ تَكُ فِي الإِجَابَةِ وَانِي
٧١ أَهْلُ الشَّرِيعَةِ أَيْقَنُوا بِنُزُولِهِ   وَالْقَائِلُونَ بِخَلْقِهِ شَكْلاَنِ
٧٢ وَتَجَنَّبِ اللَّفْظَيْنِ إِنَّ كِلَيْهِمَا   وَمَقَالَ جَهْمٍ عِنْدَنَا سِيَّانِ



٧٣ يَا أَيُّهَا السُّنِّيُّ خُذْ بِوَصِيَّتِي وَاخْصُصْ بِذَلِكَ جُمْلَةَ الإِخْوَانِ
٧٤ وَاقْبَلْ وَصِيَّةَ مُشْفِقٍ مُتَوَدِّدٍ وَاسْمَعْ بِفَهْمٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ
٧٥ كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَوَسِّطًا عَدْلاً بِلاَ نَقْصٍ وَلاَ رُجْحَانِ
٧٦ وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ رَبٌّ وَاحِدٌ مُتَنَزِّهٌ عَنْ ثَالِثٍ أَوْ ثَانِ
٧٧ الأَوَّلُ الْمُبْدِي بِغَيْرِ بِدَايَةٍ وَالآخِرُ الْمُفْنِي وَلَيْسَ بِفَانِ
٧٨ وَكَلاَمُهُ صِفَةٌ لَهُ وَجَلاَلَةٌ مِنْهُ بِلاَ أَمَدٍ وَلاَ حِدْثَانِ
٧٩ رُكْنُ الدِّيَانَةِ أَنْ تُصَدِّقَ بِالْقَضَا لاَ خَيْرَ فِي بَيْتٍ بِلاَ أَرْكَانِ
٨٠ اللهُ قَدْ عَلِمَ السَّعَادَةَ وَالشَّقَا وَهُمَا وَمَنْزِلَتَاهُمَا ضِدَّانِ
٨١ لاَ يَمْلِكُ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ لِنَفْسِهِ رُشْدًا وَلاَ يَقْدِرْ عَلَى خِذْلاَنِ
٨٢ سُبْحَانَ مَنْ يُجْرِي الأُمُورَ بِحِكْمَةٍ فِي الْخَلْقِ بِالأَرْزَاقِ وَالْحِرْمَانِ
٨٣ نَفَذَتْ مَشِيئَتُهُ بِسَابِقِ عِلْمِهِ فِي خَلْقِهِ عَدْلاً بِلاَ عُدْوَانِ
٨٤ وَالْكُلُّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ مُسَطَّرٌ مِنْ غَيْرِ إِغْفَالٍ وَلاَ نُقْصَانِ
٨٥ فَاقْصِدْ هُدِيتَ وَلاَ تَكُنْ مُتَغَالِيًا إِنَّ الْقُدُورَ تَفُورُ بِالْغَلَيَانِ
٨٦ دِنْ بِالشَّرِيعَةِ وَالْكِتَابِ كِلَيْهِمَا فَكِلاَهُمَا لِلدِّينِ وَاسِطَتَانِ
٨٧ وَكَذَا الشَّرِيعَةُ وَالْكِتَابُ كِلاَهُمَا بِجَمِيعِ مَا تَأْتِيهِ مُحْتَفِظَانِ

٨٨ وَلِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظَانِ لِكُلِّ مَا ... يَقَعُ الْجَزَاءُ عَلَيْهِ مَخْلُوقَانِ

٨٩ أُمِرَا بِكَتْبِ كَلَامِهِ وَفِعَالِهِ ... وَهُمَا لأَمْرِ اللهِ مُؤْتَمِرَانِ

٩٠ وَاللهُ صِدْقٌ وَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ ... مِمَّا يُعَايِنُ شَخْصَهُ الْعَيْنَانِ

٩١ وَاللهُ أَكْبَرُ أَنْ تُحَدَّ صِفَاتُهُ ... أَوْ أَنْ يُقَاسَ بِجُمْلَةِ الأَعْيَانِ

٩٢ وَحَيَاتُنَا فِي الْقَبْرِ بَعْدَ مَمَاتِنَا ... حَقٌّ وَيَسْأَلُنَا بِهِ الْمَلَكَانِ

٩٣ وَالْقَبْرُ صَحَّ نَعِيمُهُ وَعَذَابُهُ ... وَكِلَاهُمَا لِلنَّاسِ مُدَّخَرَانِ

٩٤ وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَعْدٌ صَادِقٌ ... بِإِعَادَةِ الأَرْوَاحِ فِي الأَبْدَانِ

٩٥ وَصِرَاطُنَا حَقٌّ وَحَوْضُ نَبِيِّنَا ... صِدْقٌ لَهُ عَدَدُ النُّجُومِ أَوَانِي

٩٦ يُسْقَى بِهَا السُّنِّيُّ أَعْذَبَ شَرْبَةٍ ... وَيُذَادُ كُلُّ مُخَالِفٍ فَتَّانِ

٩٧ وَكَذَلِكَ الأَعْمَالُ يَوْمَئِذٍ تُرَى ... مَوْضُوعَةً فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ

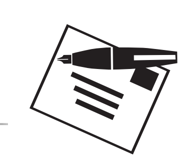
٩٨ وَالْكُتْبُ يَوْمَئِذٍ تَطَايَرُ فِي الْوَرَى ... بِشَمَائِلِ الأَيْدِي وَبِالأَيْمَانِ

٩٩ وَاللهُ يَوْمَئِذٍ يَجِيءُ لِعَرْضِنَا ... مَعَ أَنَّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ دَانِ

١٠٠ وَالأَشْعَرِيُّ يَقُولُ يَأْتِي أَمْرُهُ ... وَيَعِيبُ وَصْفَ اللهِ بِالإِتْيَانِ

١٠١ وَاللهُ فِي الْقُرْآنِ أَخْبَرَ أَنَّهُ ... يَأْتِي بِغَيْرِ تَنَقُّلٍ وَتَدَانِ

١٠٢ وَعَلَيْهِ عَرْضُ الْخَلْقِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ ... لِلْحُكْمِ كَيْ يَتَنَاصَفَ الْخَصْمَانِ



١٠٣ وَاللهُ يَوْمَئِذٍ نَـرَاهُ كَمَا نَرَى ... قَمَرًا بَـدَا لِلسِّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ
١٠٤ يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهَوْلِهِ ... لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ أَوْطَانِ
١٠٥ يَـوْمٌ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لِهَوْلِهِ ... وَتَشِيبُ فِيهِ مَفَارِقُ الْوِلْدَانِ
١٠٦ يَـوْمٌ عَبُوسٌ قَمْطَرِيرٌ شَرُّهُ ... فِي الْخَلْقِ مُنْتَشِرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
١٠٧ وَالْجَـنَّـةُ الْعُلْيَا وَنَـارُ جَهَنَّمٍ ... دَارَانِ لِلْخَصْمَيْنِ دَائِمَتَانِ
١٠٨ يَـوْمٌ يَجِـيءُ الْمُتَّقُونَ لِرَبِّهِمْ ... وَفْدًا عَلَى نُجُبٍ مِنَ الْعِقْيَانِ
١٠٩ وَيَجِيءُ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ إِلَى لَظَى ... يَتَلَمَّظُونَ تَلَمُّظَ الْعَطْشَانِ
١١٠ وَدُخُولُ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ جَهَنَّمَ ... بِكَبَائِرِ الآثَـامِ وَالطُّغْيَانِ
١١١ وَاللهُ يَرْحَمُهُمْ بِصِحَّةِ عَقْدِهِمْ ... وَيُبَدَّلُوا مِنْ خَوْفِهِمْ بِأَمَانِ
١١٢ وَشَفِيعُهُمْ عِنْدَ الْخُرُوجِ مُحَمَّدٌ ... وَطُهُورُهُمْ فِي شَاطِئِ الْحَيَوَانِ
١١٣ حَتَّى إِذَا طَهُرُوا هُنَالِكَ أُدْخِلُوا ... جَنَّاتِ عَدْنٍ وَهْيَ خَيْرُ جِنَانِ
١١٤ فَـاللهُ يَجْمَعُنَا وَإِيَّـاهُـمْ بِهَا ... مِنْ غَيْرِ تَعْذِيبٍ وَغَيْرِ هَوَانِ
١١٥ وَإِذَا دُعِيتَ إِلَى أَدَاءِ فَرِيضَةٍ ... فَانْشَطْ وَلاَ تَكُ فِي الإِجَابَةِ وَانِي
١١٦ قُمْ بِالصَّلاَةِ الْخَمْسِ وَاعْرِفْ قَدْرَهَا ... فَلَهُنَّ عِنْدَ اللهِ أَعْظَمُ شَانِ
١١٧ لاَ تَمْنَعَنَّ زَكَـاةَ مَالِكَ ظَالِمًا ... فَصَلاَتُنَا وَزَكَـاتُـنَـا أُخْتَانِ



١١٨ وَالوِتْرُ بَعْدَ الْفَرْضِ آكَدُ سُنَّةٍ   وَالْجُمْعَةُ الزَّهْرَاءُ وَالْعِيدَانِ

١١٩ مَعَ كُلِّ بَرٍّ صَلِّهَا أَوْ فَاجِرٍ   مَا لَمْ يَكُنْ فِي دِينِهِ بِمُشَانِ

١٢٠ وَصِيَامُنَا رَمَضَانَ فَرْضٌ وَاجِبٌ   وَقِيَامُنَا الْمَسْنُونُ فِي رَمَضَانِ

١٢١ صَلَّى النَّبِيُّ بِهِ ثَلاَثًا رَغْبَةً   وَرَوَى الْجَمَاعَةُ أَنَّهَا ثِنْتَانِ

١٢٢ إِنَّ التَّرَاوِحَ رَاحَةٌ فِي لَيْلِهِ   وَنَشَاطُ كُلِّ عُوَيْجِزٍ كَسْلاَنِ

١٢٣ وَاللهِ مَا جَعَلَ التَّرَاوِحَ مُنْكَرًا   إِلاَّ الْمَجُوسُ وَشِيعَةُ الصُّلْبَانِ

١٢٤ وَالْحَجُّ مُفْتَرَضٌ عَلَيْكَ وَشَرْطُهُ   أَمْنُ الطَّرِيقِ وَصِحَّةُ الأَبْدَانِ

١٢٥ كَبِّرْ هُدِيتَ عَلَى الْجَنَائِزِ أَرْبَعًا   وَاسْأَلْ لَهَا بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ

١٢٦ إِنَّ الصَّلاَةَ عَلَى الْجَنَائِزِ عِنْدَنَا   فَرْضُ الْكِفَايَةِ لاَ عَلَى الأَعْيَانِ

١٢٧ إِنَّ الأَهِلَّةَ لِلأَنَامِ مَوَاقِتٌ   وَبِهَا يَقُومُ حِسَابُ كُلِّ زَمَانِ

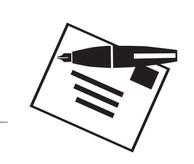
١٢٨ لاَ تُفْطِرَنَّ وَلاَ تَصُمْ حَتَّى يَرَى   شَخْصَ الْهِلاَلِ مِنَ الْوَرَى إِثْنَانِ

١٢٩ مُتَثَبِّتَانِ عَلَى الَّذِي يَرَيَانِهِ   حُـرَّانِ فِي نَقْلَيْهِمَا ثِقَتَانِ

١٣٠ لاَ تَقْصِدَنَّ لِيَوْمِ شَكٍّ عَامِدًا   فَتَصُومَهُ وَتَقُولَ مِنْ رَمَضَانِ

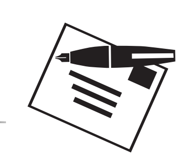
١٣١ لاَ تَعْتَقِدْ دِينَ الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ   أَهْلُ الْمُحَالِ وَحِزْبَةُ الشَّيْطَانِ

١٣٢ جَعَلُوا الشُّهُورَ عَلَى قِيَاسِ حِسَابِهِمْ   وَلَرُبَّمَا كَمَلاَ لَنَا شَهْرَانِ



١٣٣ وَلَرُبَّمَا نَقَصَ الَّذِي هُوَ عِنْدَهُمْ وَافٍ وَأَوْفَى صَاحِبُ النُّقْصَانِ
١٣٤ إِنَّ الرَّوَافِضَ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَا مِنْ كُلِّ إِنْسٍ نَاطِقٍ أَوْ جَانِ
١٣٥ مَدَحُوا النَّبِيَّ وَخَوَّنُوا أَصْحَابَهُ وَرَمَوْهُمُ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ
١٣٦ حَبُّوا قَرَابَتَهُ وَسَبُّوا صَحْبَهُ جَدَلاَنِ عِنْدَ اللهِ مُنْتَقِضَانِ
١٣٧ فَكَأَنَّمَا آلُ النَّبِيِّ وَصَحْبُهُ رُوحٌ يَضُمُّ جَمِيعَهَا جَسَدَانِ
١٣٨ فِئَتَانِ عَقْدُهُمَا شَرِيعَةُ أَحْمَدٍ بِأَبِي وَأُمِّي ذَانِكَ الْفِئَتَانِ
١٣٩ فِئَتَانِ سَالِكَتَانِ فِي سُبُلِ الْهُدَى وَهُمَا بِدِينِ اللهِ قَائِمَتَانِ
١٤٠ قُلْ إِنَّ خَيْرَ الأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ وَأَجَلَّ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْكُثْبَانِ
١٤١ وَأَجَلَّ صَحْبِ الرُّسْلِ صَحْبُ مُحَمَّدٍ وَكَذَاكَ أَفْضَلُ صَحْبِهِ الْعُمَرَانِ
١٤٢ رَجُلاَنِ قَدْ خُلِقَا لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ بِدَمِي وَنَفْسِي ذَانِكَ الرَّجُلاَنِ
١٤٣ فَهُمَا اللَّذَانِ تَظَاهَرَا لِنَبِيِّنَا فِي نَصْرِهِ وَهُمَا لَهُ صِهْرَانِ
١٤٤ بِنْتَاهُمَا أَسْنَى نِسَاءِ نَبِيِّنَا وَهُمَا لَهُ بِالْوَحْيِ صَاحِبَتَانِ
١٤٥ أَبَوَاهُمَا أَسْنَى صَحَابَةِ أَحْمَدٍ يَا حَبَّذَا الأَبَوَانِ وَالْبِنْتَانِ
١٤٦ وَهُمَا وَزِيرَاهُ اللَّذَانِ هُمَا هُمَا لِفَضَائِلِ الأَعْمَالِ مُسْتَبِقَانِ
١٤٧ وَهُمَا لأَحْمَدَ نَاظِرَاهُ وَسَمْعُهُ وَبِقُرْبِهِ فِي الْقَبْرِ مُضْطَجِعَانِ

١٤٨ كَانَا عَلَى الإِسْلاَمِ أَشْفَقَ أَهْلِهِ ... وَهُمَا لِدِينِ مُحَمَّدٍ جَبَلاَنِ
١٤٩ أَصْفَاهُمَا أَقْوَاهُمَا أَخْشَاهُمَا ... أَتْقَاهُمَا فِي السِّرِّ وَالإِعْلاَنِ
١٥٠ أَسْنَاهُمَا أَزْكَاهُمَا أَعْلاَهُمَا ... أَوْفَاهُمَا فِي الْوَزْنِ وَالرُّجْحَانِ
١٥١ صِدِّيقُ أَحْمَدَ صَاحِبُ الْغَارِ الَّذِي ... هُوَ فِي الْمَغَارَةِ وَالنَّبِيُّ اثْنَانِ
١٥٢ أَعْنِي أَبَا بَكْرِ الَّذِي لَمْ يَخْتَلِفْ ... مِنْ شَرْعِنَا فِي فَضْلِهِ رَجُلاَنِ
١٥٣ هُوَ شَيْخُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَخَيْرُهُمْ ... وَإِمَامُهُمْ حَقًّا بِلاَ بُطْلاَنِ
١٥٤ وَأَبُو الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي تَنْزِيهُهَا ... قَدْ جَاءَنَا فِي النُّورِ وَالْفُرْقَانِ
١٥٥ أَكْرِمْ بِعَائِشَةَ الرِّضَا مِنْ حُرَّةٍ ... بِكْرٍ مُطَهَّرَةِ الإِزَارِ حَصَانِ
١٥٦ هِيَ زَوْجُ خَيْرِ الأَنْبِيَاءِ وَبِكْرُهُ ... وَعَرُوسُهُ مِنْ جُمْلَةِ النِّسْوَانِ
١٥٧ هِيَ عِرْسُهُ هِيَ أُنْسُهُ هِيَ إِلْفُهُ ... هِيَ حِبُّهُ صِدْقًا بِلاَ إِدْهَانِ
١٥٨ أَوَلَيْسَ وَالِدُهَا يُصَافِي بَعْلَهَا ... وَهُمَا بِرُوحِ اللهِ مُؤْتَلِفَانِ
١٥٩ لَمَّا قَضَى صِدِّيقُ أَحْمَدَ نَحْبَهُ ... دَفَعَ الْخِلاَفَةَ لِلإِمَامِ الثَّانِي
١٦٠ أَعْنِي بِهِ الْفَارُوقَ فَرَّقَ عَنْوَةً ... بِالسَّيْفِ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالإِيمَانِ
١٦١ هُوَ أَظْهَرَ الإِسْلاَمَ بَعْدَ خَفَائِهِ ... وَمَحَا الظَّلاَمَ وَبَاحَ بِالْكِتْمَانِ
١٦٢ وَمَضَى وَخَلَّى الأَمْرَ شُورَى بَيْنَهُمْ ... فِي الأَمْرِ فَاجْتَمَعُوا عَلَى عُثْمَانِ



١٦٣ مَنْ كَانَ يَسْهَرُ لَيْلَهُ فِي رَكْعَةٍ وِتْـرًا فَيُكْمِلُ خَتْمَةَ الْقُرْآنِ

١٦٤ وَلِيَ الْخِلَافَةَ صِهْرُ أَحْمَدَ بَعْدَهُ أَعْـنِـي عَـلِيَّ الْـعَـالِمَ الـرَّبَّـانِي

١٦٥ زَوْجَ الْبَتُولِ أَخَا الرَّسُولِ وَرُكْنَهُ لَيْثَ الْحُرُوْبِ مُنَازِلَ الأَقْرَانِ

١٦٦ سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْخِلَافَةَ رُتْبَةً وَبَنَـى الإِمَـامَـةَ أَيَّـمَا بُنْيَانِ

١٦٧ وَاسْتَخْلَفَ الأَصْحَابَ كَيْ لَا يَدَّعِي مِنْ بَعْدِ أَحْـمَدَ فِي النُّبُوَّةِ ثَانِي

١٦٨ أَكْرِمْ بِفَاطِمَةَ الْبَتُولِ وَبَعْلِهَا وَبِمَنْ هُـمَا لِمُحَمَّدٍ سِبْطَانِ

١٦٩ غُصْنَانِ أَصْلُهُمَا بِرَوْضَةِ أَحْمَدٍ لِلَّهِ دَرُّ الأَصْـلِ وَالْغُصْنَانِ

١٧٠ أَكْرِمْ بِطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدِهِمْ وَسَعِيدِهِمْ وَبِعَابِدِ الرَّحْمَنِ

١٧١ وَأَبِي عُبَيْدَةَ ذِي الدِّيَانَةِ وَالتُّقَى وَامْدَحْ جَمَاعَةَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

١٧٢ قُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي صَحَابَةِ أَحْمَدٍ وَامْـدَحْ جَمِيعَ الآلِ وَالنِّسْوَانِ

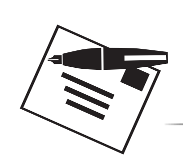
١٧٣ دَعْ مَا جَرَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي الْوَغَى بِسُيُوفِهِمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ

١٧٤ فَقَتِيلُهُمْ مِنْهُمْ وَقَاتِلُهُمْ لَهُمْ وَكِلَاهُمَا فِي الْحَشْرِ مَرْحُومَانِ

١٧٥ وَاللهُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَنْزِعُ كُلَّ مَا تَحْوِي صُدُورُهُمُ مِنَ الأَضْغَانِ

١٧٦ وَالْوَيْلُ لِلرَّكْبِ الَّذِيْنَ سَعَوا إِلَى عُثْمَانَ فَاجْتَمَعُوا عَلَى الْعِصْيَانِ

١٧٧ وَيْـلٌ لِمَـنْ قَتَلَ الْحُسَيْنَ فَإِنَّهُ قَدْ بَاءَ مِنْ مَـوْلَاهُ بِالْخُسْرَانِ

١٧٨ لَسْنَا نُكَفِّرُ مُسْلِمًا بِكَبِيرَةٍ — فَـاللهُ ذُو عَفْوٍ وَذُو غُفْرَانِ

١٧٩ لاَ تَقْبَلَنَّ مِنَ التَّوَارِخَ كُلَّ مَا — جَمَعَ الـرُّوَاةُ وَخَـطَّ كُلُّ بَنَانِ

١٨٠ اِرْوِ الْحَدِيثَ الْمُنْتَقَى عَنْ أَهْلِهِ — سِيمَا ذَوِي الأَحْلاَمِ وَالأَسْنَانِ

١٨١ كَابْنِ الْمُسَيِّبِ وَالْعَلاَءِ وَمَالِكٍ — وَاللَّيْثِ وَالزُّهْرِيِّ أَوْ سُفْيَانِ

١٨٢ وَاحْفَظْ رِوَايَةَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ — فَمَكَانُهُ فِيهَا أَجَـلُّ مَكَانِ

١٨٣ وَاحْفَظْ لأَهْلِ الْبَيْتِ وَاجِبَ حَقِّهِمْ — وَاعْـرِفْ عَلِيًّا أَيَّـمَا عِرْفَانِ

١٨٤ لاَ تَنْتَقِصْهُ وَلاَ تَزِدْ فِي قَدْرِهِ — فَعَلَيْهِ تَصْلَى النَّارَ طَائِفَتَانِ

١٨٥ إِحْدَاهُمَا لاَ تَرْتَضِيهِ خَلِيفَةً — وَتَنُصُّهُ الأُخْـرَى إِلَهًـا ثَانِي

١٨٦ وَالْعَنْ زَنَادِقَةَ الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ — أَعْنَاقُهُمْ غُلَّتْ إِلَى الأَذْقَـانِ

١٨٧ جَحَدُوا الشَّرَائِعَ وَالنُّبُوَّةَ وَاقْتَدَوا — بِفَسَادِ مِلَّةِ صَاحِبِ الإِيـوَانِ

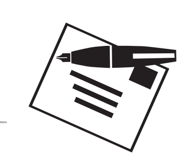
١٨٨ لاَ تَرْكَنَنَّ إِلَى الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ — شَتَمُوا الصَّحَابَةَ دُونَمَا بُرْهَانِ

١٨٩ لَعَنُوا كَمَا بَغَضُوا صَحَابَةَ أَحْمَدٍ — وَوِدَادُهُمْ فَرْضٌ عَلَى الإِنْسَانِ

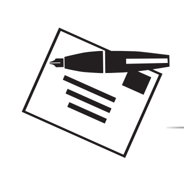
١٩٠ حُبُّ الصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ سُنَّةٌ — أَلْـقَـى بِهَـا رَبِي إِذَا أَحْـيَـانِي

١٩١ اِحْذَرْ عِقَابَ اللهِ وَارْجُ ثَوَابَهُ — حَتَّى تَكُونَ كَمَنْ لَهُ قَلْبَانِ

١٩٢ إِيـمَانُـنَـا بِـاللهِ بَـيْـنَ ثَـلاَثَـةٍ — عَمَلٍ وَقَـوْلٍ وَاعْتِقَادِ جَنَانِ



١٩٣ وَيَزِيدُ بِالتَّقْوَى وَيَنْقُصُ بِالرَّدَى ... وَكِلاَهُمَا فِي الْقَلْبِ يَعْتَلِجَانِ
١٩٤ وَإِذَا خَلَوْتَ بِرِيبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ ... وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ
١٩٥ فَاسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِ الإِلَهِ وَقُلْ لَهَا ... إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلاَمَ يَرَانِي
١٩٦ كُنْ طَالِبًا لِلْعِلْمِ وَاعْمَلْ صَالِحًا ... فَهُمَا إِلَى سُبُلِ الْهُدَى سَبَبَانِ
١٩٧ لاَ تَتَّبِعْ عِلْمَ النُّجُومِ فَإِنَّهُ ... مُتَعَلِّقٌ بِزَخَارِفِ الْكُهَّانِ
١٩٨ عِلْمُ النُّجُومِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ ... فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
١٩٩ لَوْ كَانَ عِلْمٌ لِلْكَوَاكِبِ أَوْ قَضَا ... لَمْ يَهْبِطِ الْمِرِّيخُ فِي السَّرَطَانِ
٢٠٠ وَالشَّمْسُ فِي الْحَمْلِ الْمُضِيءِ سَرِيعَةٌ ... وَهُبُوطُهَا فِي كَوْكَبِ الْمِيزَانِ
٢٠١ وَالشَّمْسُ مُحْرِقَةٌ لِسِتَّةِ أَنْجُمٍ ... لَكِنَّهَا وَالْبَدْرُ يَنْخَسِفَانِ
٢٠٢ وَلَرُبَّمَا اسْوَدَّا وَغَابَ ضِيَاهُمَا ... وَهُمَا لِخَوْفِ اللهِ يَرْتَعِدَانِ
٢٠٣ أُرْدُدْ عَلَى مَنْ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِمَا ... وَيَظُنُّ أَنَّ كِلَيْهِمَا رَبَّانِ
٢٠٤ يَا مَنْ يُحِبُّ الْمُشْتَرِي وَعُطَارِدًا ... وَيَظُنُّ أَنَّهُمَا لَهُ سَعْدَانِ
٢٠٥ لِمَ يَهْبِطَانِ وَيَعْلُوَانِ تَشَرُّفًا ... وَبِوَهْجِ حَرِّ الشَّمْسِ يَحْتَرِقَانِ
٢٠٦ أَتَخَافُ مِنْ زُحَلٍ وَتَرْجُو الْمُشْتَرِي ... وَكِلاَهُمَا عَبْدَانِ مَمْلُوكَانِ
٢٠٧ وَاللهِ لَوْ مَلَكَا حَيَاةً أَوْ فَنَا ... لَسَجَدتُّ نَحْوَهُمَا لِيَصْطَنِعَانِ



٢٠٨ وَلِيَفْسِحَا فِي مُـدَّتِي وَيُوَسِّعَا   رِزْقِي وَبِالإِحْسَانِ يَكْتَنِفَانِي

٢٠٩ بَلْ كُلُّ ذَلِكَ فِي يَدِ اللهِ الَّذِي   ذَلَّـتْ لِعِزَّةِ وَجْهِهِ الثَّقَلاَنِ

٢١٠ فَقَدِ اسْتَوَى زُحَلٌ وَنَجْمُ الْمُشْتَرِي   وَالرَّأْسُ وَالذَّنَبُ الْعَظِيمُ الشَّانِ

٢١١ وَالزُّهْرَةُ الْغَرَّاءُ مَعْ مِرِّيخِهَا   وَعُطَارِدُ الْوَقَّادُ مَعْ كَيْوَانِ

٢١٢ إِنْ قَابَلَتْ وَتَرَبَّعَتْ وَتَثَلَّثَتْ   وَتَسَدَّسَتْ وَتَلاَحَقَتْ بِقِرَانِ

٢١٣ أَلَهَـا دَلِيلُ سَعَادَةٍ أَوْ شِقْوَةٍ   لاَ وَالَّـذِي بَرَأَ الْـوَرَى وَبَرَانِي

٢١٤ مَنْ قَالَ بِالتَّأْثِيرِ فَهْوُ مُعَطِّلٌ   لِـلـشَّرْعِ مُتَّبِعٌ لِـقَـوْلِ ثَـانِ

٢١٥ إِنَّ النُّجُومَ عَلَى ثَلاَثَةِ أَوْجُهٍ   فَاسْمَعْ مَقَالَ النَّاقِدِ الدَّهْقَانِ

٢١٦ بَعْضُ النُّجُومِ خُلِقْنَ زِينَةَ لِلسَّمَا   كَالدُّرِّ فَوْقَ تَرَائِبِ النِّسْوَانِ

٢١٧ وَكَوَاكِبٌ تَهْدِي الْمُسَافِرَ فِي السُّرَى   وَرُجُـومُ كُلِّ مُثَابِرٍ شَيْطَانِ

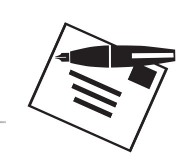
٢١٨ لاَ يَعْلَمُ الإِنْسَانُ مَا يُقْضَى غَدًا   إِذْ كُـلَّ يَـوْمٍ رَبُّـنَـا فِي شَـانِ

٢١٩ وَاللهُ يُمْطِرُنَا الْغُيُوثَ بِفَضْلِهِ   لاَ نَـوْءَ عَـوَّاءٍ وَلاَ دَبَـرَانِ

٢٢٠ مَنْ قَالَ إِنَّ الْغَيْثَ جَاءَ بِهَنْعَةٍ   أَوْ صَرْفَـةٍ أَوْ كَوْكَبِ الْمِيزَانِ

٢٢١ فَقَدِ افْـتَرَى إِثْـمًا وَبُهْتَانًا وَلَمْ   يُنْزِلْ بِهِ الرَّحْمَنُ مِنْ سُلْطَانِ

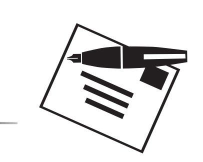
٢٢٢ وَكَذَا الطَّبِيعَةُ لِلشَّرِيعَةِ ضِدُّهَا   وَلَـقَـلَّـمَا يَتَجَمَّعُ الـضِّـدَّانِ



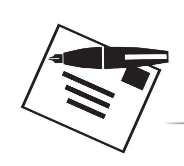
٢٢٣ وَإِذَا طَلَبْتَ طَبَائِعًا مُسْتَسْلِمًا فَاطْلُبْ شُوَاظَ النَّارِ فِي الْغُدْرَانِ
٢٢٤ عِلْمُ الْفَلاَسِفَةِ الْغُوَاةِ طَبِيعَةٌ وَمَعَادُ أَرْوَاحٍ بِلاَ أَبْدَانِ
٢٢٥ لَوْلاَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَهُمْ وَفِعَالُهَا لَمْ يَمْشِ فَوْقَ الأَرْضِ مِنْ حَيَوَانِ
٢٢٦ وَالْبَحْرُ عُنْصُرُ كُلِّ مَاءٍ عِنْدَهُمْ وَالشَّمْسُ أَوَّلُ عُنْصُرِ النِّيرَانِ
٢٢٧ وَالْغَيْثُ أَبْخِرَةٌ تَصَاعَدَ كُلَّمَا دَامَتْ بِهَطْلِ الْوَابِلِ الْهَتَّانِ
٢٢٨ وَالرَّعْدُ عِنْدَ الْفَيْلَسُوفِ بِزَعْمِهِ صَوْتُ اصْطِكَاكِ السُّحْبِ فِي الأَعْنَانِ
٢٢٩ وَالْبَرْقُ عِنْدَهُمُ شُوَاظٌ خَارِجٌ بَيْنَ السَّحَابِ يُضِيءُ فِي الأَحْيَانِ
٢٣٠ كَذَبَ أَرِسْطَالِيسُهُمْ فِي قَوْلِهِ هَذَا وَأَسْرَفَ أَيَّمَا هَذَيَانِ
٢٣١ الْغَيْثُ يُفْرَغُ فِي السَّحَابِ مِنَ السَّمَا وَيَكِيلُهُ مِيكَالُ بِالْمِيزَانِ
٢٣٢ لاَ قَطْرَةٌ إِلاَّ وَيَنْزِلُ نَحْوَهَا مَلَكٌ إِلَى الآكَامِ وَالْفَيْضَانِ
٢٣٣ وَالرَّعْدُ صَيْحَةُ مَالِكٍ وَهْوَ اسْمُهُ يُزْجِي السَّحَابَ كَسَائِقِ الأَظْعَانِ
٢٣٤ وَالْبَرْقُ شَوْظُ النَّارِ يَزْجُرُهَا بِهِ زَجْرَ الْحُدَاةِ الْعِيسِ بِالْقُضْبَانِ
٢٣٥ أَفَكَانَ يَعْلَمُ ذَا أَرِسْطَالِيسُهُمْ تَدْبِيرَ مَا انْفَرَدَتْ بِهِ الْجِهَتَانِ
٢٣٦ أَمْ غَابَ تَحْتَ الأَرْضِ أَمْ صَعَدَ السَّمَا فَرَأَى بِهَا الْمَلَكُوتَ رَأْيَ عِيَانِ
٢٣٧ أَمْ كَانَ دَبَّرَ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا أَمْ كَانَ يَعْلَمُ كَيْفَ يَخْتَلِفَانِ



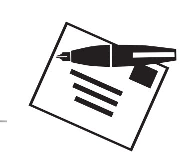
٢٣٨ أَمْ سَارَ بَطْلِيمُوسُ بَيْنَ نُجُومِهَا حَتَّى رَأَى السَّيَّارَ وَالْمُتَوَانِي
٢٣٩ أَمْ كَانَ أَطْلَعَ شَمْسَهَا وَهِلاَلَهَا أَمْ هَلْ تَبَصَّرَ كَيْفَ يَعْتَقِبَانِ
٢٤٠ أَمْ كَانَ أَرْسَلَ رِيحَهَا وَسَحَابَهَا بِالْغَيْثِ يُهْمِلُ أَيَّمَا هَمَلاَنِ
٢٤١ بَلْ كَانَ ذَلِكَ حِكْمَةَ اللهِ الَّذِي بِقَضَائِهِ مُتَصَرَّفُ الأَزْمَانِ
٢٤٢ لاَتَسْتَمِعْ قَوْلَ الضَّوَارِبِ بِالْحَصَا وَالزَّاجِرِينَ الطَّيْرَ بِالطَّيَرَانِ
٢٤٣ فَالْفِرْقَتَانِ كَذُوبَتَانِ عَلَى الْقَضَا وَبِعِلْمِ غَيْبِ اللهِ جَاهِلَتَانِ
٢٤٤ كَذَبَ الْمُهَنْدِسُ وَالْمُنَجِّمُ مِثْلُهُ فَهُمَا لِعِلْمِ اللهِ مُدَّعِيَانِ
٢٤٥ الأَرْضُ عِنْدَ كِلَيْهِمَا كُرَوِيَّةٌ وَهُمَا بِهَذَا الْقَوْلِ مُقْتَرِنَانِ
٢٤٦ وَالأَرْضُ عِنْدَ أُولِي النُّهَى لَسَطِيحَةٌ بِدَلِيلِ صِدْقٍ وَاضِحِ الْقُرْآنِ
٢٤٧ وَاللهُ صَيَّرَهَا فِرَاشًا لِلْوَرَى وَبَنَى السَّمَاءَ بِأَحْسَنِ الْبُنْيَانِ
٢٤٨ وَاللهُ أَخْبَرَ أَنَّهَا مَسْطُوحَةٌ وَأَبَانَ ذَلِكَ أَيَّمَا تِبْيَانِ
٢٤٩ أَأَحَاطَ بِالأَرْضِ الْمُحِيطَةِ عِلْمُهُمْ أَمْ بِالْجِبَالِ الشُّمَّخِ الأَكْنَانِ
٢٥٠ أَمْ يُخْبِرُونَ بِطُولِهَا وَبِعَرْضِهَا أَمْ هَلْ هُمَا فِي الْقَدْرِ مُسْتَوِيَانِ
٢٥١ أَمْ فَجَّرُوا أَنْهَارَهَا وَعُيُونَهَا مَاءً بِهِ يُرْوَى صَدَى الْعَطْشَانِ
٢٥٢ أَمْ أَخْرَجُوا أَثْمَارَهَا وَنَبَاتَهَا وَالنَّخْلَ ذَاتَ الطَّلْعِ وَالْقِنْوَانِ



٢٥٣ أَمْ هَلْ لَهُمْ عِلْمٌ بِعَدِّ ثِمَارِهَا ... أَمْ بِاخْتِلَافِ الطَّعْمِ وَالأَلْوَانِ
٢٥٤ اللهُ أَحْكَمَ خَلْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ ... صُنْعًا وَأَتْقَنَ أَيَّمَا إِتْقَانِ
٢٥٥ قُلْ لِلطَّبِيبِ الْفَيْلَسُوفِ بِزَعْمِهِ ... إِنَّ الطَّبِيعَةَ عِلْمُهَا بُرْهَانِ
٢٥٦ أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ نُطْفَةً ... فِي الْبَطْنِ إِذْ مُشِجَتْ بِهِ الْمَاآنِ
٢٥٧ أَيْنَ الطَّبِيعَةُ حِينَ عُدتَّ عُلَيْقَةً ... فِي أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ تَوَانِي
٢٥٨ أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ مُضْغَةً ... فِي أَرْبَعِينَ وَقَدْ مَضَى الْعَدَدَانِ
٢٥٩ أَتُرَى الطَّبِيْعَةَ صَوَّرَتْكَ مُصَوَّرًا ... بِمَسَامِعٍ وَنَوَاظِرٍ وَبَنَانِ
٢٦٠ أَتُرَى الطَّبِيعَةَ أَخْرَجَتْكَ مُنَكَّسًا ... مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ وَاهِيَ الأَرْكَانِ
٢٦١ أَمْ فَجَّرَتْ لَكَ بِاللِّبَانِي ثَدْيَهَا ... فَرَضَعْتَهَا حَتَّى مَضَى الْحَوْلَانِ
٢٦٢ أَمْ صَيَّرَتْ فِي وَالِدَيْكَ مَحَبَّةً ... فَهُمَا بِمَا يُرْضِيكَ مُغْتَبِطَانِ
٢٦٣ يَا فَيْلَسُوفُ لَقَدْ شُغِلْتَ عَنِ الْهُدَى ... بِالْمَنْطِقِ الرُّومِيِّ وَالْيُونَانِي
٢٦٤ وَشَرِيعَةُ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ شِرْعَةٍ ... دِينُ النَّبِيِّ الصَّادِقِ الْعَدْنَانِ
٢٦٥ هُوَ دِينُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَشَرْعُهُ ... وَهُوَ الْقَدِيمُ وَسَيِّدُ الأَدْيَانِ
٢٦٦ هُوَ دِينُ آدَمَ وَالْمَلَائِكِ قَبْلَهُ ... هُوَ دِينُ نُوحٍ صَاحِبِ الطُّوفَانِ
٢٦٧ وَلَهُ دَعَا هُودُ النَّبِيُّ وَصَالِحٌ ... وَهُمَا لِدِينِ اللهِ مُعْتَقِدَانِ



٢٦٨ وَبِهِ أَتَى لُوطٌ وَصَاحِبُ مَدْيَنٍ فَكِلاَهُمَا فِي الدِّينِ مُجْتَهِدَانِ
٢٦٩ هُوَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنَيْهِ مَعًا وَبِـهِ نَجَا مِنْ نَفْحَةِ النِّيرَانِ
٢٧٠ وَبِهِ حَمَى اللهُ الذَّبِيحَ مِنَ الْبَلاَ لَمَّـا فَـدَاهُ بِأَعْظَمِ الْقُرْبَانِ
٢٧١ هُوَ دِينُ يَعْقُوبَ النَّبِيِّ وَيُونُسٍ وَكِـلاَهُـمَـا فِي اللهِ مُبْتَلَيَانِ
٢٧٢ هُوَ دِينُ دَاوُودَ الْخَلِيفَةِ وَابْنِهِ وَبِـهِ أَذَلَّ لَـهُ مُـلُـوكَ الْجُـانِ
٢٧٣ هُوَ دِينُ يَحْيَى مَعْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ نِعْمَ الصَّبِيُّ وَحَبَّذَا الشَّيْخَانِ
٢٧٤ وَلَهُ دَعَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْمَهُ لَمْ يَدْعُهُمْ لِعِبَادَةِ الصُّلْبَانِ
٢٧٥ وَاللهُ أَنْطَقَهُ صَبِيًّا بِالْهُدَى فِي الْمَهْدِ ثُمَّ سَمَا عَلَى الصِّبْيَانِ
٢٧٦ وَكَـمَالُ دِيـنِ اللهِ شَرْعُ مُحَمَّدٍ صَـلَّى عَلَيْهِ مُـنَـزِّلُ الْـقُـرْآنِ
٢٧٧ الطَّيِّبُ الزَّاكِي الَّذِي لَمْ يَجْتَمِعْ يَـوْمًـا عَـلَى زَلَـلٍ لَـهُ أَبَـوَانِ
٢٧٨ الطَّاهِرُ النِّسْوَانِ وَالْوُلْدِ الَّذِي مِنْ ظَهْرِهِ الزَّهْرَاءُ وَالْحَسَنَانِ
٢٧٩ وَأُولُو النُّبُوَّةِ وَالْهُدَى مَا مِنْهُمُ أَحَـدٌ يَهُـودِيٌّ وَلاَ نَـصْرَانِي
٢٨٠ بَلْ مُسْلِمُونَ وَمُؤْمِنُونَ بِرَبِّهِمْ حُنَفَاءُ فِي الإِسْرَارِ وَالإِعْـلاَنِ
٢٨١ وَلِمِلَّةِ الإِسْـلاَمِ خَمْسُ عَقَائِدٍ وَاللهُ أَنْطَقَنِي بِهَـا وَهَـدَانِي
٢٨٢ لاَ تَعْصِ رَبَّكَ قَائِلاً أَوْ فَاعِلاً فَكِلاَهُمَا فِي الصُّحْفِ مَكْتُوبَانِ



٢٨٣ جَمِّلْ زَمَانَكَ بِالسُّكُوتِ فَإِنَّهُ ... زَيْنُ الْحَلِيمِ وَسُتْرَةُ الْحَيْرَانِ

٢٨٤ كُنْ حِلْسَ بَيْتِكَ إِنْ سَمِعْتَ بِفِتْنَةٍ ... وَتَوَقَّ كُلَّ مُنَافِقٍ فَتَّانِ

٢٨٥ أَدِّ الْفَرَائِضَ لاَ تَكُنْ مُتَوَانِيًا ... فَتَكُونَ عِنْدَ اللهِ شَرَّ مُهَانِ

٢٨٦ أَدِمِ السِّوَاكَ مَعَ الْوُضُوءِ فَإِنَّهُ ... مُرْضِي الإِلَـهِ مُطَهِّرُ الأَسْنَانِ

٢٨٧ سَمِّ الإِلَهَ لَدَى الْوُضُوءِ بِنِيَّةٍ ... ثُمَّ اسْتَعِذْ مِنْ فِتْنَةِ الْوَلْهَانِ

٢٨٨ فَأَسَاسُ أَعْمَالِ الْوَرَى نِيَّاتُهُمْ ... وَعَلَى الأَسَاسِ قَوَاعِدُ الْبُنْيَانِ

٢٨٩ أَسْبِغْ وُضُوءَكَ لاَ تُفَرِّقْ شَمْلَهُ ... فَالْفَوْرُ وَالإِسْبَاغُ مُفْتَرَضَانِ

٢٩٠ فَإِذَا انْتَشَقْتَ فَلاَ تُبَالِغْ جَيِّدًا ... لَكِنَّهُ شَمٌّ بِلاَ إِمْعَانِ

٢٩١ وَعَلَيْكَ فَرْضًا غَسْلُ وَجْهِكَ كُلِّهِ ... وَالْمَاءُ مُتَّبِعٌ بِهِ الْجُفْنَانِ

٢٩٢ وَاغْسِلْ يَدَيْكَ إِلَى الْمَرَافِقِ مُسْبِغًا ... فَكِلاَهُمَا فِي الْغَسْلِ مَدْخُولاَنِ

٢٩٣ وَامْسَحْ بِرَأْسِكَ كُلِّهِ مُسْتَوْفِيًا ... وَالْمَاءُ مَمْسُوحٌ بِهِ الأُذُنَانِ

٢٩٤ وَكَذَا التَّمَضْمُضُ فِي وُضُوئِكَ سُنَّةٌ ... بِالْمَاءِ ثُمَّ تَمُجُّهُ الشَّفَتَانِ

٢٩٥ وَالْوَجْهُ وَالْكَفَّانِ غَسْلُ كِلَيْهِمَا ... فَرْضٌ وَيَدْخُلُ فِيهِمَا الْعَظْمَانِ

٢٩٦ غَسْلُ الْيَدَيْنِ لَدَى الْوُضُوءِ نَظَافَةٌ ... أَمَرَ النَّبِيُّ بِهَا عَلَى اسْتِحْسَانِ

٢٩٧ سِيمَا إِذَا مَا قُمْتَ فِي غَسَقِ الدُّجَى ... وَاسْتَيْقَظَتْ مِنْ نَوْمِكَ الْعَيْنَانِ



٢٩٨ وَكَذَلِكَ الرِّجْلانِ غَسْلُهُمَا مَعًا ... فَرْضٌ وَيَدْخُلُ فِيهِمَا الْكَعْبَانِ

٢٩٩ لاَ تَسْتَمِعْ قَوْلَ الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ ... مِنْ رَأْيِهِمْ أَنْ تُمْسَحَ الرِّجْلاَنِ

٣٠٠ يَتَأَوَّلُونَ قِرَاءَةً مَنْسُوخَةً ... بِقِرَاءَةٍ وَهُمَا مُنَزَّلَتَانِ

٣٠١ إِحْدَاهُمَا نَزَلَتْ لِتَنْسَخَ أُخْتَهَا ... لَكِنْ هُمَا فِي الصُّحْفِ مُثْبَتَتَانِ

٣٠٢ غَسَلَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ أَقْدَامَهُمْ ... لَمْ يَخْتَلِفْ فِي غَسْلِهِمْ رَجُلاَنِ

٣٠٣ وَالسُّنَّةُ الْبَيْضَاءُ عِنْدَ أُولِي النُّهَى ... * فِي الْحُكْمِ قَاضِيَةٌ عَلَى الْقُرْآنِ

٣٠٤ فَإِذَا اسْتَوَتْ رِجْلاَكَ فِي خُفَّيْهِمَا ... وَهُمَا مِنَ الأَحْدَاثِ طَاهِرَتَانِ

٣٠٥ وَأَرَدتَّ تَجْدِيدَ الطَّهَارَةِ مُحْدِثًا ... فَتَمَامُهَا أَنْ يُمْسَحَ الْخُفَّانِ

٣٠٦ وَإِذَا أَرَدتَّ طَهَارَةً لِجَنَابَةٍ ... فَلْتُخْلَعَا وَلْتُغْسَلِ الْقَدَمَانِ

٣٠٧ غُسْلُ الْجَنَابَةِ فِي الرِّقَابِ أَمَانَةٌ ... فَأَدَاؤُهَا مِنْ أَكْمَلِ الإِيمَانِ

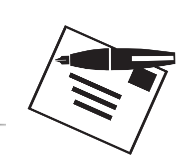
٣٠٨ فَإِذَا ابْتُلِيتَ فَبَادِرَنَّ بِغُسْلِهَا ... لاَ خَيْرَ فِي مُتَثَبِّطٍ كَسْلاَنِ

٣٠٩ وَإِذَا اغْتَسَلْتَ فَكُنْ لِجِسْمِكَ دَالِكًا ... حَتَّى يَعُمَّ جَمِيعَهُ الْكَفَّانِ

٣١٠ وَإِذَا عَدِمْتَ الْمَاءَ كُنْ مُتَيَمِّمًا ... مِنْ طِيبِ تُرْبِ الأَرْضِ وَالْجُدْرَانِ

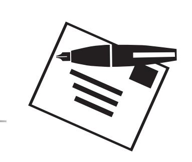
٣١١ مُتَيَمِّمًا صَلَّيْتَ أَوْ مُتَوَضِّئًا ... فَكِلاَهُمَا فِي الشَّرْعِ مُجْزِيَتَانِ

٣١٢ وَالْغُسْلُ فَرْضٌ وَالتَّدَلُّكُ سُنَّةٌ ... وَهُمَا بِمَذْهَبِ مَالِكٍ فَرْضَانِ



٣١٣وَالْمَاءُ مَا لَمْ تَسْتَحِلْ أَوْصَافُهُ بِنَجَاسَةٍ أَوْ سَائِرِ الأَدْهَانِ
٣١٤فَإِذَا صَفَى فِي لَوْنِهِ أَوْ طَعْمِهِ مَعَ رِيحِهِ مِنْ جُمْلَةِ الأَضْغَانِ
٣١٥فَهُنَاكَ سُمِّيَ طَاهِرًا وَمُطَهِّرًا هَـذَانِ أَبْلَغُ وَصْفِهِ هَـذَانِ
٣١٦فَإِذَا صَفَا فِي لَوْنِهِ أَوْ طَعْمِهِ مِنْ حَمْأَةِ الآبَارِ وَالْغُدْرَانِ
٣١٧جَازَ الْوُضُوءُ لَنَا بِهِ وَطُهُورُنَا فَاسْمَعْ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ
٣١٨وَمَتَى تَمُتْ فِي الْمَاءِ نَفْسٌ لَمْ يَجُزْ مِنْهُ الطُّهُورُ لِعِلَّةِ السَّيَلاَنِ
٣١٩إِلاَّ إِذَا كَانَ الْغَدِيرُ مُرَجْرِجًا غَدَقًا بِلاَ كَيْلٍ وَلاَ مِيزَانِ
٣٢٠أَوْ كَانَتِ الْمَيْتَاتُ مِمَّا لَمْ تَسِلْ وَالْمَا قَلِيلٌ طَابَ لِلْغُسْلاَنِ
٣٢١وَالْبَحْرُ أَجْمَعُهُ طَهُورٌ مَاؤُهُ وَتَحِلُّ مَيْتَتُهُ مِنَ الْحِيتَانِ
٣٢٢إِيَّاكَ نَفْسَكَ وَالْعَدُوَّ وَكَيْدَهُ فَكِلاَهُمَا لأَذَاكَ مُبْتَدِيَانِ
٣٢٣وَاحْذَرْ وُضُوءَكَ مُفْرِطًا وَمُفَرِّطًا فَكِلاَهُمَا فِي الْعِلْمِ مَحْذُورَانِ
٣٢٤فَقَلِيلُ مَائِكَ فِي وُضُوءِكَ خَدْعَةٌ لِتَعُودَ صِحَّتُهُ إِلَى الْبُطْلاَنِ
٣٢٥وَتَعُودَ مَغْسُولاَتُهُ مَمْسُوحَةً فَاحْذَرْ غُرُورَ الْمَارِدِ الْخَوَّانِ
٣٢٦وَكَثِيرُ مَائِكَ فِي وُضُوئِكَ بِدْعَةٌ يَدْعُو إِلَى الْوَسْوَاسِ وَالْهَمَلاَنِ
٣٢٧لاَ تُكْثِرَنَّ وَلاَ تُقَلِّلْ وَاقْتَصِدْ فَالْقَصْدُ وَالتَّوْفِيقُ مُصْطَحِبَانِ

٣٢٨وَإِذَا اسْتَطَبْتَ فَفِي الْحَدِيثِ ثَلاَثَةٌ لَمْ يُجْزِنَا حَجَرٌ وَلاَ حَجَرَانِ
٣٢٩مِنْ أَجْلِ أَنَّ لِكُلِّ مَخْرَجِ غَائِطٍ شَرَجًا تَضُمُّ عَلَيْهِ نَاحِيَتَانِ
٣٣٠وَإِذَا الأَذَى قَدْ جَازَ مَوْضِعَ عَادَةٍ لَمْ يُجْزِ إِلاَّ الْمَاءُ بِالإِمْعَانِ
٣٣١نَقْضُ الْوُضُوءِ بِقُبْلَةٍ أَوْ لَمْسَةٍ أَوْ طُولِ نَوْمٍ أَوْ بِمَسِّ خِتَانِ
٣٣٢أَوْ بَوْلَةٍ أَوْ غَائِطٍ أَوْ نَوْمَةٍ أَوْ نَفْخَةٍ فِي السِّرِّ وَالإِعْلاَنِ
٣٣٣وَمِنَ الْمَذِيِّ أَوِ الْوَدِيِّ كِلَيْهِمَا مِنْ حَيْثُ يَبْدُو الْبَوْلُ يَنْحَدِرَانِ
٣٣٤وَلَرُبَّمَا نَفَخَ الْخَبِيثُ بِمَكْرِهِ حَتَّى يَضُمَّ لِنَفْخِهِ الْفَخِذَانِ
٣٣٥وَبَيَانُ ذَلِكَ صَوْتُهُ أَوْ رِيحُهُ هَاتَانِ بَيِّنَتَانِ صَادِقَتَانِ
٣٣٦وَالْغُسْلُ فَرْضٌ مِنْ ثَلاَثَةِ أَوْجُهٍ دَفْقِ الْمَنِيِّ وَحَيْضَةِ النِّسْوَانِ
٣٣٧إِنْزَالِهِ فِي نَوْمَةٍ أَوْ يَقْظَةٍ حَالاَنِ لِلتَّطْهِيرِ مُوجِبَتَانِ
٣٣٨وَتَطَهُّرُ الزَّوْجَيْنِ فَرْضٌ وَاجِبٌ عِنْدَ الْجِمَاعِ إِذَا الْتَقَى الْفَرْجَانِ
٣٣٩فَكِلاَهُمَا إِنْ أَنْزَلاَ أَوْ أَكْسَلاَ فَهُمَا بِحُكْمِ الشَّرْعِ يَغْتَسِلاَنِ
٣٤٠وَاغْسِلْ إِذَا أَمْذَيْتَ فَرْجَكَ كُلَّهُ وَالأُنْثَيَانِ فَلَيْسَ يُفْتَرَضَانِ
٣٤١وَالْحَيْضُ وَالنُّفَسَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ عِنْدَ انْقِطَاعِ الدَّمِّ يَغْتَسِلاَنِ
٣٤٢وَإِذَا أَعَادَتْ بَعْدَ شَهْرَيْنِ الدِّمَا تِلْكَ اسْتِحَاضَةُ بَعْدَ ذِي الشَّهْرَانِ



٣٤٣ فَلْتَغْتَسِلْ لِصَلاَتِهَا وَصِيَامِهَا ... وَالْمُسْتَحَاضَةُ دَهْرُهَا نِصْفَانِ

٣٤٤ فَالنِّصْفُ تَتْرُكُ صَوْمَهَا وَصَلاَتَهَا ... وَدَمُ الْمَحِيضِ وَغَيْرُهُ لَوْنَانِ

٣٤٥ وَإِذَا صَفَا مِنْهَا وَأَشْرَقَ لَوْنُهُ ... فَصَلاَتُهَا وَالصَّوْمُ مُفْتَرَضَانِ

٣٤٦ تَقْضِي الصِّيَامَ وَلاَ تُعِيدُ صَلاَتَهَا ... إِنَّ الصَّلاَةَ تَعُودُ كُلَّ زَمَانِ

٣٤٧ فَالشَّرْعُ وَالْقُرْآنُ قَدْ حَكَمَا بِهِ ... بَيْنَ النِّسَاءِ فَلَيْسَ يُطَّرَحَانِ

٣٤٨ وَمَتَى تَرَى النُّفَسَاءُ طُهْرًا تَغْتَسِلْ ... أَوْ لاَ فَغَايَةُ طُهْرِهَا شَهْرَانِ

٣٤٩ مَسُّ النِّسَاءِ عَلَى الرِّجَالِ مُحَرَّمٌ ... حَرْثُ السِّبَاخِ خَسَارَةُ الْحِرْثَانِ

٣٥٠ لاَ تَلْقَ رَبَّكَ سَارِقًا أَوْ خَائِنًا ... أَوْ شَارِبًا أَوْ ظَالِمًا أَوْ زَانِي

٣٥١ قُلْ إِنَّ رَجْمَ الزَّانِيَيْنِ كِلَيْهِمَا ... فَرْضٌ إِذَا زَنَيَا عَلَى الإِحْصَانِ

٣٥٢ وَالرَّجْمُ فِي الْقُرْآنِ فَرْضٌ لاَزِمٌ ... لِلْمُحْصَنَيْنِ وَيُجْلَدُ الْبِكْرَانِ

٣٥٣ وَالْخَمْرُ يَحْرُمُ بَيْعُهَا وَشِرَاؤُهَا ... سِيَّانِ ذَلِكَ عِنْدَنَا سِيَّانِ

٣٥٤ فِي الشَّرْعِ وَالْقُرْآنِ حُرِّمَ شُرْبُهَا ... وَكِلاَهُمَا لاَ شَكَّ مُتَّبَعَانِ

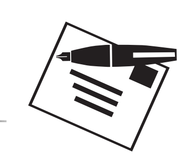
٣٥٥ أَيْقِنْ بِأَشْرَاطِ الْقِيَامَةِ كُلِّهَا ... وَاسْمَعْ هُدِيتَ نَصِيحَتِي وَبَيَانِي

٣٥٦ كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ مَكَانِ غُرُوبِهَا ... وَخُرُوجِ دَجَّالٍ وَهَوْلِ دُخَانِ

٣٥٧ وَخُرُوجِ يَأْجُوجٍ وَمَأْجُوجٍ مَعًا ... مِنْ كُلِّ صَقْعٍ شَاسِعٍ وَمَكَانِ



٣٥٨ وَنُـزُولِ عِيسَى قَاتِلاً دَجَّالَهُمْ ... يَقْضِي بِحُكْمِ الْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ
٣٥٩ وَاذْكُرْ خُرُوجَ فَصِيلِ نَاقَةِ صَالِحٍ ... يَسِمُ الْوَرَى بِالْكُفْرِ وَالإِيمَانِ
٣٦٠ وَالْوَحْيُ يُرْفَعُ وَالصَّلاَةُ مِنَ الْوَرَى ... وَهُمَا لِعِقْدِ الدِّيْنِ وَاسِطَتَانِ
٣٦١ صَلِّ الصَّلاَةَ الْخَمْسَ أَوَّلَ وَقْتِهَا ... إِذْ كُـلُّ وَاحِـدَةٍ لَهَـا وَقْـتَـانِ
٣٦٢ قَصْرُ الصَّلاَةِ عَلَى الْمُسَافِرِ وَاجِبٌ ... وَأَقَـلُّ حَدِّ الْقَصْرِ مَرْحَلَتَانِ
٣٦٣ كِلْتَاهُمَا فِي أَصْلِ مَذْهَبِ مَالِكٍ ... خَمْسُونَ مِيلاً نَقْصُهَا مِيلاَنِ
٣٦٤ وَإِذَا الْمُسَافِرُ غَابَ عَنْ أَبْيَاتِهِ ... فَالْقَصْرُ وَالإِفْطَارُ مَفْعُولاَنِ
٣٦٥ وَصَلاَةُ مَغْرِبِ شَمْسِنَا وَصَبَاحِنَا ... فِي الْحَضْرِ وَالأَسْفَارِ كَامِلَتَانِ
٣٦٦ وَالشَّمْسُ حِينَ تَزُولُ مِنْ كَبِدِ السَّمَا ... فَالظُّهْرُ ثُمَّ الْعَصْرُ وَاجِبَتَانِ
٣٦٧ وَالظُّهْرُ آخِرُ وَقْتِهَا مُتَعَلِّقٌ ... بِالْعَصْرِ وَالْوَقْتَانِ مُشْتَبِكَانِ
٣٦٨ لاَ تَلْتَفِتْ مَا دُمْتَ فِيهَا قَائِمًا ... وَاخْشَعْ بِقَلْبٍ خَائِفٍ رَهْبَانِ
٣٦٩ وَكَذَا الصَّلاَةُ غُرُوبَ شَمْسِ نَهَارِنَا ... وَعِشَاؤُنَا وَقْـتَـانِ مُتَّصِلاَنِ
٣٧٠ وَالصُّبْحُ مُنْفَرِدٌ بِوَقْتٍ مُفْرَدٍ ... لَكِنْ لَهَـا وَقْـتَـانِ مَـفْـرُودَانِ
٣٧١ فَجْرٌ وَإِسْـفَـارٌ وَبَـيْنَ كِلَيْهِمَا ... وَقْـتٌ لِكُلِّ مُـطَـوِّلٍ مُتَوَانِ
٣٧٢ وَارْقُبْ طُلُوعَ الْفَجْرِ وَاسْتَيْقِنْ بِهِ ... فَالْفَجْرُ عِنْدَ شُيُوخِنَا فَجْرَانِ



٣٧٣فَجْرٌ كَذُوبٌ ثُمَّ فَجْرٌ صَادِقٌ وَلَـرُبَّـمَا فِي الْـعَـيْنِ يَشْتَبِهَانِ

٣٧٤وَالظِّلُّ فِي الأَزْمَانِ مُخْتَلِفٌ كَمَا زَمَنُ الشِّتَا وَالصَّيْفِ مُخْتَلِفَانِ

٣٧٥فَاقْرَأْ إِذَا قَـرَأَ الإِمَـامُ مُخَافِتًا وَاسْكُتْ إِذَا مَا كَانَ ذَا إِعْلاَنِ

٣٧٦وَلِكُلِّ سَهْوٍ سَجْدَتَانِ فَصَلِّهَا قَبْلَ السَّلاَمِ وَبَـعْـدَهُ قَـوْلاَنِ

٣٧٧سُنَنُ الصَّلاَةِ مُبَيَّنَهْ وَفُرُوضُهَا فَاسْأَلْ شُيُوخَ الْفِقْهِ وَالإِحْسَانِ

٣٧٨فَرْضُ الصَّلاَةِ رُكُوعُهَا وَسُجُودُهَا مَا إِنْ تَخَالَفَ فِيهِمَا رَجُـلاَنِ

٣٧٩تَحْرِيمُهَا تَكْبِيرُهَا وَحَلاَلُهَا تَسْلِيمُهَا وَكِلاَهُمَا فَرْضَانِ

٣٨٠وَالْحَمْدُ فَرْضٌ فِي الصَّلاَةِ قِرَاتُهَا آيَــاتُهَــا سَـبْـعٌ وَهُــنَّ مَـثَـانِي

٣٨١فِي كُلِّ رَكْعَاتِ الصَّلاَةِ مُعَادَةٌ فِيهَا بِبَسْمَلَةٍ فَخُذْ تِبْيَانِي

٣٨٢وَإِذَا نَسِيتَ قِرَاتَهَا فِي رَكْعَةٍ فَاسْتَوْفِ رَكْعَتَهَا بِغَيْرِ تَوَانِ

٣٨٣اِتْبَعْ إِمَامَكَ خَافِضًا أَوْ رَافِعًا فَكِلاَهُمَا فِـعْـلاَنِ مَحْـمُـودَانِ

٣٨٤لاَ تَرْفَعَنْ قَبْلَ الإِمَامِ وَلاَ تَضَعْ فَكِلاَهُمَا أَمْــرَانِ مَذْمُومَانِ

٣٨٥إِنَّ الشَّرِيعَةَ سُنَّةٌ وَفَرِيضَةٌ وَهُمَــا لِـدِيـنِ مُحَـمَّـدٍ عِـقْـدَانِ

٣٨٦لَكِنْ أَذَانُ الصُّبْحِ عِنْدَ شُيُوخِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَبَيَّنَ الْفَجْرَانِ

٣٨٧هِيَ رُخْصَةٌ فِي الصُّبْحِ لاَ فِي غَيْرِهِ مِنْ أَجْلِ يَقْظَةِ غَافِلٍ وَسْنَانِ



٣٨٨ أَحْسِنْ صَلاَتَكَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا بِتَطَمُّنٍ وَتَـرَفُّـقٍ وَتَـدَانِ

٣٨٩ لاَ تَدْخُلَنَّ إِلَى صَلاَتِكَ حَاقِنًا فَالاِحْتِقَانُ يُخِلُّ بِـالأَرْكَـانِ

٣٩٠ بَيِّتْ مِنَ اللَّيْلِ الصِّيَامَ بِنِيَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَيَّزَ الْخَيْطَانِ

٣٩١ يُجْزِيكَ فِي رَمَضَانَ نِيَّةُ لَيْلَةٍ إِذْ لَيْسَ مُخْتَلِطًا بِعَقْدٍ ثَانِ

٣٩٢ رَمَضَانُ شَهْرٌ كَامِلٌ فِي عَقْدِنَا مَـا حَـلَّـهُ يَـوْمٌ وَلاَ يَـوْمَـانِ

٣٩٣ إِلاَّ الْمُسَافِرُ وَالْمَرِيضُ فَقَدْ أَتَى تَأْخِيرُ صَوْمِهِمَا لِوَقْتٍ ثَانِ

٣٩٤ وَكَذَاكَ حَمْلٌ وَالرَّضَاعُ كِلاَهُمَا فِي فِـطْـرِهِ لِنِسَائِنَا عُـذْرَانِ

٣٩٥ عَجِّلْ بِفِطْرِكَ وَالسُّحُورُ مُؤَخَّرٌ فَكِلاَهُمَا أَمْـرَانِ مَرْغُوبَانِ

٣٩٦ حَصِّنْ صِيَامَكَ بِالسُّكُوتِ عَنِ الْخَنَا أَطْبِقْ عَلَى عَيْنَيْكَ بِالأَجْفَانِ

٣٩٧ لاَ تَمْشِ ذَا وَجْهَيْنِ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى شَرُّ الْـبَرِيَّـةِ مَـنْ لَـهُ وَجْهَانِ

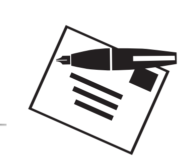
٣٩٨ لاَ تَحْسُدَنْ أَحَـدًا عَلَى نَعْمَائِهِ إِنَّ الْحَسُودَ لِحُكْمِ رَبِّكَ شَانِي

٣٩٩ لاَ تَسْعَ بَيْنَ الصَّاحِبَيْنِ نَمِيمَةً فَلأَجْلِهَا يَتَبَاغَضُ الْخِـلاَّنِ

٤٠٠ وَالْعَيْنُ حَقٌّ غَـيْرُ سَابِقَةٍ لِمَا يُقْضَى مِنَ الأَرْزَاقِ وَالْحِرْمَانِ

٤٠١ وَالسِّحْرُ كُفْرٌ فِعْلُهُ لاَ عِلْمُهُ مِـنْ هَهُنَا يَتَفَرَّقُ الْحُـكْـمَانِ

٤٠٢ وَالْقَتْلُ حَدُّ السَّاحِرِينَ إِذَا هُمُ عَمِلُوا بِهِ لِلْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ



٤٠٣ وَتَحَــرَّ بِــرَّ الْــوَالِــدَيْــنِ فَإِنَّهُ ... فَرْضٌ عَلَيْكَ وَطَاعَةَ السُّلْطَانِ

٤٠٤ لاَ تَخْرُجَنَّ عَلَى الإِمَـامِ مُحَارِبًا ... وَلَـوَ انَّهُ رَجُـلٌ مِنَ الْحُبْشَانِ

٤٠٥ وَمَتَى أُمِـرْتَ بِبِدْعَةٍ أَوْ زَلَّةٍ ... فَاهْرُبْ بِدِينِكَ آخِرَ الْبُلْدَانِ

٤٠٦ الدِّينُ رَأْسُ الْمَالِ فَاسْتَمْسِكْ بِهِ ... فَضَيَاعُهُ مِنْ أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ

٤٠٧ لاَ تَخْلُ بِامْرَأَةٍ لَدَيْكَ بِرِيبَةٍ ... لَوْ كُنْتَ فِي النُّسَّاكِ مِثْلَ بَنَانِ

٤٠٨ إِنَّ الرِّجَالَ النَّاظِرِينَ إِلَى النِّسَا ... مِثْلُ الْكِلاَبِ تَطُوفُ بِاللُّحْمَانِ

٤٠٩ إِنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللُّحُومَ أُسُودُهَا ... أُكِلَتْ بِلاَ عِوَضٍ وَلاَ أَثْمَانِ

٤١٠ لاَ تَقْبَلَنَّ مِنَ النِّسَاءِ مَـوَدَّةً ... فَقُلُوبُهُنَّ سَرِيـعَـةُ الْمَـيَـلاَنِ

٤١١ لاَ تَتْرُكَنْ أَحَدًا بِأَهْلِكَ خَالِيًا ... فَعَلَى النِّسَاءِ تَقَاتَلَ الأَخَـوَانِ

٤١٢ وَاغْضُضْ جُفُونَكَ عَنْ مُلاَحَظَةِ النِّسَا ... وَمَحَاسِنِ الأَحْدَاثِ وَالصِّبْيَانِ

٤١٣ لاَ تَجْعَلَنَّ طَلاَقَ أَهْلِكَ عُرْضَةً ... إِنَّ الطَّلاَقَ لأَخْبَثُ الأَيْـمَانِ

٤١٤ إِنَّ الطَّلاَقَ مَعَ الْعِتَاقِ كِلاَهُمَا ... قَسَـمَانِ عِـنْـدَ اللهِ مَمْقُوتَانِ

٤١٥ وَاحْفِرْ لِسِرِّكَ فِي فُؤَادِكَ مَلْحَدًا ... وَادْفِنْهُ فِي الأَحْشَاءِ أَيَّ دِفَانِ

٤١٦ إِنَّ الصَّدِيقَ مَعَ الْعَدُوِّ كِلاَهُمَا ... فِي السِّرِّ عِنْدَ أُولِي النُّهَى شَكْلاَنِ

٤١٧ لاَ يَبْدُ مِنْكَ إِلَى صَدِيقِكَ زَلَّةٌ ... وَاجْعَلْ فُـؤَادَكَ أَوْثَقَ الْخِلاَّنِ



٤١٨ لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ صِغَارَهَا ... فَالْقَطْرُ مِنْهُ تَدَفُّقُ الْخُلْجَانِ

٤١٩ وَإِذَا نَذَرْتَ فَكُنْ بِنَذْرِكَ مُوفِيًا ... فَالنَّذْرُ مِثْلُ الْعَهْدِ مَسْئُولاَنِ

٤٢٠ لاَ تُشْغَلَنَّ بِعَيْبِ غَيْرِكَ غَافِلاً ... عَنْ عَيْبِ نَفْسِكَ إِنَّهُ عَيْبَانِ

٤٢١ لاَ تُفْنِ عُمْرَكَ فِي الْجِدَالِ مُخَاصِمًا ... إِنَّ الْجِدَالَ يُخِلُّ بِالأَدْيَانِ

٤٢٢ وَاحْذَرْ مُجَادَلَةَ الرِّجَالِ فَإِنَّهَا ... تَدْعُو إِلَى الشَّحْنَاءِ وَالشَّنَآنِ

٤٢٣ وَإِذَا اضْطُرِرْتَ إِلَى الْجِدَالِ وَلَمْ تَجِدْ ... لَكَ مَهْرَبًا وَتَلاَقَتِ الصَّفَّانِ

٤٢٤ فَاجْعَلْ كِتَابَ اللهِ دِرْعًا سَابِغًا ... وَالشَّرْعَ سَيْفَكَ وَابْدُ فِي الْمَيْدَانِ

٤٢٥ وَالسُّنَّةَ الْبَيْضَاءَ دُونَكَ جُنَّةً ... وَارْكَبْ جَوَادَ الْعَزْمِ فِي الْجَوَلاَنِ

٤٢٦ وَاثْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى ... فَالصَّبْرُ أَوْثَقُ عُدَّةِ الإِنْسَانِ

٤٢٧ وَاطْعَنْ بِرُمْحِ الْحَقِّ كُلَّ مُعَانِدٍ ... للهِ دَرُّ الْفَارِسِ الطَّعَّانِ

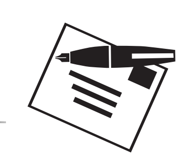
٤٢٨ وَاحْمِلْ بِسَيْفِ الصِّدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ ... مُتَجَرِّدٍ للهِ غَيْرِ جَبَانِ

٤٢٩ وَاحْذَرْ بِجُهْدِكَ مَكْرَ خَصْمِكَ إِنَّهُ ... كَالثَّعْلَبِ الْبَرِّيِّ فِي الرَّوَغَانِ

٤٣٠ أَصْلُ الْجِدَالِ مِنَ السُّؤَالِ وَفَرْعُهُ ... حُسْنُ الْجَوَابِ بِأَحْسَنِ التِّبْيَانِ

٤٣١ لاَ تَلْتَفِتْ عِنْدَ السُّؤَالِ وَلاَ تُعِدْ ... لَفْظَ السُّؤَالِ كِلاَهُمَا عَيْبَانِ

٤٣٢ وَإِذَا غَلَبْتَ الْخَصْمَ لاَ تَهْزَأْ بِهِ ... فَالْعُجْبُ يُخْمِدُ جَمْرَةَ الإِحْسَانِ



٤٣٣ فَلَرُبَّمَا انْهَزَمَ الْمُحَارِبُ عَامِدًا ثُمَّ انْثَنَى فَسَطَا عَلَى الْفُرْسَانِ

٤٣٤ وَاسْكُتْ إِذَا وَقَعَ الْخُصُومُ وَقَعْقَعُوا فَلَرُبَّمَا أَلْقَوْكَ فِي بَحْرَانِ

٤٣٥ وَلَرُبَّمَا ضَحِكَ الْخُصُومُ لِدَهْشَةٍ فَاثْبُتْ وَلاَ تَنْكَلْ عَنِ الْبُرْهَانِ

٤٣٦ فَإِذَا أَطَالُوا فِي الْكَلاَمِ فَقُلْ لَهُمْ إِنَّ الْبَلاَغَةَ لُجِّمَتْ بِبَيَانِ

٤٣٧ لاَ تَغْضَبَنَّ إِذَا سُئِلْتَ وَلاَ تَصِحْ فَكِلاَهُمَا خُلُقَانِ مَذْمُومَانِ

٤٣٨ وَاحْذَرْ مُنَاظَرَةً بِمَجْلِسِ خِيفَةٍ حَتَّى تُبَدَّلَ خِيفَةً بِأَمَانِ

٤٣٩ نَاظِرْ أَدِيبًا مُنْصِفًا لَكَ عَاقِلاً وَانْصِفْهُ أَنْتَ بِحَسْبِ مَا تَرَيَانِ

٤٤٠ وَيَكُونُ بَيْنَكُمَا حَكِيمٌ حَاكِمًا عَدْلاً إِذَا جِئْتَاهُ تَحْتَكِمَانِ

٤٤١ كُنْ طُولَ دَهْرِكَ سَاكِنًا مُتَوَاضِعًا فَهُمَا لِكُلِّ فَضِيلَةٍ بَابَانِ

٤٤٢ وَاخْلَعْ رِدَاءَ الْكِبْرِ عَنْكَ فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَقِلُّ بِحَمْلِهِ الْكَتِفَانِ

٤٤٣ كُنْ فَاعِلاً لِلْخَيْرِ قَوَّالاً لَهُ فَالْقَوْلُ مِثْلُ الْفِعْلِ مُقْتَرِنَانِ

٤٤٤ مِنْ غَوْثِ مَلْهُوفٍ وَشِبْعَةِ جَائِعٍ وِدِثَارِ عُرْيَانٍ وَفِدْيَةِ عَانِ

٤٤٥ فَإِذَا عَمِلْتَ الْخَيْرَ لاَ تَمْنُنْ بِهِ لاَ خَيْرَ فِي مُتَمَدِّحٍ مَنَّانِ

٤٤٦ أُشْكُرْ عَلَى النَّعْمَاءِ وَاصْبِرْ لِلْبَلاَ فَكِلاَهُمَا خُلُقَانِ مَمْدُوحَانِ

٤٤٧ لاَ تَشْكُوَنَّ بِعِلَّةٍ أَوْ قِلَّةٍ فَهُمَا لِعِرْضِ الْمَرْءِ فَاضِحَتَانِ



٤٤٨ صُنْ حُرَّ وَجْهِكَ بِالْقَنَاعَةِ إِنَّمَا ... صَوْنُ الْوُجُوهِ مُرُوءَةُ الْفِتْيَانِ

٤٤٩ بِاللهِ ثِقْ وَلَهُ أَنِبْ وَبِهِ اسْتَعِنْ ... فَإِذَا فَعَلْتَ فَأَنْتَ خَيْرُ مُعَانِ

٤٥٠ وَإِذَا عَصَيْتَ فَتُبْ لِرَبِّكَ مُسْرِعًا ... حَذَرَ الْمَمَاتِ وَلاَ تَقُلْ لَمْ يَانِ

٤٥١ وَإِذَا ابْتُلِيتَ بِعُسْرَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا ... فَالْعُسْرُ فَرْدٌ بَعْدَهُ يُسْرَانِ

٤٥٢ لاَ تَحْشُ بَطْنَكَ بِالطَّعَامِ تَسَمُّنًا ... فَجُسُومُ أَهْلِ الْعِلْمِ غَيْرُ سِمَانِ

٤٥٣ لاَ تَتَّبِعْ شَهَوَاتِ نَفْسِكَ مُسْرِفًا ... فَاللهُ يُبْغِضُ عَابِدًا شَهْوَانِي

٤٥٤ أَقْلِلْ طَعَامَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ ... نَفْعُ الْجُسُومِ وَصِحَّةُ الأَبْدَانِ

٤٥٥ وَامْلِكْ هَوَاكَ بِضَبْطِ بَطْنِكَ إِنَّهُ ... شَرُّ الرِّجَالِ الْعَاجِزُ الْبَطْنَانِي

٤٥٦ وَمَنِ اسْتَذَلَّ لِفَرْجِهِ وَلِبَطْنِهِ ... فَهُمَا لَهُ مَعَ ذَا الْهَوَى بَطْنَانِ

٤٥٧ حِصْنُ التَّدَاوِيِّ الْمَجَاعَةُ وَالظَّمَا ... وَهُمَا لِفَكِّ نُفُوسِنَا قَيْدَانِ

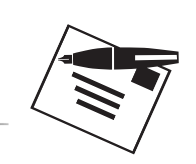
٤٥٨ أَظْمِئْ نَهَارَكَ تُرْوَ فِي دَارِ الْعُلاَ ... يَوْمًا يَطُولُ تَلَهُّفُ الْعَطْشَانِ

٤٥٩ حُسْنُ الْغِذَاءِ يَنُوبُ عَنْ شُرْبِ الدَّوَا ... سِيمَا مَعَ التَّقْلِيلِ وَالإِدْمَانِ

٤٦٠ إِيَّاكَ وَالْغَضَبَ الشَّدِيدَ عَلَى الدَّوَا ... فَلَرُبَّمَا أَفْضَى إِلَى الْخِذْلاَنِ

٤٦١ دَبِّرْ دَوَاءَكَ قَبْلَ شُرْبِكَ وَلْيَكُنْ ... مُتَآلِفَ الأَجْزَاءِ وَالأَوْزَانِ

٤٦٢ وَتَدَاوَ بِالْعَسَلِ الْمُصَفَّى وَاحْتَجِمْ ... فَهُمَا لِدَائِكَ كُلِّهِ بُرْآنِ



٤٦٣ لاَ تَدْخُلِ الْحَمَّامَ شَبْعَانَ الْحَشَا — لاَ خَيْرَ فِي الْحَمَّامِ لِلشَّبْعَانِ
٤٦٤ وَالنَّوْمُ فَوْقَ السَّطْحِ مِنْ تَحْتِ السَّمَا — يُفْنِي وَيُذْهِبُ نُضْرَةَ الأَبْدَانِ
٤٦٥ لاَ تُفْنِ عُمْرَكَ فِي الْجِمَاعِ فَإِنَّهُ — يَكْسُو الْوُجُوهَ بِحُلَّةِ الْيَرَقَانِ
٤٦٦ أُحْذِرْكَ مِنْ نَفَسِ الْعَجُوزِ وَبُضْعِهَا — فَهُمَا لِجِسْمِ ضَجِيعِهَا سُقْمَانِ
٤٦٧ عَانِقْ مِنَ النِّسْوَانِ كُلَّ فَتِيَّةٍ — أَنْفَاسُهَا كَرَوَائِحِ الرَّيْحَانِ
٤٦٨ لاَ خَيْرَ فِي صُوَرِ الْمَعَازِفِ كُلِّهَا — وَالرَّقْصِ وَالإِيقَاعِ فِي الْقُضْبَانِ
٤٦٩ إِنَّ التَّقِيَّ لِرَبِّهِ مُتَنَزِّهٌ — عَنْ صَوْتِ أَوْتَارٍ وَسَمْعِ أَغَانِي
٤٧٠ وَتِلاَوَةُ الْقُرْآنِ مِنْ أَهْلِ التُّقَى — سِيمَا بِحُسْنِ شَجًا وَحُسْنِ بَيَانِ
٤٧١ أَشْهَى وَأَوْفَى لِلنُّفُوسِ حَلاَوَةً — مِنْ صَوْتِ مِزْمَارٍ وَنَقْرِ مَثَانِ
٤٧٢ وَحَنِينُهُ فِي اللَّيْلِ أَطْيَبُ مَسْمَعٍ — مِنْ نَغْمَةِ النَّايَاتِ وَالْعِيدَانِ
٤٧٣ أَعْرِضْ عَنِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ زَاهِدًا — فَالزُّهْدُ عِنْدَ أُولِي النُّهَى زُهْدَانِ
٤٧٤ زُهْدٌ عَنِ الدُّنْيَا وَزُهْدٌ فِي الثَّنَا — طُوبَى لِمَنْ أَمْسَى لَهُ الزُّهْدَانِ
٤٧٥ لاَ تَنْتَهِبْ مَالَ الْيَتَامَى ظَالِمًا — وَدَعِ الرِّبَا فَكِلاَهُمَا فِسْقَانِ
٤٧٦ وَاحْفَظْ لِجَارِكَ حَقَّهُ وَذِمَامَهُ — وَلِكُلِّ جَارٍ مُسْلِمٍ حَقَّانِ
٤٧٧ وَاضْحَكْ لِضَيْفِكَ حِينَ يُنْزِلُ رَحْلَهُ — إِنَّ الْكَرِيمَ يُسَرُّ بِالضِّيفَانِ



٤٧٨ وَاصِلْ ذَوِي الأَرْحَامِ مِنْكَ وَإِنْ جَفَوا ... فَوِصَالُهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْهِجْرَانِ

٤٧٩ وَاصْدُقْ وَلاَ تَحْلِفْ بِرَبِّكَ كَاذِبًا ... وَتَحَـرَّ فِي كَـفَّـارَةِ الأَيْـمَانِ

٤٨٠ وَتَـوَقَّ أَيْـمَانَ الْغَمُوسِ فَإِنَّهَا ... تَـدَعُ الدِّيَارَ بَلاَقِعَ الْحِيطَانِ

٤٨١ حَدُّ النِّكَاحِ مِنَ الْحَرَائِرِ أَرْبَعٌ ... فَاطْلُبْ ذَوَاتِ الدِّينِ وَالإِحْصَانِ

٤٨٢ لاَ تَنْكِحَنَّ مُحِـدَّةً فِي عِـدَّةٍ ... فَنِكَاحُهَا وَزِنَـاؤُهَـا شِبْهَانِ

٤٨٣ عِدَدُ النِّسَاءِ لَهَا فَرَائِضُ أَرْبَعٌ ... لَكِنْ يَضُمُّ جَمِيعَهَا أَصْـلاَنِ

٤٨٤ تَطْلِيقُ زَوْجٍ دَاخِـلٍ أَوْ مَوْتُهُ ... قَبْلَ الدُّخُولِ وَبَعْدَهُ سِيَّانِ

٤٨٥ وَحُدُودُهُنَّ عَلَى ثَلاَثَةِ أَقْرُءٍ ... أَوْ أَشْهُرٍ وَكِلاَهُمَا جِـسْرَانِ

٤٨٦ وَكَذَاكَ عِدَّةُ مَنْ تُوُفِّيَ زَوْجُهَا ... سَبْعُونَ يَوْمًا بَعْدَهَا شَهْرَانِ

٤٨٧ عِدَدُ الْحَوَامِلِ مِنْ طَلاَقٍ أَوْ فَنَا ... وَضْعُ الأَجِنَّةِ صَارِخًا أَوْ فَانِي

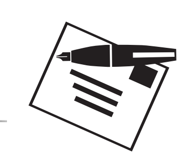
٤٨٨ وَكَذَاكَ حُكْمُ السِّقْطِ فِي إِسْقَاطِهِ ... حُكْمُ التَّمَامِ كِلاَهُمَا وَضْعَانِ

٤٨٩ مَنْ لَمْ تَحِضْ أَوْ مَنْ تَقَلَّصَ حَيْضُهَا ... قَدْ صَحَّ فِي كِلْتَيْهِمَا الْعَدَدَانِ

٤٩٠ كِلْتَاهُمَا تَبْقَى ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ ... حُكْمَاهُمَا فِي النَّصِّ مُسْتَوِيَانِ

٤٩١ عِدَدُ الْجَوَارِ مِنَ الطَّلاَقِ بِحَيْضَةٍ ... وَمِنَ الْوَفَاةِ الْخَمْسُ وَالشَّهْرَانِ

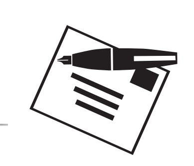
٤٩٢ فَبِطَلْقَتَيْنِ تَبِينُ مِنْ زَوْجٍ لَهَا ... لاَ رَدَّ إِلاَّ بَعْدَ زَوْجٍ ثَـانِي



٤٩٣ وَكَذَا الْحَرَائِرُ فَالثَّلَاثُ تَبِينُهَا ... فَيُحِلُّ تِلْكَ وَهَـذِهِ زَوْجَـانِ
٤٩٤ فَلْتَنْكِحَا زَوْجَيْهِمَا عَنْ غِبْطَةٍ ... وَرِضًا بِلاَ دَلْسٍ وَلاَ عِصْيَانِ
٤٩٥ حَتَّى إِذَا امْتَزَجَ النِّكَاحُ بِدَلْسَةٍ ... فَهُمَا مَعَ الـزَّوْجَيْنِ زَانِيَتَانِ
٤٩٦ إِيَّـاكَ وَالتَّيْسَ الْمُحَلِّلَ إِنَّـهُ ... وَالْمُسْتَحِلُّ لِـرَدِّهَـا تَيْسَانِ
٤٩٧ لَعَنَ النَّبِيُّ مُحِلِّـلاً وَمُحَـلَّـلاً ... فَكِلاَهُمَا فِي الـشَّرْعِ مَلْعُونَانِ
٤٩٨ لاَ تَضْرِبَنْ أَمَةً وَلاَ عَبْدًا جَنَى ... فَكِلاَهُمَا بِيَدَيْكَ مَأْسُورَانِ
٤٩٩ أَعْرِضْ عَنِ النِّسْوَانِ جُهْدَكَ وَانْتَدِبْ ... لِعِنَاقِ خَـيْرَاتٍ هُنَاكَ حِسَانِ
٥٠٠ فِي جَنَّةٍ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا ... مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَـانِ
٥٠١ أَنْهَارُهَا تَجْرِي لَهُمْ مِنْ تَحْتِهِمْ ... مَحْفُوفَةً بِالنَّخْلِ وَالـرُّمَّـانِ
٥٠٢ غُرُفَاتُهَا مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ ... وَقُصُورُهَا مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ
٥٠٣ قُصِرَتْ بِهَا لِلْمُتَّقِينَ كَوَاعِبًا ... شُبِّهْنَ بِالْيَاقُوتِ وَالْمُرْجَانِ
٥٠٤ بِيضُ الْوُجُوهِ شُعُورُهُنَّ حَوَالِكٌ ... حُمْرُ الْخُـدُودِ عَوَاتِقُ الأَجْفَانِ
٥٠٥ فُلْجُ الثُّغُورِ إِذَا ابْتَسَمْنَ ضَوَاحِكًا ... هِيفُ الْخُصُورِ نَوَاعِمُ الأَبْدَانِ
٥٠٦ خُضْرُ الثِّيَابِ ثُدِيُّهُنَّ نَوَاهِدٌ ... صُفْرُ الْحُلِيِّ عَوَاطِرُ الأَرْدَانِ
٥٠٧ طُوبَى لِقَوْمٍ هُنَّ أَزْوَاجٌ لَهُمْ ... فِي دَارِ عَـدْنٍ فِي مَحَلِّ أَمَـانِ



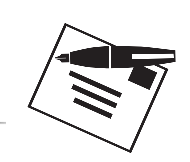
٥٠٨ يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرٍ لَذِيذٍ شُرْبُهَا   بِأَنَامِلِ الْخُـدَّامِ وَالْـوِلْـدَانِ
٥٠٩ لَوْ تَنْظُرِ الْحُـوْرَاءَ عِنْدَ وَلِيِّهَا   وَهُمَـا فُوَيْقَ الْفُرْشِ مُتَّكِئَانِ
٥١٠ يَتَنَازَعَانِ الْكَأْسَ فِي أَيْدِيهِمَا   وَهُمَـا بِلَـذَّةِ شُرْبِهَـا فَرِحَانِ
٥١١ وَلَـرُبَّـمَا تَسْقِيهِ كَأْسًا ثَانِيًا   وَكِـلاَهُمَـا بِرُضَابِهَا حُلْوَانِ
٥١٢ يَتَحَدَّثَانِ عَلَى الأَرَائِكِ خَلْوَةً   وَهُمَا بِثَوْبِ الْوَصْلِ مُشْتَمِلاَنِ
٥١٣ أَكْرِمْ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَأَهْلِهَا   إِخْـوَانُ صِـدْقٍ أَيُّـمَا إِخْـوَانِ
٥١٤ جِـيرَانُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحِزْبُهُ   أَكْـرِمْ بِهِمْ فِي صَفْوَةِ الْجِـيرَانِ
٥١٥ هُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَهُ وَيَرَوْنَهُ   وَالْمُـقْـلَـتَـانِ إِلَـيْـهِ نَاظِرَتَانِ
٥١٦ وَعَلَيْهِمُ فِيهَا مَلاَبِسُ سُنْدُسٍ   وَعَلَى الْمَفَارِقِ أَحْسَنُ التِّيجَانِ
٥١٧ تِيجَانُهُمْ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ   أَوْ فِضَّةٍ مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ
٥١٨ وَخَوَاتِمٌ مِنْ عَسْجَدٍ وَأَسَاوِرٌ   مِنْ فِضَّةٍ كُسِيَتْ بِهَا الزَّنْدَانِ
٥١٩ وَطَعَامُهُمْ مِنْ لَحْمِ طَيْرٍ نَاعِمٍ   كَالْبُخْتِ يُطْعَمُ سَائِرُ الأَلْوَانِ
٥٢٠ وَصِحَافُهُمْ ذَهَبٌ وَدُرٌّ فَائِقٌ   سَبْعُونَ أَلْفًا فَوْقَ أَلْفِ خِوَانِ
٥٢١ إِنْ كُنْتَ مُشْتَاقًا لَهَا كَلِفًا بِهَا   شَوْقَ الْغَرِيبِ لِرُؤْيَةِ الأَوْطَانِ
٥٢٢ كُنْ مُحْسِنًا فِيمَا اسْتَطَعْتَ فَرُبَّمَا   تُجْزَى عَنِ الإِحْسَانِ بِالإِحْسَانِ



٥٢٣ وَاعْمَلْ لِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَطِيبِهَا فَنَعِيمُهَا يَبْقَى وَلَيْسَ بِفَانِ
٥٢٤ أَدِمِ الصِّيَامَ مَعَ الْقِيَامِ تَعَبُّدًا فَكِلاَهُمَا عَمَلاَنِ مَقْبُولاَنِ
٥٢٥ قُمْ فِي الدُّجَى وَاتْلُ الْكِتَابَ وَلاَ تَنَمْ إِلاَّ كَنَوْمَةِ حَائِرٍ وَلْهَانِ
٥٢٦ فَلَرُبَّمَا تَأْتِي الْمَنِيَّةُ بَغْتَةً فَتُسَاقُ مِنْ فُرُشٍ إِلَى الأَكْفَانِ
٥٢٧ يَا حَبَّذَا عَيْنَانِ فِي غَسَقِ الدُّجَى مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِيَتَانِ
٥٢٨ لاَ تَقْذِفَنَّ الْمُحْصَنَاتِ وَلاَ تَقُلْ مَا لَيْسَ تَعْلَمُهُ مِنَ الْبُهْتَانِ
٥٢٩ لاَ تَدْخُلَنَّ بُيُوتَ قَوْمٍ حُضَّرٍ إِلاَّ بِنَحْنَحَةٍ أَوِ اسْتِئْذَانِ
٥٣٠ لاَ تَجْزَعَنَّ إِذَا دَهَتْكَ مُصِيبَةٌ إِنَّ الصَّبُورَ ثَوَابُهُ ضِعْفَانِ
٥٣١ فَإِذَا ابْتُلِيتَ بِنَكْبَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا اللهُ حَسْبِي وَحْدَهُ وَكَفَانِي
٥٣٢ وَعَلَيْكَ بِالْفِقْهِ الْمُبَيِّنِ شَرْعَنَا وَفَرَائِضِ الْمِيرَاثِ وَالْقُرْآنِ
٥٣٣ عِلْمُ الْحِسَابِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ عِلْمَانِ مَطْلُوبَانِ مُتَّبَعَانِ
٥٣٤ لَوْلاَ الْفَرَائِضُ ضَاعَ مِيرَاثُ الْوَرَى وَجَرَى خِصَامُ الْوُلْدِ وَالشِّيبَانِ
٥٣٥ لَوْلاَ الْحِسَابُ وَضَرْبُهُ وَكُسُورُهُ لَمْ يَنْقَسِمْ سَهْمٌ وَلاَ سَهْمَانِ
٥٣٦ لاَ تَلْتَمِسْ عِلْمَ الْكَلاَمِ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى التَّعْطِيلِ وَالْهَيَمَانِ
٥٣٧ لاَ يَصْحَبُ الْبِدْعِيَّ إِلاَّ مِثْلُهُ تَحْتَ الدُّخَانِ تَأَجُّجُ النِّيرَانِ



٥٣٨ عِلْمُ الْكَلاَمِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ يَتَغَايَرَانِ وَلَيْسَ يَشْتَبِهَانِ
٥٣٩ أَخَذُوا الْكَلاَمَ عَنِ الْفَلاَسِفَةِ الأُلَى جَحَدُوا الشَّرَائِعَ غِرَّةً وَأَمَانِ
٥٤٠ حَمَلُوا الأُمُورَ عَلَى قِيَاسِ عُقُولِهِمْ فَتَبَلَّدُوا كَتَبَلُّدِ الْحَيْرَانِ
٥٤١ مُرْجِيُّهُمْ يُزْرِي عَلَى قَدَرِيِّهِمْ وَالْفِرْقَتَانِ لَدَيَّ كَافِرَتَانِ
٥٤٢ وَيَسَبُّ مُخْتَارِيُّهُمْ دَوْرِيَّهُمْ وَالْقَرْمَطِيُّ مُلاَعِنُ الرُّفْضَانِ
٥٤٣ وَيَعِيبُ كَرَّامِيُّهُمْ وَهْبِيَّهُمْ وَكِلاَهُمَا يَرْوِي عَنِ ابْنِ أَبَانِ
٥٤٤ لِحِجَاجِهِمْ شُبَهٌ تُخَالُ وَرَوْنَقٌ مِثْلُ السَّرَابِ يَلُوحُ لِلظَّمْآنِ
٥٤٥ دَعْ أَشْعَرِيَّهُمُ وَمُعْتَزِلِيَّهُمْ يَتَنَاقَرُونَ تَنَاقُرَ الْغِرْبَانِ
٥٤٦ كُلٌّ يَقِيسُ بِعَقْلِهِ سُبُلَ الْهُدَى وَيَتِيهُ تِيْهَ الْوَالِهِ الْهَيْمَانِ
٥٤٧ فَاللهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ وَلَهُ الثَّنَا مِنْ قَوْلِهِمْ بَرَّانِي
٥٤٨ مَنْ قَاسَ شَرْعَ مُحَمَّدٍ فِي عَقْلِهِ قَذَفَتْ بِهِ الأَهْوَاءُ فِي غَدْرَانِ
٥٤٩ لاَ تَفْتَكِرْ فِي ذَاتِ رَبِّكَ وَاعْتَبِرْ فِيمَا بِهِ يَتَصَرَّفُ الْمَلَوَانِ
٥٥٠ وَاللهُ رَبِّي مَا تُكَيَّفُ ذَاتُهُ بِخَوَاطِرِ الأَوْهَامِ وَالأَذْهَانِ
٥٥١ أَمْرِرْ أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ كَمَا أَتَتْ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلاَ هَذَيَانِ
٥٥٢ هُوَ مَذْهَبُ الزُّهْرِي وَوَافَقَ مَالِكٌ وَكِلاَهُمَا فِي شَرْعِنَا عَلَمَانِ



٥٥٣ للهِ وَجْـهٌ لاَ يُحَـدُّ بِـصُـورَةٍ ... وَلِـرَبِّـنَـا عَـيْـنَـانِ نَـاظِـرَتَـانِ

٥٥٤ وَلَـهُ يَـدَانِ كَـمَا يَقُولُ إِلَهُنَا ... وَيَمِينُهُ جَلَّتْ عَـنِ الأَيْـمَانِ

٥٥٥ كِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ وَصْفُهَا ... وَهُـمَـا عَلَى الثَّقَلَيْنِ مُنْفِقَتَانِ

٥٥٦ كُرْسِيُّهُ وَسِعَ السَّمواتِ الْعُلَى ... وَالأَرْضَ وَهْوَ يَعُمُّهُ الْقَدَمَانِ

٥٥٧ وَاللهُ يَضْحَكُ لاَ كَضِحْكِ عَبِيدِهْ ... وَالْكَيْفُ مُمْتَنِعٌ عَلَى الرَّحْمَنِ

٥٥٨ وَاللهُ يَـنْـزِلُ كُـلَّ آخِـرِ لَيْلَةٍ ... لِـسَـمَـائِـهِ الدُّنْيَا بِـلاَ كِتْمَانِ

٥٥٩ فَيَقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُجِيبَهُ ... فَأَنَا الْقَرِيبُ أُجِيبُ مَنْ نَادَانِي

٥٦٠ حَاشَا الإِلَـهَ بِأَنْ تُكَيَّفَ ذَاتُهُ ... فَالْكَيْفُ وَالتَّمْثِيلُ مُنْتَفِيَانِ

٥٦١ وَالأَصْـلُ أَنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ ... شَيْءٌ تَعَالَى الرَّبُّ ذُو الإِحْسَانِ

٥٦٢ وَحَدِيثُهُ الْقُرْآنُ وَهْوَ كَلاَمُهُ ... صَوْتٌ وَحَرْفٌ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

٥٦٣ لَسْنَا نُشَبِّهُ رَبَّـنَـا بِعِبَادِهِ ... رَبٌّ وَعَبْدٌ كَيْفَ يَشْتَبِهَانِ

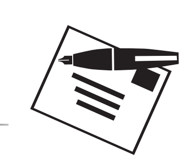
٥٦٤ فَالصَّوْتُ لَيْسَ بِمُوجِبٍ تَجْسِيمَهُ ... إِذْ كَانَتِ الصِّفَتَانِ تَخْتَلِفَانِ

٥٦٥ حَرَكَاتُ أَلْسُنِنَا وَصَوْتُ حُلُوقِنَا ... مَخْلُوقَةٌ وَجَمِـيـعُ ذَلِـكَ فَـانِي

٥٦٦ وَكَـمَا يَقُولُ اللهُ رَبِّي لَمْ يَـزَلْ ... حَيًّا وَلَيْسَ كَسَائِرِ الْحَيَوَانِ

٥٦٧ وَحَيَاةُ رَبِّي لَمْ تَـزَلْ صِفَةً لَهُ ... سُبْحَانَهُ مِنْ كَامِلٍ ذِي الشَّانِ

٥٦٨ وَكَـذَاكَ صَوْتُ إِلَهِنَا وَنِـدَاؤُهُ حَقًّا أَتَـى فِي مُحْكَمِ الْـقُـرْآنِ
٥٦٩ وَحَيَاتُنَا بِـحَـرَارَةٍ وَبُـرُودَةٍ وَاللهُ لاَ يُـعْـزَى لَـهُ هَـذَانِ
٥٧٠ وَقِوَامُهَا بِرُطُوبَةٍ وَيُبُوسَةٍ ضِـدَّانِ أَزْوَاجٌ هُمَـا ضِـدَّانِ
٥٧١ سُبْحَانَ رَبِّي عَنْ صِفَاتِ عِبَادِهِ أَوْ أَنْ يَكُونَ مُرَكَّبًا جَسَدَانِ
٥٧٢ إِنِّي أَقُـولُ فَأَنْصِتُوا لِمَقَالَتِي يَا مَعْشَرَ الْخُلَطَاءِ وَالإِخْـوَانِ
٥٧٣ إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ مُثْبَتٌ بِأَنَامِلِ الأَشْـيَـاخِ وَالشُّبَّانِ
٥٧٤ هُـوَ قَـوْلُ رَبِّي آيُـهُ وَحُـرُوفُـهُ وَمِـدَادُنَـا وَالـرَّقُّ مَخْلُوقَانِ
٥٧٥ مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ ضِدَّ مَقَالَتِي فَالْعَنْهُ كُـلَّ إِقَـامَـةٍ وَأَذَانِ
٥٧٦ هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ حَقِيقَةً أَيْـقِـنْ بِـذَلِـكَ أَيَّـمَا إِيـقَـانِ
٥٧٧ وَكَذَا الْحُرُوفُ الْمُسْتَقِرُّ حِسَابُهَا عِـشْرُونَ حَرْفًا بَعْدَهُنَّ ثَمَانِي
٥٧٨ هِيَ مِنْ كَلاَمِ اللهِ جَلَّ جَلاَلُهُ حَقًّا وَهُـنَّ أُصُـولُ كُلِّ بَيَانِ
٥٧٩ حَـاءٌ وَمِيمٌ قَـوْلُ رَبِّي وَحْـدَهُ مِنْ غَـيْرِ أَنْصَارٍ وَلاَ أَعْـوَانِ
٥٨٠ مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ مَا قَدْ قَالَهُ عَبْدُ الْجَلِيلِ وَشِيعَةُ اللِّحْيَانِ
٥٨١ فَقَدِ افْتَرَى كَذِبًا وَإِثْمًا وَاقْتَدَى بِكِلاَبِ كَلْبِ مَعَرَّةِ النُّعْمَانِ
٥٨٢ خَالَطْتُهُمْ حِينًا فَلَوْ عَاشَرْتُهُمْ لَضَرَبْتُهُمْ بِصَوَارِمِي وَلِسَانِي



٥٨٣ تَعِسَ الْعَمِيُّ أَبُو الْعَلاَءِ فَإِنَّهُ ... قَدْ كَانَ مَجْمُوعًا لَهُ الْعَمَيَانِ

٥٨٤ وَلَقَدْ نَظَمْتُ قَصِيدَتَيْنِ بِهَجْوِهِ ... أَبْـيَـاتُ كُـلِّ قَصِيدَةٍ مِئَتَانِ

٥٨٥ وَالآنَ أَهْجُو الأَشْعَرِيَّ وَحِزْبَهُ ... وَأُذِيـعُ مَا كَتَمُوا مِنَ الْبُهْتَانِ

٥٨٦ يَا مَعْشَرَ الْمُتَكَلِّمِينَ عَدَوْتُمُ ... عُدْوَانَ أَهْلِ السَّبْتِ فِي الْحِيتَانِ

٥٨٧ كَفَّرْتُمُ أَهْلَ الشَّرِيعَةِ وَالْهُدَى ... وَطَعَنْتُمُ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ

٥٨٨ فَـلأَنْـصُرَنَّ الْحَـقَّ حَتَّى أَنَّنِي ... أَسْطُو عَلَى سَادَاتِكُمْ بِطِعَانِي

٥٨٩ اللهُ صَيَّرَنِي عَصَا مُوسَى لَكُمْ ... حَتَّى تَلَقَّفَ إِفْكَكُمْ ثُعْبَانِي

٥٩٠ بِأَدِلَّةِ الْقُرْآنِ أُبْطِلُ سِحْرَكُمْ ... وَبِـهِ أُزَلْـزِلُ كُلَّ مَنْ لاَقَـانِي

٥٩١ هُوَ مَلْجَئِي هُوَ مَدْرَئِي هُوَ مُنْجِنِي ... مِنْ كَيْدِ كُلِّ مُنَافِقٍ خَـوَّانِ

٥٩٢ إِنْ حَلَّ مَذْهَبُكُمْ بِأَرْضٍ أَجْدَبَتْ ... أَوْ أَصْبَحَتْ قَفْرًا بِلاَ عُمْرَانِ

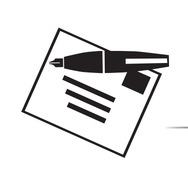
٥٩٣ وَاللهُ صَـيَّرَنِي عَلَيْكُمْ نِقْمَةً ... وَلِهَتْكِ سِتْرِ جَمِيعِكُمْ أَبْقَانِي

٥٩٤ أَنَا فِي حُلُوقِ جَمِيعِهِمْ عُودُ الشَّجَا ... أَعْيَى أَطِبَّتَكُمْ غُمُوضُ مَكَانِي

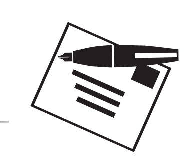
٥٩٥ أَنَا حَيَّةُ الْوَادِي أَنَا أَسَدُ الشَّرَى ... أَنَ مُرْهَفٌ مَاضِي الْغِرَارِ يَمَانِي

٥٩٦ بَيْنَ ابْنِ حَنْبَلَ وَابْنِ إِسْمَاعِيلِكُمْ ... سَخَطٌ يُذِيقُكُمُ الْحَمِيمَ الآنِ

٥٩٧ دَارَيْتُمُ عِلْمَ الْكَلاَمِ تَشَزُّرًا ... وَالْفِقْهُ لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِ يَدَانِ



٥٩٨ الْفِقْهُ مُفْتَقِرٌ لِخَمْسِ دَعَائِمٍ لَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهَا لَكُمْ ثِنْتَانِ
٥٩٩ حِلْمٌ وَإِتْـبَـاعٌ لِسُنَّةِ أَحْمَـدٍ وَتُقًى وَكَفُّ أَذًى وَفَهْمُ مَعَانِ
٦٠٠ آثَرْتُمُ الدُّنْيَا عَلَى أَدْيَانِكُمْ لاَ خَـيْرَ فِي دُنْـيَـا بِـلاَ أَدْيَـانِ
٦٠١ وَفَتَحْتُمُ أَفْوَاهَكُمْ وَبُطُونَكُمْ فَبَلَعْتُمُ الدُّنْيَا بِغَيْرِ تَـوَانِ
٦٠٢ كَذَّبْتُمُ أَقْوَالَكُمْ بِفِعَالِكُمْ وَحَمَلْتُمُ الدُّنْيَا عَلَى الأَدْيَـانِ
٦٠٣ قُرَّاؤُكُمْ قَدْ أَشْبَهُوا فُقَهَاءَكُمْ فِئَتَانِ لِلرَّحْمَنِ عَاصِيَتَانِ
٦٠٤ يَتَكَالَبَانِ عَلَى الْحَـرَامِ وَأَهْلِهِ فِعْلَ الْكِلاَبِ بِجِيفَةِ اللُّحْمَانِ
٦٠٥ يَا أَشْعَرِيَّةُ هَلْ شَعَرْتُمْ أَنَّنِي رَمَدُ الْعُيُونِ وَحِكَّةُ الأَجْفَانِ
٦٠٦ أَنَا فِي كُبُودِ الأَشْعَرِيَّةِ قَرْحَةٌ أَرْبُـو فَأَقْتُلُ كُلَّ مَنْ يَشْنَانِي
٦٠٧ وَلَقَدْ بَرَزْتُ إِلَى كِبَارِ شُيُوخِكُمْ فَصَرَفْتُ مِنْهُمْ كُلَّ مَنْ نَاوَانِي
٦٠٨ وَقَلَبْتُ أَرْضَ حِجَاجِهِمْ وَنَثَرْتُهَا فَوَجَدْتُهَا قَـوْلاً بِـلاَ بُرْهَانِ
٦٠٩ وَاللهُ أَيَّـدَنِي وَثَـبَّـتَ حُجَّتِي وَاللهُ مِـنْ شُبُهَاتِهِمْ نَجَّانِي
٦١٠ وَالْحَـمْـدُ للهِ الْمُهَيْمِنِ دَائِـمًا حَمْـدًا يُلَقِّحُ فِطْنَتِي وَجَنَانِي
٦١١ أَحَسِبْتُمُ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي مِمَّـنْ يُقَعْقَعُ خَلْفَهُ بِشِنَانِ
٦١٢ أَفَتُسْتَرُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ بِالسُّهَا أَمْ هَلْ يُقَاسُ الْبَحْرُ بِالْخُلْجَانِ



٦١٣ عَمْرِي لَقَدْ فَتَّشْتُكُمْ فَوَجدتُّكُمْ حُمُـرًا بِـلاَ عِنَنٍ وَلاَ أَرْسَـانِ

٦١٤ أَحْضَرْتُكُمْ وَحَشَرْتُكُمْ وَقَصدتُّكُمْ وَكَسَرْتُكُمْ كَسْرًا بِلاَ جُبْرَانِ

٦١٥ أَزَعَمْتُمُ أَنَّ الْـقُرَانَ عِبَارَةٌ فَـهُـمَا كَـمَا تَحْـكُـونَ قُـرْآنَـانِ

٦١٦ إِيـمَانُ جِبْرِيلٍ وَإِيـمَانُ الَّذِي رَكِبَ الْمَعَاصِي عِنْدَكُمْ سِيَّانِ

٦١٧ هَذَا الْجُوَيْهِرُ وَالْعُرَيْضُ بِزَعْمِكُمْ أَهُمَـا لِمَعْرِفَةِ الْهُـدَى أَصْـلاَنِ

٦١٨ مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَعْرِفْهُمَا وَأَقَـرَّ بِـالإِسْـلاَمِ وَالْفُرْقَانِ

٦١٩ أَفَمُسْلِمٌ هُوَ عِنْدَكُمْ أَمْ كَافِرٌ أَمْ عَاقِلٌ أَمْ جَاهِلٌ أَمْ وَانِي

٦٢٠ عَطَّلْتُمُ السَّبْعَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشَ أَخْلَيْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ

٦٢١ وَزَعَمْتُمُ أَنَّ الْبَلاَغَ لأَحْـمَـدٍ فِي آيَـةٍ مِـنْ جُمْـلَـةِ الْـقُـرْآنِ

٦٢٢ هَذِي الشَّقَاشِقُ وَالْمَخَارِفُ وَالْهَوَى وَالْمَذْهَبُ الْمُسْتَحْدَثُ الشَّيْطَانِي

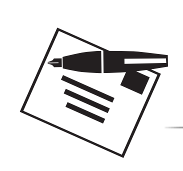
٦٢٣ سَمَّيْتُمُ عِلْمَ الأُصُولِ ضِلاَلَةً كَاسْمِ النَّبِيذِ لِخَمْرَةِ الأَدْنَـانِ

٦٢٤ وَنَعَتْ مَحَارِمُكُمْ عَلَى أَمْثَالِكُمْ وَاللهُ عَنْهَا صَانَنِي وَحَمَـانِي

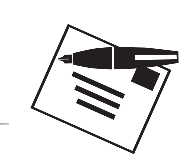
٦٢٥ إِنِّي اعْتَصَمْتُ بِحَبْلِ شَرْعِ مُحَمَّدٍ وَعَضَضْتُهُ بِنَوَاجِذِ الأَسْنَانِ

٦٢٦ أَشَعَرْتُمُ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي طُـوفَـانُ بَحْرٍ أَيُّـمَا طُوفَانِ

٦٢٧ أَنَا هَمُّكُمْ أَنَا غَمُّكُمْ أَنَا سُقْمُكُمْ أَنَا سُمُّكُمْ فِي السِّرِّ وَالإِعْلاَنِ



٦٢٨ أَذْهَبْتُمُ نُورَ الْقُرَانِ وَحُسْنَهُ ... مِـنْ كُـلِّ قَلْبٍ وَالِـهٍ لَهْفَانِ
٦٢٩ فَوَحَقِّ جَبَّارٍ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ... مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ كَقَوْلِ الْجَانِي
٦٣٠ وَوَحَقِّ مَنْ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالْهُدَى ... بِمُحَمَّدٍ فَزَهَا بِـهِ الْحَـرَمَانِ
٦٣١ لأُقَطِّعَنَّ بِمِعْوَلِي أَعْرَاضَكُمْ ... مَا دَامَ يَصْحَبُ مُهْجَتِي جُثْمَانِي
٦٣٢ وَلأَهْجُوَنَّكُمُ وَأَثْلِبُ حِزْبَكُمْ ... حَتَّى تُغَيَّبَ جُثَّتِي أَكْفَانِي
٦٣٣ وَلأَهْتِكَنَّ بِمَنْطِقِي أَسْتَارَكُمْ ... حَتَّى أُبَـلِّـغَ قَاصِيًا أَوْ دَانِي
٦٣٤ وَلأَهْجُوَنَّ صَغِيرَكُمْ وَكَبِيرَكُمْ ... غَيْظًا لِمَنْ قَدْ سَبَّنِي وَهَجَانِي
٦٣٥ وَلأُنْزِلَنَّ بِكُمْ أَلِيمَ صَوَاعِقِي ... وَلَتُحْرِقَنَّ كُبُودَكُمْ نِـيرَانِي
٦٣٦ وَلأَقْطَعَنَّ بِسَيْفِ حَقِّي زُورَكُمْ ... وَلَيُخْمِدَنَّ شُوَاظَكُمْ طُوفَانِي
٦٣٧ وَلأَقْصِدَنَّ اللهَ فِي خِذْلاَنِكُمْ ... وَلَيَمْنَعَنَّ جَمِيعَكُمْ خِـذْلاَنِي
٦٣٨ وَلأَحْمِلَنَّ عَلَى عُتَاةِ طُغَاتِكُمْ ... حَمْلَ الأُسُودِ عَلَى قَطِيعِ الضَّانِ
٦٣٩ وَلأَرْمِيَنَّكُمُ بِصَخْرِ مَجَانِقِي ... حَتَّى يَهُـدَّ عُتُوَّكُمْ سُلْطَانِي
٦٤٠ وَلأَكْتُبَنَّ إِلَى الْبِلاَدِ بِسَبِّكُمْ ... فَيَسِيرَ سَيْرَ الْبُزْلِ بِالرُّكْبَانِ
٦٤١ وَلأُدْحِضَنَّ بِحُجَّتِي شُبُهَاتِكُمْ ... حَتَّى يُغَطِّيَ جَهْلَكُمْ عِرْفَانِي
٦٤٢ وَلأَغْضَبَنَّ لِقَوْلِ رَبِّي فِيكُمُ ... غَضَبَ النُّمُورِ وَجُمْلَةِ الْعِقْبَانِ



٦٤٣ وَلأَضْرِبَنَّكُمُ بِصَارِمِ مِقْوَلِي ... ضَرْبًا يُزَعْزِعُ أَنْفُسَ الشُّجْعَانِ

٦٤٤ وَلأَسْعَطَنَّ مِنَ الْفُضُولِ أُنُوفَكُمْ ... سَعْطًا يُعَطِّسُ مِنْهُ كُلُّ جَبَانِ

٦٤٥ إِنِّي بِحَمْدِ اللهِ عِنْدَ قِتَالِكُمْ ... لَمُحَكَّمٌ فِي الْحَرْبِ ثَبْتُ جَنَانِ

٦٤٦ وَإِذَا ضَرَبْتُ فَلاَ تَخِيبُ مَضَارِبِي ... وَإِذَا طَعَنْتُ فَلاَ يَرُوغُ طِعَانِي

٦٤٧ وَإِذَا حَمَلْتُ عَلَى الْكَتِيبَةِ مِنْكُمُ ... مَزَّقْتُهَا بِلَوَامِعِ الْبُرْهَانِ

٦٤٨ الشَّرْعُ وَالْقُرْآنُ أَكْبَرُ عُدَّتِي ... فَهُمَا لِقَطْعِ حِجَاجِكُمْ سَيْفَانِ

٦٤٩ ثَقُلاَ عَلَى أَبْدَانِكُمْ وَرُؤُوسِكُمْ ... فَهُمَا لِكَسْرِ رُؤُوسِكُمْ حَجَرَانِ

٦٥٠ إِنْ أَنْتُمُ سَالَمْتُمُ سُولِمْتُمُ ... وَسَلِمْتُمُ مِنْ حَيْرَةِ الْخِذْلاَنِ

٦٥١ وَلَئِنْ أَبَيْتُمْ وَاعْتَدَيْتُمْ فِي الْهَوَى ... فَنِضَالُكُمْ فِي ذِمَّتِي وَضَمَانِي

٦٥٢ يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا أَسَافِلَةَ الْوَرَى ... يَا عُمْيُ يَا صُمٌّ بِلاَ آذَانِ

٦٥٣ إِنِّي لأُبْغِضُكُمْ وَأُبْغِضُ حِزْبَكُمْ ... بُغْضًا أَقَلُّ قَلِيلِهِ أَضْغَانِي

٦٥٤ لَوْ كُنْتُ أَعْمَى الْمُقْلَتَيْنِ لَسَرَّنِي ... كَيْلاَ يَرَى إِنْسَانَكُمْ إِنْسَانِي

٦٥٥ تَغْلِي قُلُوبُكُمُ عَلَيَّ بِحَرِّهَا ... حَنَقًا وَغَيْظًا أَيَّمَا غَلَيَانِ

٦٥٦ مُوتُوا بِغَيْظِكُمُ وَمُوتُوا حَسْرَةً ... وَأَسًى عَلَيَّ وَعَضُّو كُلَّ بَنَانِ

٦٥٧ قَدْ عِشْتُ مَسْرُورًا وَمِتُّ مُخَفَّرًا ... وَلَقِيتُ رَبِّي سَرَّنِي وَرَعَانِي



٦٥٨ وَأَبَاحَنِي جَنَّاتِ عَـدْنٍ آمِنًا ... وَمِنَ الْجُحِيمِ بِفَضْلِهِ عَافَانِي

٦٥٩ وَلَقِيتُ أَحْمَدَ فِي الْجِنَانِ وَصَحْبَهُ ... وَالْكُلُّ عِنْدَ لِقَائِهِمْ أَدْنَـانِي

٦٦٠ لَمْ أَدَّخِـرْ عَمَلاً لِـرَبِّيَ صَالِحًا ... لَكِنْ بِإِسْخَاطِي لَكُمْ أَرْضَانِي

٦٦١ أَنَ تَمْرَةُ الأَحْبَابِ حَنْظَلَةُ الْعِدَا ... أَنَ غُصَّةٌ فِي حَلْقِ مَنْ عَادَانِي

٦٦٢ وَأَنَا الْمُحِبُّ لأَهْلِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ ... وَأَنَا الأَدِيبُ الشَّاعِرُ الْقَحْطَانِي

٦٦٣ سَلْ عَنْ بَنِي قَحْطَانَ كَيْفَ فِعَالُهُمْ ... يَوْمَ الْهِيَاجِ إِذَا الْتَقَى الزَّحْفَانِ

٦٦٤ سَلْ كَيْفَ نَثْرُهُمُ الْكَلامَ وَنَظْمُهُمْ ... وَهُمَا لَهُمْ سَيْفَانِ مَسْلُولاَنِ

٦٦٥ نَـصَرُوا بِأَلْسِنَةٍ حِـدَادٍ سُلَّقٍ ... مِثْلِ الأَسِنَّةِ شُرِّعَـتْ لِطِعَانِ

٦٦٦ سَلْ عَنْهُمُ عِنْدَ الْجِدَالِ إِذَا الْتَقَى ... مِنْهُمْ وَمِنْ أَضْدَادِهِمْ خَصْمَانِ

٦٦٧ نَحْنُ الْمُلُوكُ بَنُو الْمُلُوكِ وِرَاثَةً ... أُسْدُ الْهِيَاجِ وَأَبْحُرُ الإِحْسَانِ

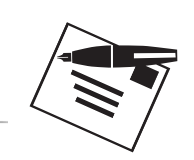
٦٦٨ لاَ قَوْمُنَا بُخَلاَ وَلاَ بِـأَذِلَّـةٍ ... عِنْدَ الْحُرُوبِ وَلاَ النِّسَاء بِزَوَانِ

٦٦٩ يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا جَمِيعُ مَنِ ادَّعَى ... بِدَعًا وَأَهْـوَاءً بِـلاَ بُرْهَانِ

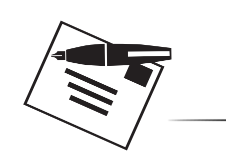
٦٧٠ جَـاءَتْـكُـمُ سُنِّيَّةٌ مَـأْمُـونَـةٌ ... مِنْ شَاعِرٍ ذَرِبِ اللِّسَانِ مُعَانِ

٦٧١ خَرَزَ الْقَوَافِي بِالْمَدَائِحِ وَالْهِجَا ... فَـكَـأَنَّ جُمْلَتَهَا لَـدَيَّ عَـوَانِي

٦٧٢ يَهْوِي فَصِيحُ الْقَوْلِ مِنْ لَهَوَاتِهِ ... كَالصَّخْرِ يَهْبِطُ مِنْ ذُرَى كَهْلاَنِ



٦٧٣ إِنِّي قَصَدتُّ جَمِيعَكُمْ بِقَصِيدَةٍ هَتَكَتْ سُتُورَكُمُ عَلَى الْبُلْدَانِ
٦٧٤ هِيَ لِلرَّوَافِضِ دِرَّةٌ عُمَرِيَّةٌ تَرَكَتْ رُؤُوسَهُمُ بِلاَ آذَانِ
٦٧٥ هِيَ لِلْمُنَجِّمِ وَالطَّبِيبِ مَنِيَّةٌ فَكِلاَهُمَا مُلْقَانِ مُخْتَلِفَانِ
٦٧٦ هِيَ فِي رُؤُوسِ الْمَارِقِيْنَ شَقِيقَةٌ ضُرِبَتْ لِفَرْطِ صُدَاعِهَا الصُّدْغَانِ
٦٧٧ هِيَ فِي قُلُوبِ الأَشْعَرِيَّةِ كُلِّهِمْ صَابٌ وَفِي الأَجْسَادِ كَالسَّعْدَانِ
٦٧٨ لَكِنْ لأَهْلِ الْحَقِّ شَهْدٌ صَافِيًا أَوْ تَمْرٌ يَثْرِبَ ذَلِكَ الصَّيْحَانِي
٦٧٩ وَأَنَا الَّذِي حَبَّرْتُهَا وَجَعَلْتُهَا مَنْظُومَةً كَقَلاَئِدِ الْمَرْجَانِ
٦٨٠ وَنَصَرْتُ أَهْلَ الْحَقِّ مَبْلَغَ طَاقَتِي وَصَفَعْتُ كُلَّ مُخَالِفٍ صَفْعَانِ
٦٨١ مَعَ أَنَّهَا جَمَعَتْ عُلُومًا جَمَّةً مِمَّا يَضِيقُ لِشَرْحِهَا دِيوَانِي
٦٨٢ أَبْيَاتُهَا مِثْلُ الْحَدَائِقِ تُجْتَنَى سَمْعًا وَلَيْسَ يَمَلُّهُنَّ الْجَانِي
٦٨٣ وَكَأَنَّ رَسْمَ سُطُورِهَا فِي طِرْسِهَا وَشْيٌ تُنَمِّقُهُ أَكُفُّ غَوَانِي
٦٨٤ وَاللهَ أَسْأَلُهُ قَبُولَ قَصِيدَتِي مِنِّي وَأَشْكُرُهُ لِمَا أَوْلاَنِي
٦٨٥ صَلَّى الإِلَهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ مَا نَاحَ قُمْرِيٌّ عَلَى الأَغْصَانِ
٦٨٦ وَعَلَى جَمِيعِ بَنَاتِهِ وَنِسَائِهِ وَعَلَى جَمِيعِ الصَّحْبِ وَالإِخْوَانِ
٦٨٧ بِاللهِ قُولُوا كُلَّمَا أَنْشَدتُّمُ رَحِمَ الإِلَهُ صَدَاكَ يَا قَحْطَانِي



مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شر يك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد :

فان من توفيق الله -سبحانه وتعالى- وله الحمد والمنة أن حبب إِليَّ العلم الشرعي ويسر لي أسبابه ، وشرح صدري لمتابعة فنونه ، ورزقني عشقه ومطالعة مصادره المؤتمنة ، فما أعلم يومًا من سن تكليفي لم أطلع فيه على كتاب أو أسمع فيه فائدة أو أدونه فيه إشارة أو واردة .

بل إني أشعر بالسعادة كل السعادة حين أقلب نظري في كتب العلم الشرعي، واشم عبيرها ، فتسري فوائدها بين جوانحي سريان الدم في عروقي .

لَمَحْبَرَةٌ تُجَالِسُنِي نَهَارِي ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أُنْسِ الصَّدِيقِ
وَرِزْمَةُ كَاغِدٍ فِي الْبَيْتِ عِنْدِي ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِدْلِ الدَّقِيقِ
وَلَطْمَةُ عَالِمٍ فِي الْخَدِّ مِنِّي ... أَلَذُّ لَدَيَّ مِنْ شُرْبِ الرَّحِيقِ

ولقد سمعت أذني ، ووقعت في يدي منظومة الإمام القحطاني ١ ، فألفيتها منظومة حافلة بفنون العلم ،قد اشتملت على المعاني الدقيقة ، والمسائل الأنيقة،

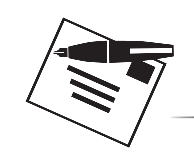
والأحكام الوثيقة ، والأخبار الصحيحة ، والآثار الصريحة ، والكلمات الفصيحة، مع وجازة لفظها ، وانسجام نظمها ، وعذوبة كلماتها ، وسهولة أبياتها ، يصدق فيها قول ناظمها :

وَأَنَــا الَّــذِي حَبَّرْتُهَا وَجَعَلْتُهَا   مَنْظُومَةً كَـقَـلائِـدِ الْمُـرْجَـانِ
مَـعَ أَنَّهَــا جَمَـعَـتْ عُلُومًا جَمَّـةً   مِمَّـا يَضِيقُ لِـشَرْحِـهَـا دِيــوَانِي
أَبْيَاتُهَا مِثْلُ الْحَـدَائِـقِ تُجْتَنَى   سَمْعًا وَلَـيْـسَ يَمَلُّهُنَّ الْجَـانِي
وَكَأَنَّ رَسْمَ سُطُورِهَا فِي طِرْسِهَا   وَشْيٌ تُنَمِّقُهُ أَكُــفُّ غَــوَانِي

حينئذٍ عزمت على شرحها في هذا المختصر الموسوم بـ :

[نيل الأماني شرح نونية الإمام القحطاني]

سائلًا من الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكتب لهذا الشرح القبول و يجعله نافعًا مباركًا خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يغفر لي ولوالدي يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



الشرح

١ يَا مُنْزِلَ الآيَـاتِ وَالْفُرْقَانِ   بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ

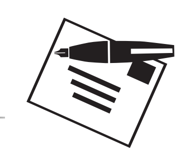
قوله : (**يَا مُنْزِلَ الآيَاتِ**) بدأ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- منظومته بالدعاء، فها هو توسل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بمنزل الآيات والفرقان ، وهو الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.

وما بدأ به الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-من الدعاء يجعل القارئ والسامع يشك هل بدأ بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم لا؟ ومعلوم أن -البداءة بالبسملة -قبل كل عمل (إلا ما استثنى شرعًا) مستحب تبركًا وتيمنًا واستعانة باسمه تعالى في تحقيق المقصود وتأسيا بالقرآن الكريم في افتتاح سوره.

وكذلك يستحب البداءة بالحمدلة والصلاة على النبي-صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتكون البداءة بالبسملة نسبية أي بالنسبة للدخول في الشيء .

وفي البداءة بالحمدلة قبل الدعاء وتأسيًا بكتاب الله العزيز كما في سورة الفاتحة فقد بدأ -تعالى- بالحمد والثناء ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ ثم أردف بعد ذلك الدعاء ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ .

وَجَاءَ فِي حَدِيْث عَبْدُ الله ابْن مَسْعُود -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ : كُنْتُ أُصَلِّي وَالنَّبِيُّ -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبُو بَكْر وَعُمَرُ مَعَهُ فَلَمَّا جَلَسْتُ بَدَأْتُ بِالثَّنَاء عَلَى الله ثُمَّ الصَّلَاة عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ دَعَوْتُ لِنَفْسِي فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**سَلْ تُعْطَهْ سَلْ تُعْطَهْ**» . رواه الترمذي وحسنه الألباني .



وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : بَيْنَا رَسُولُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قاعد إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَقَالَ : «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي ، إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ فَاحْمَدْ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَصَلِّ عَلَيَّ، ثُمَّ ادْعُهُ**».

قَالَ : ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ آخَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **أَيُّهَا الْمُصَلِّي ، ادْعُ تُجَبْ** » . حسَنَهُ الترمذي.

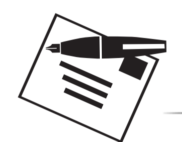
وَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سمعَ النبيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رجلًا يَدْعُو في صلاتِهِ فلمْ يُصَلِّ على النبيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال النبيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**عَجِلَ هذا ثُمَّ دعاهُ** »، **فقال لهُ أوْ لغيره** :« **إذا صلَّى أحدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بتَحْميدِ اللهِ وَالثَّناءِ عليهِ ثُمَّ لِيُصَلِّ على النبيِّ** -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِما شاءَ** » . رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن .

وعليه : فإنه يعتذر للناظم -رَحِمَهُ اللَّهُ- لعله بدأ بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قولاً منثورًا مشافهة ولم يعمل على نظمها وشرع نظمه بالدعاء قائلاً : « **يَا مُنْزِلَ الآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ** » .

والآيات : جمع آية وهي العلامة وهي نوعان:

١- الآيات الشرعية : وهي شريعة الله التي جاء بها القرآن والسُّنَّة المُطهرة.

٢- الآيات الكونية : وهو هذا الكتاب الكوني والناظر إليه نظرة متفكر يتسائل : السماء من رفعها ؟ من بالنجوم زينها؟ الأرض من بسطها ومهدها؟ وقال : ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ الجبال من أرساها؟، البحار من أجراها ؟، الصخر من فجر منه المياه ؟، الهواء تحسه الأيدي ولا تراه من أخفاه ؟، القمر من أتمه وأسراه ؟، النخل من شق نواه ؟، الليل من حاك دجاه ؟، الصبح من صاغ



ضُحاه ؟، النوم من جعله وفاة ؟، واليقظة من بعده حياة ؟، الطبيب وقد كان يرجى بإذن ربه شفاه من أرداه ؟، المريض من بعد بؤس من عافاه؟، الصحيح من بالمنايا دهاه؟، الثعبان كيف يعيش ويحيا والسم يملأ فاه؟، اللبن من بين فرث ودم من صفاه؟، بطون النحل تقاطرت شهدًا قل للشهد من حلاه؟، الجائع من يطعمه ؟، العاري من يكسوه ؟، المضطر من يُجيبه؟، المظلوم من يُغيثه؟، الظالم من يقصمه؟، هذه الآيات وغيرها من الآيات التي لا عد لها ولا حد ، تجيب وتشهد لله وحده بالإلهية والربوبية وتقره بجميل أسمائه وصفاته .

وَفِي كُـــلِّ شَيءٍ لَـــهُ آيَـــةٌ   تَـــدُلُّ عَـــلى أَنَّـــهُ الــواحِـــدُ

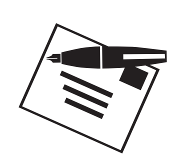
فَيا عَجَباً كَيفَ يُعْصَى الإلَـــهُ   أَم كَـيـفَ يَجـحَـدُهُ الجاحِـدُ

قوله: «**وَالْفُرْقَانِ**» هو القرآن الكريم وإنما سمي فُرقانًا لأنه فرق به بين الحق والباطل، وميز به بين الحلال والحرام ، والهدى والضلال، وهذا تنصيص بعد عموم، إذ القرآن داخل تحت عموم الآيات ولكنه نص عليه بالذكر لشرفه

نظيره قول الله:﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ ﴾ [البقرة ٢٣٨] فقد نص عليها (الصلاة الوسطى) تعظيما لشأنها أو لبيان الإهتمام بها.

قوله: (**بَيْنِي وَبَيْنَكَ**) أي: عهد بيني وبينك والمراد عهد بينه - رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وبين ربه - تعالى - .

قوله: (**حُرْمَةُ الْقُرْآنِ**) الحرمة: ما لا يحل انتهاكه وحرم التفريط به والجمع حرمات والمعنى: عهد بيني وبين ربي - سبحانه- أن لا انتهك حرمة القرآن، والقرآن: هو كلام الله - تعالى - لفظًا ومعنى منزل غير مخلوق باللسان العربي متعبد بتلاوته معجز بأقصر سوره .



٢ اِشْرَحْ بِهِ صَدْرِي لِمَعْرِفَةِ الْهُدَى وَاعْصِمْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الشَّيْطَانِ

قوله: (**اِشْرَحْ بِهِ صَدْرِي لِمَعْرِفَةِ الْهُدَى**) :

ثم سأل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ربه أن يشرح بالقرآن صدره .

وشرح الصدر: التحبيب والتزين والسرور بالشيء .

وانشراح الصدر بالقرآن: يعني : طمأنينته وسروره به فإذا ظفر بذلك فقد وفق صاحبه للهدى والنور كيف لا ؟، والقرآن هو كلام هداية كما قال الله -تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ [البقرة: ٢] .

وقال : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ [الإسراء:٩] .

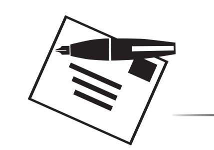
قوله: (**وَاعْصِمْ بِهِ قَلْبِي**) أي: احفظ وق بالقرآن قلبي .

قوله: (**مِنَ الشَّيْطَانِ**) أي: من نزغات الشيطان ووساوسه .

والشيطان هو : عدو الإنسان ، كما قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ ﴾ [فاطر:٦] .

ولا شك أن القرآن الكريم خير ما يحترز به المسلم من مكائد الشيطان ومصائده ، ولايزال الشيطان يسعى سعيًا حثيثًا مستمرًا لإفساد قلب المرء بالشهوات أو بالشبهات ، وهذان هما جماع أمراض القلوب فإن لم يتحصن المسلم بالإيمان الذي يفل به سلاح الشهوة وبالعلم الشرع الذي يفل به سلاح الشبهة ، تمكن الشيطان من إفساد هذا العضو الذي يترتب عليه فساد عامة الجوارح .

وبالتالي : يشقى الإنسان في دنياه وآخراه - عافانا الله - .



٣ يَسِّرْ بِهِ أَمْـرِي وَأَقْـضِ مَآرِبِي   وَأَجِرْ بِهِ جَسَدِي مِنَ النِّيرَانِ

قوله : (**يَسِّرْ بِهِ أَمْرِي**) أي : ذلل وهيئ بالقرآن أمري .

والأمر : هو الحال والشأن .

قوله : (**وَأَقْضِ مَآرِبِي**) أي : أتمها وبلغنيها .

والمآرب : جمع مأرب ، وهي : الحوائج والمطالب .

قوله : (**وَأَجِرْ بِهِ جَسَدِي مِنَ النِّيرَانِ**) أي: أعذ وامنع وق بالقرآن جسدي من نار الآخرة ، ولا شك أن القرآن وقاية لصاحبه من النار كما في حديث أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، يَقُولُ : «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ ...** »[١].

وَعَنْ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-مرفوعًا:« **يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ ،تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** »[٢].

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، يَقُولُ : « **اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ**[٣] **الْبَقَرَةَ ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ غَيَايَتَانِ**[٤]**، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا ، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**[٥]» [٦].

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم وأحمد وصححه الألباني .

(٣) سميتا بذلك لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما .

(٤) الغيايتان والغمامتان بمعنى واحد .

(٥) البطلة هم : السحرة ومعنى لا تستطيعها ، أي لا تقدر على تحصيلها .

(٦) رواه مسلم برقم (٨٠٤) وأحمد برقم (٢٢٢٤٧) تعليق شعيب الأرناؤوط ، حديث صحيح .



٤ وَاحْطُطْ بِهِ وِزْرِي وَأَخْلِصْ نِيَّتِي   وَاشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَصْلِحْ شَانِي

قوله : (**وَاحْطُطْ بِهِ وِزْرِي**) أي : ضع بالقرآن وزري .

والوزر - بالكسر- الإثم والذنب ، والجمع أوزار ، وفي التنزيل يقول ربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴾ [البقرة:٥٨] .

فالمراد بالحِطَّة : طلب المغفرة تقديرها حط عنا خطايانا وأوزارنا .

قوله : (**وَأَخْلِصْ**) خلصَ خلُوصًا وخَلاصًا ، بمعنى: صفى وزال عنه شوبه ، وخلص الشيء بمعنى : صفاه ونقاه من شوبه وأدرانه .

وعليه : فالإخلاص إفراد الله بالقصد في الطاعات .

قوله: (**نِيَّتِي**) أي : قصدي وعزمي ، فالنية : هي قصد القلب وعزمه .

فيكون المعنى: أسأل رب أن يخلص بالقرآن نيتي مما يشوبها من الأدران كالشرك والرياء ، ومن هنا علم : أن النية تعد أهم أعمال القلوب ، عليها مدار الأعمال صحة وفسادًا قبولاً وردًا .

ولهذا اعتنى السلف الصالح - رحمهم الله- بتحقيق النية وإصلاح السريرة وتنقية العمل مما يكدره أويشوبه عناية فائقة فنفع الله بهم ورفع.

قوله : (**وَاشْدُدْ بِهِ أَزْرِي**) أي قوي وأحكم بالقرآن ظهري.

وهذا ما سأل موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ربه قائلاً :﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ ﴾[طه : ٢٩-٣١] .

فأجابه ربه- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قائلاً :﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾[القصص:٣٥] .

وقوله: (**وَأَصْلِحْ**) صلح صلاحا وصلوحا زال عنه الفساد والاعوجاج.

قوله : (**شَانِي**) بمعنى حالي وأمري .

فيكون المعنى : أقم بالقرآن حالي وأمري .

٥ وَاكْشِفْ بِهِ ضُرِّي وَحَقِّقْ تَوْبَتِي وَارْبِـحْ بِهِ بَيْعِي بِلاَ خُسْرَانِ

قوله : (**وَاكْشِفْ بِهِ ضُرِّي**) كشف الشيء عنه بمعنى : رفع وأزال ما يغطيه ويواريه .

والمعنى هنا : ارفع وأزل بالقرن شدتي وسوء حالي .

قوله : (**وَحَقِّقْ تَوْبَتِي**) أي : اجعل القرآن سبيل لتحقيق توبة نصوح .

والتوبة تعني : الرجوع الصادق إلى الله والتخلص من المعاصي إلى الطاعات.

قوله : (**وَارْبِحْ بِهِ بَيْعِي بِلاَ خُسْرَانِ**) أي : أجعل القرآن مكسبًا وزيادة لي في كل خير في الدنيا والآخرة دونما أدنى خسران .

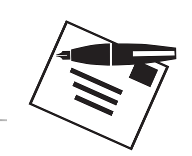
والخسران: من الخسارة ضد الربح والمكسب .

٦ طَهِّرْ بِهِ قَلْبِي وَصَفِّ سَرِيرَتِي أَجْمِلْ بِهِ ذِكْرِي وَأَعْلِ مَكَانِي

قوله : (**طَهِّرْ**) طَهُرَ –طهْرًا– طهارة : نقي من النجاسة والدنس.

قوله : (**بِهِ**) أي : بالقرآن .

قوله : (**قَلْبِي**) القلب : المُضغة التي في جوف ابن آدم والتي عليها مدار سائر الأعضاء صلاحًا وفسادًا.



كما جاء في الصحيحين من حديث النُّعْمَان بْن بَشِيْر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « **... ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهِيَ القَلْبُ** » (١).

والمراد: طهر ونق بالقرآن قلبي من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ومن كل شبهة تخالف خبره .

ولما كان القلب بهذه المنزلة الرفيعة تعين على كل أحد وجوبًا الحرص على تنقيته وتزكيته من أمراضه كالشرك والرياء والحقد والحسد والبغضاء والنفاق ونحوها من الآفات، إذ بسلامة القلب سلامة الدارين قال الله: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء:٨٨-٩٨] .

قوله : (**وَصَفِّ**) صَفَا - صَفْوًا - وَصَفَاءً : خلص من الكدر .

قوله : (**سَرِيرَتِي**) السريرة : باطن الإنسان .

والمعنى : خَلص باطني من كل ما يشوبه من كدر .

قوله : (**أَجْمِلْ بِهِ ذِكْرِي**) أي : حسن وزين بالقرآن صيتي في العالمين .

قوله : (**وَأَعْلِ مَكَانِي**) أي: أرفع بالقرآن في العالمين منزلتي .

٧ وَاقْطَعْ بِهِ طَمَعِي وَشَرِّفْ هِمَّتِي كَثِّرْ بِهِ وَرَعِي وَأَحْيِ جَنَانِي

قوله : (**وَاقْطَعْ**) من القطع وهو الفصل والإنابة .

قوله:(**طَمَعِي**) الطمع: هو طول الأمل والحرص على الدنيا ونسيان الآخرة.

والمعنى: أبن بالقرآن طول أملي وحرصي على دنياي وحطامها الفائت .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

قال عليٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- : « **إِنَّمَا يَهْلَكُ الْمَرْءِ اثْنَتَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى: فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيَنْسَى الآخِرَةَ** »(١).

قوله : (**وَشَرِّفْ**) يُقال : شرف الرجل ، أي علت منزلته .

قوله : (**هِمَّتِي**) الهمَّة : استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور(٢).

والمعنى : أرفع بالقرآن عزمي .

قوله : (**كَثِّرْ بِهِ**) على وزن فعل أي : اجعله كثيرًا .

قوله : (**وَرَعِي**) الورع التحرج والتوقي عن المحارم ثم استعير للكف عن الحلال المباح .

والمعنى : اجعل ورعي بالقرآن كثيرًا عن المحارم وراقيًا عن المآثم .

قوله : (**وَأَحْيِي**) من الحياة ، وهي : النمو والبقاء .

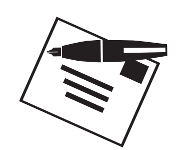
قوله : (**جَنَانِي**) الجنان : من كل شيء جوفه والمراد به القلب والمعنى: أحيي قلبي بالقرآن .

٨ **أَسْهِرْ بِهِ لَيْلِي وَأَظْمِ جَوَارِحِي   أَسْبِلْ بِفَيْضِ دُمُوعِهَا أَجْفَانِي**

قوله :(**أَسْهِرْ بِهِ لَيْلِي**) أي : أشغل بالقرآن ليلي بعضه أو كله تلاوة وحفظًا وتدبرًا.

قوله:(**وَأَظْمِ جَوَارِحِي**) أظم من الظمأ وهو: العطش ومنه قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۢ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً ﴾[النور:٣٩] .

(١) موارد الظمآن (٣/ ١٢٠) ، الزهد (ص١٥٧) .
(٢) علو الهمة (ص ٧) ، للمقدم .



والمعنى: عطش جوارحي لكتابك فلا يحصل له رواء إلا به ، ولا شك أن الجوارح وعلى رأسها القلب إن استقت من كتاب الله استقامت، وإذا استقامت فازت برضوان الله ودار كرامته، ونجت من عذاب الله ودار عقابه .

قوله : (**أَسْبِلْ بِفَيْضِ دُمُوعِهَا أَجْفَانِي**) أي : اسل بالقرآن فيضًا من دموع عيوني .

ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان التدبر والإعتبار والإدكار وفقه الأسرار، قال ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: « **لَا تَهُذُّوا الْقُرْآنَ، كَهَذِّ الشِّعْرِ، وَلَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ** [١] ، **وَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلا يَكُنْ هَمَّ أَحَدكُمْ آخِرَ السُّورة**» [٢].

ومن تأمل كيف عاش رسول الله- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه الكرام والتابعون لهم بإحسان مع القرآن أدرك الفرق الشاسع والبون الواسع بيننا وبينهم ، أولئك هم القوم الذين قاموا بالقرآن كما أمروا فكانوا قرآنا يمشي بين الناس فسادوا ، وحالنا مع القرآن لا يخفى على ذي عينين فصرنا إلى ما نرى ونسمع فإلى الله - المشتكى وهو وحده المستعان - .

٩ وَامْزِجْهُ يَا رَبِّ بِلَحْمِي مَعْ دَمِي وَاغْسِلْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الأَضْغَانِ

قوله : (**وَامْزِجْهُ**) المزج: بمعنى الخلط ، وفي التنزيل ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [الإنسان:٥] أي : أخلاطها .

قوله : (**يَا رَبِّ بِلَحْمِي مَعْ دَمِي**) توسل- رَحِمَهُ اللَّهُ- بالربوبية تأسياً بكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كثير من آياته ، كقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ [آل عمران:٨] ،

(١) الدَّقل: التمر الرديء .
(٢) زاد المعاد (١/ ٣٣٧) .

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾[الفرقان: ٧٤] ، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة:٢٠١] .

وسؤاله -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أن يجعل القرآن قرينًا له في جميع أوقاته وأحواله يسري في روحه كسريان الدم في عروقه .

ومن بلغ هذه المنزلة الرفيعة مع كتاب الله فلا شك في استقامة حاله وقاله عقيدة وعبادة ومنهجًا وسلوكًا .

قوله : (**وَاغْسِلْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الأَضْغَانِ**) :

الأضغان: جمع ضِغْن وهو الحقد الشديد ومنه قول الله - سبحانه وتعالى-: ﴿ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴾ [محمد:٣٧] .

والمعنى: واجعل يارب القرآن مطهرًا لقلبي من أمراضه وأنجاسه وشكوكه ووساوسه، كما جعلت من الماء طهورا للبدن من أوساخه وأرجاسه .

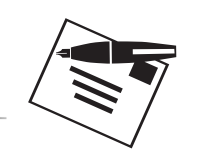
وبإمكاننا أن نجمل فوائد الأبيات السابقة بالتالي :

١ - أن القرآن كلام الله الموحى إلى نبيه لفظًا ومعنى منزل غير مخلوق متعبد بتلاوته منه بدء وإليه يعود .

٢- وجوب العمل بكتاب الله تعالى فهو عهد الله إلى عباده .

٣- أن القرآن كتاب هدا ية وعصمة من الشيطان.

٤- أن القرآن كتاب الله تيسر به الأمور وتقضى به الحاجات وتمحى به السيئات وترفع به الدرجات وتستقيم به النيات وتكشف به البليات، وتنشرح به الصدور وتنقى به القلوب ويجمل به الذكر وترفع به المكانة وتشرف به الهمم وتسبل به الدموع .



-٥ التوسل بالربوبية هو أسلوب القرآن غالبًا فالتأسي بالقرآن في الدعاء حري بالإجابة ثم إنه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بعد أن سأل ربه بعض حاجاته شرع في الثناء عليه ببعض أفعاله وصفاته وببعض إنعامه وإفضاله عليه فقال:

١٠ أَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَنِي وَخَلَقْتَنِي وَهَدَيْتَنِي لِشَرَائِعِ الإِيمَانِ

قوله : (**أَنْتَ**) ضمير مخاطب يخاطب ربه -عز وجل- قائلاً (**أَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَنِي**) .

قوله : (**الَّذِي صَوَّرْتَنِي**) أي: أنك من أبدعت تصو يري (فأنت المصور).

قوله: (**وَخَلَقْتَنِي**) أي : أنك خلقتني بهذه الهيئة الحسنة (فأنت الخالق).

قوله (**وَهَدَيْتَنِي لِشَرَائِعِ الإِيمَانِ**) أي: تفضلت عليَّ بنعمة الهداية للإيمان إرشادًا وتوفيقا (فأنت الهادي) .

١١ أَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَنِي وَرَحِمْتَنِي وَجَعَلْتَ صَدْرِي وَاعِيَ الْقُرْآنِ

قوله : (**أَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَنِي وَرَحِمْتَنِي**) أي : أن من نعمك وإفضالك علي أن علمتني العلم الشرعي النافع (فأنت العليم) .

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فقيه

قوله: (**وَرَحِمْتَنِي**) أي: ومن جميل نعمائك عليَّ أن وسعتني برحمتك (فأنت الرحمن) ووصلتني بها (فأنت الرحيم) فالرحمن الرحيم: اسمان من أسمائه



-تعالى- تشتق منهما صفة الرحمة، إلا أن الرحمة من الرحمن تعني : الرحمة الواسعة ، والرحمة من الرحيم تعني : الرحمة الواصلة .

قوله: (**وَجَعَلْتَ صَدْرِي وَاعِيَ الْقُرْآنِ**) أي: ومن جميل نعمك عليَّ أن جعلت صدري مستوعيًا ومستوعبًا لكتابك كله فهمًا وحفظًا وقبولاً .

قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [العنكبوت٤٩] .

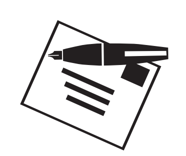
وفي المقابل ، يقول تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٦] .

١٢ أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي وَسَقَيْتَنِي   مِنْ غَيْرِ كَسْبِ يَدٍ وَلاَ دُكَّانِ

قوله: (**أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي وَسَقَيْتَنِي**) أي : ومن نعمائك الذي تذكر وتشكر لا تجحد ولا تكفر، أن أطعمتني وسقيتني الحلال الطيب .

قال ربنا الكريم على لسان الخليل ابراهيم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾[الشعراء:٧٨-٨٠].

فذكر نبي الله إبراهيم - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - من جملة نعم الله عليه الإطعام من جوع والإرواء من ظمأ - وسبحان الله- من لفت بنظره إلى أهل العلم وأرزاقهم أيقن أن الله قد حباهم بتيسير أرزاقهم وإصلاح معاشهم من غير كثير جهد وعناء ، ولذا قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (**مِنْ غَيْرِ كَسْبِ يَدٍ وَلاَ دُكَّانِ**) .



١٣ وَجَبَرْتَنِي وَسَتَرْتَنِي وَنَصَرْتَنِي وَغَمَرْتَنِي بِالْفَضْلِ وَالإِحْسَانِ

قوله (**وَجَبَرْتَنِي**) جبر- جبرًا- جبورًا - : صلح شأنه وكفاه حاجته ، فالمعنى: أصلحت شأني وكفيتني حاجتي (فأنت الجبار) .

قوله: (**وَسَتَرْتَنِي**) أي : أخفيت عيبي (فأنت الستير) .

قوله: (**وَنَصَرْتَنِي**) أي : أظهرتني على عدوي (فأنت النصير) .

قوله: (**وَغَمَرْتَنِي بِالْفَضْلِ وَالإِحْسَانِ**) أي : غطيتني بفضلك وإحسانك.

١٤ أَنْتَ الَّذِي آوَيْتَنِي وَحَبَوْتَنِي وَهَدَيْتَنِي مِنْ حَيْرَةِ الخِذْلاَنِ

قوله: (**أَنْتَ الَّذِي آوَيْتَنِي**) أوى فلان فلانًا : بمعنى أنزله وأسكنه .

والمعنى: أنك أنت الله الذي تفضلت فضممتني إليك وأنزلتني وأسكنتني في كنفك ورعايتك ومعيتك .

قوله: (**وَحَبَوْتَنِي**) أي: أعطيتني العطاء الواسع بلا جزاء ولا منٍّ .

قوله: (**وَهَدَيْتَنِي**) الهداية لغة : ضد الضلالة .

وفي الشرع تُطلق على نوعين مشهورين :

١- **الدلالة والإرشاد:** وهي تقع من الخالق والخلق، فالله تعالى يهدي أي: يدل و يرشد كما قال تعالى :﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾[فصلت ١٧] أي : أرشدناهم، وتقع هذه الهداية من الرسل والصالحين،قال تعالى عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وإنك لتهدي ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى ٥٢] .

وفي الحديث أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ -رضي الله عنه-: « **فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ** »(١).

٢- **هداية التوفيق والإلهام**: وهي خاصة بالله تعالى قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص ٥٦].

فليس للخلق في هداية التوفيق والإلهام نصيب قط والمقصود بها: قذف الإيمان في القلب وقبول القلب له وعمله به.

قوله: (**مِنْ حَيْرَةِ الْخِذْلَانِ**) أي: من الشك والتردد والاضطراب الذي زلت به أقدام وحارت به أفهام -نعوذ بالله من الخذلان-.

١٥ وَزَرَعْتَ لِي بَيْنَ الْقُلُوبِ مَوَدَّةً وَالعَطْفَ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ

قوله: (**وَزَرَعْتَ لِي**) أي: بذرت لي.

قوله: (**بَيْنَ الْقُلُوبِ**) أي: في قلوب العالمين من عبادك الصالحين(٢).

قوله: (**مَوَدَّةً**) أي: محبة ورحمة.

ومن المعلوم أن آية محبة الله لعبده أن يحببه إلى قلوب عباده كما جاء في الحديث الذي رواه الشيخان من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « **إِذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ** »(٣).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) هذا ضابط لابد أن نعلمه أن المحبة المعتبر هي محبة الصالحين من عباده، أما غيرهم فلا ميزان لحبهم أو بُغضهم.
(٣) رواه البخاري ومسلم.



إِذَا أَحَـــبَّ اللهُ يَـومـاً عَـبـدَهُ   أَلـقَـى عَليهِ مَحبة فِي الـنَـاسِ

قوله : (**وَالعَطَفْ مِنْكَ**) أي : الميل .

قوله : (**بِرَحْمَةٍ**) أي : الرحمة من الرحمن :صفة ثبوتية لله ذاتية له لم يزل ولا يزال متصفًا بها –سبحانه– نثبتها له كما أثبتها لنفسه من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل.

وما العطف وتراحم المخلوقات فيما بينها إلا أثر من آثار رحمته .

قوله : (**وَحَنَانِ**) الحنان : رقة القلب، وفي التنزيل : ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾ [مريم:١٢] .

١٦ وَنَشَرْتَ لِي فِي الْعَالَمِينَ مَحَاسِنًا   وَسَتَرْتَ عَنْ أَبْصَارِهِمْ عِصْيَانِي

قوله : (**وَنَشَرْتَ لِي**) أي : أشعت وأذعت لي .

قوله : (**فِي الْعَالَمِينَ**) أي : بين الناس .

قوله : (**مَحَاسِنًا**) أي : ثناء حسنًا وأعمالاً صالحة .

قوله : (**وَسَتَرْتَ عَنْ أَبْصَارِهِمْ عِصْيَانِي**) أي : أخفيت عيوبي وأخطائي عن عيونهم (فأنت الستير) .

ولا شك أن من نعم الله على عبده ورحمته به حين يُبدي محاسنه في الناس فلا يرونه إلا واقفًا على أبواب الخير والبر، في الوقت الذي خفي عنهم معايبه، فلا يرون ولا يسمعون عنه قبيحًا ، وحق على من كان هذا حاله أن يحمد ربه ويثني عليه مقابل هذا العطاء .

١٧ وَجَعَلْتَ ذِكْرِي فِي الْبَرِيَّةِ شَائِعًا حَتَّى جَعَلْتَ جَمِيعَهُمْ إِخْوَانِي

قوله : (**وَجَعَلْتَ**) أي : صيرت .

قوله : (**ذِكْرِي**) أي : مقامي وجميل أقوالي وأفعالي .

قوله : (**فِي الْبَرِيَّةِ**) أي : في الخلق .

قوله : (**شَائِعًا**) أي : منتشرًا .

قوله : (**حَتَّى جَعَلْتَ جَمِيعَهُمْ إِخْوَانِي**) أي : لما تفضلت عليَّ بنعمة إشاعة الذكر الحسن بين الخلق، حببتني إليهم وعطفتهم نحوي فكانوا جميعهم إخواني في الدين .

قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

١٨ وَاللهِ لَوْ عَلِمُوا قَبِيحَ سَرِيرَتِي لَأَبَى السَّلَامَ عَلَيَّ مَنْ يَلْقَانِي

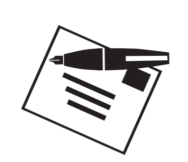
قوله : (**وَاللهِ**) الواو : للقسم (والله) لفظ الجلالة مُقسم به .

قوله : (**لَوْ عَلِمُوا**) أي : الخلق .

قوله : (**قَبِيحَ**) القبيح ، ضد الحسن وهي المساوئ .

قوله : (**سَرِيرَتِي**) السريرة : باطن الإنسان .

والمعنى: لو أن الله أظهر الآفات الباطنة في جوفي لافتضحت في الخلق يقول هذا عن نفسه وهو الإمام الجهبذ المجاهد بقلمه ولسانه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- فماذا نقول



عن أنفسنا وسرائرنا؟ - فاللهم غفرًا - .

وعليه فإن من أوجب الواجبات أن نتقي الله في أنفسنا وإصلاح سرائرنا.

قوله : (**لأَبى**) هذا جوا القسم ، أي : لامتنع من رد السلام عليَّ .

قوله : (**السَّلاَمَ عَلَيَّ**) أي : قول - السلام عليك ورحمة الله وبركاته - وهي تحية الإسلام والمسلمين .

قوله : (**مَنْ يَلْقَانِي**) أي : من التقى بي ورآني .

ولا شك أن ابتداء السلام سُنَّة ورده واجب وهو واحد من حقوق المسلمين على بعضهم .

١٩ وَلأَعْرَضُوا عَنِّي وَمَلُّوا صُحْبَتِي وَلَـبُـؤْتُ بَعْدَ كَرَامَةٍ بِهَـوَانِ

قوله : (**وَلأَعْرَضُوا عَنِّي**) أي : تركوني وأهملوني .

قوله : (**وَمَلُّوا صُحْبَتِي**) أي : الملل - والملل - والملال بمعنى : التضجر والسأم والمعنى هنا : سئموا صحبتي وتضجروها .

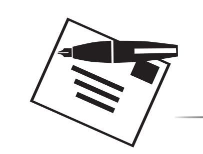
قوله : (**وَلَبُؤْتُ**) باء - يبوء بمعنى : رجع .

قوله : (**بَعْدَ كَرَامَةٍ بِهَوَانِ**) أي : عدت بالذل والهوان بعد العز والإكرام .

ذكر -رحمه الله- في هاتين البيتين أربعة آثار لسوء السريرة وهي:

١- الإمتناع عن رد السلام . ٢- الترك والإهمال .

٣- التضجر من الصحبة . ٤- الهوان والذل .



٢٠ لَكِنْ سَتَرْتَ مَعَايِبِي وَمَثَالِبِي وَحَلِمْتَ عَنْ سَقَطِي وَعَنْ طُغْيَانِي

قوله : (**لَكِنْ**) تفيد الإستدراك بمعنى : أنك استدركتني بلطفك وحلمك وفضلك .

قوله:(**سَتَرْتَ مَعَايِبِي وَمَثَالِبِي**)أي:أخفيت عيوبي وزلاتي الظاهرة والباطنة عن الخلق فضلاً منك وحلماً . (فأنت الستير) .

قوله:(**وَحَلِمْتَ**)-بضم اللام- من الحلم:وهو التأني والسكون عند الغضب.

قوله : (**عَنْ سَقَطِي**) السقط هو : الزلل والخطأ .

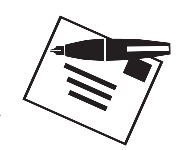
قوله : (**وَعَنْ طُغْيَانِي**) الطغيان: هو تجاوز الحد في العصيان ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ ﴾[الحاقة:١١] ، أي أي: تجاوز الحد في ارتفاعه والمعنى :أنك تفضلت عليَّ بالحلم فلم تعاجلني بالعقوبة (فانت الحليم) .

٢١ فَلَكَ الْمَحَامِدُ وَالْمَدَائِحُ كُلُّهَا بِخَوَاطِرِي وَجَوَارِحِي وَلِسَانِي

قوله : (**فَلَكَ الْمَحَامِدُ**) المحامد : جمع محمدة ، والمحمدة: ما يحمد المرء به أو عليه .

قوله : (**وَالْمَدَائِحُ**) المدائح: جمع مديح ، ومدحه مدحًا أثنى عليه بما له من الصفات .

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « ومعنى الحمد كما قال العلماء: هو وصف



المحمود بالكمال محبة وتعظيما وإجلالا، فإذا وصفه بالكمال لا محبة ولا تعظيما، ولكن خوفًا ورهبة، سمي ذلك مدحًا لا حمدًا، فالحمد لابد أن يكون مقرونًا بمحبة المحمود وتعظيمه» (١).

٢٢ وَلَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ رَبِّ بِأَنْعُمٍ   مَا لِي بِشُكْرِ أَقَلِّهِنَّ يَدَانِ

قوله: (**وَلَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ رَبِّ**) من – منا – ومِنَة – أي: أنعمت وأحسنت (فأنت المنان) أي: كثير العطا، عظيم الإنعام، وافر الإحسان، عليَّ وعلي جميع خلقك.

قوله: (**بِأَنْعُمٍ**) أنعم: جمع نعمة وهي: الفضل والعطاء والإحسان.

قوله: (**مَا لِي بِشُكْرِ أَقَلِّهِنَّ يَدَانِ**) أي: لا أقوى على شكر أقل قليلها فكيف بكثيرها وعظيمها.

٢٣ فَوَحَقِّ حِكْمَتِكَ الَّتِي آتَيْتَنِي   حَتَّى شَدَدتَّ بِنُورِهَا بُرْهَانِي

قوله: (**فَوَ حَقِّ**) الفاء: بحسب ما قبله، والواو للقسم، والمقسم به مقدر تقديره والله بما منحتني من الحكمة.

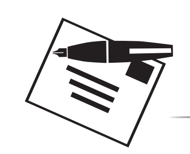
قوله: (**حِكْمَتِكَ**) الحكمة: تعني: السداد والإصابة في القول والعمل (فأنت الحكيم).

قوله: (**الَّتِي آتَيْتَنِي**) أي: أجتبيتني بها ومنحتني إياها.

قوله: (**حَتَّى شَدَدتَّ**) أي: قويت.

---

(١) شرح المنظومة البيقونية (ص ١٤–١٥).



قوله : (**بِنُورِهَا**) أي: بنور الحكمة .

قوله : (**بُرْهَانِي**) أي: حجتي .

٢٤ لَئِنِ اجْتَبَتْنِي مِنْ رِضَاكَ مَعُونَةٌ حَتَّى تُقَوِّيَ أَيْدُهَا إِيمَانِي

قوله : (**لَئِنِ اجْتَبَتْنِي**) الإجتباء : الاصطفاء الإختيار، أي: لئن اصطفتني .

قوله : (**مِنْ رِضَاكَ**) الرضا : صفة لله تعالى ، نقيضه : السخط ، وفي التنزيل: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾[البينة :٨] .

قوله : (**مَعُونَةٌ**) أي: تسهيلاً وتسديدًا .

قوله : (**حَتَّى تُقَوِّيَ أَيْدُهَا**) آد – أيدا – وآدا : قوي واشتد .

قوله : (**إِيمَانِي**) الإيمان لغة : الإقرار والتصديق .

إصطلاحا : قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعات وينقص بالعصيان .

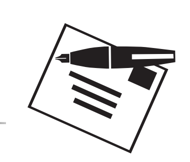
وفي لسان الشرع :« **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** »(١) .

٢٥ لأُسَبِّحَنَّكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً وَلَتَخْدُمَنَّكَ فِي الدُّجَى أَرْكَانِي

قوله : (**لأُسَبِّحَنَّكَ**) هذا هو أول جواب للقسم الذي أقسم به في أول البيت ، (**فَوَحَقِّ حِكْمَتِكَ الَّتِي آتَيْتَنِي** .....) .

والتسبيح : تنزيه الله عمَّا لايليق به من النقائص والعيوب ونعته بنعوت

(١) رواه مسلم .



الجلال والكمال المطلق .

قوله : (**بُكْرَةً وَعَشِيَّةً**) أي : صباحًا ومساء وما بين ذلك .

ولا شك أخي الكريم أن بذكر الله تعالى ترقق المشاعر وترهف الأحاسيس، وتشرح الصدور ، وتيسر الأمور، وتتضاعف الأجور، وتغفر الزلات وترفع الدرجات، مع أنه خفيف على اللسان، ثقيل في الميزان ، حبيب إلى الرحمن .

فالواجب علينا أن نحرص على ذكر الله وتسبيحه في كل وقت وحين، لا سيما الذكر المقيد منه، كالأذكار المأثورة أدبار الصلوات، وأذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم، وأذكار الطعام والشراب، وأذكار اللباس، وأذكار الجماع، وأذكار الخلاء، وأذكار الدخول والخروج، وغير ذلك من الأذكار المقيدة .

قوله : (**وَلَتَخْدُمَنَّكَ فِي الدُّجَى**) هذا هو : ثاني جواب القسم ، والدجى: جمع دجية وهي الظلمة .

قوله : (**أَرْكَانِي**) أي : جوارحي وأعضائي .

والمراد : لأقومن من الليل بين يديك ساجدًا وراكعًا وخاشعًا وراجيًا.

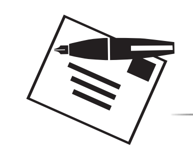
٢٦ وَلأَذْكُـرَنَّـكَ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا   وَلأَشْكُرَنَّكَ سَائِرَ الأَحْيَانِ

قوله : (**وَلأَذْكُرَنَّكَ**) وهذا هو : ثالث جواب القسم .

والذكر هو: ما يجري على القلب من تسبيح لله وحمده ، والثناء عليه، ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال [1].

---

(١) ففروا إلى الله ، (ص ١٤٤] .



والمعنى : لا أزال أذكرك في جناني وجوارحي ولساني .

قوله : (**قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا**) أي : في كل أحوالي .

قوله : (**وَلأَشْكُرَنَّكَ**) وهذا هو رابع جواب القسم .

قوله : (**سَائِرَ الأَحْيَانِ**) أي : في جميع الدهور والأزمان .

٢٧ وَلأَكْتُمَنَّ عَنِ الْبَرِيَّةِ خَلَّتِي وَلأَشْكُوَنَّ إِلَيْكَ جَهْدَ زَمَانِي

قوله : (**وَلأَكْتُمَنَّ**) وهذا هو خامس جواب القسم ، والمعنى : لأخفين ولأسترن .

قوله : (**عَنِ الْبَرِيَّةِ**) أي : عن الخلق .

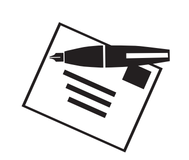
قوله : (**خَلَّتِي**) الخلة : - بالفتح - الحاجة والفقر والخصاصة .

والمراد: لأخفين عن الخلق حاجتي وفقري فلا أبديه لأحد منهم .

قوله : (**وَلأَشْكُوَنَّ إِلَيْكَ جَهْدَ زَمَانِي**) وهذا هو السادس من جواب القسم، والشكوى : تعني : الإبداء والإظهار .

والمعنى : لأظهرن إليك وحدك ما أعانيه من جهد الزمان ومكابدة الليالي والأيام، والشكوى إلى الله مشروعة ، قال -تعالى - :﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[يوسف: ٨٦] .

أما شكوى الخالق للمخلوق كالتذمر والتسخط من أقدار الله المؤلمة ، فمحرمة شرعًا ، أما مجرد البيان دون تسخط وتذمر على سبيل الإستعانة بهم فيما يقدرون عليه من دفع مضرة أو جلب منفعة فأرجو أن لا يكون في ذلك حرج ، والله أعلم .



٢٨ وَلأَقْصِدَنَّكَ فِي جَمِيعِ حَوَائِجِي   مِنْ دُونِ قَصْدِ فُلاَنَةٍ وَفُلاَنِ

قوله : (**وَلأَقْصِدَنَّكَ**) وهذا هو السابع من جواب القسم .

القصد :إتيان الشيءً وقصده وقصد له –وقصد إليه– أي: نحا نحوه .

قوله : (**فِي جَمِيعِ حَوَائِجِي**) أي : لأطلبنك في جميع أموري وشؤوني (فأنت الصمد) ، أحق من يدعي ويؤتى ويصمد إليه الخلائق .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠] .

قوله : (**مِنْ دُونِ قَصْدِ فُلاَنَةٍ وَفُلاَنِ**) أي : من دون أن آتي غيرك من الخلق فكل ما سواك عاجز - إلا بإذنك - وكل ما سواك فقير وأنت الغني، وكل ما سواك ضعيف وأنت القوي ، وكل ما سواك ذليل وأنت العزيز .

إِلَـيْـكَ وإِلَّا لَا تُشَدُّ الرَّكَائِبُ   وَمِنْكَ وإلا فالمُؤَمِّلُ خَائِبُ

٢٩ وَلأَحْسِمَنَّ عَنِ الأَنَامِ مَطَامِعِي   بِحُسَامِ يَـأْسٍ لَمْ تَشُبْهُ بَنَانِي

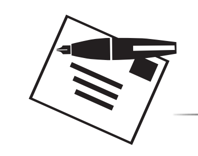
قوله : (**وَلأَحْسُمَنَّ**) وهذا هو الثامن من جواب القسم .

الحسام : بالضم السيف القاطع والمعنى: لأقطعن .

قوله : (**عَنِ الأَنَامِ مَطَامِعِي**) أي : عن الخلق حوائجي ومطالبي .

والمعنى: لأقطعن عن الخلق حوائج فلا ألجأن إلا إلى الله فهو الملجأ والمنجأ والمستعان والمستغاث .

قوله : (**بِحُسَامِ يَأْسٍ**) أي : بسيف اليأس القاطع .



قوله : (لَمْ تَشُبْهُ بَنَانِي) أي : لا تكدره بنان بمدها إليهم .

٣٠ وَلأَجْعَلَنَّ رِضَاكَ أَكْبَرَ هِمَّتِي وَلأَضْرِبَنَّ مِنَ الْهَوَى شَيْطَانِي

قوله : (**وَلأَجْعَلَنَّ رِضَاكَ أَكْبَرَ هِمَّتِي**) هذا التاسع من جواب القسم . ومعناه لأسعين جهدي وطاقتي ، ولأبذلن غاية وسعي في طلب رضاك، ومن فاز برضوانك فقد حاز الخير كله ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨ ﴾[البينة :٨] .

قوله: (**وَلأَضْرِبَنَّ مِنَ الْهَوَى شَيْطَانِي**) هذا هو العاشر من جواب القسم .

يظهر – والله أعلم – أن مراده – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – أنه سيخطم هوى نفسه وشهواتها الجسدية والروحية بمراد الله ورسوله، فلن يقدم عليهما أحد وسيعوذ بربه من شر شيطانه حتى لا يكون عليه سلطان .

وفي الحمية من الهوى والشيطان أمان من عدوين ماكرين بالإنسان ليل نهار، وقد يكون مراده –رَحِمَهُ ٱللَّهُ –لأبعدن عن شهوات نفسي الأمارة بالسوء وفي هذا الإبعاد إرغام للشيطان ودحر له .

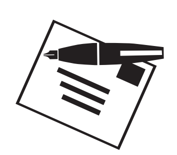
أعاذنا الله من شرور أنفسنا ومن شر الشيطان وشركه .

٣١ وَلأَكْسُوَنَّ عُيُوبَ نَفْسِي بِالتُّقَى وَلأَقْبِضَنَّ عَنِ الْفُجُورِ عِنَانِي

قوله: (**وَلأَكْسُوَنَّ**) هذا هو الحادي عشر من جواب القسم .

والكساء : هو اللباس .

قوله: (**عُيُوبَ نَفْسِي**) أي : الأخطاء والنقائص .



قوله: (**بِالتُّقَى**) أي : بفضيلة التقوى .

والتقوى تعني : امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه والتصديق بما صح من الأخبار. قال طلق بن حبيب –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– التقوى فعل أوامر الله على نور من الله ابتغاء مرضات الله ، واجتناب نواهي الله على نور من الله اتقاء عقاب الله) .

ولا شك أن التقوى لباس الباطن يغطي العيب و يجبر النقص و يستر الخطأ قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾ [الأعراف:٢٦] .

قوله: (**وَلأَقْبِضَنَّ**) وهذا هو الثاني عشر من جواب القسم .

والقبض عن الشيء : الكف عنه .

قوله: (**عَنِ الْفُجُورِ**) الفُجور : هو الميل عن الطاعة ومنه الفسق .

قوله: (**عِنَانِي**) العَنان : بالكسر : سير اللجام الذي تُمسك به الدابة .

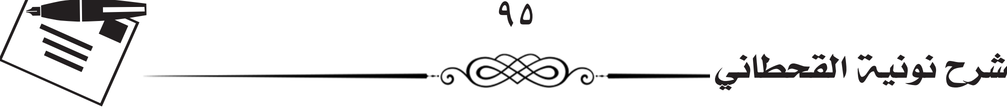
والمعنى المراد : لأخطمن نفسي وأزمها بالكف عن الآثام والمعاصي كما تخطم الناقة بزمامها .

٣٢ وَلأَمْنَعَنَّ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا وَلأَجْعَلَنَّ الزُّهْدَ مِنْ أَعْوَانِي

قوله: (**وَلأَمْنَعَنَّ**) وهذا هو الثالث عشر من جواب القسم .

والمنع: هو الحجر إذ أن المانع هو الحاجب والحاجز .

قوله: (**النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا**) مما لا يخفى أن للنفس شهوات ونزوات ورغبات فمن أطلق لها العنان أوبقته ومن حجزها أعتقته وإنما يكون حجزها بترويضها على الطاعات وجهادها عن المعاص والسيئات.



قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس:٧-١٠] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات:٤٠-٤١] .

قوله: (**وَلأَجْعَلَنَّ**) وهذا هو الرابع عشر من جواب القسم .

قوله: (**الزُّهْدَ مِنْ أَعْوَانِي**) أي : سأتخذ من الزهد عوينًا ونصيرًا ومساعدًا لي على كبح شهواتي .

والزهد لغة : الإعراض عن الشيء وتركه .

اصطلاحا: انصراف الرغبة عن الشيء المرغوب فيه إلى ما هو خير منه .(١)

٣٣ وَلأَتْلُوَنَّ حُرُوفَ وَحْيِكَ فِي الدُّجَى   وَلأُحْرِقَنَّ بِنُورِهِ شَيْطَانِي

قوله: (**وَلأَتْلُوَنَّ**) وهذا هو الخامس عشر من جواب القسم .

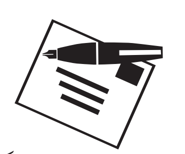
التلاوة لغة: التتابع .

اصطلاحا: قراءة القرآن وفق أحكام التجويد .

قوله: (**حُرُوفَ وَحْيِكَ**) الوحي لغة: الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه ، بحيث يخفى على غيره .(٢)

---

(١) الزهد ، للإمام أحمد (ص١٠) .
(٢) مباحث في علوم القرآن (ص ٣٢-٣٣) .



شرعاً : كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه والمراد به - هنا- القرآن الكريم.

قوله: (**فِي الدُّجَى**) أي: في ظلام الليل - ويالله - ما أجمل السهر مع كتاب الله وترنم آياته وتدبر أحكامه وأخباره .

قوله: (**وَلأُحْرِقَنَّ**) وهذا هو السادس عشر من جواب القسم .

الحريق : النار المشتعلة .

قوله: (**بِنُورِهِ**) أي: بنور القرآن .

قوله: (**شَيْطَانِي**) أي: عدوي من الجن .

والمعنى العام: أن القرآن من أعظم الحروز وأمنع الحصون من الشيطان به يحرق وبه يهلك .

٣٤ أَنْتَ الَّذِي يَا رَبِّ قُلْتَ حُرُوفَهُ وَوَصَفْتَهُ بِالْوَعْظِ وَالتِّبْيَانِ

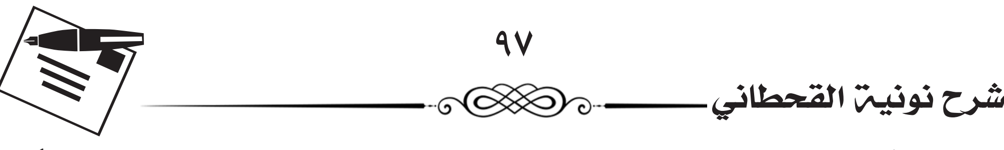
قوله: (**أَنْتَ الَّذِي يَا رَبِّ قُلْتَ حُرُوفَهُ**) يخاطب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ربه بضمير المخاطب (أنت) قائلاً : أنت الله المتكلم بالقرآن حروف ومعان .

قوله: (**وَوَصَفْتَهُ**) أي: نعته .

قوله: (**بِالْوَعْظِ**) أي: بأنه كتاب موعظة ، والموعظة : ما يُوعظ به من قول أو فعل .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ ﴾ [يونس:٥٧] .

قوله: (**وَالتِّبْيَانِ**) بان الشيء بيانا - تبيينا - وتبيانا - إذا ظهر واتضح .



والقرآن كتاب بيان وظهور ووضوح لا لبس فيه ، قال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [آل عمران : ١٣٨] .

حقا : إن القرآن الكريم أعظم موعظة للقلوب الحية ، وهو كتاب واضح جليل لا خفاء فيه ولا غموض ، به عُرف به الحلال من الحرام ، وميز الخبيث من الطيب ووضح الحق من الباطل : ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٥] .

٣٥ وَنَظَمْتَهُ بِبَلاَغَةٍ أَزَلِيَّةٍ تَكْيِيفُهَا يَخْفَى عَلَى الأَذْهَانِ

قوله: (**وَنَظَمْتَهُ**) النظم : بمعنى حُسن الترتيب والتنسيق ، ونظمه : جمعه، أي ضم بعضه إلى بعض .

قوله: (**بِبَلاَغَةٍ**) البلاغة : الفصاحة في الكلام وقوة تأثيره ونفوذه إلى قلب السامع .

قوله: (**أَزَلِيَّةٍ**) أي : قديمة .

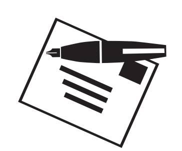
قوله: (**تَكْيِيفُهَا**) أي : تكييف ترتيبه وتنسيقه .

قوله: (**يَخْفَى عَلَى الأَذْهَانِ**) أي : مما لا يدرك بالعقول .

والمعنى العام: أن القرآن الكريم كتاب مقدس منظوم في سوره وآياته وحروفه، سهل في ألفاظه ومعانيه ،نافذ قوي في تأثيره ،تحير الأذهان وتعجز العقول عن وصفه وبيان حاله ، كيف لا وهو صفة الرحمن ؟! .

وصفات الله – سبحانه وتعالى – لا يُحاط بها علماً ، قال – تعالى – : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [طه:١١٠].

إذ العقول البشرية قاصرة عاجزة عن إدراك كنهها جملة وتفصيلاً ، والقرآن



الكريم قد أعيا البلغاء وأعجز الفصحاء أقحاح العربية الفطناء فتحداهم أن يأتوا بمثله أو بمثل بعضه، قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء :٨٨] .

ثم تواطأ معهم متحديًا أن يأتوا بعشر سُور ، قال تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [هُود:١٣] .

ثم تواطأ معهم متحديًا أن يأتوا بسُورة واحدة من مثله ، قال تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٣] .

فعجزوا عن ذلك كله فهذه أدلة كافيه وبراهين شافية على أنه معجز في بيانه ولقد شهد على ذلك أعدائه والحق ما شهدت به الأعداء فهذا الوليد ابن المغيرة المخزومي يقول فيه....: « والله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة ،وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله وأنه ليعلوا وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته » .[١]

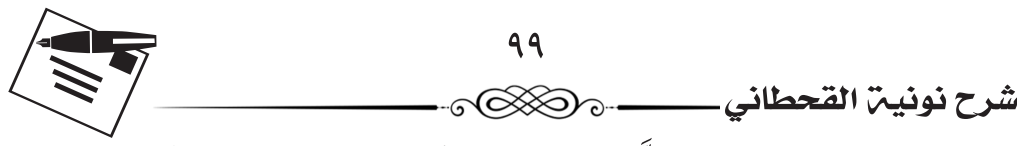
٣٦ وَكَتَبْتَ فِي اللَّوْحِ الْحَفِيظِ حُرُوفَهُ ‏ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْخَلْقِ فِي أَزْمَانِ

قوله: (وَكَتَبْتَ) كتابة وكتابا: أي مكتوب .

قوله: (فِي اللَّوْح الْحَفِيظِ حُرُوفَهُ) أي: في اللوح المحفوظ قال الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البروج:٢١-٢٢] .

قوله: (مِنْ قَبْلِ خَلْقِ الْخَلْقِ فِي أَزْمَـانِ) وهذا هو ما أخبر به النبي

(١) أخرجه الحاكم وصححه من حديث ابن عباس – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا – .



-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، يَقُولُ : « **كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، قَالَ : وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ** » (١).

٣٧ فَــاللهُ رَبِّي لَمْ يَــزَلْ مُتَكَلِّمًا ... حَقًّا إِذَا مَا شَاءَ ذُو إِحْسَانِ

قوله: (**فَاللهُ رَبِّي**) الله : لفظ الجلالة علم على الذات الإلهية مشتق من الإله وحذفت الهمز للتخفيف .

ربي : الرب اسم من أسمائه -تعالى- ومنه توحيد الربوبية : الذي يعني توحيد الله بأفعاله .

قوله: (**لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا**) أي : مستمرًا في كلامه وهذه صفة ذاتيه له -تعالى- بإجماع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين ففي الصحيحين من حديث عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ** » (٢).

قوله: (**حَقًّا إِذَا مَا شَاءَ**) أي : أنه متى شاء تكلم .

وعليه: فكلام الله صفة له ذاتية فعلية .

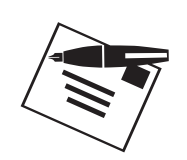
ومعنى ذاتية: أي: أنه لم يزل ولا يزال متكلماً .

ومعنى فعلية: أي: أنه يتكلم متى شاء -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- كلامًا يليق بجلاله، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل.

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الشيخان ، واللفظ للبخاري .



٣٨ نَادَى بِصَوْتٍ حِينَ كَلَّمَ عَبْدَهُ   مُوسَى فَأَسْمَعَهُ بِلاَ كِتْمَانِ

قوله:(**نَادَى بِصَوْتٍ**)الصوت:عبارة عن كلمات مؤلفة من حروف مسموعة.

قوله:(**حِينَ كَلَّمَ عَبْدَهُ مُوسَى**) قال – تعالى– : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ﴾ [النازعات:١٥-١٦] .

قوله:(**فَأَسْمَعَهُ بِلاَ كِتْمَانِ**) أي: أسمعه بصوت ليس فيه خفاء ولا كتمان، قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[النساء:١٦٤] .

والدليل على أنه كلمه بمشيئته ، قول الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف:١٤٣] ، فالتكليم حصل بعد مجيئ موسى فدل على أنه متعلق بمشيئته .

والدليل على أنه حروف قوله تعالى :﴿ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ [طه :١١-١٢] .

فإن هذه الكلمات حروف وهي كلام الله

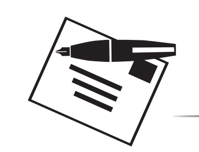
والدليل على أنه بصوت قوله تعالى : ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾ [مريم :٥٢] ، والنداء والمناجاة لا تكون إلا بصوت .

٣٩ وَكَـذَا يُنَادِي فِي الْقِيَامَةِ رَبُّنَا   جَهْرًا فَيَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلاَنِ

قوله:(**وَكَذَا يُنَادِي فِي الْقِيَامَةِ رَبُّنَا**) أي:كذلك ينادي ربنا عباده يوم القيامة.

قوله:(**جَهْرًا**) أي: بصوت مسموع .

قوله:(**فَيَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلاَنِ**) أي: يسمعه صوته الجن والإنس .



٤٠ أَنْ يَا عِبَادِي أَنْصِتُوا لِي وَاسْمَعُوا   قَـوْلَ الإِلَـهِ المُـالِـكِ الدَّيَّانِ

قوله:(**أَنْ يَا عِبَادِي أَنْصِتُوا لِي وَاسْمَعُوا**) قيل : الانصات والاستماع بمعنى واحد فيقال :انصت أي: استمع .

و يقال: الإنصات أبلغ من مجرد الإستماع إذ الإنصات استماع بتفهم وتدبر لما تسمعه بينما الإستماع مجرد إلقاء السمع للمتكلم .

قوله:(**قَوْلَ الإِلَهِ المُالِكِ الدَّيَّانِ**) هذه ثلاثة من اسماء الله الحسنى:

١- الإله : وهو المعبود بحق المستحق للعبادة وحده دون غيره

٢- المالك : ملكه عن أصالة واستحقاق فالملك له عند انشاء الخلق والملك له عند زوال الخلق .

٣- الديان: هو الذي انقاد له الخلق وخضعوا له المجازي عباده على ما فعلوا.

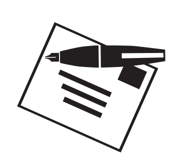
٤١ هَـذَا حَدِيثُ نَبِيِّنَا عَـنْ رَبِّـهِ   صِدْقًا بِلاَ كَـذِبٍ وَلاَ بُهْتَانِ

لعل الحديث المشار إليه والله أعلم هو ما رواه عبد الله بن أُنَيْس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنَّه قال:« **يَحْشُرُ الله الخلائقَ يومَ القيامَةِ فيُنادِيهم بصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا المِلِكُ، أَنَا الدَّيَّان** » .(١)

٤٢ لَسْنَا نُشَبِّهُ صَوْتَهُ بِكَلاَمِنَا   إِذْ لَيْسَ يُـدْرَكُ وَصْفُهُ بِعِيَانِ

قوله:(**لَسْنَا نُشَبِّهُ صَوْتَهُ بِكَلاَمِنَا**) هذا فيه بيان لعقيدتنا الصافية في صفات

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ، وعلقه في الصحيح بصيغة التمريض (١/ ٣٣٧) وأحمد في المُسند (٣/ ٤٩٥) .



الله وهي : اثباتنا لها من غير تشبيه ولا تمثيل وتنزيهنا لها من غير تعطيل .

قال نعيم بن حماد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :«من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر» .[١]

والتشبيه :ذكرالصفة مقيدة بمشابه . والله تعالى يقول: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[الشورى:١١] .

قوله:(**إِذْ لَيْسَ يُدْرَكُ وَصْفُهُ بِعِيَانِ**) نعم: صفات الله لا تدرك بالمعاينة .

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾[الشورى:١١] .

والمعاينة : مصدر عاين الشيء عيانًا إذا رآه بعينه .

٤٣ لاَ تَحْصُرُ الأَوْهَامُ مَبْلَغَ ذَاتِهِ   أَبَدًا وَلاَ يَحْوِيهِ قُطْرُ مَكَانِ

قوله:(**لاَ تَحْصُرُ**) -بفتح التاء وضم الصاد المهملة - أي: لا تعد ولا تحصى .

قوله:(**الأَوْهَامُ**) جمع وهم وهو ما يقع في الذهن من الخاطر .

قوله:(**مَبْلَغَ**) المبلغ: المنتهى .

قوله:(**ذَاتِهِ**) الذات : النفس .

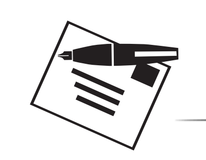
ومراده - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أن ذاته تعالى لا تستطيع الأذهان أن تنتهي أو تبلغ إلى إدراكه ،فكل تصور يطرأ على الذهن والخاطر في كيفيته فإنه تصور خاطئ، إذ الله فوق ذلك كله .

قال الإمام الطحاوي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: « لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام» .

قال ابن أبي العز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في شرحه للطحاوية: «فالله سبحانه لا يعلم كيف هو إلا هو، وإنما نعرفه سبحانه بصفاته وهو أنه أحد صمد لم يلد ولم

---

(١) شرح الطحاوية (ص ٥٩) .



يولد ولم يكن له كفوا أحد ».(١)

قوله:(**أَبَدًا وَلاَ يَحْوِيهِ قُطْرُ مَكَانِ**) أي: قط لا تحويه جهة ولا مكان، فهو محيط بكل شيء ولا يحيط به شيء .

قال – تعالى – : ﴿ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾ ﴾ [فصلت:٥٤] .

وإحاطته – سبحانه وتعالى – إحاطة عظيمة وسعة علمه وقدرته .

٤٤ وَهُوَ المُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ   مِنْ غَـيْرِ إِغْفَالٍ وَلاَ نِسْيَانِ

قوله:(**وَهُوَ المُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ**) أي: أنه سبحانه قد أحاط بكل شيء علما فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء قال تعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام:٥٩].

وقال تعالى : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ:٣].

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾ [ق:١٦].

وقال تعالى : ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ [طه :٧].

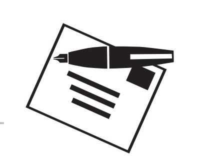
قوله:(**مِنْ غَيْرِ إِغْفَالٍ**) أي: غفل عن الشيء –غفلة– وغفولا : سهى من قلة التحفظ والتيقظ .

قوله:(**وَلاَ نِسْيَانِ**) النسيان: الذهول والغفلة،هاتان صفتان سلبيتان والصفة السلبية: هي التي نفاها الله عن نفسه لكمال ضدها ، كالموت والظلم والنوم.

قال تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

والسِنة: الوسن والنعاس .

(١) شرح الطحاوية (ص ٥٨) .



وفي الصحيح عن أبي موسى -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قام فينا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأربع كلمات فقال: « **إنَّ اللهَ لا يَنَام وَلا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَام**» .(١)

وعليه : فإننا نعتقد سعة علم الله وكماله الذي لا يعتريه غفلة ولا نسيان .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[المجادلة:٧] .

٤٥ مَنْ ذَا يُكَيِّفُ ذَاتَـهُ وَصِفَاتِهِ وَهُوَ الْقَدِيمُ مُكَوِّنُ الأَكْوَانِ

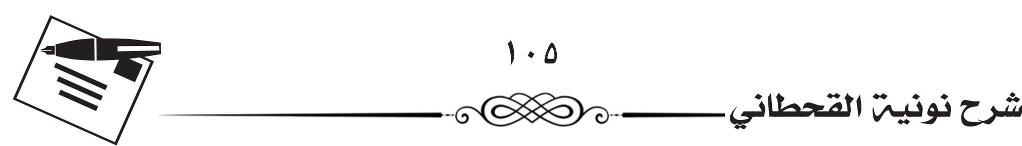
قوله : (**مَنْ ذَا يُكَيِّفُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ**) التكييف هو: أن تذكر كيفية الصفة والسؤال عنها بكيف ؟ وصفات الله يحرم تكييفها لأنه لا يعلم ذاته وصفاته إلا هو سبحانه ، قال الله: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[الإسراء:٥٥].

والدليل على حرمة ذلك قول الله تعالى :﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾** ﴾[الأعراف:٣٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[الإسراء:٣٦] .

فالخوض في تكييف الصفات ضرب من القول على الله بلا علم بل هو من أبشعه وأفحشه، ثم إن الصحابة - رضوان الله عليهم- وهم أحرص الناس على الحق وعلى سبل الخير لم يسألوا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أبدًا عن ذات الله ولا عن كيف صفاته فالواجب أن يسعنا ما وسعهم ، ومن لم يسعه ذلك فلا وسع الله عليه وهذا إمام دار الهجرة مالك ابن أنس - رَحِمَهُ اللَّهُ - لما سئل عن الإستواء بكيف ، أجاب بعد أن أطرق برأسه مليًا وعلته الرحضاء لبدعة

(١) رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .



السؤال وشدته قائلاً : « الإستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة» ، ثم أمر بصاحب السؤال أن يُطرد فطرد، وقال: « ما أراه إلا مبتدعاً » .

انظر إلى هذا الجواب السديد الذي أصبح ميزانًا في جميع صفات الله بأن تكييفها مجهولة لدينا .

قوله : (**وَهُوَ الْقَدِيمُ**) القديم: ليس من أسماء الله تعالى وإنما ذكره كثير من العلماء ليثبتوا به وجوده قبل كل شيء ، ومن المعلوم أن أسماء الله توقيفية لا يجوز إثبات شيء منها إلا بالنص لا بمجرد الرأي ، وهذا ما نص عليه السلف الصالح ، ولفظ القديم في اللغة العربية يفيد المتقدم على غيره وإن كان مسبوقًا بعدم كما قال–سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ– : ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ٣٩ ﴾ [يس:٣٩] .

فإنه إذا وجد الجديد قيل لسابقه قديم .

وعليه : فلا ينبغي عده في أسماء الله الحسنى لعدم ثبوته من جهة النقل ويغني عنه اسمه الأول كما قال الله –تعالى–: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ﴾ [الحديد:٣] .

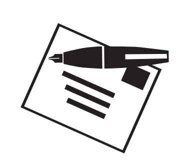
وقد ذكر ابن مانع عن ابن القيم –رَحِمَهُمَاٱللَّهُ– في البدائع أنه يوصف سبحانه بالقدم إخبارا وباب الإخبار أوسع من باب الصفات التوقيفية

قال ابن القيم –رَحِمَهُٱللَّهُ– في نونيته:

وهو القديم فلم يزل بصفاته   متوحدًا بل دائم الإحسان [1]

قوله : (**مُكَوِّنُ الأَكْوَانِ**) أي: أخرج هذا الكون من العدم إلى الوجود .

(١) انظر حاشية شرح الطحاوية (ص ٥٢-٥٣) .



٤٦ سُبْحَانَهُ مَلِكًا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى   وَحَوَى جَمِيعَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ

قوله : (**سُبْحَانَهُ**) سبق بيان معنى التسبيح في البيت رقم (٢٥) .

قوله : (**مَلِكًا**) سبق بيان ذلك في البيت رقم (٣٩) .

قوله : (**عَلَى الْعَرْشِ**) العرش لغة: سرير الملك، ومعلوم أن السرير الذي يختص به الملك سيكون سريرا عظيما فخماً.

شرعًا : هو السقف المحيط بالمخلوقات ولا نعلم مادة هذا العرش ورد ذلك عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- . [١]

قوله : (**اسْتَوَى**) أهل السُنَّة والجماعة يؤمنون بأن الله تعالى مستو على عرشه، استواء يليق بجلاله ولا يماثل صفات المخلوقين .

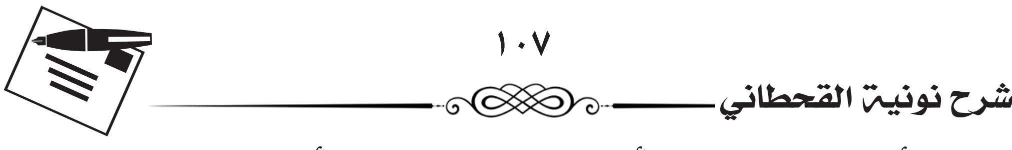
ومعنى الاستواء عند أهل السُنَّة والجماعة : العلو والاستقرار ، ولا يلزم من استوائه على العرش أن يكون محيطا به، لأن الله سبحانه أعظم من كل شيء، ولا يلزم من استوائه على العرش أن يكون محتاجًا إليه .

ولقد فسر أهل التعطيل الإستواء بأن المراد به الإستيلاء، ولا شك أن تفسيرهم مخالف لتفسير السلف الصالح، فلم يقله أحد من السلف، ومخالف لظاهر اللفظ ، و يلزم على تفسيرهم هذا لوازم باطلة منها :

١- أن يكون الله حين خلق السماوات والأرض ليس مستو على عرشه فيلزم أن يكون العرش قبل تمام خلق السماوات والأرض لغير الله .

٢- أن الغالب من كلمة (استولى) أنها لا تكون إلا بعد مغالبة ولا أحد يغالب الله .

(١) شرح الواسطية لابن عثيمين (ص ٢٠) .



٣- أن الله استوى على الأرض والشجر والجبال لأنه مستولي عليها.

وهذه اللوازم باطلة ، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم .

قوله : **(وَحَوَى جَمِيعَ المُلْكِ)** أي : ملك كل المملوكات فكل مملوك لخلقه فهو ملك مقيد يلحق به زوال ، وملكه سبحانه لجميع الملوك والمملوكات ملكًا مطلقًا لم يسبقه عدم ولا يلحق به زوال .

قوله : **(وَالسُّلْطَانِ)** أي : قدرة الملك الذي لا يغلبه على ملكه أحد .

٤٧ وَكَلامُهُ الْقُرْآنُ أَنْزَلَ آيَهُ وَحْيًا عَلَى الْمَبْعُوثِ مِنْ عَدْنَانِ

قوله : **(وَكَلامُهُ الْقُرْآنُ أَنْزَلَ آيَهُ)** قال ابن مانع -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: « القرآن الكريم كلام الله ،منزل غير مخلوق ألفاظه ومعانيه عين كلام الله سمعه جبريل من الله والنبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهو المكتوب في المصحف المحفوظ في الصدور المتلو بالألسِنَة.

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في نونيته:

وكذلك القرآن عين كلامه المسموع منه حقيقة ببيان

هو قول رب كله لا بعضه لفظا ومعنى ما هما خلقان

تنزيل رب العالمين ووحيه اللفظ والمعنى بلا روغان

قوله : **(وَحْيًا)** سبق بيان ذلك في البيت رقم (٣٣) .

قوله : **(عَلَى المَبْعُوثِ)** من البعثة والبعثة تعني :الرسالة وهي أول نزول الوحي عليه .



فهو المبعوث برسالة الإسلام قال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٤] .

وكانت بعثته -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في شهر رمضان وعمره حينئذ في الأربعين وذلك في غار حراء ، وأول ما نزل عليه من القرآن صدر سورة العلق .

قوله : **(مِنْ عَدْنَانِ)** عدنان : هو جدّه الذي يتصل به نسبه به فهو : محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قص بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خز يمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ويتصل نسب عدنان بإسماعيل بن إبراهيم -عليهما وعلى نبينا السلام- .

٤٨ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ خَيْرَ صَلاَتِهِ مَا لاَحَ في فَلَكَيْهِمَا الْقَمَرَانِ

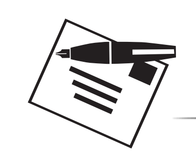
قوله : **(صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ خَيْرَ صَلاَتِهِ)** لصلاة من الله على نبيه تعني : ثناؤه عليه في الملأ الأعلى ، والصلاة منا على رسول الله تعني : طلب الثناء عليه من الله في الملأ الأعلى ، أما من فسر الصلاة على رسول الله أنها من الله (الرحمة) ، فلا يصح لقول الله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ [البقرة:١٥٧] .

فسيكون المعنى على هذا القول: أولئك عليهم رحمات من ربهم ورحمة وهذا لا يستقيم بل هو مخالف لما هو الأصل في الكلام التأسيس لا التأكيد، فإذا قلنا أن المعنى : أي : رحمات من ربهم ورحمة ، صار عطف مماثل على مماثل .[١]

قوله : **(مَا لاَحَ)** أي : ما بدا وظهر .

---

(١) شرح البيقونية (ص ١٥) .



قوله : (فِي فَلَكَيْهِمَا) أي : في مطلعيهما ومداريهما .

قوله : (الْقَمَرَانِ) أي : أي: الشمس والقمر فيقال عن الشمس والقمر (القمران) تغليبًا كما يقال :عن الظهر والعصر الظهران ، وعن أبي بكر وعمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- (العُمران) كل ذلك تغليبًا .

٤٩ هُوَ جَاءَ بِالْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ الَّذِي لاَ تَعْتَرِيهِ نَوَائِبُ الْحَدَثَانِ

قوله : (هُوَ) أي: رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

قوله : (جَاءَ بِالْقُرْآنِ) الباء هنا :تفيد المصاحبة أي: جاء مصاحبًا لكتاب الله -تعالى- .

قوله : (مِنْ عِنْدِ الَّذِي) الذي: اسم موصول والمراد به هنا الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

قوله : (لاَ تَعْتَرِيهِ) أي: لا تصيبه .

قوله : (نَوَائِبُ) أي: نوازل .

قوله : (الْحَدَثَانِ) أي: الليل والنهار .

وعليه: فالقرآن الكريم: صفة لله -تعالى- لا يتغير ولا يتحول ولا يؤثر عليه حدث، ولا يعتريه نقص .

٥٠ تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَحْيُهُ بِشَهَادَةِ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ

قوله : (تَنْزِيلُ) فيه أثبات:

١- أن القرآن منزل غير مخلوق .



٢- صفة العلو لله -تعالى- إذ النزول لا يكون إلا من جهة العلو.

قوله : (**رَبِّ**) الرب: هو الذي يربي خلقه و ينشئهم شيئًا فشيئًا .

و يربي أوليائه بما يصلح قلوبهم ، وهو: الخالق المالك السيد

وربوبية الله لخلقه على نوعين :

١- ربوبية عامة لجميع الخلق : بالرزق والنعم التي بها صلاح الدنيا .

٢- ربوبية خاصة للمؤمنين ومعناها: التر بية والتوفيق لكل خير والعصمة من كل شر.

والتربية: هي تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا .

قوله :(**الْعَالَمِينَ**) جمع عالم وهو: كل من سوى الله أو كل المخلوقين فالملائكة عالم، والبشر عالم، والجن عالم، ، والنبات عالم، والبحار عالم، و الطير عالم، وهكذا ....

قوله : (**وَوَحْيُهُ**) سبق بيانه في البيت رقم(٣٣) .

قوله : (**بِشَهَادَةِ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ**) الأحبار: جمع حبر والمراد بهم علماء اليهود ، والرهبان :جمع راهب والمراد بهم عباد النصارى .

قال الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ﴾ [التوبة : ٣٤] .

قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣١] .

أما الدليل عل شهادتهم فقول الله -تعالى- :﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ ﴾[الأحقاف:١٠] .



٥١ وَكَــلاَمُ رَبِّي لاَ يَجِـيءُ بِمِثْلِهِ أَحَدٌ وَلَوْ جُمِعَتْ لَهُ الثَّقَلاَنِ

سبق بيان ما يعنيه هذا البيت في البيت رقم(٣٥) .

٥٢ وَهُوَ المُصُونُ مِنَ الأَبَاطِلِ كُلِّهَا وَمِنَ الزِّيَادَةِ فِيهِ وَالنُّقْصَانِ

قوله : (**وَهُوَ المُصُونُ**) المصون : أي المحفوظ .

قوله : (**مِنَ الأَبَاطِلِ كُلِّهَا**) الأباطل : جمع باطل وهو ضد الحق .

قوله : (**وَمِنَ الزِّيَادَةِ فِيهِ**) أي: أنه محفوظ من الزيادة فلا حشو فيه ولا يستغنى عن حرف واحد من أحرفه، وهو كامل مكمل بذاته .

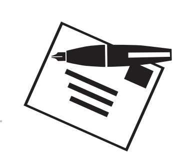
قوله : (**وَالنُّقْصَانِ**) أي: أنه مصون من النقصان ، غني بذاته ، لا يحتاج إلى إضافة حرف واحد عليه .

وليعلم: أنه لو جهد من في السماوات ومن في والأرض لحذف شيء منه أو إضافة شيء عليه لكانوا أعجز العاجزين إذ هو صفة رب العالمين تكفل – سبحانه – بحفظه من الزيادة عليه أو من الحذف منه فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ [الحجر:٩] .

ومن اعتقد أن في القرآن كلامًا يمكن الإستغناء عنه ، أو أن فيه قصورًا يحتاج إلى تكميل فقد ضل ضللاً مبينًا .

وخلاصة القول: أن القرآن محفوظ من أمور ثلاثة:

١- من الباطل . ٢- ومن الز يادة . ٣- ومن النقصان .



٥٣ مَنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنْ يُبَارِيَ نَظْمَهُ   وَيَـرَاهُ مِثْلَ الشِّعْرِ وَالْهَذَيَانِ

قوله : (**مَنْ كَانَ يَزْعُمُ**) أي: من كان يظن و يعتقد . ومن هنا شرطية تفيد التحدي وجوابها في البيتين التاليتين .

قوله : (**أَنْ يُبَارِيَ**) أي: يشابه ويناظر .

قوله : (**نَظْمَهُ**) أي: ما ينظمه من الشعر .

قوله : (**وَيَرَاهُ مِثْلَ الشِّعْرِ وَالْهَذَيَانِ**) أي: ويظن برأيه السقيم أن القرآن من قبيل الشعر والهذيان .

٥٤ فَلْيَأْتِ مِنْهُ بِسُـورَةٍ أَوْ آيَةٍ   فَإِذَا رَأَى النَّظْمَيْنِ يَشْتَبِهَانِ

قوله : (**فَلْيَأْتِ مِنْهُ بِسُورَةٍ أَوْ آيَةٍ**) أي: فليأت بسورة واحدة من مثل القرآن أو بآية إن استطاع ، وليس بمستطيع ، قال الله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يونس:٣٨] .

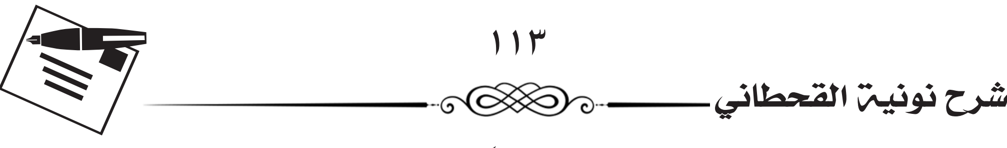
قوله : (**فَإِذَا رَأَى**) أي: بهواه ورأيه السقيم .

قوله : (**النَّظْمَيْنِ**) أي: القرآن الكريم الذي تكلم به -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وجمعه في صدر نبيه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأحسن ترتيب كلماته وآياته وسوره، وسواه بما ينظمه من شعره ونثره الذي لا يخلو من عيب ونقص وحشو وباطل .

قوله : (**يَشْتَبِهَانِ**) أي: يتماثلان أو يتقاربان .

٥٥ فَلْيَنْفَرِدْ بِاسْمِ الأُلُوهَةِ وَلْيَكُنْ   رَبَّ الْبَرِيَّةِ وَلْيَقُلْ سُبْحَانِي

قوله : (**فَلْيَنْفَرِدْ بِاسْمِ الأُلُوهَةِ**) أي: فليدع إلى عبادته إذ الألوهية تعني



االعبودية فإنه لن يكون من قال مثل القرآن عبدا بل معبودا يجب عبادته وحده دونما سواه .

قوله: (**وَلْيَكُنْ رَبَّ الْبَرِيَّةِ**) أي: إن استطاع نظم سوره أو آية كالقرآن فليكن هو الرب القائم على خلقه أبدًا وأزلاً ، وليكن له التفرد بالربوبية خلقًا وملكًا وتدبيرًا أولاً وآخرًا ظاهرًا وباطنًا وأنى يكون هذا لغير الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- .

قوله: (**وَلْيَقُلْ سُبْحَانِي**) أي: من أدعى قدرته على مشابهة القرآن في آية أو سورة ، فلينزه نفسه عن النقائص والعيوب التي تلازم كل من سوى الله -تعالى- كالحاجة إلى الطعام والشراب ، والنوم والصاحبة والولد ، والمرض والموت والجهل ، ونحو ذلك مما لا يبرأ منه مخلوق البتة .

٥٦ فَإِذَا تَنَاقَضَ نَظْمُهُ فَلْيَلْبَسَنْ ثَوْبَ النَّقِيصَةِ صَاغِرًا بِهَوَانِ

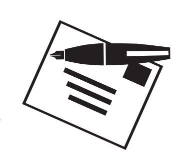
قوله: (**فَإِذَا تَنَاقَضَ**) أي: اختلف وتعارض .

قوله: (**نَظْمُهُ**) أي: ما نظمه من أشعاره وهذا مما لا شك فيه أن كل كلام سوى كلام الله -تعالى- ورسوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يخلو من تعارض أو نحوه من العيوب والنقائص .

قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء٨٢] .

فمهما استفرغ المرء وسعه وبذل جهده وطاقته من أجل أن ينظم أو ينثر كلاما سالما من الزيادة والزلل والنقص والتعارض فأنى له ذلك ؟ ، إذ: النقص في أصل الطبيعة حاصل والكمال لغير ذي الجلال من أمحل المحال.

وعليه: فكل منظوم أو منثور قاله البلغاء ، ونطق به الفصحاء ، وسالت



به يراع الأذكياء، في الماض والحاضر والمستقبل لن يسلم من عشرة ، فإذا علم هذا يقينا : وجب على الإنسان كل الإنسان أن يعترف بنقصه، إذ أتم الناس أعرفهم بنفسه .

قوله: (**فَلْيَلْبَسَنْ ثَوْبَ النَّقِيصَةِ صَاغِرًا بِهَوَانِ**) أي: فليرتدي ثوب النقص الذي لا يسلم منه بشر قال الله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾ [فاطر:١٥] .

والصغار هو: الذل والانكسار ومنه قول الله –تعالى- : ﴿ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩ ﴾ [التوبة:٢٩] ، أي : أذلاء لحكم الإسلام .

الهوان: هو الضعف ومنه قول الله –تعالى- : ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ ﴾ [محمد:٣٥] .

وقول الله–تعالى-:﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ ﴾ [آل عمران :١٣٩] .

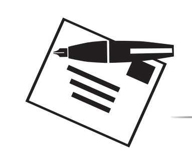
٥٧ أَوْ فَلْيُقِرَّ بِـأَنَّـهُ تَنْزِيلُ مَنْ سَـمَّاهُ فِي نَصِّ الْكِتَابِ مَثَانِي

قوله : (**أَوْ فَلْيُقِرَّ**) أي: ليعترف اعتراف المقر بقلبه المصدق بأعماله .

قوله : (**بِأَنَّهُ تَنْزِيلُ**) أي: بأن القرآن الكريم منزل من لدن حكيم حميد .

قوله : (**سَمَّاهُ فِي نَصِّ الْكِتَابِ مَثَانِي**) مراده قول الله –تعالى- :﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾[الزمر:٢٣]. .

ومعنى :﴿ مَّثَانِيَ ﴾أي : تثن فيه القصص وتكرر فيه المواعظ والأحكام .



وقيل: يثنى من التلاوة فلا يمل سامعه ولا يسأم قارئه.

٥٨ لاَ رَيْـبَ فِيهِ بِـأَنَّـهُ تَنْزِيلُهُ وَبِـدَايَـةُ التَّنْزِيلِ في رَمَضَانِ

قوله: (**لاَ رَيْبَ فِيهِ**) أي: لا شك ولا مرية ولا ريبة.

قوله: (**بِأَنَّهُ تَنْزِيلُهُ**) أي: بأن القرآن تنزيل من الرحمن الرحيم، قال الله: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾[السجدة:١-٢].

قوله: (**وَبِدَايَةُ التَّنْزِيلِ فِي رَمَضَانِ**) وهذا حق ثابت، قال الله: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥].

وأول ما نزل الوحي على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين كان يتعبد في غار حراء وكان ذلك في شهر رمضان (١).

٥٩ اللهُ فَـصَّـلَـهُ وَأَحْـكَـمَ آيَـهُ وَتَـلاَهُ تَـنْـزِيـلاً بِـلاَ أَلْحَـانِ

قوله: (**اللهُ فَصَّلَهُ**) التفصيل بمعنى: التمييز والتبيين.

قوله: (**وَأَحْكَمَ آيَهُ**) الإحكام: الإتقان والإحسان.

ومعنى ذلك: أن الله فصل القرآن وبينه بيانا في أعلى أنواع البيان بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب والعقائد والأحكام والإنشاء والإخبار ونحو ذلك في الوقت الذي أحكمه غاية الإحكام لا نقص فيه فهو صادق في أخباره عادل في أوامره ونواهيه، فصيح في ألفاظه، بهي في معانيه، خال من التناقض، صالح لكل زمان ومكان.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه بنحوه.



قال الله تعالى : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾ [هود:١] .

قوله : **(وَتَلاَهُ تَنْزِيلاً)** أي: تابعه فهو متتابع في تنزيل سوره وآياته وقصصه وأحكامه .

قوله : (**بِلاَ أَلْحَانِ**) اللحن هو الخطأ يقال : فلان ألحن في كلامه أي مال به عن الصواب والمراد أن الله -تعالى- أنزل القرآن متتابعًا من غير حدوث خطأ في ألفاظه وأحكامه ومبانيه ومعانيه .

٦٠ هُوَ قَوْلُهُ وَكَلاَمُهُ وَخِطَابُهُ ... بِفَصَاحَةٍ وَبَلاَغَةٍ وَبَيَانِ

٦١ هُوَ حُكْمُهُ هُوَ عِلْمُهُ هُوَ نُورُهُ ... وَصِرَاطُهُ الْهَادِي إِلَى الرِّضْوَانِ

عرف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- القرآن الكريم بأوصافه المذكورة في البيتين الآنفتين .

قوله : **(هُوَ قَوْلُهُ)** القول: عبارة عن كلام يشتمل على حروف وأصوات مسموعة وهذا هو الكلام المعهود الذي ينطق به المتكلم لا مجرد ما يضمره في نفسه والدليل على أنه حروف قوله تعالى : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٢ ﴾ [طه : ١١-١٢] .

فإن هذه الكلمات حروف والدليل على أنه بصوت قوله تعالى :﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيًّا ٥٢ ﴾[مريم : ٥٢] .

والنداء والمناجاة لا تكون إلا بصوت .

والدليل على أنه مسموع ما رواه البخاري في الأدب المفرد وعلقه في صحيحه بصيغة التمريض من حديث عبد الله بن أنيس-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ-عن النبي

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: « **يحشر الله الخَلَائِقَ فَيُنَادِيْهِم بِصَوْت يَسْمَعُهُ من بعد كَمَا يَسْمَعُهُ من قَرب أَنَا الملِكُ أَنَا الدَّيْان** »[1].

قوله : (**وَكَلَامُهُ**) سبق بيان ذلك في البيت رقم (١) .

قوله : (**وَخِطَابُهُ**) لا شك أن القرآن كلام الله -تعالى- خاطب به نبيه عن طريق أمين وحيه جبريل وهو خطابه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لعامة عباده أمرًا ونهيًا وإخبارًا .

قوله : (**بِفَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ وَبَيَانِ**) هذه ثلاثة أوصاف مترادفة وصف بها القرآن الكريم من أنه كتاب واضح بين قال الله : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٧٤] .

للمزيد من الفائدة عد إلى البيت رقم (٣٥) .

قوله:(**هُوَ حُكْمُهُ**) بمعنى أن القرآن هو حكم الله بين العباد أمرهم -سبحانه- أن يتحاكموا إليه وأن يرجعوا إليه في كل شؤونهم وفي جميع ما يشكل عليهم فهو الحكم العدل الذي لا يظل من استمسك به ، وهو كفيل بحل مشاكل الأفراد والأسر والمجتمعات والعالم كله في كل زمان ومكان، قال الكريم المنان: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ١٠٥] .

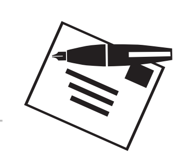
وقال-تعالى-:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة:٥٠] .

وقال-تعالى-:﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [يوسف:٤٠] .

وقال-تعالى-:﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [النساء:٦٦-٦٨] .

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد وعلقه في صحيحه .



ولكنهم لما تنكبوا طريقه وعدلوا عن حكمه وتحكيمه إلى غيره من القوانين الوضعية والأفكار المنحرفة والعقلانية الزائغة ، والإغترار بالحضارة الزائفة وغيرها من الطرق المحدثة الساقطة ، بدلت الحال وحل الخوف المخيف محل الأمن المنيف ، ووقع الذل بعد العز ، وتلك سُنَّة الله في من نازعه حكمه ، وقال-تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [المجادلة:٢٠-٢١] .

قوله : (**هُوَ عِلْمُهُ**) أي: أن القرآن الكريم علم شاف ودليل كاف إلى الله -سبحانه- ، قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فقيه

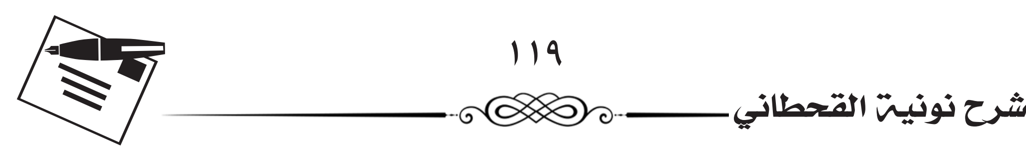
قوله:(**هُوَ نُورُهُ**) هذا وصف للقرآن بأنه النور الذي يُستضاء به فيهتدي به صاحبه إلى الحق، قال الله:﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ [النساء:١٧٤].

قال الله :﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ [المائدة:١٥].

قوله:(**وَصِرَاطُهُ الْهَادِي إِلَى الرِّضْوَانِ**) أي: أنه الطريق المستقيم الذي يدلك ويوصلك إلى رضوان الله ودار كرامته ، قال الله : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

٦٢ جَمَعَ الْعُلُومَ دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا فَبِهِ يَصُولُ الْعَالِمُ الرَّبَّانِي

قوله : (**جَمَعَ الْعُلُومَ**) أي: أن القرآن الكريم حوى جميع العلوم النافعة، فقد



اشتمل على بيان العقيدة الصافية والمنهج السوي النقي، والعبادات الصحيحة والمعاملات، والآداب والأخلاق الكريمة، وحذر من المعاملات والأخلاق المشينة، وأبان أخبار وأحوال الأمم الماضية مع أنبيائهم، وكيف كانت نهايتهم للعظة والعبرة ، وبين أحوال الموت وما بعده من نعيم وعذاب وأحوال وأهوال يوم القيامة ، وأن المأوى الأخير هو الجنة للمتقين، والمثوى الأخير هو النار للكافرين، إلى غير ذلك من الأخبار، ومن العلوم الضرورية التي ترتكز عليها سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة .

قوله : (**دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا**) الدقيق: ما قل وما صغر من الأشياء أو غمض وخفي من الأمور، والجليل : ما ظهر منها ووضح .

والمعنى: أن القرآن الكريم حوى عامة العلوم الظاهرة والخفية .

قوله : (**فَبِهِ يَصُولُ**) أي: يستمتع ويجول في بحار علوم القرآن .

قوله: (**الْعَالِمُ الرَّبَّانِي**) وهو الذي:يعلم صغار العلم قبل كباره،وقيل غير ذلك.

٦٣ قَصَصٌ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ قَصَّهُ رَبِّي فَأَحْسَنَ أَيَّـمَا إِحْسَانِ

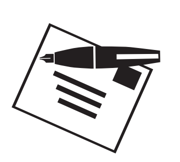
قوله : (**قَصَصٌ**) جمع قصة وقصص القرآن : إخباره عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة [1].

قوله : (**عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ**) أي: على خير الخلق وهو محمد-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

قوله : (**قَصَّهُ رَبِّي**) أي: أخبر به ربنا - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- .

قوله : (**فَأَحْسَنَ أَيَّمَا إِحْسَانِ**) وهذا لا ريب فيه ، قال تعالى-: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ** ﴾[يوسف:١١١].

(١) مباحث في علوم القرآن (ص ٣٠٦) .



وقال -تعالى-: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾[يوسف:٣].

وقال -تعالى-: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾[آل عمران:٦٢].

والقصص في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول : قصص الأنبياء مع أقوامهم كقصة نبي الله إبراهيم ويوسف وموسى وعيسى ومحمد ومن قبلهم نوح وهود وصالح وغيرهم -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-.

النوع الثاني : قصص يتعلق بحوادث غابرة وأشخاص لم تثبت نبوتهم كقصة طالوت وجالوت وابني آدم ، والذي أماته الله مئة عام ثم بعثه ، وأصحاب سبأ، وأصحاب الكهف ، وذي القرنين ، وقارون ، ومريم ، وأصحاب الأخدود ، وأصحاب الفيل وغيرهم .

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كغزوة بدر وأُحد وحنين وتبوك والهجرة والإسراء ونحو ذلك.

وفي تلك القصص من الفوائد العلمية والروحية والأخلاقية والوعظية ما لا حصر له ولا عد لمن تأمل لو لم يكن من ذلك إلا :

١- تثبيت قلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال الله :﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[هود : ١٢٠] .

٢- تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم .

٣- إظهار صدق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعوته بما أخبر به عن الماضين .

٤- مقارعته أهل الكتاب بالحجة فيما كتموه من البينات والهدى .

٥- إيضاح أُسس الدعوة إلى الله .



٦٤ وَأَبَـانَ فِيهِ حَلالَهُ وَحَرَامَهُ وَنَهَـى عَنِ الآثَـامِ وَالْعِصْيَانِ

قوله : (**وَأَبَانَ فِيهِ**) أي: أوضح في كتابه الكريم .

قوله : (**حَلالَهُ وَحَرَامَهُ**) أي: الحلال والحرام «فالحلال بيِّن والحرام بيِّن» والحلال: ما أحله الله في كتابه ، أو على لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

والحرام: ما حرمه الله في كتابه ،أو على لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

«والأصل في الأشياء الحِل» ، هذه قاعدة شرعية نافعة في الأشياء المطعومة والمشروبة والملبوسة ، اللهم إلا أن يدل دليل على المنع .

دليل هذه القاعدة قول الله –تعالى– : ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا** ﴾ [البقرة:٢٩] .

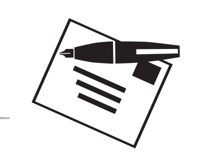
وقوله –تعالى– : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ** ﴾ [الأعراف:٣٢] .

مفاد هذه القاعدة: أن من حرم شيئًا من العادات لزمه الدليل لأنه خرج عن القاعدة أما المبيح فهو باق على الأصل .

«أما العبادات فالأصل فيها المنع» وهذه قاعدة المنع دليلها قول الله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[الشورى:٢١] .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُو رَدٌّ** » .رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم :«**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرنَا فَهُو رَدٌّ** » .

مفاد هذه القاعدة أنه لا يجوز للعبد إحداث عبادة ما .



إذ: لا يعبد الله إلا بما شرع فمن تعبد الله بعبادة ما لزمه الدليل إذ أن الدليل على المثبت لا على النافي فالنافي باق على الأصل وهو المنع والحضر .

قال ابن عثيمين –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– في منظومته :

والأصل في الأشياء حل وامنع عبادة إلا بإذن الشارع

قوله : (**وَنَهَى عَنِ الآثَامِ**) الآثام: جمع إثم وهو الذنب الذي يستحق العقوبة عليه .

قوله : (**وَالْعِصْيَانِ**) : العصيان : الإمتناع عن الإنقياد .

والمراد أن الله نهى في كتابه عن ارتكاب المعاص ومقارفة الذنوب جميعها ، صغيرها وكبيرها .

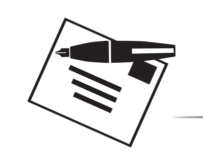
خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى

واعمل كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

٦٥ مَنْ قَالَ إِنَّ اللهَ خَالِقُ قَوْلِهِ فَقَدِ اسْتَحَلَّ عِبَادَةَ الأَوْثَانِ

قوله : (**مَنْ قَالَ إِنَّ اللهَ خَالِقُ قَوْلِهِ**) أي: أن القرآن الكريم عينا قائمة بنفسها بائنة من الله، فهذا هو القول بأن القرآن مخلوق ولا شك في بطلان هذا القول كما تقدم في البيت رقم(١).



قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في نونيته :

وكذلك القرآن عين كلامه — المسموع منه حقيقة وبيان

هو قول ربي كله لا بعضه — لفظا ومعنى ما هما خلقان

تنزيل رب العالمين ووحيه — اللفظ والمعنى بلا روغان

قوله : (**فَقَدِ اسْتَحَلَّ عِبَادَةَ الأَوْثَانِ**) أي: أنه يلزم من هذا القول لوازم باطلة منها :

١ - تكذيب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- الذي أخبر عن كتابه أنه وحي من أمره لا خلق من خلقه قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا** ﴾ [الشورى:٥٢]. فلو كان خلقًا ما صح أن يكون وحيًّا والفرق واضح جلي، قال تعالى : ﴿ **أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ** ﴾[الأعراف:٥٤] . وهذا دليل بين على الفرق بين الخلق والأمر .

٢ استحلال عبادة الأوثان : وذلك لأنه قال في القرآن بهواه والهوى عند أهله معبود من دون الله قال - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾** ﴾ [الجاثية:٢٣] .

٦٦ مَنْ قَالَ فِيهِ عِبَارَةٌ وَحِكَايَةٌ — فَغَدًا يُجَرَّعُ مِنْ حَمِيمٍ آنِ

بمعنى: أنه لا يجوز اطلاق القول بأن القرآن حكاية عن كلام الله كما تقول الكلابية الضُّلال ، أو عبارة كما تقول الأشعرية .

والفرق بينهما: أن الحكاية تعني المماثلة كأن هذا المعنى الذي هو الكلام



عندهم حكاية بمرآة ، كما يحكي الصدى كلام المتكلم .

أما العبارة فتعني : أن المتكلم عبر عن كلامه النفيس بحروف وأصوات خلقت ، وأما من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فلا بأس لأن لفظه بالقرآن ليس هو كلام الله ، مع أن في العبارة كلاما موهما قد يستفيد منها أهل التأويل الباطل، فالعدول عنها وتركها أفضل فيما يظهر والله أعلم .

قوله : (**فَغَدًا يُجَرَّعُ مِنْ حَمِيمِ آنِ**) أي: أن القائل في القرآن أنه عبارة أو حكاية، فلتعلم أنه سيجرع بوم القيامة الحميم الآن ، وهو: الماء الحار الذي بلغ نهاية حره .

قال تعالى : ﴿ **وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ** ﴾ [محمد:١٥] .

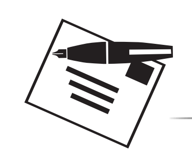
٦٧ مَنْ قَالَ إِنَّ حُرُوفَهُ مَخْلُوقَةٌ فَالْعَنْهُ ثُمَّ اهْجُرْهُ كُلَّ أَوَانِ

قوله : (**مَنْ قَالَ إِنَّ حُرُوفَهُ مَخْلُوقَةٌ**) إشارة إلى الأشعرية: القائلين بأن القرآن كلام الله قائم بنفسه لا يتعلق بمشيئته، وهذه الحروف والأصوات المسموعة مخلوقة للتعبير عن المعنى القائم بنفس الله، ولا شك في بطلان قولهم للآتي :

١- كونه مخالف للإجماع .

٢- كونه خلاف الأدلة التي تدل على أن كلام الله يسمع ولا يسمع إلا الصوت لا يسمع المعنى القائم في النفس .

٣- كونه خلاف المعهود لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم لا ما يضمره في نفسه وقد سبق بيان أن القرآن كلام الله بصوت مسموع وحروف مركبة في البيت رقم (٣٨) و (٦١) .



قوله : (**فَالْعَنْهُ**) اللعن هو: الطرد والإبعاد من رحمة الله -تعالى- .

قوله : (**ثُمَّ اهْجُرْهُ**) الهجر: بمعنى الترك والمفارقة ، ويدخل ضمنه التحذير منه إن كان في ذلك مصلحة شرعية .

قوله : (**كُلَّ أَوَانِ**) أي: في كل حين .

٦٨ لاَ تَلْقَ مُبْتَدِعًا وَلاَ مُتَزَنْدِقًا　　إِلاَّ بِعَبْسَةِ مَالِكِ الْغَضْبَانِ

قوله : (**لاَ تَلْقَ مُبْتَدِعًا**) المبتدع: هو من أحدث في الدين مما ليس فيه قولا أو عملا أو اعتقادًا أو تركًا .

قوله : (**وَلاَ مُتَزَنْدِقًا**) المتزندق: المنحرف الضآل عن طريق الهدى .

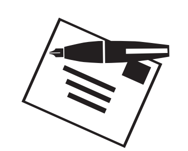
قوله : (**إِلاَّ بِعَبْسَةِ**) التعبيس: تقطيب الوجه وهو الجمع ما بين جلد عينيه وجلد جبهته. وهو التعبير عن السخط والغضب عن من رآه .

قوله : (**مَالِكِ الْغَضْبَانِ**) المراد به: مالك -عَلَيْهِ السَّلَامُ- خازن النار، قال الله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾[الزخرف:٧٧] .

٦٩ وَالْوَقْفُ فِي الْقُرْآنِ خُبْثٌ بَاطِلٌ　　وَخِدَاعُ كُلِّ مُذَبْذَبٍ حَيْرَانِ

قوله: (**وَالْوَقْفُ فِي الْقُرْآنِ**) الواقفة في القرآن : هم الذين يقولون : لا نقول كلام الله ، ولا نقول مخلوق يعني : متوقفون فيه فلا يثبتون أنه صفة لله ولا يثبتون أنه مخلوق ، ولا شك في بطلان هذا القول .

قال الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللَّهُ- : « من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي ومن



كان لا يحسنه بل كان جاهلاً بسيطاً فهو تقام عليه الحجة والبرهان، فإن تاب وآمن أنه كلام الله غير مخلوق وإلا فهو شر من الجهمية »(١).

ومن التوقف في القرآن: القول: بأن «القرآن كلام الله» والسكوت عن ذلك وعدم اعتقاد وقول: «منزل غير مخلوق » ولهذا لما قيل للإمام أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: « ألا يسعنا أن نقول القرآن كلام الله ونسكت؟، قال: كان هذا يسع من كان قبلنا أما نحن فلا يسعنا إلا أن نقول :القرآن كلام الله منزل غير مخلوق» .

قوله: (خبث باطل) أي: كلام خبيث ينبئ عن خبث قائله وهو كلام في غاية البطلان تبين أن الواقفة : هم الخبثاء المبطلون في قولهم ومعتقدهم في القرآن ينبغي حذرهم والتحذير منهم.

قوله : (**وَخِدَاعُ**) أي : مكر .

قوله :(**كُلِّ مُذَبْذَبٍ**) المذبذب: هو الذي لم يثبت على حال ولم يستقر له قرار.

قوله : (**حَيْرَانِ**) هو التائه الضال المضطرب .

وعليه: فإن كل من عدل عن الكتاب والسُّنَّة إلى علم الكلام المذموم أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسُّنَّة فإنه يؤول أمره إلى الحيرة والضلال والشك.

قال أبو عبدالله محمد بن عمران الرازي : وهو من رؤوس أهل الكلام :

نهاية إقدام العقول عقال ... وغاية سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

(١) ٢٠٠ سؤال وجواب (ص ٧٩) .

وقال : « لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن .... إلى أن قال : ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي » (١) .

وقال أبو عبد الله محمد الشهرستاني (وهو من المتكلمين):

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسـيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نـادم(٢)

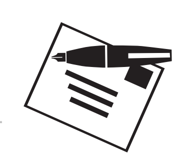
وقال أبو المعال الجويني عند موته : « لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم ودخلت في الذي نهوني عنه والآن إن لم يتداركني الله برحمته فالويل لابن الجويني ، وها أنذا أموت على عقيدة أمي ، أو قال على عقيدة عجائز نيسابور» (٣) .

قال الإمام الشافعي –رَحِمَهُ ٱللَّهُ–: « حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسُنَّة وأقبل على علم الكلام » (٤) .

وقال أبو يوسف– رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: « من طلب الدين بالكلام تزندق» (٥) .

---

(١) شرح الطحاوية (١٤٤-١٤٧) .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق .
(٤) المرجع السابق .
(٥) المرجع السابق .



٧٠ قُلْ غَـيْرَ مَخْلُوقٍ كَـلامُ إِلَهِنَا وَاعْجَلْ وَلاَ تَكُ فِي الإِجَابَةِ وَانِي

قوله : (**قُلْ**) يا أيها السُّنِّي في القرآن الكريم .

قوله : (**غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلامُ إِلَهِنَا**) أي : أنه كلام الله منزل غير مخلوق .

قوله : (**وَاعْجَلْ**) أي: تعجل هذا الجواب الصواب .

قوله : (**وَلاَ تَكُ فِي الإِجَابَةِ وَانِي**) أي: متأخرًا مرتابًا إذ هو معتقد السلف - الصالح- .

قال عمرو بن دينار -رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أدركت منذ سبعين سَنة يقولون : الله الخالق وما سواه مخلوق إلا القرآن؛ فإنه كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود».

٧١ أَهْلُ الشَّرِيعَةِ أَيْقَنُوا بِنُزُولِهِ وَالْقَائِلُونَ بِخَلْقِهِ شَكْلاَنِ

قوله : (**أَهْلُ الشَّرِيعَةِ**) أي: شريعة الإسلام وهم :أهل السُّنَّة والجماعة الطائفة المنصورة والفرقة الناجية الذين ما زالوا على عقيدة السلف -الصالح- ومنهجهم إلى قيام الساعة .

قوله : (**أَيْقَنُوا بِنُزُولِهِ**) أي: اعتقدوا ذلك في قلوبهم ونطقت به ألسنتهم .

قوله : (**وَالْقَائِلُونَ بِخَلْقِهِ شَكْلاَنِ**) لعل مراده -رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أن القائلين بخلق القرآن صنفان هما:

١- المعتزلة : كونهم القائلون أن القرآن كلام الله لفظًا دون المعنى .

٢- الكلابية : وهم القائلون أن القرآن كلام الله معنى دون اللفظ .

والقولان باطلان كما سبق تقريره وللمزيد من الفائدة عد إلى البيت رقم (١-٦٦) .



٧٢ وَتَجَنَّبِ اللَّفْظَيْنِ إِنَّ كِلَيْهِمَا   وَمَقَالَ جَهْمٍ عِنْدَنَا سِيَّانِ

قوله : (**وَتَجَنَّبِ اللَّفْظَيْنِ إِنَّ كِلَيْهِمَا**) إشارة إلى ما سبق بيانه في البيت رقم (٦٦ - ٧١) .

قوله : (**وَمَقَالَ جَهْمٍ**) هو جهم بن صفوان الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمن صغار التابعين وأخذ عن الجعد بن درهم تعطيل الصفات .

والرب عنده هو الوجود المطلق ويروى أن أول من قال بخلق القرآن هو الجعد بن درهم في العهد الأموي فقتله خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى بالكوفة وقد أتى به مشدودًا في الوثاق عند صلاة العيد فصلى خالدًا وخطب ثم قال في آخر خطبته - رَحِمَهُ اللَّهُ : (اذهبوا وضحوا بضحاياكم تقبل الله منكم فإني أريد أن أضحى بالجعد بن درهم فإنه يقول : ما كلم الله موسى تكليما ولا اتخذ الله إبراهيم خليلا -تعالى الله - عما يقولون علوًا كبيرًا - ثم نزل وقتله .

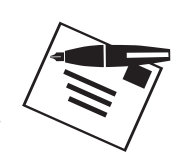
وقال الجهم بقول شيخه الجعد بن درهم من أن القرآن مخلوق ألفاظه ومعانيه.

قوله : (**عِنْدَنَا سِيَّانِ**) بكسر السين أي : مثيلان، فلا فرق بين قول القائل: بأن القرآن مخلوق ألفاظه ومعانيه أو أن ألفاظه مخلوقة دون معانيه أو أن معانيه مخلوقة دون ألفاظه فكلها ألفاظ كفرية وكلها سواء .

٧٣ يَا أَيُّهَا السُّنِّيُّ خُذْ بِوَصِيَّتِي   وَاخْصُصْ بِذَلِكَ جُمْلَةَ الإِخْوَانِ

٧٤ وَاقْبَلْ وَصِيَّةَ مُشْفِقٍ مُتَوَدِّدٍ   وَاسْمَعْ بِفَهْمٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ

قوله : (**يَا أَيُّهَا السُّنِّيُّ**) نادى -رَحِمَهُ اللَّهُ- معاشر أهل السُّنَّة قاطبة من في



عصره ومن سيأتي بعده ، فإن «أل» من كلمة «السُّنِّي » تفيد الاستغراق .

قوله : (**خُذْ بِوَصِيَّتِي**) أي: الزم وصيتي والوصية اسم جنس تعني : الوصايا المراد طرحها .

قوله : (**وَاخْصُصْ بِذَلِكَ جُمْلَةَ الإِخْوَانِ**) أي: أنها وصايا لعموم أهل السُّنَّة وهي على وجه الخصوص لإخوانه السائرين على الدرب تعلماً وتعليماً في كل زمان ومكان ، وإنما ذكرهم على وجه الخصوص لشدة العناية بهم .

كونهم القائمين بوظيفة الدعوة إلى الله فهم أحوج الناس إلى العلم النافع الذي يبصرون به الجاهلين، ويرشدون به الحائرين، ويذكرون به الغافلين .

قوله : (**وَاقْبَلْ**) أي: خذ واستفد وتقبل .

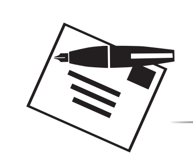
قوله : (**وَصِيَّةَ مُشْفِقٍ**) أي: خائف عليك من الإغراق في الذنوب والمعاصي وعواقبها المرة في الدنيا والآخرة .

قوله : (**مُتَوَدِّدٍ**) أي: محب لك الخير والبر والصلاح وإتيان الطاعات والتلذذ بثمارها الحسنة في الدنيا ولآخرة .

قوله : (**وَاسْمَعْ بِفَهْمٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ**) أي: استمع من هذه الوصايا بفقه تام لمعانيها وحضور قلبٍ واعٍ غير غافل ولا لاه ،فإن كانت تدعوا إلى أمر فالزم وإن كنت تنهى عن ذنب فاحذر .

٧٥ كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَوَسِّطًا عَدْلاً بِلاَ نَقْصٍ وَلاَ رُجْحَانِ

قوله : (**كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَوَسِّطًا**) يدعونا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- هنا إلى التحلي بالوسطية والاعتدال بميزان الشرع لا بميزان الهوى -فافقه هديت-



والوسطية: نبذ طرق الغلو وطرق الجفاء ، فلا إفراط ولا تفر يط .

وسلوك هذا المنهج يحتاج إلى بصيرة وعلم حتى لا يجرنا إلى نبذ مسلمات من الدين أو من العقيدة الصحيحة طلبًا للوسطية المتوهمة ، ويكفي في ذلك مراجعة هدي النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسيرته العطرة في العبادات والمعاملات وفي العقائد ، والأخلاق والمنهج والسلوك فسيرته -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هي ميزان الإعتدال - .

وكبار العلماء في كل عصر ومصر من يحررون و يقررون ذلك .

وذلك فرض أكيد لأن الوسطية والإعتدال مطلوبان شرعًا وفق ضوابطها الشرعية التي يقرها اهل العلم الراسخون فيه إذ الإسلام كله عقيدة وشريعة فعقيدته مبنية على الوسطية كما نص أهل العقابد وشر يعته مبنية على الوسطية كما نص أهل الفقه والقواعد والأصول والمقاصد .

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] . أي : عدلاً وخيارًا .

وقال رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِيَّاكُمْ والغُلو ، فَإِنَّما أهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم الغُلُو فِي الدِّيْن** » . (١)

وقال بعض السلف: « دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه » .

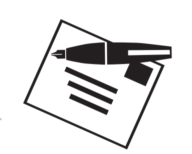
قوله : (**عَدْلاً**) العدل لفظ عام يعني :التوسط :وهو إعطاء كل ذي حق حقه.

قوله : (**بِلاَ نَقْصٍ وَلاَ رُجْحَانِ**) أي: بلا جفاء ولا غلو .

ومنهج الاعتدال والتوسط هو دين الله تعالى الذي أمرنا بالتزامه عقيدة وشريعة.

---

(١) أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه .



وهو منحة من الله لهذه الأمة لك تبقى وتستمر، إذ أنه لا بقاء للغلاة ولا للجفاه ، مهما ظهروا وانتشروا وشاعوا وذاعوا ، فإنما هم كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ، قال تعالى : ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ ﴾ [الأعراف : ٥٨] .

وإنما يبقى العدل الناصح لهذه الأمة ويبقى المخلص والعالم والمعلم لها الذي يؤثر فيهم ، و يبقى من لزم هذا المنهج القويم الذي دل عليه النص وسلوك الخلفاء وأقوالهم وأعمال أئمة الإسلام ومصنفاتهم .

٧٦ وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ رَبٌّ وَاحِدٌ مُتَنَزِّهٌ عَنْ ثَالِثٍ أَوْ ثَانِ

قوله : (**وَاعْلَمْ**) كلمة يؤتى بها لشدة ما بعدها كما قال تعالى :﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] .

ففي الآ ية أتى بعد كلمة﴿ فَٱعْلَمْ ﴾ بكلمة التوحيد التي هي أول ركن من أركان الإسلام ومفتاح دار السلام ، ولأجلها خُلقت المخلوقات ، وقامت به الأرض والسماوات ، وأنزلت الكتب، وأرسلت الرسل ، وشرعت الشرائع، وأسست الملة ،ونصبت القبلة ونشرت الدواوين ، ونصبت الموازين ، وجردت سيوف الجهاد ، وقام سوق الجنة والنار . (١)

قوله : (**بِأَنَّ اللهَ رَبٌّ وَاحِدٌ**) أي: متفرد بالربوبية المتضمن تفرده بالإلهية .

قوله : (**مُتَنَزِّهٌ عَنْ ثَالِثٍ أَوْ ثَانِ**) أي: مقدس ومبرأ عن الشريك والند والصاحبة والولد قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص : -٤] .

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٩) .

وهذه السورة إنما سميت بسورة الإخلاص لأنها خالصة لله وحده . وقد غرق اليهود والنصارى ومن شابههم من عباد الأصنام في إشراكهم مع الله غيره ، قال تعالى في شأن اليهود والنصارى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾[التوبة:٣٠] .

وقال تعالى في شأن النصارى:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [المائدة :٧٣] .

وقال تعالى في شأن المشركين عمومًا :﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر :٣] .

٧٧ الأَوَّلُ المُبْدِي بِغَيْرِ بِدَايَةٍ وَالآخِرُ المُفْنِي وَلَيْسَ بِفَانِ

قوله : (**الأَوَّلُ**) الذي لا شيء قبله.

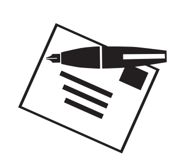
قوله : (**المُبْدِي بِغَيْرِ بِدَايَةٍ**) أي: أنه بدأ الخلق على غير مثال سابق ، وليس لوجوده – سبحانه – ابتداء .

قوله : (**وَالآخِرُ**) الذي لا شيء بعده .

قوله : (**المُفْنِي وَلَيْسَ بِفَانِ**) أي:أنه يُهلك و يُبيد جميع المخلوقات ولا يبقى إلا هو الخالق لها – سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ – .

قال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧] .

وقال تعالى : ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[القصص:٨٨] .



٧٨ وَكَـلاَمُـهُ صِفَةٌ لَـهُ وَجَـلاَلَـهُ   مِنْهُ بِـلاَ أَمَـدٍ وَلاَ حِـدْثَـانِ

قوله : (**وَكَلاَمُهُ صِفَةٌ لَهُ**) أي: أن الكلام صفة له تعالى من صفاته الذاتية الفعلية ، أما أنه صفة ذاتية له تعالى وذلك لقيامه واتصافه به أزلاً وأبدًا، قال تعالى:﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ﴾[التوبة:٦].

وأما أنه صفة فعلية له تعالى وذلك لتعلقه بمشيئته وقدرته فالله تعالى يتكلم متى شاء وبما شاء، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف:١٤٣] .

فالتكلم حصل بعد مجيء موسى –عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ– فدل على أنه متعلق بمشيئة الله –تعالى– .

قال ابن القيم –رَحِمَهُ ٱللَّهُ–:«وقال: أهل الحديث والسُّنَّة : أنه لم يزل –سبحانه– متكلما إذا شاء ويتكلم بمشيئته ولم تتعدد له هذه الصفة بل كونه متكلما بمشيئته هو من لوازم ذاته المقدسة ، وهو بائن عن خلقه بذاته وصفاته وكلامه ليس متحدًا بهم ولا حال فيهم » [(١)].

قوله : (**بِلاَ أَمَدٍ**) بفتحتين أي: بلا غاية .

قوله : (**وَلاَ حِدْثَانِ**) – بالكسر – أي بلا ابتداء .

٧٩ رُكْنُ الدِّيَانَةِ أَنْ تُصَدِّقَ بِالْقَضَا   لاَ خَـيْرَ فِي بَيْتٍ بِـلاَ أَرْكَـانِ

قوله : (**رُكْنُ الدِّيَانَةِ أَنْ تُصَدِّقَ بِالْقَضَا**) أَي : أن الإيمان بالقدر ركن من

---

(١) العقيدة الصافية (ص١٠١) .



أركانه (١) .

والركن لغة: جانب الشيء الأقوى.

اصطلاحا: هو جزء من ماهية الشيء .

فالإيمان بالقدر جزء لا يتجزأ من الدين ، إذ لايصح إيمان العبد إلا بتحققه ووجوده في قلب العبد وجوارحه .

بهذا علم : أن الكفر بالقدر ناقض من نواقض الإيمان – عافانا الله – .

قوله: (**لاَ خَيْرَ فِي بَيْتٍ بِلاَ أَرْكَانِ**) أي: لا يصح ولا يستقيم أن يكون بيتًا بلا أركان ، فلا يستظل به من شمس ولا يستكن به من مطر ، وهكذا الإ يمان المهدوم منه ركن القدر لا ينفع صاحبه ، ولذا كان القدرية (٢) هم مجوس هذه الأمة.

٨٠ اللهُ قَدْ عَلِمَ السَّعَادَةَ وَالشَّقَا وَهُمَا وَمَنْزِلَتَاهُمَا ضِدَّانِ

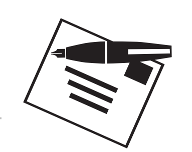
قوله: (**اللهُ قَدْ عَلِمَ السَّعَادَةَ وَالشَّقَا**) نعم: فهو العليم سبحانه قد علم كل شيء أزلا وأبدًا ، ولم يتقدم علمه بالأشياء جهالة،قال الله –تعالى–: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴾[الأحزاب:٤٠].

وقال الله –تعالى–: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[مريم:٦٤].

وعن عل –رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ– قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ– فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس رأسه فجعل ينكت

(١) روى مسلم في صحيحه من حد يث عمر ابن الخطاب –رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ– وفيه: «....**قال فأخبرني عن الإ يمان ؟ قال : أن تُؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره** » .

(٢) القدرية: طائفة ضآلة تنفي قدر الله وتعتقد أن كل ما يصدر من الإنسان إنما هو بمشيئته ولا دخل لله فيه فهم نفاة القدر ولذا سموا (بالقدرية على النقيض من الجبرية) .



بمخصرته ثم قال: « **ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتب شقية أو سعيدة** » قال: فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ ، فقال: « **من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ، ثم قال: اعملوا فكل مُيسر لما خُلق له ، أما أهل السعادة فيسرون إلى عمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فيسرون لعمل أهل الشقاوة ، ثم قرأ** : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[الليل:٥-١٠] .

قوله: (**وَهُمَا**) أي: السعادة والشقاوة .

قوله: (**وَمَنْزِلَتَاهُمَا**) مثنى منزلة: (ومنزلتا) مضاف (وهما) مضاف إليه .

والمنزل: هو المكان الذي هيأ لصاحبه ، والمراد بهما -هنا- الجنة والنار .

قوله: (**ضِدَّانِ**) أي: متقابلان فلا يجتمعان ، فمنزل السعداء الجنة، ومنزل الأشقياء النار ، قال الله -تعالى- : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود: ١٠٥-١٠٨] .

٨١ لاَ يَمْلِكُ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ لِنَفْسِهِ رُشْدًا وَلاَ يَقْدِرْ عَلَى خِذْلاَنِ

قوله: (**لاَ يَمْلِكُ الْعَبْدُ لِنَفْسِهِ رُشْدًا**) بمعنى: أن هداية التوفيق وسلوك طريق الرشاد ليس ذلك من مقدور العبد وصنعه إنما هو لله وحده .

قال الله -تعالى- : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

قال الله -سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [القصص : ٥٦] .

قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الجن : ٢١] .

قال الله -سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الكهف : ١٧] .

قوله: (**وَلاَ يَقْدِرْ عَلَى خِذْلاَنِ**) بمعنى: أن الله تعالى إن قدر ورضى لعبده الرشد والتوفيق والفلاح فلن يقدر أحد أن يكيد به ولو كادت به السماوات والأرض.

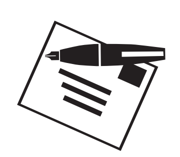
٨٢ سُبْحَانَ مَنْ يُجْرِي الأُمُورَ بِحِكْمَةٍ ... فِي الْخَلْقِ بِالأَرْزَاقِ وَالْحِرْمَانِ

قوله: (**سُبْحَانَ**) سبق بيان معنى التسبيح في البيت رقم (٢٥) .

قوله: (**مَنْ يُجْرِي الأُمُورَ بِحِكْمَةٍ**) الله تعالى الذي أجرى و يجري شئون خلقه بحكمة بالغة ، فعطاؤه حكمة وفضلا ، وحرمانه حكمة وعدلاً، وعقابه عدلاً ، وإحسانه فضلاً ، فسبحان الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها التي تقتضيها حكمته، وبها وعليها مدار صلاح الدارين .

قوله: (**فِي الْخَلْقِ**) أي: في عموم خلقه من الجن والإنس وغيرهما مما في البر والبحر .

قوله: (**بِالأَرْزَاقِ وَالْحِرْمَانِ**) أي: أنه يتكرم وينعم على من يشاء من عباده بفضله، ويقدر رزق من يشاء بعدله .



قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ﴾ [الفجر : ١٥-١٦] .

أي : ليس الأمر كما زعم أن بسط الرزق آية المحبة والإكرام وتضيقه آية البُغض والشنآن ، بل بأن بسط الرزق وتضيقه كليهما ابتلاء من الله، قال الله -عَزَّوَجَلَّ- : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٥] .

وكليهما خير للمؤمنين كما جاء في الحديث عن النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- : **«عَجَباً لأمْرِ الْمُؤمِنِ إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلكَ لأحَد إلاَّ للْمُؤْمِنِ: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خيْراً لَهُ»** [(١)] .

٨٣ نَفَذَتْ مَشِيئَتُهُ بِسَابِقِ عِلْمِهِ   فِي خَلْقِهِ عَـدْلاً بِـلاَ عُـدْوَانِ

قوله: (**نَفَذَتْ**) أي: مضت .

قوله: (**مَشِيئَتُهُ**) أي: قضاؤه وقدره .

قوله: (**بِسَابِقِ عِلْمِهِ**) أي: بعلمه السابق، ولا ريب أن الله تعالى قد قدر الكائنات حسب ما سبق به علمه واقتضته حكمته .

قوله: (**فِي خَلْقِهِ**) أي: في عامة مخلوقاته العلوية والسفلية وما بينهما الظاهرة منها والخفية .

قوله: (**عَدْلاً بِلاَ عُدْوَانِ**) . العدل لغة : التوسط .

اصطلاحا: وضع الشيء في موضعه، وقيل: إعطاء كل ذي حق حقه ، والعدل خُلق كريم أمرنا به -تعالى- فقال :﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل:٩٠] .

---

(١) رواه مسلم .



وحرم على نفسه وعلى عباده نقيضه «الظلم» كما في الحديث الذي رواه الإمام مسلم من حد ث أبي ذرٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: « **يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا** »[1].

فهو -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- خالق الخلق وأفعالهم ويجازيهم وفق أعمالهم: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [ق:٢٩].

٨٤ وَالْكُلُّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ مُسَطَّرٌ مِنْ غَيْرِ إِغْفَالٍ وَلَا نُقْصَانِ

قوله: (**وَالْكُلُّ**) أي: جمع مقادير الخلائق العلوية والسفلية، الظاهرة والخفية التي كانت، والكائن وما سيكون.

قوله: (**فِي أُمِّ الْكِتَابِ**) أي: في اللوح المحفوظ قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩ ﴾ [الرعد:٣٩].

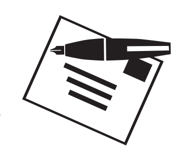
قوله: (**مُسَطَّرٌ**) أي: مكتوب قال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ٥٣ ﴾ [القمر:٥٣].

وقال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣ ﴾ [الحديد:٢٢-٢٣].

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي في سننه عن عبد الله بن عباس

(١) رواه مسلم.



-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « .....**وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**» (١) .

واعلم -رحمك الله- أن الإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور :

١- الأول: الإيمان بأن الله علم كل شيء جملةً وتفصيلاً أزلاً وأبدًا سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده .

٢- الثاني : الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ وفي هذين الأمرين يقول الله -عَزَّوَجَلَّ- : ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾** ﴾ [الحج:٧٠] .

وفي صحيح مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، يَقُولُ : « **كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** » (٢) .

٣- الثالث:الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله سواء كانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين، ففيما يتعلق بفعله يقول -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿ **وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾** ﴾ [إبراهيم:٢٧] .

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُۗ** ﴾ [القصص:٦٨] .

وفيما يتعلق بفعل المخلوقين قوله -تعالى-: ﴿ **وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾ [الأنعام:١١٢] .

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح ، من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) رواه مسلم .



وقال –جَلَّ جَلَالُهُ –: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام:١١٢].

الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها وصفاتها وحركاتها ، قال الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ –: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ ﴾ [الزمر:٦٢].

وقال –عَزَّوَجَلَّ–: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات:٩٦].

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الإختيارية ، وقدرته على ذلك قال الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ –: ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾ [النبأ:٣٩].

لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله وقدرته لقول الله– عَزَّوَجَلَّ–: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩].

٨٥ فَاقْصِدْ هُدِيتَ وَلاَ تَكُنْ مُتَغَالِيًا ··· إِنَّ الْقُدُورَ تَفُورُ بِالْغَلَيَانِ

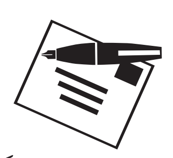
قوله: (**فَاقْصِدْ**) القصد في الأمر: التوسط فيه فلم يُفْرِطَ ولم يفرِطْ .

والمعنى: تحلى بحلية الوسطية الحقة الموافقة لوسطية الدِّين .

قوله: (**هُدِيتَ**) أي: هداك الله لدينه الوسط العدل السالم من الغلو والجفاء.

قوله: (**وَلاَ تَكُنْ مُتَغَالِيًا**) أي: احذر واجتنب الغلو في الدين ، والغلو: الزيادة والشطط وتجاوز الحد .

ولا شك أن الشريعة الإسلامية ترفض مبدأ الغلو في الدين، لأنه يفضي إلى الخروج عن صراط الله المستقيم ،ويدعوا إلى الكفر والضلال والافتراء على الله –عَزَّوَجَلَّ–، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ



عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ [النساء:١٧١] .

وقال -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدِّدَ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ** ».(١)

وقال -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ**».(٢)

وقال - أيضًا-: « **هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ ... قَالَهَا ثَلاثًا** ».(٣)

قال الإمام النووي- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :«هلك المتنطعون أي: المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم ».(٤)

وقال ابن القيم - رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :« ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان ؛ إما إلى تفريط وإضاعة ، وإما إلى إفراط وغلو ، ودين الله وسط بين الجاف عنه والغالي فيه ، كالوادي بين جبلين ، والهدى بين ضلالتين ، والوسط بين طرفين ذميمين ، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له ، فالغالي فيه مضيع له ، هذا بتقصيره عن الحد ، وهذا بتجاوزه الحد ».(٥)

قوله: (**إِنَّ الْقُدُورَ تَفُورُ بِالْغَلَيَانِ**) مراده - رَحِمَهُ ٱللَّهُ- تشبيه الغالي في الدين بفوران القدور حين يشتد غليانها .

٨٦ دِنْ بِالشَّرِيعَةِ وَالْكِتَابِ كِلَيْهِمَا فَكِلاَهُمَا لِلدِّينِ وَاسِطَتَانِ

قوله: (**دِنْ**) دان له: أطاع وأذل والمعنى: الزم وأطع .

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني .
(٢) رواه البخاري .
(٣) رواه مسلم .
(٤) شرح مسلم (١٦/ ٢٢٠) .
(٥) مدراج السالكين .

قوله: (**بِالشَّرِيعَةِ وَالْكِتَابِ كِلَيْهِمَا**) لعله يريد بالشريعة : السُّنَّة المطهرة والكتاب (القرآن الكريم).

قوله:(**فَكِلاَهُمَا لِلدِّينِ وَاسِطتَانِ**) أي: لما شرعه الله لعباده دليلان وهاديان، علم -هنا-: أن الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة هما الهاديان إلى دينه، واللذان لا يجوز تجاوزهما والعدول عنهما إلى غيرهما ، ففيهما العصمة من الشذوذ والإنحراف والزيغ والضلال .

قال تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة : ١٥-١٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران :١٠١] .

وفي الحديث عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«**تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي** ».(١)

وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« **تَرَكْتُكُمْ عَلَى المَحجّةُ الْبَيْضَاءِ ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لا يَزِيغُ عَنْهَا إِلاَّ هَالِكٌ** ».(٢)

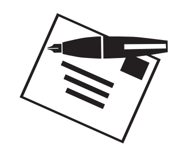
وعليه: فكل القوانين البشرية يجب أن تكون خاضعة لشريعة الله - تعالى-.

٨٧ وَكَذَا الشَّرِيعَةُ وَالْكِتَابُ كِلاَهُمَا   بِجَمِيعِ مَا تَأْتِيهِ مُحْتَفِظَانِ

قوله: (**وَكَذَا الشَّرِيعَةُ وَالْكِتَابُ كِلاَهُمَا**) (الواو) حرف عطف أي: وكما أن الكتاب والسُّنَّة دليلان للدين ، فهما كذلك محفوظان من التبديل والتغيير

---

(١) رواه مالك في الموطأ ، وصححه الألباني .
(٢) أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه العلامة الألباني .



وهذا ما يفيده عجز هذا البيت حين قال :(**بِجَمِيعِ مَا تَأْتِيهِ مُحْتَفِظَانِ**) فلا يعتريهما زيادة ولا نقص ولا تبديل ولا تغيير مهما تقادم العهد وتقدمت السنين، إذ هما محفوظان بحفظ شارعهما – تعالى – ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر:٩] .

٨٨ وَلِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظَانِ لِكُلِّ مَا يَقَعُ الجَـزَاءُ عَلَيْهِ مَخْلُوقَانِ

قوله: (**وَلِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظَانِ**) أي: ملكان موكلان بحفظ أعمال العبد.

قوله: (**لِكُلِّ مَا يَقَعُ الجَزَاءُ عَلَيْهِ**) أي: يكتبان جميع أعمال العباد من خير وشر ، قال – تعالى – : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ ﴾ [ق:١٨] .

وقال – تعالى–: ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ ﴾ [الإنفطار:١١-١٢] .

ولا شك أن أعمال الخير يجازى العبد عليها بالخير والرضوان وجنات تجري من تحتها الأنهار فوجب المسارعة إليها واستباقها والتنافس في فعلها .

قال–تعالى–:﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ ﴾ [البقرة:٤٨].

وقال – تعالى–: ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ ﴾ [المطففين:٢٦] .

وهكذا أعمال الشر مسجلة على صاحبها وعليها يجازى بما يستحق .

وقال–تعالى–: ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦ ﴾ [النبأ:٢١-٢٦] .

فعلى العبد أن يحذر اقتراف الذنوب والآثام،كالشرك والرياء والنفاق وسوء الأخلاق ، وغيرها مما تؤدي بصاحبها إلى المهالك والردى –عافانا الله من البلاء –.

قوله: (**مَخْلُوقَانِ**) أي: أن الملكين مخلوقان لله تعالى .

٨٩ أُمِـرَا بِكَتْبِ كَلاَمِهِ وَفِعَالِهِ وَهُمَـا لأَمْـرِ الله مُـؤْتَمِـرَانِ

قوله: (**أُمِرَا**) أي: الملكان الموكلان بحفظ أعمال العباد، وفي هذا دليل على أن الملائكة عباد الله مأمورون بأمره ،لا يخرجون عن طاعته ، قال الله في وصفهم : ﴿ **لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴿٦﴾ ﴾[التحريم:٦] .

قوله:(**بِكَتْبِ كَلاَمِهِ وَفِعَالِهِ**) أي: بتسجيل أقوال العبد وأفعاله من خير وشر، قال تعالى- : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء:١٣-١٤] .

قال -تعالى- :﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[الكهف:٤٩] .

وقال -أيضًا- : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[الجاثية:٢٩] .

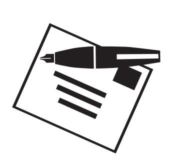
وقال :﴿ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ ﴾ [المجادلة:٦] .

وعليه: فالواجب على العبد أن يتق كل ما يرديه و يبليه من الأقوال والأعمال و يجهد ويحرص على ما يرفعه ويعليه قال -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- : « **احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعكَ** » .(١)

قوله: (**وَهُمَا**) أي: الملكان الموكلان بحفظ أعمال العباد .

قوله: (**لأَمْرِ الله مُؤْتَمِرَانِ**) أي: ممتثلان وهذا حال جميع الملائكة كما سبق تقرير ذلك آنفًا .

(١) رواه مسلم .



٩٠ وَاللهُ صِـدْقٌ وَعْـدُهُ وَوَعِيدُهُ   مِمَّا يُعَايِنُ شَخْصَهُ الْعَيْنَانِ

قوله: (**وَاللهُ صِدْقٌ وَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ**) أي: أن جميع ما أخبر الله به في كتابه أو على لسان رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حق وصدق لا مرية فيه، قال - تعالى- : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء:٨٧] .

ومن ضمن ما أخبر الله به وعده لأنبيائه وأوليائه والصالحين من عباده، بدار كرامته ،وجزيل مثوبته ،وعظيم عطائه هذا في الآخرة .

وكذلك ما وعدهم به في الدنيا من الأمن والخيرات، والعطايا والهبات، والعز والنصر والتمكين،والسعادة القلبية وغيرها من الوعودات، فكلها متحققة لمن حقق شرطها فهو سبحانه من لا يخلف وعده -وفقنا الله بمنه- .

وهكذا وعيده لمن عصاه وحاد عن شرعه وخالف أمره وكذب رسله النار وبئس القرار وذلك في الآخرة ، وفي الدنيا لهم نصيب من الذل والصغار، والشقاء والهوان ، وغيرها من المتاعب والمصاعب والمعائب، ما لا حد لها ولا عد -عافانا الله من وعيده -.

قوله: (**مِمَّا يُعَايِنُ**) أي: مما ينظر ويرى .

قوله: (**شَخْصَهُ الْعَيْنَانِ**) أي: بعيني رأسه .

والمعنى المستفاد : أن وعد الله ووعيده حق لا ريب فيه وجب الإيمان بهما غيبًا ، كما نؤمن وأكثر مما نراه بأُم أعيننا .

فهل في المشاهد بالمعاينة ر يب لدى صاحبه ؟ كلا . وهكذا فليكن المسلم مع أخبار الله مصدقًا لا مرتابًا (فاللهم اسلك بنا سبيل المؤمنين الموقنين) .

٩١ وَاللهُ أَكْـبَرُ أَنْ تُحَـدَّ صِفَاتُهُ   أَوْ أَنْ يُقَاسَ بِجُمْلَةِ الأَعْيَانِ

قوله: (**وَاللهُ أَكْبَرُ**) أي: أجل وأعظم له الكبرياء المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وخلقه وأمره .

قوله: (**أَنْ تُحَدَّ صِفَاتُهُ**) أي: تدرك وتحاط فصفات الله - تعالى - صفات كمال ومدح لا نقص فيها ولا منتهى لها، والواجب نحوها اثباتها كما أثبتها لنفسه من غير تمثيل ولا تعطيل ، كما قال تعالى - : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى:١١] .

قال ابن أبي العز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن سهل بن عبد الله التستري وقد سئل عن ذات الله؟ فقال: « ذات الله موصوفة بالعلم غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار في الدنيا ،وهي موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا إحاطة ولا حلول، وتراه العيون في العقبى، ظاهرًا في ملكه وقدرته، وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته، ودلهم عليه بآياته ، فالقلوب تعرفه ، والعيون لا تدركه، ينظر المؤمنين بالأبصار، من غير احاطة ولا إدراك نهاية » [١].

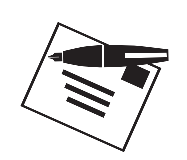
قوله: (**أَوْ أَنْ يُقَاسَ**) القياس: هو المساواة بين الشيئين .

قوله: (**بِجُمْلَةِ الأَعْيَانِ**) أي: بجملة المخلوقين.

والمعنى: أن صفات الله-تعالى-صفات مدح وكمال يحرم قياسها بصفات المخلوقين .

---

(١) شرح الطحاوية (ص ١٥٦) .



٩٢ وَحَيَاتُنَا في الْقَبْرِ بَعْدَ مَمَاتِنَا حَــقٌّ وَيَسْأَلُنَا بِـهِ الْمَلَكَانِ

قوله: (**وَحَيَاتُنَا في الْقَبْرِ**) القبر: مدفن الأموات ،والمراد : ما هو أعم فيشمل البرزخ وهو ما بين موت الإنسان وقيام الساعة سواء دفن الميت أو أكلته السباع في البر أو الحيتان في البحر أو أتلفته الرياح .

قوله: (**بَعْدَ مَمَاتِنَا**) الموت: مفارقة الروح للجسد ، والحياة في القبر كائنة بعد الموت .

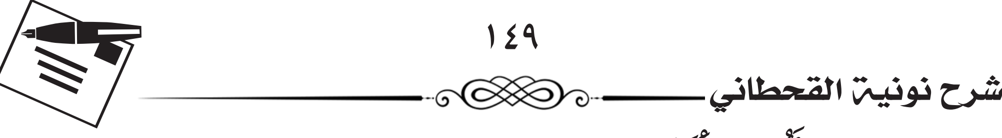
قوله: (**حَقٌّ**) أي: أن الحياة في القبر حياة حقيقية لا شك فيها ولا مرية ، قال -تعالى- : ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٠] .

وقال -أيضًا- : ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [يس:٥٢] .

* وهنا وقفة مهمة : لقد استدل بعض أصحاب الزيغ بهذه الآية على إنكار عذاب القبر أنه عبارة عن مرقد الموتى ليس فيه عذاب والحق الذي لا مندوحة عنه أنه لا يلزم من كونه مرقدا أنهم لا يعذبون فيها .

* ألم تر أن المرء الطريح على فراشه والذي يعاني ألوان الأمراض والأسقام معذب في مرقده، بل ربما ترى نائمين في مرقد واحد أحدهما معذب بأحلام مخيفة وكوابيس مفزعة وهو عند استيقاظه يشعر بآلام في جسده من آثار أحلامه والآخر بجواره ربما ينعم بأنواع الرؤى المسرة يتمتع بها تمتعًا فصار المرقد الواحد لأحدهما عذابا وللآخر نعيماً .

* وستأتي الأدلة الشافية الكافية في إثبات فتنة القبر وعذابه ونعيمه -هنا -



قوله: (**وَيَسْأَلُنَا بِهِ المَلَكَانِ**) هذ هي فتنة القبر والفتنة: الإبتلاء والإمتحان.

والمراد بالفتنة هنا : ما يتعرض له العبد من سؤال الملكين له من ربك؟، وما د ينك؟، ومن نبيك؟، وهذا حق ثابت في القرآن والسُّنَّة الصحيحة .

فأما دلالة القرآن فقوله تعالى : ﴿ **يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾** ﴾ [إبراهيم:٢٧] .

جاء في الصحيحين من حديث البَرَاء بْن عَازِب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- ، عَن النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : «**إذَا أُقْعدَ المُؤْمِنُ في قَبْرِه أُتِيَ ، ثُمَّ شَهدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، فَذَلِكَ قَوْلُهُ :﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾** [إبراهيم:٢٧].[1]

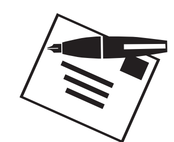
وعنه -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَن النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : ﴿ **يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ** ﴾قَالَ : « **نَزَلَتْ فِي عَذَابِ القَبْرِ** » .[2]

وأما السُّنَّة : فدلالتها متضافرة من ذلك ما رواه أبو داؤود والحاكم والبيهقي من حديث عُثْمَانَ بن عَفَّانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذَا فرَغَ من دَفْنِ المَيِّتِ وقَفَ علَيهِ وقَالَ: « **استَغْفِرُوا لأَخِيكُم، وسَلُوا لَهُ التَّثبيتَ، فإنَّهُ الآنَ يُسأَلُ** » .[3]

وعَنْ زَيْد بْن ثَابت-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا**» .[4]

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه البخاري .
(٣) رواه أبو داود والحاكم والبيهقي وصححه الألباني .
(٤) رواه مسلم .



وعَنْ أَسْمَاء بِنْت أَبِي بَكْر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: أَنَّ رَسُولَ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**»(١).

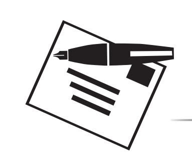
وفتنة الدجال أعظم فتنة منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة، كما في صحيح مسلم عن عمران ابن حصين -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: سمعت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: « **مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْق أَكْبَرُ مِنْ الدَّجَّالِ**».(٢)

وَفِي حَدِيْث الْبَرَاء بْن عَازِب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عَن النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (وَفِيْهِ): « **فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِه، وَيَأْتِيه مَلَكَان فَيُجْلِسَانه فَيَقُولَان لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَان لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَان لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَيَقُولَان: مَا عَمَلُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّه، وَآمَنْتُ بِه، وَصَدَّقْتُ بِه ......، -إِلَى أَن قَالَ فِي الْعَبْد الْكَافِر- فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِه، وَيَأْتِيه الْمَلَكَان فَيُجْلِسَانه، فَيَقُولَان لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهَا لَا أَدْرِي، فَيَقُولَان لَهُ: وَمَا دِينُكَ؟، فَيَقُولُ: هَاهَا لَا أَدْرِي ......** » .(٣)

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ** » .(٤)

هذه الأدلة الصحيحة وغيرها تدل دلالة كافية في فتنة القبر في حق كل

---
(١) رواه البخاري .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه أحمد وأبو داود وغيرهما، وصححه الألباني .
(٤) رواه البخاري ومسلم .



إنسان من هذه الأمة سوى من استثنتهم الأدلة [١]، وهم :

١ – الأول: الشهيد/ أعني شهيد المعركة المقاتل في سبيل الله كما في الحديث الصحيح عَنْ رَجُلٍ ، مِنَ الصَّحَابَةِ ، أَنَّ رَجُلًا ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدُ ؟ فَقَالَ : « **كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً** » . [٢]

ومعناه: والله أعلم :أنه قد امتحن نفاقه من إيمانه ببارقة السيوف على رأسه فلم يفر فاستغنى بذلك عن الإمتحان في قبره .

٢ – الثاني : المرابط في سبيل الله : لما رواه مسلم عَنْ سَلْمَانَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ : « **رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ** » . [٣]

وَ عَنْ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : «**كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ** » . [٤]

٣– الثالث : الأنبياء: لا تشملهم الفتنة لوجهين كما قال العلامة ابن عثيمين –رَحِمَهُ اللَّهُ– : [٥]

١ – أن الأنبياء أفضل من الشهداء ، فإذا كان الشهيد يؤمن من فتنة القبر

---

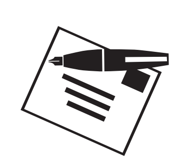
(١) ومن أراد زيادة الفائدة فليرجع إلى كتاب (القبر عذابه ونعيمه) للشيخ/ محمد عبد الوهاب الوصابي –رَحِمَهُ اللَّهُ– .

(٢) رواه النسائي وصححه العلامة الألباني .

(٣) رواه مسلم وغيره .

(٤) رواه أبو داؤود والترمذي والحاكم وأحمد وصححه الألباني .

(٥) انظر شرح الواسيطة لابن عثيمين .



فالنبي من باب أولى .

٢- الأنبياء يُسأل عنهم فيقال للميت:من نبيك؟ فهم مسؤول عنهم وليسوا مسؤولين ، ولهذا قال النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُم** » .

٤- الرابع:الصديقون: لايفتنون وذلك لأن الصديق أجل خطرًا وأعظم أجرًا وأرفع رتبة من الشهيد قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾: [النساء:٦٩] .

وقد جاء في المرابط الذي هو أقل مرتبة من الشهيد أنه لايفتن فكيف بمنهو أعلى مرتبة منه ومن الشهيد ؟ والله أعلم .[١]

وانظر ما ذكره ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في شرح الواسطية .[٢]

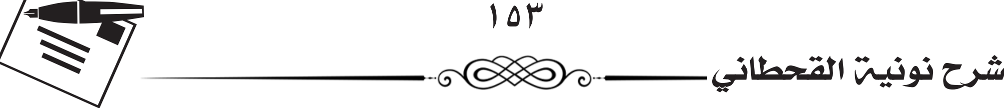
٥- الخامس: من مات يوم الجمعة أو ليلتها من المسلمين لما رواه أحمد وغيره عَنْ عَبْدِ الله بن عَمْرو -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- قالَ: قالَ رسُولُ الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمعَةِ ؛ إلا وَقَاهُ الله فِتْنَةَ الْقَبْرِ**» .[٣]

٩٣ وَالْقَبْرُ صَحَّ نَعِيمُهُ وَعَذَابُهُ   وَكِلاَهُمَا لِلنَّاسِ مُدَّخَرَانِ

قوله: (**وَالْقَبْرُ صَحَّ نَعِيمُهُ وَعَذَابُهُ**) أي: هذا حق ثابت في القرآن والسُّنَّة والإجماع الصحيح .

---

(١) انظر شرح الواسطية للشيخ / نعمان الوتر (ص ٤١٤) .
(٢) انظر شرح الواسطية لابن عثيمين .
(٣) رواه أحمد وغيره .



فمن أدلة القرآن : قوله تعالى : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر:٤٦] .

فعرض فرعون ومن كفر من آله على النار غدوًا وعشيًا منذ أُغرق إلى يوم البعث، إنما هو في القبر وكفى بذلك عذابا ودليلاً وذلك لأنه قال : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر:٤٦] .

ومن الأدلة قوله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – : ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة : ١٠١] .

فعن ابن عباس – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا – في هذه الآية قال : في فضح الله بعض أهل النفاق هذا هو العذاب الأول، والعذاب الثاني : عذاب القبر وكذلك قال الثوري عن السدي عن أبي مالك نحو هذا .(١)

وقال سعيد عن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : عذاب الدنيا وعذاب القبر.(٢)

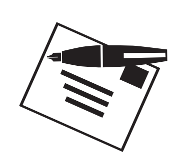
وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ – : عذاب في الدنيا وعذاب في القبر .(٣)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: قال غير واحد من العلماء : المرة الأولى في الدنيا والثانية في البرزخ ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ في الآخرة(٤).

ومن الأدلة قوله –تعالى– : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾[الأنعام : ٩٣] .

﴿ ٱلْيَوْمَ ﴾[الـ] للعهد الحضوري والمراد به:يوم حضور الملائكة لقبض أرواحهم ، وهذا يقتضي أنهم يعذبون من حين تخرج أرواحهم ، وهذا هو

(١) تفسير ابن كثير (سورة التوبة) .
(٢) العقيدة الصافية (ص ١٥٤) .
(٣) تفسير ابن كثير (سورة التوبة) .
(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦٦) .



عذاب القبر .

وأما دلالة السُّنَّة : فمتواترة منها: ما ثبت في الصحيحين من حديث ابْن عَبَّاس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال: مَرَّ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِقَبْرَيْن فَقَالَ: « **إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَان ، وَمَا يُعَذَّبَان في كَبِير ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْل ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشي بِالنَّمِيمَة ، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْن فَغَرَزَ في كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً** ، قَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟، **قَالَ : لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا** » .(١)

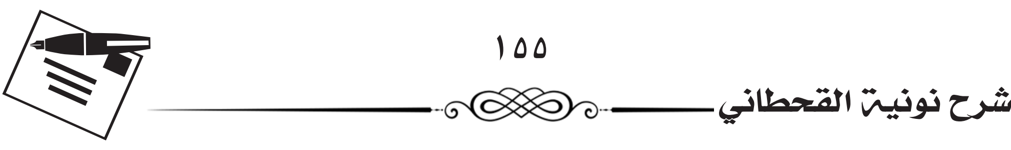
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ** » .(٢)

وَفِي صَحِيْح مُسْلم عَنْ زَيْد بْن ثَابت -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِنَّ هَذه الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا ، فَلَوْلا أَنْ لا تَدَافَنُوا ، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِه ، فَقَالَ : تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ** ، قَالُوا : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» .(٣)

عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ يَهُودِيَّةً دَخَلَتْ عَلَيْهَا، فَذَكَرَتْ عَذَابَ الْقَبْر، فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اللهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْر، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- رَسُولَ الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ عَذَابِ القَـبْرِ، فَقَالَ: « **نَعَمْ، عَذَابُ القَبْرِ حَقٌّ** » .(٤)

إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة الدالة على وقوع العذاب في القبر الدائم في حق الكافر ، والمنقطع في حق عصاة المسلمين والله أعلم .

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه البخاري .



وأما الإجماع: قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « وقد اتفق السلف وأهل السُّنَّة على اثبات عذاب القبر ونعيمه » .(١)

ولو أن عذاب القبر غير ثابت ما صح أن يتعوذوا بالله منه إذ لا يتعوذ من أمر ليس موجودا وهذا يدل على أنهم يؤمنون به .

واعلم -رحمك الله- أن عذاب القبر واقع على الروح والبدن على القول الصحيح .(٢)

فإن قال قائل : هل العذاب أو النعيم في القبر دائم أو ينقطع ؟.

فالجواب ما ذكره العلامة ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « أما العذاب للكفار فإنه دائم ولا يمكن أن يزول عنهم، لأنهم يستحقون ذلك ،ولإنه لو زال عنهم لكان راحة لهم وهم ليسوا أهل لذلك، فهم باستمرار في عذاب إلى يوم القيامة ولو طالت المدة ،أما عصاة المؤمنين فهؤلاء قد يدوم عذابهم وقد لا يدوم ، وقد يطول وقد لا يطول، حسب الذنوب وحسب عفو الله تعالى » .(٣)

فإن قال قائل: لو أن هذا الرجل تمزق أوصالاً أو أكلته السباع أو ذرته الرياح فكف يكون عذابه ؟، وكف يكون سؤاله ؟ .

فالجواب: ما ذكره العلامة ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « أن الله -عَزَّوَجَلَّ- على كل شيء قدير وهذا أمر غيبي، فالله -عَزَّوَجَلَّ- قادر على أن يجمع هذه الأشياء في عالم الغيب ربما يجمعها الله فانظر إلى الملائكة تنزل لقبض روح الإنسان في المكان، نفسه كما قال الله -تعالى- : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الواقعة : ٨٥] .

---

(١) العقيدة الصافية (ص ١٥٢) .
(٢) شرح الواسطية (ص ٤٢٩) للشيخ/ نعمان الوتر .
(٣) شرح الواسطية (ص ٣١١) .



وملك الموت يكلم الروح ونحن لا نسمع ، يتمثل أحيانا للرسول ويكلمه بالوحي في نفس المكان والناس ينظرون ولا يسمعون ، فعالم الغيب لا يمكن أن يقاس بعالم الشهادة » .(١)

قوله : (**وَكِلاهُما لِلنَّاسِ مُدَّخَرَانِ**) أي: أن عذاب القبر ونعيمه مدخران للإنسان حسب ما هو أهلاً له- نسأل الله العافية -.

٩٤ وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَعْدٌ صَادِقٌ بِإِعَادَةِ الأَرْوَاحِ فِي الأَبْدَانِ

قوله : (**وَالْبَعْثُ**) .

والبعث لغةً: الإرسال والنشر ويوم البعث يوم القيامة .

والبعث شرعًا: إحياء الأموات يوم القيامة للحساب .

قوله : (**بَعْدَ الْمَوْتِ**) أي: أنه كائن بعد الموت .

قوله : (**وَعْدٌ صَادِقٌ**) : أي: وعد حق لا شك فيه دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة والإجماع ، فمن الكتاب يقول -تعالى-: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ﴾[التغابن :٧] .

وقال -تعالى- : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦ ﴾[المؤمنون :١٦] .

ومن السُّنَّة : ما جاء في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « **قَالَ اللَّهُ : كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ : لَنْ يُعِيدَنِي ، كَمَا بَدَأَنِي ، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ : اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا**

(١) ومن أراد المزيد من الأدلة والفائدة فليرجع إلى كتاب (القبر ، عذابه ونعيمه) ، للشيخ/ محمد ابن عبد الوهاب الوصابي .

وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ» .[١]

وفي الحديث القدسي الذي رواه البخاري: يقول الله -عَزَّوَجَلَّ- : « **وليسَ أولُ الخلقِ بأهونَ عليَّ مِنْ إعادَتِهِ** »[٢] . والكل على الله هين .

و قَالَ-صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**يُحْشَرُ النَّاسُ يومَ القِيامَةِ حُفاةً عُراةً غُرْلًا** ».[٣]

وأما الإجماع/ فقد أجمع المسلمون إجماعًا قطعيًا على وجوب الإيمان باليوم الآخر ، ولهذا يعد مُنكره في عداد الكافرين، قال تعالى : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ﴾ [التغابن :٧] . ففي هذه الآية أمر الله نبيه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يقسم بربه على حقيقة المعاد، ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ ۞ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٥٣ ﴾[يونس :٥٣] .

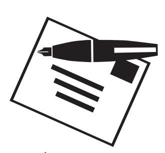
ومثل قول الله -تعالى- : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ ﴾[سبأ: ٣] .

ومثل قول الله -تعالى- :﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ٦٧ ﴾[النمل: ٦٧] .

قوله : (**بِإِعَادَةِ الأَرْوَاحِ في الأَبْدَانِ**) أي: أن الأرواح تعاد للأجساد .

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : وفي هذا دليل على أن البعث إعادة وليس تجديدا بل هو إعادة لما زال وتحول فإن الجسد يتحول إلى تراب والعظام تكون رميما يجمع الله هذا المتفرق حتى يتكون الجسد فتعاد الأرواح إلى أجسادها وأما من زعم بأن الأجساد تُخلق من جديد فإن هذا زعم باطل يرده الكتاب

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه البخاري .
(٣) رواه البخاري ومسلم.



والسُّنَّة والعقل » .[١]

٩٥ وَصِرَاطُنَا حَقٌّ وَحَوْضُ نَبِيِّنَا صِدْقٌ لَهُ عَدَدُ النُّجُومِ أَوَانِي

قوله : (**وَصِرَاطُنَا**) الصراط لغة: الطريق .

الصراط شرعًا: الجسر الممدود على ظهر جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة

قوله : (**حَقٌّ**) أي: صدق والمؤمنون سيمرون عليه والمرور عليه يكون على قدر إيمان العبد فمنهم من يكون مروره كالطرف ومنهم كالبرق ومنهم كالريح المرسلة، ومنهم من يكون كالجواد السريع ومنهم من يجري جريًا ، ومنهم من يمشي مشيًا ، ومنهم من يحبو .

ونور العبد على الصراط على قدر نور كلمة التوحيد في قلبه ، فمنهم من يكون نوره على الصراط كالقمر ليلة البدر ، ومنهم من يكون كالكوكب المضئ ، ومنهم كالكوكب الخافت ، ومنهم كالمصباح ، ومنهم كالسراج ، والمرور على الصرط من المواقف العظيمة التي يمر بها العبد يوم القيامة ، دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة والإجماع .

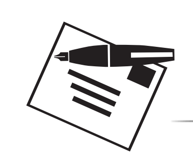
فأما الكتاب ، فقوله -تعالى-:﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾ [مريم :٧١] .

قال ابن مسعود وقتادة وزيد ابن أسلم : بالمرور على الصراط .

وأما السُّنَّة:فَعَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «... **ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ ، وَيَقُولُونَ:**

---

(١) شرح الواسطية (ص ٣١١) .



اللَّهُمَّ سَلِّمْ ...» .(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : «**وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**» .(٢)

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة على ثبوت الصراط ومرور جميع المسلمين عليه .

قوله : (**وَحَوْضُ نَبِيِّنَا**) الحوض لغة: مجتمع الماء يقال: حاض الماء يحوضه إذا جمعه و يطلق على مجتمع الماء .

شرعًا:حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو مورد عظيم ترده أمة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يوم القيامة دل عليه الكتاب والسُّنَّة والإجماع .

فأما الكتاب : فقوله -تعالى- : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ ﴾ [الكوثر:١] .

ومن السُّنَّة: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إِنِّي فَرَطُكُمْ**(٣) **عَلَى الْحَوْضِ**» .(٤)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا الْكَوْثَرُ؟، قَالَ: « **ذَاكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللهُ يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ فِيهَا طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجُزُرِ** » .(٥)

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه البخاري .
(٣) الفرط هو : الذي يتقدم الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء.
(٤) رواه البخاري ومسلم.
(٥) رواه البخاري ومسلم.

وَعَنْ أَنَس بْن مَالك –رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ– أَنَّ رَسُولَ الله –صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ– قَالَ: « **إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى صَنْعَاءَ منَ اليمنِ، وإنَّ فِيهِ مِنَ الأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ**» . (١)

والأحاديث في هذه المسألة متواترة

قال الناظم – رَحِمَهُٱللَّهُ –:

مما تواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيتا فاحتسب

رؤية شفاعة والحوض ومسح خفين وهذي بعض

واعلم – رحمك الله – أن حوض الكوثر مخلوق موجود فقد ثبت عن النبي –صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ– أنه خطب ذات يوم في أصحابه وقال: «**وَإِنِّي وَاللَّهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ** » . (٢)

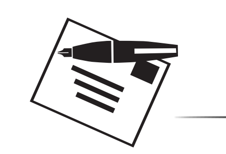
وأيضًا ثبت عن النبي –صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ– أنه قال: «**وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي**» . (٣)

ثم اعلم سقاك الله من نهر الكوثر أن الحوض ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل ، وأطيب من ر يح المسك، وآنيته عدد نجوم السماء، وطوله شهر، وعرضه شهر، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا ، وزمن الحوض قبل العبور على الصراط ويرده المؤمنون بالله وبرسوله ، ولكل نبي حوض ، ولكن الحوض الأعظم حوض نبينا –صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ– .

وقد ثبت ذلك بالإجماع .

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري ومسلم.



٩٦ يُسْقَى بِهَا السُّنِّيُّ أَعْذَبَ شَرْبَةٍ وَيُذَادُ كُلُّ مُخَالِفٍ فَتَّانِ

قوله : (**يُسْقَى بِهَا السُّنِّيُّ**) أي: أنه يسقى من حوض الكوثر أهل السُّنَّة من هذه الأمة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده . .

قوله : (**أَعْذَبَ شَرْبَةٍ**) أي: أهنأ وأمرأ وألذ .

قوله : (**وَيُذَادُ**) أي: يدفع ويطرد .

قوله : (**كُلُّ مُخَالِفٍ فَتَّانِ**) المراد بهم المرتدين عن الإسلام فعن أَبِي مَسعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ ، لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ ، حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي ، فَأَقُولُ : أَيْ رَبِّ أَصْحَابِي ، يَقُولُ : لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ** » .(١)

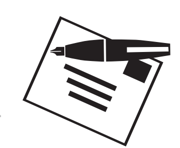
وجاء عند البخاري ومسلم من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقُول : « **سُحْقًا ، سُحْقًا ، لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي** » .(٢)

٩٧ وَكَذَلِكَ الأَعْمَالُ يَوْمَئِذٍ تُرَى مَوْضُوعَةً فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ

قوله : (**وَكَذَلِكَ الأَعْمَالُ يَوْمَئِذٍ تُرَى**) أي: ومن الأحداث المهيلة يوم القيامة رؤية الأعمال ، ولذا قال: ترى موضوعة في كفة الميزان أي: رؤية الأعمال في كفة الميزان موضوعة ليتم وزنها ، قال تعالى : ﴿ **يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨** ﴾ [الزلزلة :٦- ٨] .

والميزان : مايوزن به الأعمال وقد دل عليه الكتاب والسُّنَّة المتواترة والإجماع.

(١) رواه البخاري في صحيحه بنحو من هذا اللفظ .
(٢) رواه البخاري ومسلم.



فأما الكتاب: فقوله-تعالى-: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾[القارعة:٦-١١].

وقال-تعالى-: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الأنبياء:٤٧].

وأما السُّنَّة : فَعن أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ على اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ في المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ**» .(١)

عَنْ أَبِي مَالِك الْأَشْعَرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ** » .(٢)

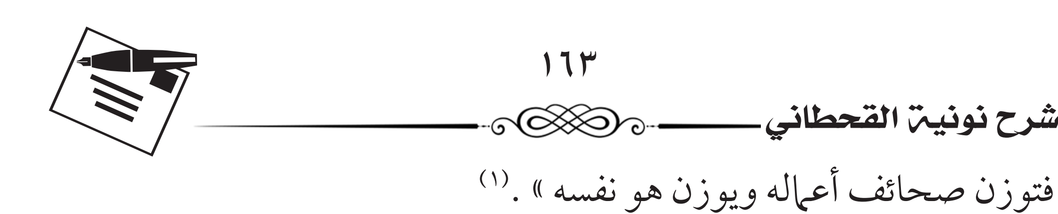
وَعَن ابْن مَسْعُود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاك، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْن، فَجَعَلَت الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**» ، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّة سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**» .(٣)

وأما الإجماع: فقد حكاه غير واحد من أهل العلم، كالإمام الفاريني في لوامع الأنوار.وهنا قد يقول قائل:هل يوزن العمل أو العامل أو الصحائف ؟.

فالجواب: ما ذكره العلامة الإمام محمد بن صالح العثيمين -رَحِمَهُ اللَّهُ- بعد أن ذكر الخلاف بين أهل العلم في المسألة ثم قال: «.... ولكن عند التأمل نجد أن أكثر النصوص تدل على أن الذي يوزن هو العمل ويخص بعض الناس

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه أحمد.



فتوزن صحائف أعماله ويوزن هو نفسه » .(١)

٩٨ وَالْكُتْبُ يَوْمَئِذٍ تَطَايَرُ فِي الْوَرَى ... بِشَمَائِلِ الأَيْدِي وَبِالأَيْمَانِ

قوله : (**وَالْكُتْبُ**) المراد بها: صحائف الأعمال التي كتبها الملائكة الموكلون بذلك، قال -تعالى- : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الإنفطار:١٠-١٢] .وقال -تعالى- : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الإسراء:١٣] .

وقال -تعالى- : ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف:٤٩] .

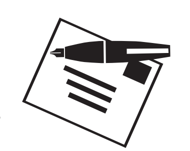
قوله : ﴿ **يَوْمَئِذٍ** ﴾ أي يوم القيامة .

قوله : (**تَطَايَرُ فِي الْوَرَى**) أي: تنشر وتفرغ وتفتح لقارئها ، قال -تعالى- : ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء:١٤] .

قوله : (**بِشَمَائِلِ الأَيْدِي**) هذا هو الصنف الأول من الناس وهم الكفار والفجار على اختلاف أضربهم ومللهم ونحلهم ، الذين يتسلمون صحائف أعمالهم بشمائلهم من وراء ظهورهم ، وذلك لأنه استدبر كتاب الله تعالى وولاه ظهره صار من العدل أن يجعل كتاب أعماله يوم القيامة خلف ظهره ، قال الله -تعالى-: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الإنشقاق : ١٠-١٢] .

وقال الله -تعالى-: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحاقة : ٢٥-٢٦] .

(١) شرح الواسطية (ص ٣٢١) .



قوله : (**وَبِالأَيْمَانِ**) وهذا هو الصنف الثاني من الناس وهم أهل اليمين الذين يؤتون كتب أعمالهم بأيمانهم قال -تعالى- : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ ﴾ [الإنشقاق:٧-٨] .

وقال -تعالى- : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ ﴾ [الحاقة:١٩] .

٩٩ وَاللهُ يَوْمَئِذٍ يَجِيءُ لِعَرْضِنَا مَعَ أَنَّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ دَانِ

قوله : (**وَاللهُ يَوْمَئِذٍ يَجِيءُ**) فيه إثبات صفة المجيئ لله يوم القيامة وذلك للفصل بين عباده والمجيئ صفة فعلية له تعالى دل على ثبوتها الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف.

فأما الكتاب : فقوله -تعالى- : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ ﴾ [الفجر:٢٢] .

وقوله -تعالى- : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[البقرة:٢١٠] .

وأما السُّنَّة : فقوله : -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ** » .(١)

وأما الإجماع: فقد أجمع السلف على ثبوت المجيئ لله تعالى وهو مجيء حقيقي يليق بجلاله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

قوله : (**لِعَرْضِنَا**) فيه اثبات العرض يوم الفصل على الله ، قال تعالى : ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴾[الكهف:٤٨] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم.



وقوله -تعالى- : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾[الحاقة:١٨] .

وَعَنْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : « لَيْسَ أَحد يُحَاسَبُ يَوْمَ القِيَامَة إِلَّا هَلَكَ»،فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ فَقَال رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ ، وَلَيْسَ أَحد يُنَاقَشُ الحِسَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ**» .(١)

قوله : (**مَعَ أَنَّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ دَانِ**) أي: أنه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في كل وقت قريب من عباده .

قال -تعالى- : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾[البقرة:١٨٦] .

وفي الحد يث القدسي أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: « **وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِل حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ** » .(٢)

ومعنى سمعه الذي يسمع به، وبصره ....أي أنه يصبح ربانيا ،لا يسمع إلا ما أحب الله ، ولا يبصر إلا ما يرضي الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ... إلخ .

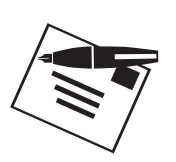
١٠٠ وَالأَشْعَرِيُّ يَقُولُ يَأْتِي أَمْرُهُ   وَيَعِيبُ وَصْفَ اللهِ بِالإِتْيَانِ

قوله : (**وَالأَشْعَرِيُّ**) المراد به: أبو الحسن عل بن اسماعيل من ذرية أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولد أبو الحسن الأشعري بالبصرة عام (٧٢٠ هـ) .

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .



وقد مر بثلاثة أطوار:

الأول: طور الاعتزال فقد كان على مذهب المعتزلة ورأسها هو واصل ابن عطاء .

الثاني : طور الكلابية نسبة إلى ابن كلاب .

الثالث: رجوعه إلى مذهب السلف ، فالأشاعرة ينتسبون لطوره الثاني .

قوله : (**يَقُولُ يَأْتِي أَمْرُهُ**) أي: أنهم يؤلون مجيء الله بمجيء أمره ولا شك أن هذا القول تعطيل لصفة المجيء .

والرد عليهم: أن نقول إن قولهم هذا خلاف ظاهر النصوص وخلاف طريقة السلف وليس عليه دليل صحيح .[١]

قوله : (**وَيَعِيبُ وَصْفَ اللهِ بِالإِتْيَانِ**) أي: أن الأشعري ينزه الله عن صفة الإتيان ، ويرى أن وصف الله بَذلك يعد عيبًا ونقصًا .

١٠١ وَاللهُ فِي الْقُرْآنِ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَأْتِي بِغَيْرِ تَنَقُّلٍ وَتَدَانِ

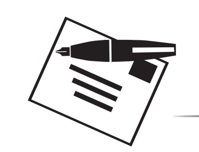
قوله : (**وَاللهُ فِي الْقُرْآنِ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَأْتِي**) أي: هذا ما سبق بيانه في قوله -سبحانه- ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾[البقرة:٢١٠] .

وقوله -تعالى- :﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾[الفجر:٢٢] .

قوله : (**بِغَيْرِ تَنَقُّلٍ وَتَدَانِ**) أي: أي: بغير تنقل من مكان إلى آخر وتقارب إذ يجب علينا أن نثبت لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات من غير تمثيل ولا تعطيل، قال -تعالى- :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١] .

---

(١) شرح لُمعة الاعتقاد (ص١٢) .



١٠٢ وَعَلَيْهِ عَرْضُ الْخَلْقِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ لِلْحُكْمِ كَيْ يَتَنَاصَفَ الْخُصَمَانِ

قوله: (**وَعَلَيْهِ عَرْضُ الْخَلْقِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ**) أي: أن الخلائق تُعرض على الله للفصل بينها يوم الفصل قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحاقة:١٨] .

وقال –تعالى– : ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الكهف:٤٨] .

قوله : (**لِلْحُكْمِ كَيْ يَتَنَاصَفَ الْخُصَمَانِ**) أي: الفصل بين الخصوم فيأخذ المظلوم حقه من الظالم إلا أن يعفوا عنه حتى أنه يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء . (١)

١٠٣ وَاللهُ يَوْمَئِذٍ نَرَاهُ كَمَا نَرَى قَمَرًا بَدَا لِلسِّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ

قوله : (**وَاللهُ يَوْمَئِذٍ**) أي : يوم القيامة .

قوله : (**نَرَاهُ**) وهذا فيه إثبات رؤية المؤمنين لربهم بأبصارهم يوم القيامة من غير إحاطة دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة والإجماع .

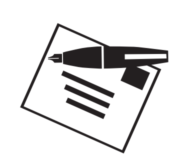
فمن دلالة الكتاب: قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣] .

وقال تعالى :﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس :٢٦] .

فالحسنى: الجنة ، والزيادة هي : النظر إلى وجهه تعالى هذا هو تفسير رسول

---

(١) رواه مسلم والترمذي .



الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للآية وكذلك أصحابه-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- من بعده .

رَوى مُسْلم عَنْ صُهَيْب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : تلاَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هَذه الآيـَةَ ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ وَقَالَ:« إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّة الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّار النَّارَ، نَادَى مُنَاد يَا أَهْلَ الْجَنَّة ، إِنَّ لَكُمْ عنْدَ الله مَوْعدًا يُريدُ أَنْ يُنْجزَكُمُوهُ. فَيَقُولُونَ : وَمَا هُوَ ،أَلَمْ يُثَقِّل اللهُ مَوَازِينَنَا، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ، وَيُدْخلْنَا الْجَنَّةَ ، وَيُنْجنَا منَ النَّار؟، قَالَ: فَيَكْشفُ الْحجَابَ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْه، فَمَا أَعْطَاهُمُ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَر إِلَيْهِ وَهيَ الزِّيَادَة ». (١)

وقال تعالى :﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين :١٥] .

ذكر ابن كثير في تفسيره للآية عن الإمام الشافعي -رَحِمَهُ اللَّهُ- أنه قال : في هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه -عَزَّ وَجَلَّ- يومئذ.

قال ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ- معلقًا: وهذا الذي قاله الإمام الشافعي -رَحِمَهُ اللَّهُ- في غاية الحسن وهو استدلال بمفهوم هذه الآية.

وقال ابن قدامة -رَحِمَهُ اللَّهُ- في لمعة الإعتقاد : «فلما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى وإلا لم يكن بينهما فرق » (٢) .

وأما دلالة السُّنَّة فمتواترة : قال الناظم -رَحِمَهُ اللَّهُ- :

مما تواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيتًا فاحتسب

رؤية شفاعة والحوض ومسح خفين وهذي بعض

ومن ذلك قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ هذا الْقَمَرَ،**

---

(١) رواه مسلم .
(٢) لمعة الاعتقاد (ص٤٤) .

لا تُضَامُّونَ في رُؤْيَتِهِ» (١).

وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي لأن الله ليس كمثله شيئ .

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « وهي رؤية حقيقية تليق بالله تعالى » (٢) .

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في نونيته:

ويـرونـه سبحانه مـن فوقهم نظر العيان كما يـرى القمران
هــذا تـواتـر عـن رسـول الله لم يـنـكـره إلا فـاسـد الإيـمان

وأما الإجماع : فقد أجمع الصحابة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ- ومن بعدهم من سلف الأمة إلى يومنا هذا على رؤية المؤمنين لربهم بأبصارهم يوم القيامة .

قوله : (**كَمَا نَرَى قَمَرًا**) أي : وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لأن الله لا شبيه له ولا نظير .

قوله : (**بَدَا**) أي : ظهر واتضح .

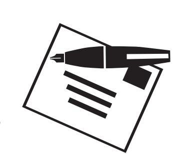
قوله : (**لِلسِّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ**) أي : لستة أيام بعد ثمانية أيام فيكون مجموعها أربعة عشر يوما حينئذ تكون هي ليلة الخامس عشر من الشهر وهي ليلة النصف التي يكتمل فيها القمر ويسمى بالبدر .

١٠٤ يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهَوْلِهِ لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ أَوْطَانِ

قوله : (**يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهَوْلِهِ**) الهول: المخافة من الأمر والجمع أهوال وهئول.

---

(١) متفق عليه .
(٢) لمعة الاعتقاد (ص ٤٥) .



ولا شك أن ليوم القيامة أهوال عظام الناس حفاة عراة كالفراش المبثوث ، الجبال كالعهن المنفوش، السماء انفطرت ومارت وانشقت وفتحت وكشطت وطويت، الجبال سيرت ونسفت ودُكت ، الأرض زلزلت ومدت وألقت ما فيها وتخلت ، العشار عطلت، الوحوش حشرت، البحار فجرت وسجرت، الكواكب انتثرت، النجوم انكدرت ، الشمس كورت ومن رؤوس الخلائق أدنيت، الأمم ازدحمت وتدافعت ، الصحف نشرت، الموازين نصبت، الكتب تطايرت، الجوارح اضطربت، الألوان تغيرت، الفرائص ارتعدت، الموؤدة سُئلت بأي ذنب قتلت، الجحيم سُعرت، الجنة أُزلفت، المرضعة عما أرضعت ذهلت كل ذات حمل حملها أوقعت .

قال تعالى : ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾ [المزمل:١٧-١٨] .

هـذا بـلا ذنـب يخـاف مصيره كيف المُصر على الذنوب دهور

هذه أهوال يجب الإيمان بها وتطويل الفكر فيها .

قوله : (**لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ أَوْطَانِ**) أي: لو أنك أطلت فيها الفكر وتمعنت فيها النظر وأرجعت فيها البصر لتركت الأهل والأوطان .

ففي الحديث: « **واللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لضَحكْتُمْ قَليلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُم بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرجْتُمْ إِلى الصُّعُداتِ تَجْأَرُون إِلى اللهِ تَعَالَى**»(١) .

١٠٥ يَـوْمٌ تَشَقَّقَتِ السَّماءُ لِهَوْلِهِ وَتَشِيبُ فِيهِ مَفَارِقُ الْوِلْدَانِ

(١) رواه ابن ماجه والترمذي ، وقال : حديث حسن .

قوله : (**يَوْمٌ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لِهَوْلِهِ**) قال –تعالى–: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١﴾ [الإنشقاق:١] .

وقال –تعالى–: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١﴾ [الإنفطار:١] .

وقال –تعالى–: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨﴾ [المزمل:١٨] .

قوله : (**وَتَشِيبُ فِيهِ مَفَارِقُ الوِلْدَانِ**) قال–تعالى–: ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧﴾ [المزمل:١٧] .

(**وَتَشِيبُ**) بمعنى : تبيض .

(**وَالمَفَارِقُ**): جمع مفرق وهو وسط الرأس وهو الموضع الذي يفترق فيه الشعر .

(**وَالوِلْدَانِ**): جمع ولد وهو الصبي الصغير .

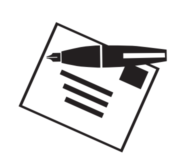
١٠٦ يَـوْمٌ عَبُوسٌ قَمْطَرِيرٌ شَرُّهُ   فِي الخَلْقِ مُنْتَشِرٌ عَظِيمُ الشَّانِ

قوله:(**يَوْمٌ عَبُوسٌ**) أي:شديد كربه تعبس منه الوجوه وتكلح من هوله وشدته.

قوله : (**قَمْطَرِيرٌ شَرُّهُ**) أي: صعبًا شديد طويل قاس وفي ذلك إشارة إلى قول الله –تعالى– : ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠﴾[الإنسان:١٠] .

قوله : (**فِي الخَلْقِ مُنْتَشِرٌ عَظِيمُ الشَّانِ**) أي: عظمه وهوله يعم جميع الخلق.

قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ [الحج : ١–٢] .



١٠٧ وَالْجَنَّةُ الْعُلْيَا وَنَارُ جَهَنَّمٍ دَارَانِ لِلْخَصْمَيْنِ دَائِمَتَانِ

قوله : (**وَالْجَنَّةُ الْعُلْيَا**) الجنة: الدار التي أعدها الله للأبرار .

قال -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (٢٢) ﴾ [المطففين:٢٢] .

وفيها من النعيم ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال -تعالى-: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٧) ﴾ [السجدة:١٧] .

قوله : (**وَنَارُ جَهَنَّمٍ**) النار: الدار التي أعدها الله للفجار .

قال -تعالى-: ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ (١٤) ﴾ [الإنفطار:١٤] .

وفيها من العذاب ما يعجز عن وصفها الواصفون ، قال -تعالى-: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢) ﴾ [إبراهيم:٢] .

وقال -تعالى-: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة:٩٨] .

وقال -تعالى-: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٧٦] .

وقال -تعالى-: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) ﴾ [آل عمران:١٧٧] .

وقال -تعالى-: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨) ﴾ [آل عمران:١٧٨] .

قوله : (**دَارَانِ**) أي: موطنان ومصيران .

قوله:(**لِلْخَصْمَيْنِ**)أي:للفريقين المتخاصمين المتقابلين وهما:الأبرار والفجار.

قوله : (**دَائِمَتَانِ**) أي: باقيتان لا يفنان ولا يبيدان أبدًا وهما موجودتان مخلوقتان .

قال -تعالى- : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [البينة :٦-٨] .

١٠٨ يَـوْمٌ يَجِـيءُ الْمُتَّقُونَ لِرَبِّهِمْ وَفْدًا عَلَى نُجُبٍ مِنَ الْعِقْيَانِ

قوله : (**يَوْمٌ يَجِيءُ الْمُتَّقُونَ لِرَبِّهِمْ**) هذا هو الفريق الأول : وهم المتقون ، أي : أن المتقين يوم القيامة يؤتون ربهم وقد ابيضت وجوههم يحدوهم حسن الظن به -تعالى- بأن يغفر لهم ويرضى عنهم و يكرمهم بدار كرامته .

قوله : (**وَفْدًا**) الوفد : الجماعة وهو جمع وافد يُقال: وفد يفد وفدًا : إذا خرج إلى ملك أو أمر عظيم ، ولابد أن يكون في قلب الوافد من الرجاء وحُسن الظن بالوافد إليه ما هو معلوم ، قال تعالى : ﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ ﴾ [مريم :٨٥] .

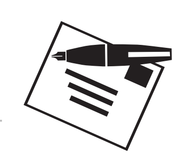
قوله : (**نُجُبٍ**) النجب : الإبل الكريمة السريعة ، واحدها نجيب .

قوله : (**الْعِقْيَانِ**) بالكسر الذهب الخالص .

والمعنى الإجمال : أن المتقين يأتون ربهم يوم القيامة على إبل كريمة مباركة يحدوهم حُسن الظن به -تعالى- فيستقبلهم ربهم أجل ما يستقبل المضيف ضيفه ، فيكرمهم بمغفرته ورضوانه ودار كرامته والنعيم برؤيته .

١٠٩ وَيَجِيءُ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ إِلَى لَظَى يَتَلَمَّظُونَ فِيْهِ تَلَمُّظَ الْعَطْشَانِ

قوله:(**وَيَجِيءُ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ إِلَى لَظَى**)وهذا هو الفريق الثاني وهم المجرمون.



يخبر الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن حالهم يوم القيامة أنهم يأتون وهم ناكسوا رؤوسهم ،وتغشاهم الذلة والمسكنة إلى لظى، ليذوقوا حرها ، و يصلون نارها، قال الله -تعالى-: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾[المعارج:١٥-١٨] .

و﴿لَظَىٰ﴾: اسم لجهنم واشتقاقها من التلظي في النار وهو التلهب .

قوله : (**يَتَلَمَّظُونَ فِيْهِ**) أي: يتتبعون يقال: تلمظ فلان: إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه وأخرج لسانه فمسح به شفتيه .

قوله : (**تَلَمُّظَ الْعَطْشَانِ**) أي: حاله في تلمظه لشدة الهول كحال تلمظ العطشان الذي قد بلغ به العطش مبلغه .

مثل وقوفك يوم العرض عريانا مستوحشاً قلق الأحشاء حيراناَ

النار تلهب من غيظٍ ومن حنقٍ على العصاةِ ورب العرش غَضبانَا

اقرأ كتابك يا عبدي على مَهَل فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا

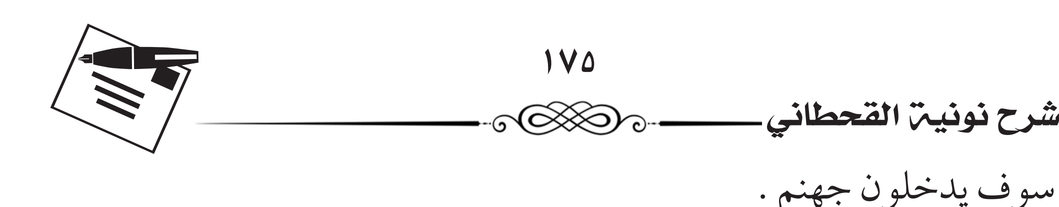
لما قرأت ولم تنكر قراءته إقرار من عرف الأشياء عرفانا

نادى الجليل خذوه يا ملائكتى وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا

المشركون غداً فى النار يلتهبوا والمؤمنون بدار الخلد سكانا

١١٠ وَدُخُولُ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ جَهَنَّمَ بِكَبَائِرِ الآثَامِ وَالطُّغْيَانِ

قوله:(**وَدُخُولُ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ جَهَنَّمَ**) فيه دلالة وإثبات أن بعض المسلمين



سوف يدخلون جهنم .

قوله:(**بِكَبَائِرِ**) الباء سببية، أي : بسبب الكبائر، والكبائر: جمع كبيرة والكبيرة: ما ترتب عليها حد أو لعن أو غضب أو عقوبة أو وعيد ؛ كالقتل والزنا والسرقة وشرب الخمر والربا والرشا، ونحو ذلك من كبابر الذنوب.(١)

قوله:(**الآثَامِ**) جمع إثم وهو: كل فعل أو قول يوجب إثم فاعله أو قائله .

قوله: (**وَالطُّغْيَانِ**) هو : مجاوزة الحد في ارتكاب الذنب .

وعليه : فعقيدة أهل السُّنَّة أن فاعل الكبيرة مستحق للعذاب وإن عذب لا يُخلد في النار ، ودليل ذلك ما جاء في الحديث الصحيح : « **يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ** »(٢) .

١١١ وَاللهُ يَرْحَمُهُمْ بِصِحَّةِ عَقْدِهِمْ وَيُبَدَّلُوا مِنْ خَوْفِهِمْ بِأَمَانِ

قوله: (**وَاللهُ يَرْحَمُهُمْ**) أي : أن الله تعالى يرحم أولئك العصاة من المسلمين برحمته فيخرجهم من ناره .

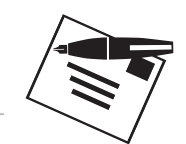
قوله: (**بِصِحَّةِ عَقْدِهِمْ**) الباء: سببية أي: بسبب صحة وسلامة معتقدهم .

والعقيدة الصحيحة: هي الإيمان الجازم بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، إيمانًا لا يتطرق إليه شك لدى معتقده .

وهذه العقيدة الصافية كفيلة بإنقاذ صاحبها ومعتقدها من العذاب، كما في الحديث الصحيح :« **يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ** »(٣) .

---

(١) فتح القدير (٢/ ٨) .
(٢) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح .
(٣) سبق تخريجه .



قوله: (**وَيُبَدَّلُوا مِنْ خَوْفِهِمْ بِأَمَانِ**) أي : أن الله -تعالى- يبدل حال أولئك العصاة من المسلمين ، وهو الخوف الذي ملأ قلوبهم في دار عذابه إلى أمن ينعمون به في دار كرامته ورضوانه .

١١٢ وَشَفِيعُهُمْ عِنْدَ الْخُرُوجِ مُحَمَّدٌ وَطُهُورُهُمْ فِي شَاطِئِ الْحَيَوَانِ

قوله: (**وَشَفِيعُهُمْ**) الشفاعة لغة: الوسيلة والطلب .

شرعًا: التوسط للغير بجلب مدفعة له أو دفع مضرة عنه . [١]

والشفاعة للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثلاث شفاعات :

١- الأولى: الشفاعة العظمى الخاصة بنبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من بين- سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، والتي يتأخر عنها أبونا آدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ومن بعده ألوا العزم من الرسل، حتى تنتهي إلى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيقول: « **أَنَا لَهَا** » . [٢]

٢- الثانية : الشفاعة لأهل الجنة، فيدخلون الجنة وقد ذكرها أبو هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- في حد يث طو يل في الصحيحين .

٣- الثالثة: الشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها وفيمن دخلها أن يخرج منها . وشاهدنا الشفاعة لمن دخل النار من عصاة المسلمين أن يخرجوا منها ، قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي** » . [٣]

وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « ... **فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي ، فَيَقُولُ انْطَلِقْ**

---

(١) العقيدة الصافية (ص ١٨٤) .
(٢) ألفاظه في الصحيحين غيرهما ، وهو حديث متواتر .
(٣) رواه أبو داود والترمذي وأحمد .

فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ ،فَأَخْرِجْهُ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ...» . (١)

وفي الحديث القدسي : « فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، فَيَقُول: وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَكِبْرِيَائِي، لَأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله » . (٢)

قوله: (وَطُهُورُهُمْ فِي شَاطِئِ الْحَيَوَانِ) شاطيء الشيء: أوله وجانبه .

وشاطئ الحيوان: بفتحتين يُقال له: نهر الحياة يطهرون فيه مما ذاقوه في النار من العذاب .

١١٣ حَتَّى إِذَا طَهُرُوا هُنَالِكَ أُدْخِلُوا جَنَّاتِ عَدْنٍ وَهْيَ خَيْرُ جِنَانِ

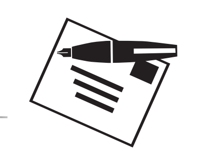
قوله: (حَتَّى إِذَا طَهُرُوا هُنَالِكَ) إشارة إلى نهر الحياة أنهم متى أدخلوا فيه من أخرجوا من النار من عصاة المسلمين وطهروا فيه أدخلوا الجنة .

قوله: (أُدْخِلُوا جَنَّاتِ) الجنات جمع جنة والجنة: البستان العظيم الذي كثرت أشجاره وقوي اخضراره وتنوعت ثماره ، والمراد بها هنا جنة الآخرة التي أعدها الله لأوليائه .

قوله: (عَدْنٍ) هذا اسم لأحدى جنات الآخرة ، والعدن: بفتح العين وسكون الدال الإقامة من عدن بالبلد : إذا توطنه وأقام فيه ، وعدنت الإبل بمكان كذا إذا لزمته فلم تبرح .

قوله: (وَهْيَ خَيْرُ جِنَانِ) مراده -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أنها من خير الجنان أما خيرها

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه البخاري مسلم .



على الإطلاق فهي جنة الفردوس ، التي سقفها عرش الرحمن ، الذي يعد أعلى المخلوقات وأعظمها حسب علمي - والله أعلم- .

١١٤ فَـالله يَجْمَعُنَا وَإِيَّـاهُـمْ بِهَا مِنْ غَيْرِ تَعْذِيبٍ وَغَيْرِ هَوَانِ

قوله: (**فَاللهُ يَجْمَعُنَا وَإِيَّاهُمْ بِهَا**) أي: فإني أسأل الله الذي لا يسئل هذا أحد سواه ، أن يجمعنا مع أولئك العصاة من المسلمين الذين قد نقوا من الأدران في شاطيء الحيوان ، واخرجوا إلى جنات تجري من تحتها الأنهار ، في جنات تجري من تحتها الأنهار .

قوله: (**مِنْ غَيْرِ تَعْذِيبٍ**) أي: من غير أن يجمعنا بهم في دار عذابه التي فيها نقوا من الآثام .

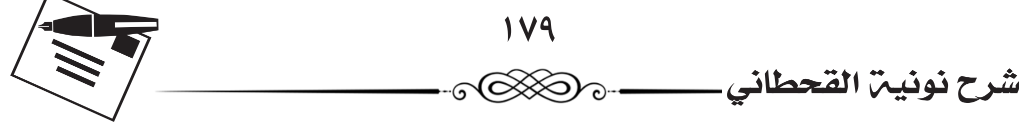
قوله: (**وَغَيْرِ هَوَانِ**) أي: ومن غير أن يذلنا كما أذلهم ويهيننا كما أهانهم .

١١٥ وَإِذَا دُعِيتَ إِلَى أَدَاءِ فَرِيضَةٍ فَانْشَطْ وَلاَ تَكُ فِي الإِجَابَةِ وَانِي

قوله: (**وَإِذَا دُعِيتَ إِلَى أَدَاءِ فَرِيضَةٍ**) أي: إذا دعاك داع الحق إلى القيام بالفريضة أي فريضة كانت صلاة أو زكاة أو صيام أو حج أو غير ذلك فبادر ممتثلاً ، ولذا قال: (**فَانْشَطْ**) أي: بادر وسارع ممتثلا راغبًا .

وربنا الكريم قد حثنا في أكثر من آية في جميع أبواب البر بالمسارعة والمسابقة والسعي الحثيث، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ ﴾[الجمعة :٩] .

فقال:﴿ فَٱسۡعَوۡاْ ﴾ولم يقل:فامشوا.والفرق بين السعي والمشي جلي واضح.



وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ ﴾ [البقرة :١٤٨] .

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [آل عمران :١٣٣] .

وقال عَزَّوَجَلَّ : ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المطففين : ٢٦] .

ومن هنا كانت آية المؤمنين المسارعة في الخيرات والمبادرة إلى الطاعات -وفقنا الله بمنه - .

ومن نظر في كتاب الله -تعالى- حين يتحدث عن الدنيا وجده حاثا على التقلل منها وعدم المسارعة فيها من ذلك قوله تعالى : ﴿ فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك: ١٥] .

ولم يقُل : (فاسعو) .

وقال عَزَّوَجَلَّ : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾[القصص : ٧٧] .

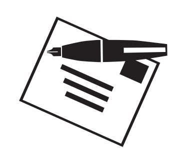
قوله: (**وَلاَ تَكُ في الإِجَابَةِ وَانِي**) أي: واحذر التواني والتكاسل والتباطؤ عن الإجابة لداع الله حين يدعوك إلى طاعته مُستمدًا العون من الله تعالى .

وفي الحديث: « **واسْتَعِنْ بِالله وَلاَ تَعْجَزْ** » .(١)

واعلم : أن التباطؤ في الخيرات سيما المنافقين ، قال الله في شؤنهم: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [النساء:١٤٢] .

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة .



وقال -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **أَثْقَلَ صَلاةٍ على المُنَافِقِينَ صَلاةُ العِشَاءِ، وَصَلاةُ الفَجْرِ** » .(١)

وعن ابنِ مسعودٍ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- : « **ولَقَد رَأَيْتُنا وَمَا يَتَخَلَّف عَنها إلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ** » .(٢)

١١٦ قُمْ بِالصَّلاَةِ الْخُمْسِ وَاعْرِفْ قَدْرَهَا فَلَهُنَّ عِنْدَ اللهِ أَعْظَمُ شَانِ

قوله: (**قُمْ**) هذا هو تعبير القرآن الكريم (القيام بالصلاة) ، قال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ ﴾ [الإسراء:٧٨] .

وقال: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [المزمل:٢٠] .

وقال: ﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [البقرة:٣] .

فجاء بلفظ الإقامة الذي يعني: القيام بها كاملة بأركانها وواجباتها وشروطها وسُننها حسًا ومعنى ولم يأت بها في موضع مجردة عن الإقامة ، أو ما يؤدي معناها.

قوله: (**بِالصَّلاَةِ**) الصلاة لغة: الدعاء ومنه قوله -تعالى- : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة:١٠٣].

﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: ادع لهم .

شرعا: التعبد لله تعالى بالقيام بأقوال وأفعال مخصوصة شرعًا مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم .

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم .



قوله: (**الْخُمْسِ**) وهذا معلوم من الدين بالضرورة أن الصلاة المفروضة خمس في اليوم والليلة وهي : (الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر) .

قوله: (**وَاعْرِفْ قَدْرَهَا**) أي: وتعرف على منزلتها الشرعية عند الله من بين سائر العبادات .

قوله: (**فَلَهُنَّ عِنْدَ اللهِ أَعْظَمُ شَانِ**) أي: أعظم منزلة ومكانة .

فمن فضائلها:

١- أنها أعظم عبادة يحصل فيها خشوع القلب وخضوعه والإمتلاء بنور الإيمان ويقينه .

٢- أنها أكبر عون للعبد على مصالح دينه ودنياه ﴿ **وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ** ﴾ [البقرة:٤٥] .

٣- أنها فرضت ليلة الإسراء والمعراج من غير واسطة .

٤- أنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة وآخر ما يفقده من دينه .

٥- أنها آخر ما أوصى بها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُمته عند مفارقة الدنيا ، جعل يقول : « **الصَّلاَةَ الصَّلاَةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** » [(١)].

وفي الجملة فأمر الصلاة عظيم وشأنها كبير .

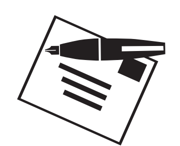
وعليه: فالواجب على كل مسلم المحافظة عليها واستحضار قلبه عند قيامه بها والمبادرة إليها .

فَعَنْ عَائشَة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- **قَالَتْ** : « **كَانَ رَسُولُ** -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **فِي خِدمَةِ أَهْلِهِ فَإِذَا سَمِعَ النِّدَاءِ كَأَنَّهُ لا يَعْرِفُنَا ولاَ نَعْرِفُهُ** » [(٢)].

---

(١) رواه أحمد وغيره .

(٢) له شواهد صحيحة .



ولفظ البُخاري : قالَتْ: « كَانَ يَكونُ في مِهْنَةِ أَهْلِه - تَعْني خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إلى الصَّلَاةِ» (١).

كيف لا يكون هذا حاله؟ وهو القائل : «وجُعِلَتْ قُرةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» (٢).

بل كان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلاةِ (٣) ، ونَادى : أَرِحْنا بِالصَّلاَة يا بِلالْ » .

١١٧ لاَ تَمْنَعَنَّ زَكَـاةَ مَالِكَ ظَالِمًا فَصَلاتُنَا وَزَكَـاتُـنَـا أُخْتَانِ

قوله: (**لاَ تَمْنَعَنَّ**) أي: احذر أن تمنع الزكاة .

قوله: (**زَكَاةَ مَالِكَ**) الزكاة لغة: النماء .

شرعًا: التعبد لله بإخراج نصيب مقدر شرعًا من مال معين يصرف لأشخاص معلومة .

قوله: (**ظَالِمًا**) أي: جاحدا لفرضيتها أو بخيلا مع الإيمان بفرضها ،وعليه: فمنع الزكاة قد يكون إنكارًا وجحودًا أو شُحًا وبُخلاً ، فمن منعها إنكارًا وجحودًا فإنه يُكفَّر و يستتاب فإن تاب وإلا قُتل ردة لقوله-تعالى- : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ ﴾[التوبة:٥] .

ولقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **أُمِرْتُ أَن أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لا إلهَ إلاَّ اللَّه وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، ويُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذا فَعَلوا ذَلكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهم ، وحِسابُهُمْ عَلى اللَّهِ** » (٤).

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٤٤) .
(٢) رواه الطبراني عن المغيرة بن شعبة .
(٣) رواه أحمد وأبو داؤود عن حذيفة بن اليمان .
(٤) رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر .

وهذا سيدنا أبو بكر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- يقول: «واللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنِ فَرَّقَ بيْنَ الصَّلَاةِ والزَّكَاة، واللَّه لو مَنَعُوني عِقالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إلى رَسولِ اللهِ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- لَقَاتَلْتُهُمْ علَى مَنْعِهِ » [١].

أما مانعها بخلاً مع إيمانه بفرضيتها فهذا لا يُكفر على القول الصحيح . [٢]

إلا أنه يؤثم و يعذب في يوم مقداره خمسين ألف سَنة يبطح به في وادي قرقر تطؤه نعمه التي منع زكاتها ويطوق بكنزه الذي كنزه ويحمى عليه في نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهره وجبينه و يؤت بهيئة شجاع أقرع يؤخذ بلهزمتيه يقول له: أنا كنزك أنا مالك كما صح في الحديث . [٣]

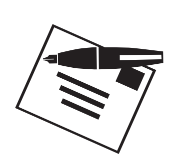
قوله: (**فَصَلاتُنَا وَزَكَاتُنَا أُخْتَانِ**) أي: فريضتان مقرونتان في كتاب الله وفي سُنَّة نبي الله ، ومن نظر في كتاب الله يجدها قد قرنت بالصلاة في أكثر من ثمانين موضعًا .

وفي السُّنَّة : تعد الزكاة تالية للصلاة في عد وترتيب أركان الإسلام ، كما في حديث عمر[٤] وابن عمر - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا-[٥] .

١١٨ وَالوِتْرُ بَعْدَ الْفَرْضِ آكَدُ سُنَّةٍ وَالْجُمْعَةُ الزَّهْرَاءُ وَالْعِيدَانِ

قوله: (**وَالوِتْرُ**) الوتر لغة بمعنى: الواحد ومنه قوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- : « **إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ** » . [٦]

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) الشرح الممتع (٢/ ٥١٩) ، الفتاوى المهمة (ص٣٨٦) .
(٣) متفق عليه .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه مسلم .
(٦) رواه أحمد وأبو داؤود والترمذي ، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .



وشرعًا: هي الصلاة المشروعة من بعد صلاة العشاء إلى قبيل الفجر والتي أقلها ركعة وأكثرها إحدى عشرة ركعة .

وحكمه: اختلف العلماء في ذلك : (١)

١- فمنهم من يرى وجوبه .

٢- ومنهم من يرى وجوبه على من له ورد من الليل .

٣- وأكثرهم على أنه سُنَّة مؤكدة وهو الصحيح كما قال أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: «من ترك الوتر فهو رجل سوء؛ لا ينبغي أن تقبل شهادته» وهذا يدل على تأكد صلاة الوتر .

قوله: (**بَعْدَ الْفَرْضِ**) الفرض لغة : الحز والقطع .

اصطلاحًا : ما أمر به الشارع على وجه الإلزام بالفعل وهو بمعنى: الوجوب. (٢)

قوله: (**آكَدُ سُنَّةٍ**) اختلف العلماء في ترتيبه : (٣)

١- فمنهم من يرى أنه آكد سنة بعد الفريضة .

٢- ومنهم من يرى أن آكدها كسوف ثم استسقاء ثم تراويح ثم وتر .

٣- ومنهم من يرى أن آكدها كسوف ثم وتر ثم استسقاء ثم تراويح وهو القول الراجح الذي اختاره العلامة ابن عثيمين - رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

قوله: (**وَالْجُمْعَةُ**) بضم الميم على المشهور وقد تسكن وقرأ بذلك الأعمش. والمراد هنا صلاة الجمعة .

(١) الشرح الممتع (٢/ ٤٨) .
(٢) الأصول من علم الأصول (ص ١٣) .
(٣) الشرح الممتع (٢/ ٤٤- ٤٨) .



قوله: (**الزَّهْرَاءُ**) أي: الشريفة .

وهذا لا شك فيه أن يوم الجمعة هو سيد الأيام وأفضلها فهو أفضل من يوم الفطر والأضحى وهو اليوم الذي تقع فيه الساعة وفيه خلق الله آدم وأدخله الجنة وأهبطه إلى الأرض وهو يوم عيد وهو اليوم الشاهد وهو اليوم الذي ضل اليهود والنصارى عنه وهدينا إليه بفضل الله وبرحمته وفيه الساعة التي تجاب فيها الدعوات وتنزل فيها الرحمات من رب الأرض والسماوات وفيه خصائص تزيد على الثلاثين .

أما صلاة الجمعة فهي فرض واجب على كل مسلم مكلف عدا مسافر ومريض وعبد وامرأة، فيصلون ظهرا ،ومن صلى من هؤلاء الجمعة سقط عنه الظهر ، ولا ريب أن صلاة الجمعة تفضل صلاة الظهر وهي أكد من الظهر.

قوله: (**وَالْعِيدَانِ**) عيد الأضحى وعيد الفطر فهما يومان كريمان مباركان، والمناسبة لهذين العيدين مناسبة شرعية فعيد الفطر مناسبته انقضاء المسلمين من صوم رمضان .

وأما الأضحى فمناسبته اختتام عشر ذي الحجة وهناك عيد ثالث ، وهو ختام الأسبوع يوم الجمعة ، وليس في الإسلام سوى هذه الأعياد الثلاثة .

وحكم صلاة العيد : اختلف فيها العلماء: (١)

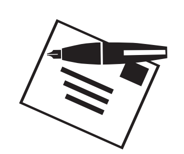
١- فمنهم من يرى أنها فرض على الكفاية .

٢- ومنهم من يرى أنها سنة .

٣- ومنهم من يرى أنها فرض عين ، وهو مذهب أبي حنيفة واختاره شيخ الإسلام ورجحه ابن عثيمين –رَحِمَهُمُاللَّهُ–.

---

(١) الشرح الممتع (٢/ ٣٥٠-٣٥١) .



١١٩مَعَ كُلِّ بَرٍّ صَلِّهَا أَوْ فَاجِرٍ   مَا لَمْ يَكُنْ فِي دِينِهِ بِمُشَانِ

قوله: (**مَعَ كُلِّ بَرٍّ صَلِّهَا أَوْ فَاجِرٍ**) .

قال الطحاوي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : «ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة » .[١]

قال ابن مانع في حاشية شرح الطحاوية لابن أبي العز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :« اختلف العلماء في صحة الصلاة خلف الفاسق ، فذهب الشافعي وأبو حنيفة إلى صحتها مع الكراهة وذهب أحمد ومالك إلى عدم الصحة » .

والفاسق هذا هو الذي ارتكب الكبيرة وأصر على الصغيرة ... إلى أن قال: وعند الإمام أحمد تصح خلف كل بر وفاجر صلاة الجمعة والعيد إذا تعذر فعلهما خلف غيره وأما سائر الصلوات فلا تصح خلف الفاسق على المذهب لقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **اجعلوا أئمَّتكُم خِيارَكُم** » .[٢]

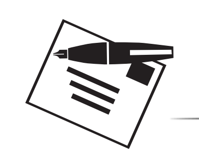
وقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **وَلَا يَؤُمَّنَّ فَاجِرًا مُؤْمِنًا** » .[٣]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :« وأما احتجاج المعارض بقوله : تجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر فهذا حديث لم يثبت » .[٤]

قلت : عدم ثبوت الحديث شيء وبطلان الصلاة وراء الفاسق شيء آخر.

---

(١) العقيدة الطحاوية (ص٢٣) .
(٢) ضعفه الألباني .
(٣) ضعفه الألباني .
(٤) شرح الطحاوية (ص ٢٩٧) الهامش .



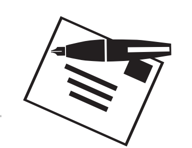
وجاء في صحيح البخاري أن عبد الله بن عمر -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا- كان يصلي خلف الحجاج وكذا أنس بن مالك وكان الحجاج فاسقًا ظالمًا وفي صحيحه أيضا أن النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال: «**يُصَلُّونَ لَكُمْ ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ ، وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ** » . (١)

وعليه : فإنه يصلى خلف الإمام الراتب الذي لا يمكنه الصلاة إلا خلفه كإمام الجمعة والعيدين ، والإمام في صلاة الحج بعرفة ونحو ذلك فإن المأموم يصلي خلفه عند عامة السلف والخلف ، ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر فهو مبتدع عند أكثر العلماء والصحيح أنه يصليها ولا يعيدها، فإن الصحابة كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الأئمة الفجار ولا يعيدون، كما كان عبد الله بن عمر يصلي خلف الحجاج بن وسف،وكذلك أنس كما تقدم وكذلك عبد الله بن مسعود وغيره ، يصلون خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان يشرب الخمر ، حتى أنه صلى بهم الصبح مرة أربعًا ثم قال : أزيدكم؟ فقال له ابن مسعود : ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة » . (٢)

لكن متى علم أن ترك الصلاة خلف الفاجر تحققت المصلحة الشرعية دون أن تفوت المأموم الجمعة والجماعة، فعل ذلك لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، وأما إذا كان ترك الصلاة خلفه يفوت المأموم الجمعة والجماعة فهنا لا يترك الصلاة خلفه إلا مبتدع مخالف للصحابة فتفويت الجمع والجماعة أعظم فسادًا من الإقتداء فيهما بالإمام الفاجر، لا سيما إذا كان التخلف عنها لا يدفع فجورًا فيبقى تعطيل المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة .أهـ (٣)

---

(١) رواه البخاري .
(٢) شرح الطحاوية (ص ٢٩٨) .
(٣) شرح الطحاوية (ص ٢٩٩) .



قوله: (**مَا لَمْ يَكُنْ**) هذا استثناء من قوله:(**مَعَ كُلِّ بَرٍّ صَلِّهَا أَوْ فَاجِرٍ**) .

قوله: (**فِي دِينِهِ بِمُشَانِ**) أي: بمعاب .

والمعنى العام: أن تقام الصلاة وراء كل بر وفاجر ما لم يكن في تركها وراءه مصلحة شرعية ، مع عدم تفويت الجمعة والجماعة ، اللهم إلا إن كان في دينه عيب قادح، كأن يكون رأس بدعة يدعوا إليها ،أو كانت بدعته مكفرة، أو أنه يستحل المعصية ، أو يحرم حلالاً ويحل حرامًا عامدًا عالمًا مكابرًا ، فهذا لا يصلى وراءه ، والله أعلم .

١٢٠ وَصِيَامُنَا رَمَضَانَ فَرْضٌ وَاجِبٌ وَقِيَامُنَا الْمَسْنُونُ فِي رَمَضَانِ

قوله: (**وَصِيَامُنَا**) الصيام لغة: الإمساك .

شرعًا : التعبد لله -تعالى- بالإمتناع عن الأكل والشرب والجماع وسائر المفطرات، من طلوع الفجر وحتى غروب الشمس . (١)

قوله: (**رَمَضَانَ**) أي: شهر رمضان .

قوله: (**فَرْضٌ وَاجِبٌ**) على كل مسلم مكلف قادر مقيم خال من الموانع الشرعية ،دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة والإجماع .

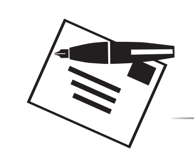
أما دلالة الكتاب : فقوله -تعالى- : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴾ [البقرة:١٨٥] .

فاللام من قوله: ﴿ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾ للأمر الذي يقتضي الوجوب .

وأما السُّنَّة: فمن ذلك قوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- : «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا**

---

(١) الشرح الممتع (٣/ ٨) .



لِرُؤْيَتِهِ » . (١)

فقوله: «**صُومُوا**» فعل أمر وفعل الأمر يقتضي الوجوب إلا بصارف يصرفه وليس ثمت صارف .

وقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **بُنِي الإسلامُ عَلى خَمْس: شَهادةِ أَنْ لا إلهَ إلاَّ الله، وأَنَّ مُحَمَّداً رَسولُ اللهِ ، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، وحَجِّ البيتِ، وصَومِ رَمضانَ**» . (٢)

فلما كان الصيام أحد أركان الإسلام دل ذلك بجلاء على وجوبه .

وأما الإجماع: فقد أجمع المسلمون قاطبة سلفًا وخلفًا على وجوب صوم رمضان.

قوله: (**وَقِيَامُنَا المَسْنُونُ فِي رَمَضَانِ**) والمراد بالقيام المسنون في رمضان صلاة التراويح وصلاة التراويح سنة في رمضان لأن التراويح في غير رمضان بدعة ، والدليل على أنها سنة أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صلى بالناس في رمضان ثلاث ليال ثم تخلف في الثالثة أو في الرابعة وقال: « **إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ** » . (٣)

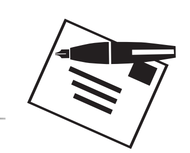
و يشرع أن تؤدى جماعة كما دل على ذلك الحديث الذي تقدم آنفا .

وأيضا ما فعله عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- من جمع الناس في صلاة التراويح خلف تميم الداري وأُبي بن كعب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - . (٤)

١٢١ صَلَّى النَّبِيُّ بِهِ ثَلاَثًا رَغْبَةً وَرَوَى الجَمَاعَةُ أَنَّهَا ثِنْتَانِ

---

(١) رواه النسائي .
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) متفق عليه .
(٤) الشرح الممتع (٢/ ٤٨) .



قوله: (**صَلَّى النَّبِيُّ بِهِ ثَلاَثًا**) أن النبي -صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- صلى بالناس التراويح ثلاث ليال (رغبة في الأجر والثواب) ، ثم ترك خشية أن تفرض عليهم.

قوله: (**رَغْبَةً**) أي: رغبة في الأجر والطاعة .

قوله: (**وَرَوَى الْجَمَاعَةُ**) أي: جماعة المحدثين .

قوله: (**أَنَّهَا ثِنْتَانِ**) أي: ليلتان ثم ترك .

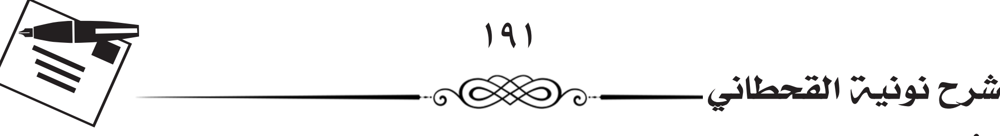
١٢٢ إِنَّ التَّرَاوِحَ رَاحَةٌ فِي لَيْلِهِ ... وَنَشَاطُ كُلِّ عُوَيْجِزٍ كَسْلاَنِ

قوله: (**إِنَّ التَّرَاوِحَ رَاحَةٌ فِي لَيْلِهِ**) أي: أن التراويح إنما سميت بذلك لأن الناس كانوا يطيلون القيام فيه والركوع والسجود، فإذا صلوا أربعا استراحوا، ثم استأنفوا الصلاة أربعا ، ثم ارتاحوا ثم صلوا ثلاثًا على حديث عائشة -رَضِيَٱللَّهُعَنهَا- المتفق عليه .(١)

وهذه الأربع التي كان يصليها أولاً ثم ثانيًا يسلم فيها من كل ركعتين ،كما جاء ذلك مفسرًا عنها قالت-رَضِيَٱللَّهُعَنهَا-: « **كَانَ النَّبِيَّ** -صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- **يُصَلِّي فِي اللَّيْلِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يُسَلِّم مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ** » .(٢)

وبه نعرف أن القول بأن هذه الإحدى عشرة تجمع الأربع فيها بسلام واحد والأربع في سلام واحد لم يصب، ولعله لم يطلع على الحديث الذي صرحت به عائشة -رَضِيَٱللَّهُعَنهَا- بأنه : «**يُسَلِّم مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ** » ، وعلى فرض أن عائشة -رَضِيَٱللَّهُعَنهَا- لم تفصل فإن قول الرسول -صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- : «**صَلَاةِ اللَّيْلِ مَثْنَى**

(١) متفق عليه .
(٢) رواه مسلم .



مَثْنَى»[١]، يحكم على هذه الأربع بأنه يسلم فيها من كل ركعتين، لأن فعل الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المجمل يفسره قوله المفصل .[٢]

قوله: (**وَنَشَاطُ كُلِّ عُوَيْجِزٍ كَسْلاَنِ**) أي: في التراويح نشاط لكل عاجز كسلان حيث ينشط لتلك العبادة ولما بعده - وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء-.

١٢٣ وَاللهِ مَا جَعَلَ التَّرَاوِحَ مُنْكَرًا   إِلاَّ الْمُجُوسُ وَشِيعَةُ الصُّلْبَانِ

قوله: (**وَاللهِ مَا جَعَلَ التَّرَاوِحَ مُنْكَرًا**) أقسم الناظم - رَحِمَهُ اللَّهُ- بالله الذي لا يجوز أن يحلفَ بسواه أن صلاة التراويح سنة بإجماع المسلمين سلفًا وخلفًا.

ولم يخالف في ذلك إلا طائفتين ضالتين لا يعتد بمخالفتهما ، إذ ليس كل خلاف معتبر .

قوله: (**إِلاَّ الْمُجُوسُ وَشِيعَةُ الصُّلْبَانِ**) بيَّن - رَحِمَهُ اللَّهُ- في هذا العجز من البيت تلك الطائفتين المنكرتين لصلاة التراويح وهما:

١ - المجوس: ومنهم الرافضة - قبحهم الله - .

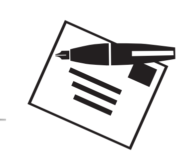
٢- شيعة الصلبان: وهم اتباع النصارى وأنصارهم .

١٢٤ وَالْحُجُّ مُفْتَرَضٌ عَلَيْكَ وَشَرْطُهُ   أَمْنُ الطَّرِيقِ وَصِحَّةُ الأَبْدَانِ

قوله: (**وَالْحُجُّ**) الحج لغة: القصد .

شرعًا: التعبد لله تعالى بأداء المناسك ، على ما جاء في سنة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .[٣]

(١) متفق عليه .
(٢) الشرح الممتع (٢/ ٤٨) .
(٣) الشرح الممتع (٣/ ١٢٧) .



قوله: (مُفْتَرَضٌ عَلَيْكَ) هذا بيان لحكم الحج أنه فرض واجب في العمر مرة على كل مسلم مكلف قادر حر والمرأة يزاد في حقها على هذه الشروط أن يكون لها مُحْرِمًا .

وقد دل على وجوبه الكتاب والسُّنَّة والإجماع .

فأما الكتاب فقوله -تعالى- : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾[آل عمران ٩٧] .

ومن السُّنَّة: ما جاء في الصحيحين عَن ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** ».(١)

وقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا**» .(٢)

ولقول النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : لما سئل عن الحج أفي كل عام؟ قال: « **الْحَجُّ مَرَّةً ، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ** » .(٣)

وأما الإجماع: فقد أجمع علماء الأمة سلفًا وخلفًا أن الحج أحد أركان الإسلام الخمسة ولا يتم الإسلام إلا بأجمعها ما إذا استوفت الشروط وانتفت الموانع .

قوله: (**وَشَرْطُهُ**) الشرط لغة: العلامة ، ومنه قول الله -تعالى- :﴿ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ﴾[محمد:١٨]، أي : علاماتها .

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه مسلم .
(٣) أبو داؤود وصححه الألباني .



اصطلاحًا: ما يلزم من وجوده الوجود ولا يلزم من عدمه العدم لذاته .[١]

قوله: (**أَمْنُ الطَّرِيقِ**) هذا واحد من شروط الحج وهو داخل تحت عموم (الإستطاعة) وهو أن يكون الطريق آمنا من المخاوف، فإن عدم الأمن على النفس أو المال أو العرض فلا يكون مستطيعًا ، وإنما الحج يجب في حق المستطيع كما تدل الآية الآنفة الذكر .

قوله: (**وَصِحَّةُ الأَبْدَانِ**) وهذا شرط آخر لوجوب الحج وهو داخل تحت عموم (الإستطاعة) أيضًا .

وهو عافية البدن فالمريض لا يكون مستطيعًا وبالتالي : لايلزمه الحج فإن كان مرضه مما لا يرجى زواله وكان عنده استطاعة مالية فليجعل من يحج من أهل الفقه والورع، وإن كان مرضه مما يرجى زواله فينتظر حتى يزول .

وإن كان عاجزًا بماله قادرا ببدنه و يستطيع المشي بقدميه و يأكل مع الناس لزمه الحج أدآء ، وجماع ذلك ما قال الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران ٩٧] .

وهناك شروط أخرى لم يذكرها الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- **وبالمناسبة أجمل ذكرها للفائدة :**

١- الإسلام : وهو شرط عام في جميع التكاليف .

٢- التكليف: وهو البلوغ والعقل .

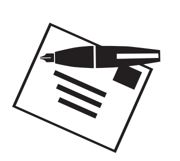
٣- القدرة (الإستطاعة): ويدخل تحتها :

أ - القدرة البدنية: أي: أن يكون معافا في بدنه .

ب- القدرة المالية: أي: أن يكون بحوزته من المال ما يكفيه .

---

(١) مذكرة في أصول الفقه (ص١٥) .



ج - أن يكون آمنا على أهله في وطنه، وعلى نفسه في طريقه .

٤- الحرية: فلا يكون مملوكًا ، فالمملوك لا يلزمه الحج إلا أن يأذن له سيده مع استيفاء سائر الشروط الآنفة .

٥-وجود المحرم : وهذا شرط خاص بالمرأة فلا يجوز لها أن تحج من غير محرم، وإن حجت صح حجها مع الإثم.

١٢٥ كَبِّرْ هُدِيتَ عَلَى الْجَنَائِزِ أَرْبَعًا وَاسْأَلْ لَهَا بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ

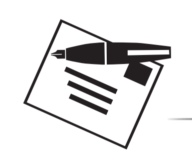
قوله: (**كَبِّرْ**) أي: قل : الله أكبر .

قوله: (**هُدِيتَ**) أي: هداك الله للفقه في الدين والعمل به .

قوله: (**عَلَى الْجَنَائِزِ**) الجنائز: جمع جنازة وهي بفتح الجيم وكسرها بمعنى واحد، وقيل بالفتح اسم للميت وبالكسر اسم لما يحمل عليه الميت، وهذا تفريق دقيق، لأن الفتح يناسب الأعلى، والميت فوق النعش، والكسر يناسب الأسفل والنعش تحت الميت -والمراد هنا- : الميت المحمول على النعش .

قوله: (**أَرْبَعًا**) أي: أربع تكبيرات .

وعليه: فإن الصلاة على الجنازة على النحو التالي : أن يتقدم الإمام ويقف حذاء رأس الرجل ووسط المرأة ، ويقف المؤتمون خلف الإمام إن اتسع المكان ، فإن ضاق صلوا عن يمينه وشماله ، ثم يكبر أربعًا جهرًا ، ويكبر خلفه المؤتمون يرفعون أيديهم مع كل تكبيرة على صفة الرفع المعروفة في الصلاة ، وبعد التكبيرة الأولى يتعوذ و يبسمل ويقرأ بالفاتحة ، ثم يكبر التكبيرة الثانية ويصل على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالصلوات الإبراهيمية كما يصل في التشهد،



ثم يكبر التكبيرة الثالثة ويدعوا بما ورد (١) ثم يكبر التكبيرة الرابعة ثم يسلم تسليمة واحدة أو تسليمتين ، ويرى بعض العلماء الدعاء بعد الرابعة بما تيسر ولا يطيل ، وأحسن ما يدعوا به : اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده ، واغفر لنا وله ، ثم يسلم .

قوله: (**وَاسْأَلْ لَهَا**) أي: ادع لها .

قوله: (**بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ**) وهذا ما يتضمنه الدعاء أثناء الصلاة عليه بعد التكبيرة الثالثة وبعد الرابعة .

وكذلك بعد الفراغ من الدفن كما جاء في الحديث : «**إِذَا فَرَغْتُم مِنْ الدَفْنِ فَاسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ**». (٢)

وهكذا يدعى للأموات من المسلمين بالعفو والغفران في كل وقت وحين.

١٢٦ إِنَّ الصَّلاَةَ عَلَى الْجُنَائِزِ عِنْدَنَا فَرْضُ عَلَى الْكِفَايَةِ لاَعَلَى الأَعْيَانِ

قوله: (**إِنَّ الصَّلاَةَ عَلَى الْجُنَائِزِ**) أي: حكم الصلاة على الميت المسلم .

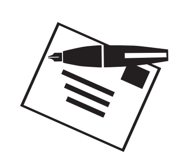
---

(١) (ما جاء ذلك في صحيح مسلم وسنن الأربعة من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ**» .

ومما ورد من الأدعية ما جاء في صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- مرفوعا : «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وأبدلهُ دارًا خيرًا مِنَ دارِهِ ، وأهلاً خيرًا من أهلِهِ ، وأدخلهُ الجنَّةَ، وَقِهِ فتنَةَ القَبْرِ ، وعَذابِ النَّارِ**» .

وإن كان صغيرًا قال : « **اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ فَرَطاً وَذُخراً لِوَالِدَيْه، وشَفيعاً مُجاباً، اللَّهُمَّ ثَقِّلْ به مَوَازِيْنَهُمَا، وأَعْظِمْ بِهِ أُجُورَهُمَا، وأَلْحِقْهُ بِصَالِحِ الـمُؤْمِنينَ، واجْعَلْهُ فِي كَفَالَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَقِهِ بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ الجَحِيمِ** » .

(٢) رواه أبو داود وصححه الحاكم .



قوله: (**عِنْدَنَا**) أي: عند المالكية كون الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- على مذهب الإمام مالك بن أنس الأصبحي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- .

قوله: (**فَرْضُ**) أي: واجب .

قوله: (**عَلَى الْكِفَايَةِ**) بمعنى: أنه إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين وهذا هو الحكم الصحيح في الصلاة على الجنائز ودليل ذلك أن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يصلي على الأموات باستمرار، وكان يقول : «**صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ** »[١] . «وأمر أن يصلى على المرأة التي رُجمت » [٢] .

قوله: (**لاَ عَلَى الأَعْيَانِ**) بمعنى: ليست فرض عين على كل مسلم .

والفرق بين فرض الكفاية وفرض العين :

أن فرض العين مطلوب من كل واحد بعينه، بينما فرض الكفاية المطلوب فيه وجود الفعل . [٣]

١٢٧ إِنَّ الأَهِـلَّـةَ لِـلأَنَـامِ مَوَاقِتٌ وَبِهَا يَقُومُ حِسَابُ كُلِّ زَمَانِ

قوله: (**إِنَّ الأَهِلَّةَ**) الأهلة : جمع هلال وهو : اسم لما يبدوا في أول الشهر وفي آخره ، أي: هو هلال حتى يستدير فإذا استدار سمي قمرًا .

قوله: (**لِلأَنَام**) أي: للناس .

قوله: (**مَوَاقِتٌ**) جمع ميقات وهو: مأخوذ من الوقت وهو زمان ومكان، والمراد به هنا الحساب قال تعالى :﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) انظر : الشرح الممتع(٢/ ٤٣٧) .



﴿...لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ﴾[البقرة:١٨٩] .

قوله: (وَبِهَا) أي: بالأهلة .

قوله: (يَقُومُ حِسَابُ كُلِّ زَمَانِ) أي: أي: أنه يتم عن طريق الأهلة معرفة حساب الأشهر الهجرية التي عددها اثني عشر شهرا لكل عام هجري ابتداء بمحرم الحرام وانتهاء بذي الحجة الحرام .

١٢٨ لاَ تُفْطِرَنَّ وَلاَ تَصُمْ حَتَّى يَرَى شَخْصَ الْهِلاَلِ مِنَ الْوَرَى إِثْنَانِ

قوله: (لاَ تُفْطِرَنَّ) أي: احذر أن تفطر .

قوله: (وَلاَ تَصُمْ) أي: واحذر أن تصم .

قوله: (حَتَّى) حرف غاية بمعنى : إلى .

قوله: (يَرَى شَخْصَ الْهِلاَلِ) أي: جرمه وجسمه .

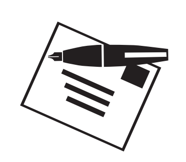
قوله: (مِنَ الْوَرَى) أي: من الناس .

قوله: (إِثْنَانِ) أي: أي: عدلان والعدل هو : المسلم العاقل البالغ الذي لم يلتصق بفسق أو خارم للمروءة .

والناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في هذا البيت أراد أن يبين متى يجب الصوم والفطر؟ ، وبما يثبت دخول الشهر ؟ .

والجواب: أن دخول الشهر الذي يجب فيه الصوم يثبت بأحد أمرين :

١- الأول: رؤية هلال شهر رمضان ، لقوله تعالى :﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾[البقرة:١٨٥] .

ولقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ**» .(١)

و يكفي شهادة عدل واحد في دخول رمضان خلافا للمالكية والذين يشترطون عدلين لثبوت دخول رمضان .

ودليل كفاية العدل حديث ابن عمر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- قال: « **أَخْبَرْتُ رَسُولَ اَللَّهِ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِرُؤْيَتِهِ ، فَصَامَ ، وَأَمَرَ اَلنَّاسَ بِصِيَامِهِ** » .(٢)

أما الفطر فلا يثبت شرعًا إلا بشهادة عدلين وهكذا جميع الشهور، لايثبت دخولها إلا بشهادة عدلين ، عدا هلال رمضان فيكفي شهادة عدل واحد على الصحيح .

٢-الثاني: إتمام شعبان ثلاثين يومًا لقوله-صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:«**الشَّهْرُ تِسْعٌ وعِشْرُونَ لَيْلَةً،فلا تَصُومُوا حتَّى تَرَوْهُ،فإنْ غُمَّ علَيْكُم فأكْمِلُوا العِدَّةَ ثَلَاثِينَ**» .(٣)

١٢٩ مُتَثَبِّتَانِ عَلَى الَّذِي يَرَيَانِهِ   حُرَّانِ فِي نَقْلَيْهِمَا ثِقَتَانِ

في هذا البيت بيَّن الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- شروط المثبت لرؤية الهلال .

قوله: (**مُتَثَبِّتَانِ عَلَى الَّذِي يَرَيَانِهِ**) أي: أن الرؤية تثبت بيقين من قبل من رأياه هذا هو الشرط الأول: اليقين في الرؤية .

قوله: (**حُرَّانِ فِي نَقْلَيْهِمَا**) وهذا هو الشرط الثان : الحرية عند المالكية .

قوله: (**ثِقَتَانِ**) أي: عدلان وعبر الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بكونهما ثقتين وهو أعم من التعبير بالعدالة .

---

(١) متفق عليه .
(٢) صححه الألباني في الإرواء (٤/ ١٦) .
(٣) رواه البخاري .



والعدل عند المالكية: الذكر الحر البالغ العاقل الخالي من ارتكاب كبيرة أو إصرار صغيرة أو فعل ما يخل بالمروءة وهذا هو الشرط الثالث . [١]

١٣٠ لاَ تَقْصِدَنَّ لِيَوْمِ شَكٍّ عَامِدًا ... فَتَصُومَهُ وَتَقُولَ مِنْ رَمَضَانِ

قوله: (**لاَ تَقْصِدَنَّ لِيَوْمِ شَكٍّ**) يوم الشك: هو ليلة الثلاثين من شعبان إذا كان في السماء ما يمنع من رؤية الهلال وأما إذا كانت السماء صحوا فلا شك .

قوله: (**عَامِدًا فَتَصُومَهُ وَتَقُولَ مِنْ رَمَضَانِ**) أي: متعمدا صوم يوم الشك تقصد به الاحتياط لرمضان ولا شك أن صوم يوم الشك محرم على الصحيح ودليل ذلك قول عمار بن ياسر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- مرفوعًا : «**مَنْ صَامَ الْيَوْمَ الَّذِي يُشَكُّ فِيهِ فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ** - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -» . [٢]

وقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « **لا تَقَدَّمُوا رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ وَلا يَوْمَيْنِ؛ إِلا رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمًا فَلْيَصُمْهُ**» . [٣]

١٣١ لاَ تَعْتَقِدْ دِينَ الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ ... أَهْلُ الْمُحَالِ وَحِزْبَةُ الشَّيْطَانِ

قوله: (**لاَ تَعْتَقِدْ**) سبق بيان معرفة معنى العقيدة في البيت رقم (١١١).

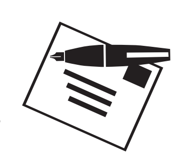
قوله: (**دِينَ**) الدِّيْن لغة: ما يدان به وينقاد إليه .

اصطلاحًا: الطريقة والمنهاج الذي يسير عليه الفرد أو الجماعة .

شرعًا: الطريقة والمنهاج الذي اختاره الله لعباده وكلفهم به وبعث به الرسل

---

(١) فقه المذاهب الأربعة (ص ٣١٠) .
(٢) رواه البخاري معلقًا.
(٣) رواه البخاري ومسلم .



وهو الإسلام .

والمعنى المستفاد: إياك وعقيدة ودين الروافض فإنها عقيدة باطلة ودين منحرف .

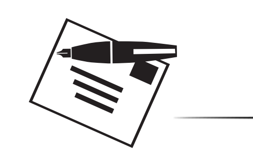
قوله: (**الرَّوَافِضِ**) جمع رافضة وهم: فرقة من شيعة الكوفة طلب منهم الإمام زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب أن يبايعوه على قتال هشام ابن عبد الملك فوافقوه على ان يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- فأبى وقال: «هُمَا وَزِيْرا جَدِّي» فرفضوه فقال لهم: اذهبوا فأنتم الرافضة . فسموا من ذلك الحين بالرافضة .

ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب وأجاز الطعن في الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- .

وعموما: فالناظم -رَحِمَهُ اللَّهُ- إنما أراد التحذير من الرافضة ودينهم المنحرف وقد عبر بقوله «دين الروافض» وذلك لأن الروافض ليسوا مذهبًا من المذاهب التي يمكن التحاور معهم والالتقاء بهم كما يظن بعض دعاة التقريب بين الشيعة والسُّنَّة ،بل هم على دين منحرف لا يمكن الالتقاء بهم أبدًا إلا أن يترفض السُّنِّي أو يستقيم الشيعي على السُّنَّة .

أما أن هناك قواسم مشتركة ومنتصف حلول بين السُّنَّة والشيعة فلا -وربي- وذلك لأن الخلاف مع الرافضة ليس من قبيل الخلاف السائغ الذي يعذر فيه المخالف ويمكن التسامح معه بل هو خلاف في الأصول والثوابت المعلومة من الدين بالضرورة من ذلك :

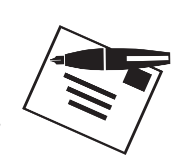
١- فساد معتقدهم في الله: كتأليههم لعلي وتوسلهم بالحسن والحسين وفاطمة وسائر أئمتهم الإثنا عشر وطوافهم حول القبور وبناء الأضرحة



عليها وغير ذلك من أضرب الكفر والشرك .

وهاك صورة من صور الكفر والشرك وهي عبارة عن قصيدة نظم أبياتها رافضي لبناني يدعى علي بن سليمان المزيدي وهو يصف فيها عليًا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وأنزله منزلة الألوهية قال فيها:

أبا حسن أنت عين الإله وعنوان قدرته السامية
وانت المحيط بعلم الغيوب فهل تعزب عنك من خافية
لك الأمر إن شئت تمشي غدًا وإن شئت تدفع بالناصية
أبا حسن أنت زوج البتول وجنب الإله ونفس الرسول
وبدر الكمال و شمس العقول ومملوك رب وأنت الملك
دعاك النبي بيوم الغدير ونص عليك بأمر القدير
بأنك للمؤمنين الأمير وعقد ولايته قلّدك
إليك تصير جميع الأمور وأنت العليم بذات الصدور
وأنت المبعثر من في القبور وحكم القيامة بالنص لك
وأنت السميع وأنت البصير وأنت على كل شيء قدير
ولولاك ما كان نجم يسير وما دار لولا ولاك الفلك
وأنت بكل البرايا عليم وأنت المكلم أهل الرقيم
ولولاك ما كان موسى الكليم كليماً فسبحان من كونك



فمن ذاك كان ومن ذا يكون   وما الأنبياء وما المرسلون
وما القلم اللوح ما العالمون   وكل عبيد مماليك لك
أبا حسن يا مدير الوجود   وكهف الطريد ومأوى الوفود
ومسقي مجيئك يوم الورود   ومنكر في البعث من أنكرك
بك المزيدي علي دخيل   إذا جاء أمر الإله الجليل
ونادى المنادي الرحيل الرحيل   وحاشاك تترك من لاذ بك

بالله هل ترك هذا الفاجر في أبياته الآنفة لله شيئًا مما يستحقه من الألوهية والربوبية ؟!! .

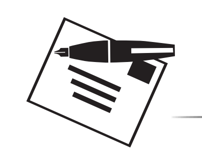
٢- فساد معتقدهم في الملائكة: كتخوينهم لجبريل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كما تقول الغرابية .

٣- فساد معتقدهم في الكتب: كاعتقادهم وقولهم بتحريف القرآن وقد ألف بعضهم في ذلك (١)، وقولهم بمصحف فاطمة الذي هو مثل قرآننا ثلاث مرات - زعموا - وقولهم بالجفر والصحيفة ونحو ذلك .

٤- فساد معتقدهم في الرسل: كقولهم بأن عامة الأنبياء من لدن أبينا آدم وإلى خاتمهم محمد لم يفلحوا في تحقيق العدل ، وأن مقام الأئمة أعظم من مقام الرسل .

٥- فساد معتقدهم في السُّنَّة النبوية : واعتقادهم أن أكذب كتب السُّنَّة هما الصحيحان ، والطعن في أحاديث أبي هريرة وعائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- .

(١) فقد ألف الطبرسي كتابًا بعنوان « فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» .



٦- فساد معتقدهم في الصحابة: كالقول بردة عامة الأصحاب عدا النزر اليسير الذين لم يتجاوزوا العشرة وتسليط ألسنتهم الحداد سبًا وطعنًا ولعنًا لهم وعلى رأسهم أبي بكر وعمر وعثمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-.

٧- فساد معتقدهم في أمهات المؤمنين : زوجات الرسول الكريم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعلى رأسهم عائشة الصديقة بنت الصديق ، ورميها بالزنى وحفصة بنت عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- .

٨- فساد معتقدهم في أهل السُّنَّة واستباحة دمائهم وأموالهم وأعراضهم والحكم بكفرهم . إلى غير ذلك من الأصول الأصيلة والأركان الركينة التي لا تقبل المساومة والمداهنة .

علم مما سبق: أن دين الرافضة أخبث الأديان وأهله شر أهل الأرض قاطبة.

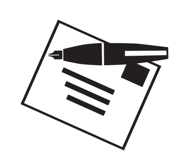
إن الروافض شر من وطئ الحصى   من كل إنس ناطق أو جان

قوله: (**إِنَّهُمْ أَهْلُ المُحَالِ**) أي : أهل الباطل الذي يستحال وقوعه لاقتضائه الفساد من كل جهة كاجتماع الحركة والسكون في جسم واحد .

قوله: (**وَحِزْبَةُ الشَّيْطَانِ**) أي : وهم: أتباع الشيطان وجماعته . يتحقق فيهم قول الله -تعالى- : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [المجادلة : ١٩] .

١٣٢ جَعَلُوا الشُّهُورَ عَلَى قِيَاسِ حِسَابِهِمْ   وَلَرُبَّمَا كَمَلاَ لَنَا شَهْرَانِ

قوله: (**جَعَلُوا**) أي: صيروا والمراد بهم هنا -الروافض- وتسمى بالأشهر الهلالية.



قوله:(**الشُّهُورَ**) جمع شهر والمراد بها هنا الشهور الهجرية وعدتها عند الله اثنا عشر شهرا كما قال ربنا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-:﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞ ﴾[التوبة:٣٦] .

وقوله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في خطبة حجة الوداع من يوم النحر : « **إِنَّ الزَّمَانَ قَد اسْتَدَارَ كَهَيْئَته يَوْمَ خَلَقَ اللَّه السَّماوات والأَرْضَ: السَّنةُ اثْنا عَشَر شَهْرًا، منْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُم: ثَلاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَة، وَذو الْحِجَّةِ، والْمُحرَّمُ، وَرجُب مُضَر الَّذِي بَيْنَ جُمادَى وَشَعْبَانَ، ...** »[١].

وأسماء هذه الأشهر الاثنى عشر هي : «محرم وصفر وربيع أول وربيع آخر وجماد أول وجماد آخر ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة».

قوله:(**عَلَى قِيَاسِ حِسَابِهِمْ**) أي:أن الروافض عمدتهم في إثبات دخول الشهر وخروجه على الحساب الفلكي ليس إلا وبالتالي:فهم لا يعتمدون الرؤية.

قوله: (**وَلَرُبَّمَا كَمَلاَ**) أي: أتما عدة الثلاثين يومًا بناء على الرؤية .

قوله: (**لَنَا**) أي: معشر أهل السُّنَّة وخرج بهذا الرافضة ومن اعتمد على علم الحساب الفلكي .

قوله: (**شَهْرَانِ**) أي: شهران هجريان متتاليان .

والمعنى الإجمال ً: أننا معشر أهل السُّنَّة عمدتنا في إثبات دخول الشهر وخروجه رؤية الهلال عملاً بقول رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**صُومُوا لِرُؤْيَته وَأَفطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ ، فَإِنْ غَبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ**»[٢].

---

(١) رواه البخاري ومسلم ، من حديث أبي بكرة .
(٢) رواه البخاري ومسلم ، من حديث أبي هريرة .



وبناء على اعتماد الرؤية فربما يكملا عدة شهرين متتالين الثلاثين يوما بخلاف اعتماد علم الحساب الفلكي الذي لا يصح عند أهله إتمام عدة شهرين متتالين.

١٣٣ وَلَرُبَّمَا نَقَصَ الَّذِي هُوَ عِنْدَهُمْ وَافٍ وَأَوْفَى صَاحِبُ النُّقْصَانِ

قوله: (**وَلَرُبَّمَا نَقَصَ الَّذِي هُوَ عِنْدَهُمْ وَافٍ**) أي: بسبب اعتماد علم الحساب الفلكي ربما ينقص الشهر الذي هو واف فيجعلونه تسعة وعشرين يومًا مع أنه على اعتماد الرؤية واف ثلاثين .

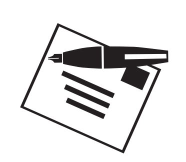
قوله: (**وَأَوْفَى صَاحِبُ النُّقْصَانِ**) وهذا: العجز من البيت نقيض الشطر منه ، بمعنى: وبسبب اعتماد علم الحساب الفلكي دون الرؤية يحصل إيفاء الشهر الناقص فيجعلونه ثلاثين يومًا مع أنه تسعة وعشرين يومًا .

على كل: لا بأس من تعلم علم الحساب الفلكي بواسطة الشمس والقمر والنجوم للاهتداء بها في معرفة المواقيت الزمانية كمعرفة مواقيت الصلاة وكذلك معرفة ثبوت دخول الشهر وخروجه (ما إذا وافق الحساب الرؤية) ومعرفة المعالم الزراعية ومعرفة مناخ البلدان وأحوال الطقس ومعرفة الجهات ونحو ذلك مما يتعلق بعلم الفلك ، وهذا ما يسمى بعلم التسيير بمعنى أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية كمعرفة جهة القبلة أو المصالح الدنيوية ، فهذا كله جائز .

قال الله – عَزَّوَجَلَّ– : ﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦ ﴾ [النحل:١٦] .

قال الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٍ ٥ ﴾ [الرحمن:٥] .

قال الله –سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ



مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ ﴾[يونس:٥] .

أما أن يعتقد أن للنجوم تأثيرًا أو سببًا لحدوث الخير والشر فهذا كله محرم لقوله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن ربه - عَزَّ وَجَلَّ - أنه قال: «**أَصْبَحَ مِن عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وكَافِرٌ، فأَمَّا مَن قالَ: مُطِرْنَا بفَضْلِ اللهِ ورَحْمَتِه، فَذلكَ مُؤْمِنٌ بِي وكَافِرٌ بالكَوْكَبِ، وأَمَّا مَن قالَ: بنَوْءِ كَذَا وكَذَا، فَذَلكَ كَافِرٌ بِي ومُؤْمِنٌ بالكَوْكَبِ**»[1].

١٣٤ إِنَّ الرَّوَافِضَ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَا مِنْ كُلِّ إِنْسٍ نَاطِقٍ أَوْ جَانِ

قوله: (**إِنَّ الرَّوَافِضَ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَا**) أي: أنهم شر من وطئوا التراب بأقدامهم ، وبالتالي فهم شر من تحت أديم السماء.

وهاك جملة مختصرة من أقوال أئمة السلف في الرافضة :

قال محمد بن يوسف - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : « ما أرى الرافضة والجهمية إلا زنادقة».

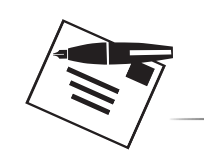
وقال الشافعي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : «ما رأيت في أهل الأهواء قوما أشهد بالزور من الرافضة» .

ولقي مسعر - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في طريق سيره برافضي فأراد أن يكلمه فقال مسعر: « تنح عني فإنك شيطان» .

وقال شيخ الإسلام - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - : «والله أعلم وكفى بالله عليما ليس في جميع الطوائف المنتسبة للإسلام من بدعة وضلالة شر منهم لا أجهل ولا أكذب ولا أظلم ولا أقرب إلى الكفر والفسوق والعصيان وأبعد عن حقائق الإيمان منهم» .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم ، من حديث زيد بن خالد الجهني .



وقال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « واتفق أهل العلم بدين رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- أنهم أبعد عن دينه من اليهود والنصارى» (كما في مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٨٣) .

وقال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « وكل البدع كانت بتأويل إلا الرفض كان من موضع زنديق» .

وقال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « والرافضة يهود الأمة والصوفية نصارى الأمة» .

وقال الإمام زيد بن علي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « والرافضة أعدائي وأعداء آبائي » .

قوله: (**مِنْ كُلِّ إِنْسٍ نَاطِقٍ أَوْ جَانِ**) أي: من جميع الإنس بما فيهم اليهود والنصارى وسائر أهل الملل والنحل وكذلك من عامة الجن .

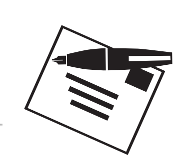
قال الأعمش-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: « تروح إلينا جنى فقلت له ما أحب الطعام إليكم؟ فقال :الأرز قال فأتيناهم به فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدًا فقلت فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟، قال : نعم قلت فما الرافضة فيكم؟، قال : شرنا » .

قال ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: عرضت هذا على شيخنا أبي الحجاج المزي فقال: إسناده صحح إلى الأعمش .

١٣٥ مَدَحُوا النَّبِيَّ وَخَوَّنُوا أَصْحَابَهُ وَرَمَوْهُمُ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ

قوله:(**مَدَحُوا النَّبِيَّ**)أي: أثنوا على رسول الله-صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-تقية لا حقيقة.

قوله: (**وَخَوَّنُوا أَصْحَابَهُ**) أي: رموهم بالخيانة ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف:٥] .



ومن ذلك: قولهم: بخيانتهم لوصية رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالخلافة لعلي وجعلها في أبي بكر -زعموا-.

ومن ذلك: قولهم: بخيانتهم للقرآن وتحريفهم له زعموا.

ولا شك أن رميهم للصحابة بالخيانة يعد ضلالاً مبينا.

قوله: (**وَرَمَوْهُمُ بِالظُّلْمِ**) أي: قذفوهم بالظلم الذي هو نقيض العدل.

قوله: (**وَالْعُدْوَانِ**) -بضم- العين وهو السبيل والسلطان وفي القرآن: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[البقرة:١٩٣].

وبالجملة: فالرافضة قد تجاوزوا الحد في طغيانهم على أصحاب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقالوا فيه مالم تقله أمة قبلهم في أصحاب أنبيائها.

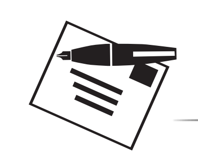
وكل ذلك تحت ستار: «نصرة آل البيت» كذبًا وزورًا وخداعًا وغرورًا.

في زخرف القول تزيين لباطله — والحق قد يعتريه سوء تعبير

تقول هذا أجاج النحل تمدحه — وإن ذممت فقل قيء الزنابير

١٣٦ حَبُّوا قَرَابَتَهُ وَسَبُّوا صَحْبَهُ — جَدَلَانِ عِنْدَ اللهِ مُنْتَقِضَانِ

قوله:(**حَبُّوا قَرَابَتَهُ**) أي: أنهم تمسحوا بحبهم لقرابة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كذبًا وزورًا واتخذوا من هذا الحب المزعوم تكأة لا ستقطاب



واستمالة قلوب العامة وهم أبعد الناس عن آل البيت [١].

يشهد لذلك مخالفتهم لعلي وفاطمة وابنيهما وكل مؤمن تقي من نسلهما في العقيدة والعبادة والمنهاج والسلوك، ومن تأمل في سلوك الأطهار عَلِمَ عِلْمَ اليقين الذي لا مرية فيه مدى مغايرة الروافض لمن ادعوا تشيعهم لهم . والتاريخ خير شاهد .

اسألوا التاريخ إذ فيه العبر ضل قوم ليس يدرون الخبر

قوله: (**وَسَبُّوا صَحْبَهُ**) وهذا ما سبق تقريره .

قوله: (**جَدَلاَنِ عِنْدَ الله**) أي: قولان عند الله .

قوله: (**مُنْتَقِضَانِ**) أي: متضادان متغايران، إذ كيف يجتمع في قلب مؤمن حب عليّ وبُغض أبي بكر وحب فاطمة وبُغض عائشة وحفصة ، هذا من أمحل المحال فلا يجتمع هذان النقيضان إلا إذا اجتمع الماء والنار والضب والحوت -وأنى يكون ذلك -؟!.

١٣٧ فَكَأَنَّمَا آلُ النَّبِيِّ وَصَحْبُهُ رُوحٌ يَضُمُّ جَمِيعَهَا جَسَدَانِ

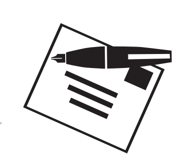
قوله: (**فَكَأَنَّمَا**) الفاء: بحسب ما قبله ، كأن: أداة تشبيه ، ما: زائدة.

قوله: (**آلُ النَّبِيِّ**) سبق بيان من هم آل البيت آنفًا .

قوله: (**وَصَحْبُهُ**) جمع: صاحب والمراد بالصحابي : كل من التقى بالنبي

---

(١) آل البيت: «من تحرم عليهم الصدقة من آل عبد المطلب من المؤمنين وهم آل جعفر وآل عل وآل العباس وآل عقيل وحمزة وغيرهم ممن يعود نسبهم إلى بني هاشم » .
وقال فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد: «آل البيت: من تحرم عليهم الصدقة وهم أزواجه وذريته وكل مسلم ومسلمة من نسل عبد المطلب وهم: بنو هاشم بن عبد مناف » .



-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مؤمنًا به ومات على ذلك [١].

قوله: (**رُوحٌ يَضُمُّ جَمِيعَهَا جَسَدَانِ**) أي: أن عموم الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- مع صالح آل البيت أشبه بروح واحد يضمها جسدان ومن فرق بينهما ولاء وبراء محبة وبغضًا فهو على شفا هلكة وفي ضلال مبين .

١٣٨ فِئَتَانِ عَقْدُهُمَا شَرِيعَةُ أَحْمَدٍ بِـأَبِي وَأُمِّـي ذَانِـكَ الْفِئَتَانِ

قوله: (**فِئَتَانِ**) أي: طائفتان وجماعتان .

قوله: (**عَقْدُهُمَا**) أي: عقيدتهما .

قوله: (**شَرِيعَةُ أَحْمَدٍ**) أي: الشريعة الإسلامية التي جاء بها محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الشريعة الطاهرة الكاملة المكملة المبرأة من كل نقص وعيب، الصالحة لكل زمان ومكان .

وجر أحمد (بالكسر) للروي وإلا فهو اسم ممنوع من الصرف ؟.

قوله: (**بِأَبِي وَأُمِّي**) أي: فداهما أبي وأمي وهذا اللفظ كثيرا ما يستعمل علامة على كمال الحب للمفدى .

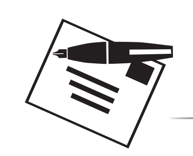
والفداء: ما يقدم من نفس ومال ونحوهما لتخليص المفدى .

ولا شك أن الأبوين أعلى من غيرهما فتقديمهما فداء للآل والصحب علامة على كمال الحب .

قوله: (**ذَانِكَ الْفِئَتَانِ**) أي: الآل والصحب .

---

(١) شرح المنظومة اليقونية (ص٥٨) .



١٣٩ فِئَتَانِ سَالِكَتَانِ فِي سُبُلِ الْهُدَى وَهُمَا بِدِينِ اللهِ قَائِمَتَانِ

قوله: (**فِئَتَانِ**) أي: طائفتان .

قوله: (**سَالِكَتَانِ**) من السلوك: وهو المذهب والإتجاه .

قوله: (**فِي سُبُلِ الْهُدَى**) أي: في طرق الهداية وجاء بصيغة الجمع (**سُبُلِ**) مع أن الهداية سبيل واحد وذلك باعتبار طرق وشرائع الإسلام المتعددة والمتنوعة قولية وفعلية وعقدية .

نظير ذلك قوله -تعالى- : ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[المائدة:١٦] .

قوله: (**وَهُمَا**) أي: الآل والصحب .

قوله: (**بِدِينِ الله**) أي: بشرعه عقيدة وعبادة منهجًا وسلوكًا .

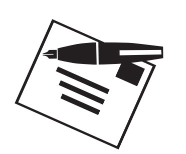
قوله: (**قَائِمَتَانِ**) أي: ثابتتان عليه علماً وعملاً دعوة ودفاعًا والثبات على الدين عزيز وقد كان من دعائه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتُ فِي الأَمْرِ** »[١].

١٤٠ قُلْ إِنَّ خَيْرَ الأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ وَأَجَلَّ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْكُثْبَانِ

قوله: (**قُلْ**) الخطاب لكل سالك سبيل الهدى الكامن تحت ظلال الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة .

قوله: (**إِنَّ خَيْرَ**) أي: أفضل وأكمل .

(١) رواه الترمذي من حديث شداد بن أوس - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- .



قوله: (**الأَنْبِيَاءِ**) النبي : مشتق من النبأ أو مشتق من النبوة أي: نبا ينبو إذا ارتفع . ولا شك أن النبي رفيع الرتبة .

قوله: (**مُحَمَّدٌ**) اسم مفعول أي: كثير المحامد فالناس يحمدونه ومن المعلوم بالضرورة أن محمدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أفضل وأكمل من نبيء وأرسل .

قوله: (**وَأَجَلَّ**) أي: أعظم وأشرف .

قوله: (**مَنْ يَمْشِي عَلَى الْكُثْبَانِ**) الكُثبان: جمع كثيب وهو: الرمل المستطيل المحدودب.

والمعنى: أن أشرف وأعظم من دب على الثرى ، ووطيء الحصى، هو محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

١٤١ وَأَجَلَّ صَحْبِ الرُّسْلِ صَحْبُ مُحَمَّدٍ وَكَذَاكَ أَفْضَلُ صَحْبِهِ الْعُمَرَانِ

قوله: (**وَأَجَلَّ صَحْبِ**) أي: أعظم الأصحاب .

قوله: (**الرُّسْلِ**) جمع رسول والرسول لغة: من بعث برسالة .

اصطلاحًا : إنسان ذكر أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه .

قوله: (**صَحْبُ مُحَمَّدٍ**) أي: أصحاب محمد بن عبد الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

قوله: (**وَكَذَاكَ أَفْضَلُ صَحْبِهِ الْعُمَرَانِ**) أي: أعظم الأصحاب .

أي: أن أفضل أصحاب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على الإطلاق هما: العمران يعني : أبو بكر وعمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وإنما قال عنهم العمران: تغليبًا كما يقال: القمران في الشمس والقمر والظهران في الظهر والعصر، والعشاءان في المغرب والعشاء .

والمعنى المستفاد: أن لكل نبي أصحاب هم خير الناس في أممهم وأصحاب رسول الله هم خير الناس بعد الأنبياء عامة وأفضلهم أبو بكر وعمر –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– .

١٤٢ رَجُلاَنِ قَدْ خُلِقَا لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ بِدَمِي وَنَفْسِي ذَانِكَ الرَّجُلاَنِ

قوله: (**رَجُلاَنِ**) أي: أبو بكر وعمر –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– .

قوله: (**قَدْ خُلِقَا لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ**) أي: قد اختارهما الله واصطفاهما لنصرة رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فهما خيرة أنصاره .

قال الله –تعالى– : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨] .

قوله: (**بِدَمِي وَنَفْسِي**) أي: أفديهما دمي وروحي والفداء: علامة كمال الحب.

قوله: (**ذَانِكَ الرَّجُلاَنِ**) إشارة إلى أبي بكر وعمر –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– .

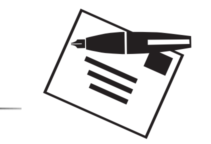
١٤٣ فَهُمَا اللَّذَانِ تَظَاهَرَا لِنَبِيِّنَا فِي نَصْرِهِ وَهُمَا لَهُ صِهْرَانِ

قوله: (**فَهُمَا**) ضمير غائب والمراد: أبي بكر وعمر –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– .

قوله: (**اللَّذَانِ تَظَاهَرَا لِنَبِيِّنَا**) أي: تعاونًا على نصر رسولنا –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في إبلاغ ونشر رسالة ربه إلى الورى .

قوله: (**فِي نَصْرِهِ**) أي: نصرة شريعة ربه إبلاغًا ودفاعًا .

قوله: (**وَهُمَا لَهُ صِهْرَانِ**) أي : أبي بكر وعمر –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– صهرا رسول –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وذلك لزواجه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– من عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ– .



فالأصهار: هم أهل بيت المرأة ، ومن العرب من يجعل الصهر من الأحماء والأختان جميعًا .

والأحماء: كل من كان من قِبَلِ الزوج ، من أبيه أو عمه أو أخيه .

والأختان: كل من كان من قِبَلِ المرأة ، كالأب أو الأخ .

١٤٤ بِنْتَاهُمَا أَسْنَى نِسَاءِ نَبِيِّنَا وَهُمَا لَهُ بِالْوَحْيِ صَاحِبَتَانِ

قوله: (**بِنْتَاهُمَا**) أي: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم- .

قوله: (**أَسْنَى**) أي: أشرف وأرفع .

قوله: (**نِسَاءِ نَبِيِّنَا**) أي: أزواجه -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ- .

قوله: (**وَهُمَا**) أي: عائشة وحفصة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ- .

قوله: (**لَهُ**) أي: أي: لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

قوله: (**بِالْوَحْيِ**) أي: سبق بينا في البيت رقم (٣٣) .

قوله: (**صَاحِبَتَانِ**) أي: منقادتان يقال: مصحاب لنا بها نحب أي: منقاد .

١٤٥ أَبَوَاهُمَا أَسْنَى صَحَابَةِ أَحْمَدٍ يَا حَبَّذَا الأَبَـوَانِ وَالْبِنْتَانِ

قوله: (**أَبَوَاهُمَا**) أي: أبو بكر وعمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- .

قوله: (**أَسْنَى صَحَابَةِ أَحْمَدٍ**) أي: أشرف وأرفع أصحاب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهذا حق فقد قال : «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي : أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ**» (١) .

---

(١) رواه أصحاب السُّنن .

قوله: (**يَا حَبَّذَا**) أسلوب مدح يقال: حبذا فلانا أي: مدحه وفضله .

قوله: (**الأَبَوَانِ**) يعني : الشيخان أبو بكر وعمر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- .

قوله: (**وَالْبِنْتَانِ**) يعني : عائشة وحفصة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ- .

١٤٦ وَهُمَا وَزِيــرَاهُ اللَّذَانِ هُمَا هُمَا لِفَضَائِلِ الأَعْــمَالِ مُسْتَبِقَانِ

قوله: (**وَهُمَا وَزِيرَاهُ**) يعني : الشيخان أبو بكر وعمر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- .

الوزير: هو الخليفة والمعين وأبو بكر وعمر هما خليفتاه في حمل أعباء الرسالة والأمة في حياته وبعد موته ، وقد جاء في الأثر أن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال فيهما: « **مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَلَهُ وَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ ، وَوَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ فَجِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ** -عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ-، **وَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ** » [(١)].

قوله: (**اللَّذَانِ هُمَا هُمَا**) أي : في الفضل والعلم والحلم وسائر المكارم .

قوله: (**لِفَضَائِلِ الأَعْمَالِ**) الفضائل: جمع فضيلة : وهي الدرجة الرفيعة في حُسن الخلق وحسن القول والعمل .

يقال: رجل فاضل: إذا ما فضل غيره في العلم والعمل .

قوله: (**مُسْتَبِقَانِ**) أي : مسرعان ومبادران .

وقد تضافرت الأدلة في ذلك من ذلك :ما جاء عند مسلم من حديث أبي هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : «**مَن أَصْبَحَ مِنْكُمُ اليومَ صائِمًا؟ قالَ أبو بَكْرٍ: أنا، قالَ: فَمَن تَبِعَ مِنْكُمُ اليومَ جِنازَةً؟ قالَ أبو بَكْرٍ: أنا،**

---

(١) رواه الترمذي وحسنه منه حديث أبي سعيد الخدري -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- .



قالَ: فمَن أطْعَمَ منكُمُ اليومَ مِسْكِينًا قالَ أبو بَكْر: أنا، قالَ: فمَن عادَ مِنْكُمُ اليومَ مَرِيضًا قالَ أبو بَكْر: أنا، فقالَ رَسولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ما اجْتَمَعْنَ في امْرِئٍ إلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ » .[(١)]

وروى الترمذي من حديث عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يَقُولُ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**، قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ** ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا» .[(٢)]

١٤٧ وَهُمَا لأَحْمَدَ نَاظِرَاهُ وَسَمْعُهُ   وَبِقُرْبِهِ فِي الْقَبْرِ مُضْطَجِعَانِ

قوله:(**وَهُمَا لأَحْمَدَ نَاظِرَاهُ وَسَمْعُهُ**) أي: أنهما لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بمنزلة السمع والبصر روى الترمذي من حدثث عبد الله ابن حنطب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رأى أبي بكر وعمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- فقال: «**هَذَانِ السَّمْعُ والبَصَرُ**» .[(٣)]

قوله:(**وَبِقُرْبِهِ فِي الْقَبْرِ مُضْطَجِعَانِ**) أي: أنهما ضجيعاه في قبره أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-.

١٤٨ كَانَا عَلَى الإِسْلاَمِ أَشْفَقَ أَهْلِهِ   وَهُمَا لِدِينِ مُحَمَّدٍ جَبَلاَنِ

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه الترمذي وقال : حسن صحيح .
(٣) رواه الترمذي .

قوله:(**كَانَا عَلَى الإِسْلاَمِ**) أي: أنهما -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا- قائمان على دين الله نشراً وذيوعا وذبًّا ودفاعًا .

قوله:(**أَشْفَقَ أَهْلِهِ**) أي: أحسن وأرحم وأحرص علمًا وعملاً ودعوة ودفاعًا.

قوله:(**وَهُمَا لِدِينِ مُحَمَّدٍ جَبلاَنِ**) أي: قويان ثابتان ثبات الجبال الرواسي وحافظان لدين الله من أعدائه كالجبال التي تحفظ الأرض من الزلازل والهيجان.

١٤٩ أَصْفَاهُمَا أَقْوَاهُمَا أَخْشَاهُمَا أَتْقَاهُمَا فِي السِّرِّ وَالإِعْلاَنِ

قوله:(**أَصْفَاهُمَا**) من الصفاء وهو: خيار الشيء وخالصه .

قوله:(**أَقْوَاهُمَا**) القوة: ضد الضعف والمراد: أقواهما بدنا ودينا .

قوله:(**أَخْشَاهُمَا**) الخشية: الخوف المقرون بالمهابة والتعظيم والمراد: أكثرهما خشية لربه -تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ- .

قوله:(**أَتْقَاهُمَا**) التقوى: أن تجعل بينك وبين محارم الله وقاية بامتثال أمره واجتناب نهيه .

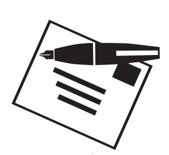
والمراد : أشدهما تقوى لله تعالى .

قوله:(**فِي السِّرِّ وَالإِعْلاَنِ**) أي: الخلأ والملأ .

١٥٠ أَسْنَاهُمَا أَزْكَاهُمَا أَعْلاَهُمَا أَوْفَاهُمَا فِي الْوَزْنِ وَالرُّجْحَانِ

قوله:(**أَسْنَاهُمَا**) أي: أرفعهما وأشرفهما .

قوله:(**أَزْكَاهُمَا**) أي: أطهرهما وأنقاهما . ومنه قوله -تعالى-:﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن**



زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ [الشمس:٩] أي : نقاها وطهرها .

قوله:(**أَعْلاَهُمَا**) أي: من العلو وهو: الرفعة والسمو والمراد: أكثرهما رفعة وسموا عند الله وعند الخلق .

قوله:(**أَوْفَاهُمَا فِي الْوَزْنِ وَالرُّجْحَانِ**) أي: أرفعهما وأتمهما ميزانا ورجحانا عقيدة وقولًا وفعلًا وخلقًا .

١٥١ صِدِّيقُ أَحْمَدَ صَاحِبُ الْغَارِ الَّذِي هُوَ فِي الْمُغَارَةِ وَالنَّبِيُّ اثْنَانِ

قوله:(**صِدِّيقُ أَحْمَدَ**) أي: أن أبا بكر الصديق –رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ– هو الأحظى بجميع الصفات السابق ذكرها وغيرها من الصفات .

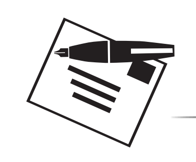
والصديق: من الصديقية التي تعني : المبالغة في الصدق، ودرجة الصديقية هي أرفع المراتب بعد مرتبة النبيين بدلالة قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ ﴾ [النساء:٦٩] .

ولقب بالصديق –رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ–: لأنه أول من صدق برسالة رسول الله –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– من الرجال وصدق بحديث ليلة الإسراء والمعراج، وصدق قوله بفعله –رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ– ، جاء في البخاري أن النبي –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: «**إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وقَالَ أَبُو بَكْر صَدَقَ، ووَاسَانِي بنَفْسِهِ ومَالِهِ، فَهلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ، فَما أُوذِيَ بَعْدَهَا**» .(١)

قوله:(**صَاحِبُ الْغَارِ الَّذِي هُوَ فِي الْمُغَارَةِ**) أي: صاحبه في غار ثور الذي اختبئا به ليأمنا مطاردة قريش لهما وذلك أثناء هجرته –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– من مكة

---

(١) رواه البخاري .



إلى المدينة في شهر صفر سَنة (١٤) من النبوة .

قوله: (**وَالنَّبِيُّ اثْنَانِ**) أي:أن أبا بكر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- مع رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- في الغار اثنان ، قد أشار القرآن بقوله :﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ [التوبة:٤٠] .

١٥٢ أَعْنِي أَبَا بَكْرِ الَّذِي لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْ شَرْعِنَا فِي فَضْلِهِ رَجُلاَنِ

قوله: (**أَعْنِي أَبَا بَكْرٍ**) يشير الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- إلى ما سبق ذكره من الفضائل في الأبيات الماضية من الصفا والتقى والقوة والخشية والنقاء ، وغير ذلك أن أبا بكر تقدم بها عمر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- .

قوله: (**الَّذِي لَمْ يَخْتَلِفْ**) أي: لم يحصل خلاف.

قوله: (**مِنْ شَرْعِنَا**) يعني : من أهل ديننا وملتنا الإسلامية .

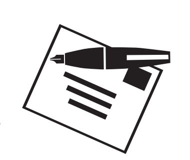
قوله: (**فِي فَضْلِهِ رَجُلاَنِ**) أي: في تقديم أبي بكر في المكانة والرفعة على عمر وعلى سائر الأصحاب -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ- .

قال الشافعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :«لم يختلف الصحابة والتابعون في تقديم أبي بكر وعمر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا-» . (١)

وقال مالك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « ما رأيت أحد يشك في تقديمهما» . (٢)

وهذا هو مذهب أهل المدينة والليث بن سعد وأهل مصر والأوزاعي وأهل الشام وسفيان الثوري وأبي حنيفة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة ، وأمثالهم من أهل العراق ، وهو مذهب أحمد وإسحاق وأبي عبيد وغيرهم ، وهذا إجماع

(١) شرح الواسطية (٣٨٣) .
(٢) شرح الواسطية (٣٨٣) .



قاطع ومن خرج عن هذا الإجماع فقد اتبع غير سبيل المؤمنين .

ولكنهم اختلفوا في تقديم عثمان أم علي -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا- والمشهور تقديم عثمان ثم علي وهو الصواب الذي لا مندوحة عنه ، وهو الذي استقر عليه أمر أهل السُّنَّة .

ففي صحيح البخاري أن محمد بن الحنفية قَالَ: قُلْتُ لأَبِي: يَا أَبَت، مَنْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، أَوَمَا تَعْرِفُ؟، فَقُلْتُ: لَا. قَالَ: أَبُو بَكْر. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟، قَالَ: عُمَرُ. وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: ثُمَّ عُثْمَانُ، فَقُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟، فَقَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُل مِنَ الْمُسْلِمِينَ. (١)

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُٱللَّهُ- :« فإذا كان علي يقول: وهو في زمن خلافته أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر فقد اندحضت حجة الرافضة الذين فضلوه عليهما . (٢)

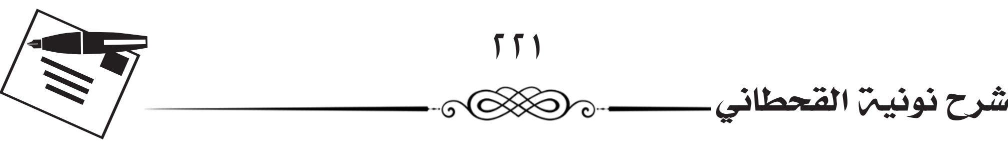
١٥٣ هُوَ شَيْخُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَخَيْرُهُمْ ... وَإِمَامُهُمْ حَقًّا بِلاَ بُطْلاَنِ

قوله:(**هُوَ شَيْخُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَخَيْرُهُمْ**) أي: أن أبا بكر -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- هو رأس أصحاب رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- في المكانة والعلم والفضل والحلم بلا منازع .

قوله:(**وَإِمَامُهُمْ**) الإمام: من تقدم غيره وأتم الناس به والمراد أن أبا بكر -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- هو إمام أصحاب رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- في الدين والدنيا .

قوله:(**حَقًّا بِلاَ بُطْلاَنِ**) أي: صدقًا وعدلاً بلا ريب ولا شك، وهذه عقيدة

(١) رواه البخاري .
(٢) شرح الواسطية (٣٨٣) .



المسلمين قاطبة ، فمن اعتقد غير هذه فإنما هو في شقاق مبين، وضل سبيل المؤمنين .

١٥٤ وَأَبُو الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي تَنْزِيهُهَا قَدْ جَاءَنَا فِي النُّورِ وَالْفُرْقَانِ

قوله:(**وَأَبُو الْمُطَهَّرَةِ**) أي:أن من فضائل الصديق –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أنه أب للطاهرة المطهرة –عائشة الرضى –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– .

قوله:(**الَّتِي تَنْزِيهُهَا**) أي: المبرأة من كل رذيلة .

قوله:(**قَدْ جَاءَنَا**) قد أتى وثبت لدينا في القرآن والسُّنَّة .

قوله:(**فِي النُّورِ وَالْفُرْقَانِ**) أي: في سورة النور من كتاب الله تعالى وذلك في قوله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–:﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ** ﴾ حتى قوله –تعالى– : ﴿ **وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾** ﴾: [النور : ١١–٢٠] .

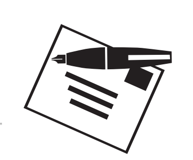
فآمنا بذلك وصدقناه واعتقدناه كفر من جحد ذلك ، فمن رمى عائشة الصديقة –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– بالزنا فهو كافر إن لم يحدث توبة .

وخصائص الصديق لا يحويها مصنف ومن زعم حدها وعدها فقد وهم .

١٥٥ أَكْرِمْ بِعَائِشَةَ الرِّضَا مِنْ حُرَّةٍ بِكْرٍ مُطَهَّرَةِ الإِزَارِ حَصَانِ

قوله:(**أَكْرِمْ**) صيغة تعجب أي: ما أكرمها .

قوله:(**بِعَائِشَةَ**) هي : أم المؤمنين أم عبد الله عائشة بنت أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب



ابن لؤي القرشية التيمية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- .

قوله:(**الرِّضَا**) أي: المرضية .

قوله:(**مِنْ حُرَّةٍ**) أي: غير رقيقة (مملوكة) .

قوله:(**بِكْرٍ**) غير ثيب فهي الزوجة البكر الوحيد لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما روى البخاري.

فهي الفخورة دون كل نسائه لـو يفتخرن بـأنهـا الـعـذراء

وخصت بحب ليسٌ يوٌجد مثله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

قوله:(**مُطَهَّرَةِ الإِزَارِ حَصَانِ**) بالفتح : عفيفة طاهرة من كل فاحشة . خلاف ما يقول فيها الرافضة - قبحهم الله -.

إن يكن للعفاف في الناس أم فهي رغم الأوبـاش أم العفاف

ومن لم تكن أمه عائشة فأُمُّه هاوية .

١٥٦ هِيَ زَوْجُ خَيْرِ الأَنْبِيَاءِ وَبِكْرُهُ وَعَرُوسُهُ مِنْ جُمْلَةِ النِّسْوَانِ

قوله:(**هِيَ زَوْجُ خَيْرِ الأَنْبِيَاءِ**) أي: أن عائشة الصديقة هي زوج خير نبي ورسول من الأنبياء والملائكة وهو محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لو لم يكن من فضلها إلا ذلك لكفاها شرفًا وفخرًا .

قوله:(**وَبِكْرُهُ**) سبق البيان في البيت الذي مضى .

قوله:(**وَعَرُوسُهُ مِنْ جُمْلَةِ النِّسْوَانِ**)أي: أنها عروسه المصطفاة من جملة نساء



رسول الله–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في الدنيا والآخرة كما جاء في الحديث الصحيح أن النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال لها: « **أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟**» **قُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ، قَالَ: «فَأَنْتِ زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»** .(١)

١٥٧ هِيَ عِرْسُهُ هِيَ أُنْسُهُ هِيَ إِلْفُهُ   هِيَ حِبُّهُ صِدْقًا بِلاَ إِدْهَانِ

قوله:(**هِيَ عِرْسُهُ**) – بالكسر – أي: أمرأته والجمع أعراس .

قوله:(**هِيَ أُنْسُهُ**) من الأنس: وهو السكن والملاطفة وإزالة الوحشة .

قوله:(**هِيَ إِلْفُهُ**) –بالكسر– الأليف: ومنه الألفة وهو الإجتماع والإلتئام.

قوله:(**هِيَ حِبُّهُ**) –بالكسر– الحبيب ومنه المحبة.

قوله:(**صِدْقًا بِلاَ إِدْهَانِ**) أي: حقًا وعدلًا بلا مصانعة ولا مداراة .

١٥٨ أَوَلَيْسَ وَالِدُهَا يُصَافِي بَعْلَهَا   وَهُمَا بِرُوحِ اللهِ مُؤْتَلِفَانِ

قوله: (**أَوَلَيْسَ**) الهمز للإستفهام لا للنفي .

قوله: (**وَالِدُهَا**) أبو بكر –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– .

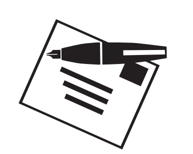
قوله: (**يُصَافِي**) صافاه: بمعنى صدقه في الإخاء .

قوله: (**بَعْلَهَا**) –بالفتح– زوجها رسول الله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

قوله: (**وَهُمَا بِرُوحِ الله**) أي: بدين الله ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ ﴾[الشورى:٥٢] .

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه الألباني في الصحيحة .



قوله: (**مُؤْتَلِفَانِ**) أي : مجتمعان بالله وفي دين الله وعلى دين الله . ونعم الإئتلاف والإرتباط .

وما ذكر -هنا- من فضائله فإنما ه قطرة من مطرة ، وغيض من فيض ، ومن ذا الذي سيوفيه حقه ومستحقه -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- .

١٥٩ لَمَّا قَضَى صِدِّيقُ أَحْمَدَ نَحْبَهُ دَفَعَ الخِلاَفَةَ لِلإِمَامِ الثَّانِي

قوله: (**لَمَّا قَضَى**) لما بلغ وأدرك.

قوله: (**صِدِّيقُ أَحْمَدَ**) أي : أبو بكر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- .

قوله: (**نَحْبَهُ**) - بالفتح - أجله ومنه قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ [الأحزاب:٢٣] .

قوله: (**دَفَعَ الْخِلاَفَةَ**) أي : فوضها وأسلمها .

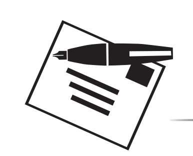
قوله: (**لِلإِمَامِ الثَّانِي**) وهو: عمر بن الخطاب -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- .

١٦٠ أَعْنِي بِهِ الْفَارُوقَ فَرَّقَ عَنْوَةً بِالسَّيْفِ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالإِيمَانِ

قوله: (**أَعْنِي بِهِ الْفَارُوقَ**) لقب لسيدنا عمر بن الخطاب -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- ، ولقب بذلك لأن إسلامه كان عزا به فرق بين الحق والباطل .

قوله: (**فَرَّقَ عَنْوَةً**) أي: فصل وميز قهرًا وقسرًا .

قوله: (**بِالسَّيْفِ**) أي: بواسطة السيف العمري الذي داوى به رؤوس الكفر والطغيان لسان حاله :



وسيفي كان في الهيجاء طبيبًا يداوي رأس من يشكوا الصداعا

فكان -رضي الله عنه- شديدًا على الكفار رحيمًا بالمؤمنين قال الله -تعالى- : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح:٢٩] .

قوله: (**بَيْنَ الْكُفْرِ وَالإِيمَانِ**) أي: أنه فرق بسيفه العمري بين الكفر والإيمان.

والكفر هو: عدم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، وما وجب الإيمان به .

والإيمان هو: نقيض الكفر .

١٦١ هُوَ أَظْهَرَ الإِسْلامَ بَعْدَ خَفَائِهِ وَمَحَا الظَّلامَ وَبَاحَ بِالْكِتْمَانِ

قوله: (**هُوَ أَظْهَرَ الإِسْلامَ بَعْدَ خَفَائِهِ**) أي: سيدنا عمر الفاروق -رضي الله عنه- لما أسلم استطاع المسلمون الذين كانوا لا زالوا يكتمون إسلامهم خشية أذى قريش أن أظهروا دينهم وتحققت فيه دعوة الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ، بِأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ**» .(١)

قوله: (**وَمَحَا الظَّلامَ**) أي: أزاله وذهب أثره .

قوله: (**وَبَاحَ**) باح: بوحا أي: ظهر (وأباحه) أظهره وأحله وأطلقه .

قوله: (**بِالْكِتْمَانِ**) الشيء الكتوم والمراد به الإسلام الذي كان يكتمه أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويتخفون في دار الأرقم بن أبي الأرقم -رضي الله عنه- .

(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح .



وفضائله- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر من أراد، معرفتها فليرجع إليها من مظانها .

١٦٢ وَمَضَى وَخَلَّى الأَمْرَ شُورَى[1] بَيْنَهُمْ   في الأَمْرِ فَاجْتَمَعُوا عَلَى عُثْمَانِ

قوله: (**وَمَضَى**) أي: مضى إلى ربه بعد أن طعنه ذلك العلج الفارسي المجوسي الخبيث أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، فقد اصطنع خنجرًا له رأسان وسمَّه وتحين أبو لؤلؤة عمر فجاء في صلاة الغداة ،حتى قام وراء عمر، فلما شرع عمر في صلاته بالناس الفجر ضربه أبو لؤلؤة في كتفه وفي خاصرته فسقط عمر، وطعن أبو لؤلؤة بخنجره ثلاثة عشر رجلاً هلك منهم سبعة،فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه ثوبًا، فلما ظن العلج أنه مؤخوذ نحر نفسه، ولقد غدا قبر أبي لؤلؤة ضريحًا ومزارًا للرافضة يحتفون و يتبركون به.

(١) الشورى: منهج رباني شرعه الله لعباده فقال:﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[آل عمران: ١٥٩] وقال: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى :٣٨] .

وهو خلاف المنهج الديمقراطي الذي يدندن به وحوله كثير من أبناء الزمان وربما ألبسه بعض المتحذلقين كالإخوان المسلمين لباس الإسلام يتضح الفرق جليا في الآتي :

١- مصدر الشورى هو الله وحده ومصدر الديمقراطية البشر .

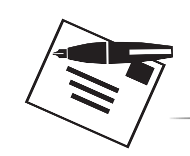
٢- أهل الشورى :هم أهل الحل والعقد من الفقها والعلماء وأصحاب الرأي والخبرة والممارسة بينما أهل الديمقراطية الشعب جميعه صالحهم وفاسدهم ، عالمهم وجاهلهم، ذكرهم وأنثاهم، صغيرهم وكبيرهم .

٣- مجال الشورى المسائل الاجتهادية التي لا نص فيها .

بينما مجال الديمقراطية : النصوص وغير النصوص .

علم من هذا وغيره الفرق الواضح بين المنهجين الذي لا يختلف فيه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان ممن أنار الله بصيرته ، خلافًا لمن أعمى الله بصيرته ، ولله در القائل:

وَزِدْ يَا صَاحِ فالمقْرَاطُ نَهْجٍ   يُخَالِفُ غَيُّهُ نَهْجَ الكتابِ
دمُقْرَاطِيَّةَ وَرَدَتْ شعاراً   مُزَيَّنَةً مُزَيَّفَةَ الثيابِ
يسَاوَى الوَغْدُ والمُرْتَدُّ فيها   بأكْبَر عالم بلْ بالصَّحابي
وبالشورَى يشَبِّهُهُ أُناس   وأينَ التِّبْرُ مِن أدْنَى التُّرَابِ؟



قوله: (**وَخَلَّى الأَمْرَ**) أي: ترك أمر الخلافة .

قوله: (**شُورَى بَيْنَهُمْ**) أي: يتشاور فيه أهل الشورى ، الذين كان قد عينهم -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- مجلسًا استشاريا له وهم ستة من العشرة المبشرين بالجنة ، الذين توفى عنهم رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو عنهم راض وهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وطلحة بن عبيد الله -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- .

قوله: (**فِي الأَمْرِ**) أي: في أمر الخلافة .

قوله: (**فَاجْتَمَعُوا عَلَى عُثْمَانِ**) أي: أجمع الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- على تقديم عثمان في البيعة على (علي) يستلزم أن عثمان أفضل من علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- .

وعثمان هو: أبو عبد الله ، ذو النورين ،عثمان بن عفان من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أسلم قبل دخول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دار الأرقم بن أبي الأرقم .

١٦٣ مَنْ كَانَ يَسْهَرُ لَيْلَهُ فِي رَكْعَةٍ ... وِتْـرًا فَيُكْمِلُ خَتْمَةَ الْقُرْآنِ

قوله:(**مَنْ كَانَ يَسْهَرُ لَيْلَهُ فِي رَكْعَةٍ**) أي:أن سيدنا عثمان بن عفان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كان يقيم ليلة كاملة في ركعة واحدة . .

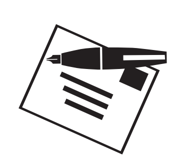
قوله:(**وِتْرًا**) أي: فردًا ومنه قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إِنَّ اللَّهَ وِترٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ، فَأَوْتِرُوا** » .(١)

قوله:(**فَيُكْمِلُ خَتْمَةَ الْقُرْآنِ**) أي: أنه يختم القرآن في ركعة واحدة .

وله -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- من الفضائل ما لا عد لها ولا حد .

---

(١) رواه أحمد وأبو داؤود والترمذي من حديث علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.



١٦٤ وَلِيَ الْخِلَافَةَ صِهْرُ أَحْمَدَ بَعْدَهُ   أَعْنِي عَلِيَّ الْعَالِمَ الرَّبَّانِي

قوله:(وَلِيَ الْخِلَافَةَ) أي: تولى الخلافة .

قوله:(صِهْرُ أَحْمَدَ) أي: صهر رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كونه تزوج من ابنته فاطمة بنت رسول الله -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- .

قوله:(بَعْدَهُ) أي: بعد خلافة عثمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ذي النورين .

قوله:(أَعْنِي عَلِيَّ) وهو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قص بن كلاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

قوله:(الْعَالِمَ) وهو الموصوف بالعلم ولا ريب أن علي من سادات علماء الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- .

قوله:(الرَّبَّانِي) أي: هو الذي يبدأ بتعليم صغار العلم قبل كباره .

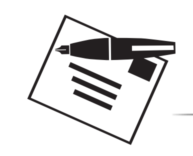
١٦٥ زَوْجَ الْبَتُولِ أَخَا الرَّسُولِ وَرُكْنَهُ   لَيْثَ الْحُرُوبِ مُنَازِلَ الأَقْرَانِ

قوله:(زَوْجَ الْبَتُولِ) أي: زوج فاطمة بنت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإنما سميت بالبتول لانقطاعها عن نساء زمانها ونساء الأمة فضلاً ودينًا وحسبًا .

قوله:(أَخَا الرَّسُولِ) إشارة إلى المنزلة الرفيعة التي احتلها : علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- في قلب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

وهو يعني به هنا أخو الدين والنصرة ، ولقد قال-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لعلي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- : « **أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي**».(١)

(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح .



قوله:(**وَرُكْنَهُ**) الركن هو: جانب الشيء الأقوى .

قوله:(**لَيْثَ الحُرُوْبِ**) أي: أسد في الحروب وفي هذا التعبير إشارة إلى فرط قوته وشجاعته وبطولته .

قوله:(**مُنَازِلَ الأَقْرَانِ**) المنازل: المواجه والمعارك .

والأقران: جمع قرن بالكسر هو المكافئ والنظير .

والمراد : أن عليًّا كفيل بنزال الأقران له شجاعة وبأسًا في ميادين القتال .

١٦٦ سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الخِلَافَةَ رُتْبَةً ۝ وَبَنَى الإِمَامَةَ أَيَّمَا بُنْيَانِ

قوله:(**سُبْحَانَ**) كلمة تنزيه وتقديس وتقول:«سبحان الله» من شيء ما: إذا تعجبت منه .

والسبوح: من صفات الله أي: تنزه عن كل عيب .

وسبح الله: أي: نزهه وقدسه .

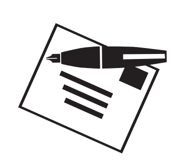
والتسبيح : التنزيه والتقديس .

قوله:(**مَنْ جَعَلَ الخِلَافَةَ رُتْبَةً**) أي: مرتبة حسب مراتب كبار أصحاب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فجعلها في أبي بكر ثم في عمر ثم في عثمان ثم في علي ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين .

قوله:(**وَبَنَى**) أي: أحكم وأتقن .

قوله:(**الإِمَامَةَ**) أي: الخلافة .

قوله:(**أَيَّمَا بُنْيَانِ**) أي: أحسن وأتم إحكام وإتقان .



١٦٧ وَاسْتَخْلَفَ الأَصْحَابَ كَيْ لاَ يَدَّعِي مِنْ بَعْدِ أَحْمَدَ فِي النُّبُوَّةِ ثَانِي

قوله:(**وَاسْتَخْلَفَ الأَصْحَابَ**) أي: أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جعل من أصحابه الكرام خلفاء من بعده يخلفونه في أمر هذا الدين حفظًا ونشرًا ودفاعًا. و يخلفونه في أمر الدنيا فيسوسون الناس بشريعة الله و يقيمون العدل بينهم .

قوله:(**كَيْ لاَ يَدَّعِي**) أي: حتى لا يدعي .

قوله:(**مِنْ بَعْدِ أَحْمَدَ**) أي: من بعد محمد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

قوله:(**فِي النُّبُوَّةِ**) أي: في أمر النبوة والرسالة وسبق معنى النبي والرسول في البيتين رقم (١٤٠-١٤١).

قوله:(**ثَانِي**) أي: دعي كاذب فلو كان، ثم رسول بعد محمد-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لكان أبو بكر الصديق لكنه قد علم بالضرورة أن الرسالة والنبوة ختمت بمحمد بن عبد الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠] .

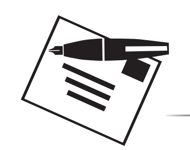
وفي السُّنَّة المطهرة يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **إِنَّ مَثَلِي فِي النَّبِيِّيْنَ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى داراً فأحسَنَها وأجْمَلَها وأكْمَلَها إلاَّ مَوضِعَ لَبِنَة فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهاَ، وَيَقُولُونَ: مَا أَجْمَلَهَا وَمَا أَحْسَنَها لَوْلاَ تِلْكَ اللَّبِنَةُ؟، قَالَ: فَأَنَا تِلْكَ اللَّبِنَةُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ** »[١].

وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلاَثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي** »[٢].

---

(١) رواه البخاري ومسلم بألفاظ نحو هذا .

(٢) رواه مسلم .



وقال -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « **فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بستٍّ: أُعطيتُ جوامعَ الكلم ونُصرْتُ بالرُّعب وأُحلَّتْ لي الغنائمُ وجُعلت لي الأرضُ طَهورًا ومسجدًا وأُرسِلْتُ إلى الخَلْقِ كافَّةً وخُتِم بي النَّبيُّونَ**». [1]

وبناء على ما سبق من الأدلة القاطعة فإننا نعتقد عقيدة لا شك فيها أن محمدًا عبد الله ورسوله به ختمت الرسالة فلا نبي بعده ومن قال بغير هذا فقد ضلَّ ضللاً مبينًا .

١٦٨ أَكْرِمْ بِفَاطِمَةَ الْبَتُولِ وَبَعْلِهَا   وَبِمَنْ هُمَا لِمُحَمَّدٍ سِبْطَانِ

قوله:(**أَكْرِمْ بِفَاطِمَةَ**) أي: ما أكرمها .

قوله:(**الْبَتُولِ**) سبق بيانه في البيت رقم (١٦٤) .

قوله:(**وَبَعْلِهَا**) أي: زوجها وهو عل بن أبي طالب -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- .

قوله:(**وَبِمَنْ هُمَا لِمُحَمَّدٍ سِبْطَانِ**) السبط بالكسر واحد أسباط وهم: ولد الابن والابنة والمراد بهما: الحسن والحسين ابنا علي -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ- .

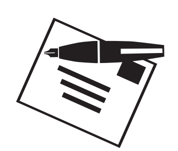
١٦٩ غُصْنَانِ أَصْلُهُمَا بِرَوْضَةِ أَحْمَدٍ   للهِ دَرُّ الأَصْلِ وَالْغُصْنَانِ

قوله:(**غُصْنَانِ**) الغصن: ما تشعب من ساق الشجرة دقيقه وجليله والمراد هنا الحسن والحسين غصنان من رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من جهة أمهما .

قوله:(**أَصْلُهُمَا**) أصل الشيء: أساسه الذي يقوم عليه كأصل الجدار وأصل الشجرة .

---

(١) رواه مسلم .



قوله:(**بِرَوْضَةِ أَحْمَدٍ**) الروضة: الأرض ذات الخضرة والبستان الحسن . وقد تربيا في كنف رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ورعايته ودينه .

قوله:(**لله دَرُّ**) كلمة مدح .

قوله:(**الأَصْلِ**) رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من جهة أمهما .

قوله:(**وَالْغُصْنَانِ**) الحسن والحسين -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- .

١٧٠ أَكْرِمْ بِطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدِهِمْ وَسَعِيدِهِمْ وَبِعَابِدِ الرَّحْمَنِ

قوله:(**أَكْرِمْ**) صيغة تعجب على وزن (أفعل به) والمعنى : ما أكرم هؤلاء .

قوله:(**بِطَلْحَةَ**) هو: طلحة بن عبيد الله بن عمرو بن كعب القرشي التيمي وأبو محمد أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق ، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين عينهم عمر بن الخطاب ، وأحد النفر الذين ثبتوا مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-في أحد ووقاه السهام بيده حتى شلت يده ، ورمي بسهم يوم الجمل، فساح منه الدم حتى مات ، وذلك سنة(٣٦ هـ) وعمره (٦٤) سنة.[١]

قوله:(**وَالزُّبَيْرِ**) هو: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي أبو عروة، وهو ابن عمة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-وحواريه ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، أسلم مبكرًا وهو صغير ، هاجر الهجرتين ، وشهد المشاهد مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، حتى قال رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- له: «**فِدَاكَ أبي وأمِّي**» ، وحضر معركة الجمل مع عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- ، فذكره على قول رسول الله له-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**إِنَّكَ تُقَاتِلُ عَلِيًّا**

(١) الإصابة (٢/ ٢٩٩-٣٣٠) .



وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ» فرجع وندم فلحقه ابن جرموز. فقتله سنة (٣٦ هـ) .[١]

قوله:(**وَسَعْدِهِمْ**) هو: سعد بن مالك المكنى بـ «أبي وقاص» بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري ، من المسلمن الأوائل ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، ومن فرسان الصحابة ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله ، وأحد الستة أهل الشورى الذين عينهم عمر ، ومن كبار قادة الفتح في عهد الخلفاء الراشدين ، وولي الكوفة في عهد عمر ، وكان مُجاب الدعوة ، وممن اعتزلوا الفتنة توفي سنة (٥٦ هـ) .[٢]

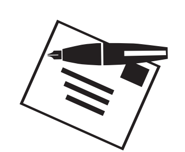
قوله:(**وَسَعِيدِهِمْ**) هو: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ، كان من السابقين إلى الإسلام ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، توفي بالعقيق ودفن بالمدينة سنة (٥٢ هـ) ، عن بضع وسبعين سنة .[٣]

قوله:(**وَبِعَابِدِ الرَّحْمَنِ**) هو: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة القرشي ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أهل الشورى، وتنازل عن حقه فتولى أمر الشورى حتى بويع عثمان ، وهو من أوائل الصحابة إسلامًا ، وهاجر الهجرتين ، وشهد جميع المشاهد ، وشهد جميع المشاهد مع رسول الله –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ويعد من أغنياء الصحابة ، وكان كثير الإنفاق في سبيل الله، سيد من سادات المسلمين ، توفي بالمدينة سنة (٣٢ هـ).[٤]

١٧١ وَأَبِي عُبَيْدَةَ ذِي الدِّيَانَةِ وَالتُّقَى ... وَامْدَحْ جَمَاعَةَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

---

(١) الإصابة (١/ ٥٤٥) .
(٢) الإصابة (٢/ ٣٣-٣٤) .
(٣) لمعة الاعتقاد (ص ٨٧) .
(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٤١٦-٤١٧) .



قوله:(**وَأَبِي عُبَيْدَةَ**) هو: عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أبي أهيب الفهري القرشي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وسماه رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأمين هذه الأمة ، أسلم مبكرًا ، وشهد جميع المشاهد مع رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وهو الذي نزع الحلقتين من وجه رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يوم أحد فسقطت ثناياه -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- هاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة ، ثم هاجر إلى المدينة، ولاه عمر بن الخطاب قيادة الجيوش في الشام ، بدلاً من خالد بن الوليد ،فكان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- من الأبطال الأفذاذ ، توفي بطاعون عمواس عام (١٨هـ) .[١]

قوله:(**ذِي الدِّيَانَةِ وَالتُّقَى**) أي: صاحب الدين وتقوى رب العالمين .

قوله:(**وَامْدَحْ**) يقال: مدحه مدحًا : أثنى عليه بماله من الصفات .

قوله:(**جَمَاعَةَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ**) أي: أهل بيعة الرضوان وهم الذين بايعوا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تحت الشجرة، وفيهم أنزل الله قوله -تعالى-: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح١٨] .

وكان ذلك في صلح الحديبية في سَنة (٦هـ)، في شهر ذي القعدة وعددهم (١٤٠٠ أو ١٥٠٠) من كرام الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-.

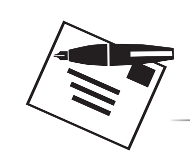
١٧٢ قُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي صَحَابَةِ أَحْمَدٍ وَامْـدَحْ جَمِيعَ الآلِ وَالنِّسْوَانِ

قوله:(**قُلْ**) أيها المسلم .

قوله:(**خَيْرَ قَوْلٍ**) أي: أفضل قول وأحسنه .

قوله:(**فِي صَحَابَةِ أَحْمَدٍ**) أي: (أي: في أصحاب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

(١) البداية والنهاية (٧/ ٩٤) .



قوله:(**وَامْدَحْ**) من المدح وهو: الثناء الجميل .

قوله:(**جَمِيعَ الآلِ**) أي: عامة صالح آل البيت وقد سبق ذكرهم في البيت رقم (١٣٥) .

قوله:(**وَالنِّسْوَانِ**) أي: عامة نساء رسول الله –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وفي مقدمتهن عائشة –رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ– .

١٧٣ دَعْ مَا جَرَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي الْوَغَى　　بِسُيُوفِهِمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجُمْعَانِ

قوله:(**دَعْ**) أي: اترك .

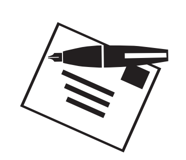
قوله:(**مَا جَرَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ**) أي: ما حدث بين الصحابة من الخلاف والفتنة والاقتتال .

قوله:(**فِي الْوَغَى**) أي: الجلبة والحرب وسميت بذلك لما فيها من الصوت والجلبة .

قوله:(**بِسُيُوفِهِمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجُمْعَانِ**) أي: الفريقان والجيشان والمراد: جيش علي وجيش معاوية –رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا– .

وعقيدتنا فيما حدث بين الأصحاب الكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم فهم القوم عصم الله منا دماءهم فلتعصم ألسنتنا منهم ولا نذكرهم إلا بخير ونترضى عنهم أجمعين .

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الحشر:١٠] .



١٧٤ فَقَتِيلُهُمْ مِنْهُمْ وَقَاتِلُهُمْ لَهُمْ وَكِلاَهُمَا فِي الْحَشْرِ مَرْحُومَانِ

قوله:(**فَقَتِيلُهُمْ مِنْهُمْ**) أي: أن المقتول من الصحابة الذي قتل يوم التقى جيشا علي ومعاوية -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا- لا يخرج عن وصف الصحبة .

قوله:(**وَقَاتِلُهُمْ لَهُمْ**) أي: والقاتل للصحابة من الصحابة في تلك الفتنة لا يخرج أيضا عن وصف الصحبة .

قوله:(**وَكِلاَهُمَا**) أي: القاتل والمقتول .

قوله:(**فِي الْحَشْرِ**) أي: يوم القيامة وسمي بيوم الحشر لأنه اليوم الذي يحشر فيه الناس إلى ربهم .

قوله:(**مَرْحُومَانِ**) أي: أن رحمة الله -عَزَّوَجَلَّ- تسع الفريقين القاتل والمقتول كونهما مجتهدين في نصرة الحق وإقامة الشرع فهما بين أجر وأجرين، فالمصيب منهما مؤجور ، والمخطئ معذور مغفور ويشملهما قوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- : « **إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ** ». (١)

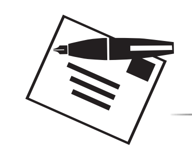
وعليه: فمما نعتقده أن عليا مجتهد مصيب له أجران وأن معاوية مجتهد مخطأ له أجر واحد -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا- .

١٧٥ وَاللهُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَنْزَعُ كُلَّ مَا تَحْوِي صُدُورُهُمُ مِنَ الأَضْغَانِ

قوله:(**وَاللهُ يَوْمَ الْحَشْرِ**) أي: يوم القيامة .

---

(١) رواه أصحاب السُّنن وصححه الألباني في البخاري ومسلم نحوه .



قوله:(**يَنْزَعُ**) أي: يزيل ويذهب .

قوله:(**كُلَّ مَا**) أي: كل الذي .

قوله:(**تَحْوِي صُدُورُهُمُ**) أي: تملؤ صدورهم ونفوسهم .

قوله:(**مِنَ الأَضْغَانِ**) : ضغن وهو: البغض والحقد والغل .

علم أن الله تعالى يوم القيامة يزيل من صدور المؤمنين - عمومًا - والصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- خصوصًا ، ما حوته من الأضغان، قال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾ [الأعراف:٤٣] .

١٧٦ وَالْوَيْلُ لِلرَّكْبِ الَّذِيْنَ سَعَوا إِلَى عُثْمَانَ فَاجْتَمَعُوا عَلَى الْعِصْيَانِ

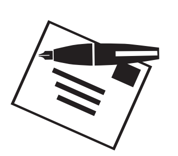
قوله:(**وَالْوَيْلُ**) كلمة تفجيع ووعيد .

قوله:(**لِلرَّكْبِ**) الركب هم: أصحاب الإبل في السفر خاصة وهم العشرة فصاعدا والواحد راكب .

قوله:(**الَّذِيْنَ سَعَوا إِلَى عُثْمَانَ**) أي: قصدوا مسرعين نحو خليفة المسلمين وإمامهم عثمان بن عفان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .

قوله:(**فَاجْتَمَعُوا**) أي: أجمعوا أمرهم وكيدهم الظالم .

قوله:(**عَلَى الْعِصْيَانِ**) أي: على نزع يد الطاعة وشق عصا الجماعة وذلك بالإفتئات والخروج على أمير المؤمنين عثمان بن عفان-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- والنيل من دمه، فحاصروه في داره وسفكوا دمه المعصومة بغيا وعدوانًا - قاتلهم الله - .



١٧٧ وَيْـلٌ لِمَـنْ قَتَلَ الحُسَيْنَ فَإِنَّهُ   قَدْ بَاءَ مِنْ مَـوْلاَهُ بِالخُسْرَانِ

قوله:(**وَيْلٌ لِمَنْ قَتَلَ الحُسَيْنَ فَإِنَّهُ**) أي: هلاك ودمار لمن تجرأ على قتل سبط رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وريحانته الحسين بن علي بن أبي طالب – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – والذين قاتلوه هم شيعة العراق ، وذلك حين خرج من المدينة قاصدًا الكوفة لأخذ البيعة من أهلها ؛ حسب رسائلهم المتكررة لبيعته خداعًا ، فغدروا وخانوا، وقاتله جيش عبد الله بن زياد ، فقتل بها يوم عاشوراء ، العاشر من محرم(سنة٦١ هـ) وله من العمر(٥٤) سنة وستة أشهر ونصف الشهر .[١]

قوله:(**فَإِنَّهُ قَدْ بَاءَ**) باء بالشيء : أي: رجع ، وفي التنزيل: ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ﴾ [البقرة: ٦١] أي: رجعوا بغضب .

قوله:(**مِنْ مَوْلاَهُ**) المراد –هنا– أي: خالقه ومعبوده .

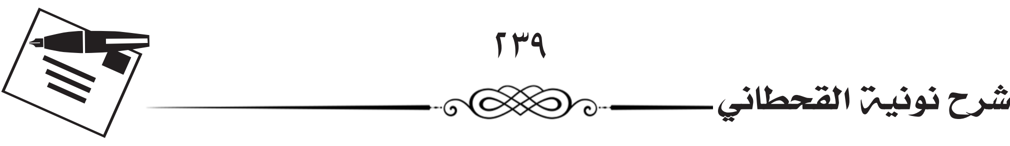
قوله:(**بِالخُسْرَانِ**) بالخسارة التي هي نقيض الربح وهو الهلاك والعذاب في الآخرة قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الشورى: ٤٥].

١٧٨ لَسْنَا نُكَفِّرُ مُسْلِمًا بِكَبِيرَةٍ   فَـاللهُ ذُو عَفْوٍ وَذُو غُفْرَانِ

قوله:(**لَسْنَا**) أي: معشر أهل السُّنَّة والجماعة .

قوله:(**نُكَفِّرُ مُسْلِمًا بِكَبِيرَةٍ**) أي: نتجرأ على أن نطلق تكفير أحد من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، فإن استحله كفر ،لكونه مكذبا لله ولرسوله، خارجًا عن دينه ،إذا لم يستحل ذلك فإنه لا يكفر عند أهل السُّنَّة والجماعة، بل يكون

(١) الإصابة في التمييز بين الصحابة (١/ ٢٢٢–٢٣٥) ، البداية والنهاية (٤/ ٨).



ضعيف الإيمان، وله حكم ما تعاطاه من المعاص في التفسيق وإقامة الحدود ، وغير ذلك حسبما جاء في الشرع المطهر، وهذا هو قول أهل السُّنَّة والجماعة، خلافا للخوارج والمعتزلة، ومن سلك سبيلهم المنحرف، فإن الخوارج يكفرون بالكبيرة (١)، والمعتزلة يجعلونه بمنزلة بين المنزلتين ،يعني : بين الإسلام والكفر في أحكام الدنيا ، أما في أحكام الآخرة فهم متفقون مع الخوارج بأنه مخلد في النار ،وقول الطائفتين : ضلال دل على بطلانه الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة ،ولا نقول بقول المرجئة الذين يقولون : إنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، فهؤلاء في طرف نقيض مع الخوارج كما سبق تقريره .

قوله: (**فَاللهُ ذُو عَفْوٍ**) أي: صاحب العفو فهو: (العفو) .

والعفو: اسم الله تعالى يدل على أنه تعالى يمحو الذنب ويتجاوز عنه ولا يعاقب عليه مع استحقاق العبد للعقاب .

قوله: (**وَذُو غُفْرَانِ**) أي: صاحب المغفرة فهو: (الغفور) .

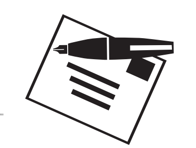
والغفور: اسم الله تعالى يدل على أنه يستر الذنب ولا يفضحه ولا يعاقب عليه.

١٧٩ لاَ تَقْبَلَنَّ مِنَ التَّوَارِخَ كُلَّ مَا   جَمَعَ الـرُّوَاةُ وَخَـطَّ كُلُّ بَنَانِ

قوله: (**لاَ تَقْبَلَنَّ مِنَ التَّوَارِخَ**) أي: احذر أن تقبل في نفسك أو ترو لغيرك جميع ما سمعته أو قرأته في بطون كتب التأريخ ، ففيها الغث والسمين الصحيح والسقيم .

---

(١) الكبيرة: ما يترتب عليها حد أو توعيد عليها بالنار ، أو اللعنة أو الغضب ؛ كالقتل ، والزنا ، والسرقة ونحو ذلك ، والصغيرة ما دون ذلك . شرح الطحاوية .



قوله:(**كُلَّ مَا جَمَعَ الرُّوَاةُ**) المراد: رواة التأريخ وهم: حامليه لأنفسهم وناقليه لغيرهم .

قوله:(**وَخَطَّ كُلُّ بَنَانِ**) البنان هي:أصابع اليد والمراد ما خطته أيدي المؤرخين .

١٨٠ اِرْوِ الحَدِيثَ المُنْتَقَى عَنْ أَهْلِهِ سِيَمَا ذَوِي الأَحْلاَمِ وَالأَسْنَانِ

قوله:(**اِرْوِ الحَدِيثَ**) أي: أنقل الحديث واضبطه ضبطًا صحيحًا صدرًا وكتابة .

والحديث: ما اضف إلى النبي –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– من قول أو فعل أو تقرير .

ولعل المراد هنا والله أعلم بالحديث الخبر عموما سواءً كان مرفوعًا إلى رسول الله– صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أو موقوفًا على الصحابي أو مقطوعًا على التابعي ومن دونه .

قوله:(**المُنْتَقَى**) أي: الخالص من الضعف والوضع .

قوله:(**عَنْ أَهْلِهِ**) أهل الحديث: هم أهل العدالة والضبط .

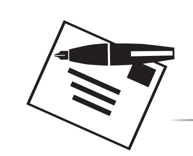
والعدل: هو المسلم العاقل الخالي من الفسق وخوارم المروءة .

والضبط: على ضربين :

١ ضبط صدر: في تحمله وأدائه .

٢ ضبط كتاب: في تحمله ونقله .

قوله:(**سِيَمَا**) أي: لا سيما والمراد: وبخاصة تقول : (اتقن فلان حفظ المتون ولا سيما (نونية الإمام القحطاني) .



أي: وبخاصة : نونية الإمام القحطاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- .

قوله:(**ذَوِي الأَحْلاَمِ**) جمع حلم بالكسر وهو: العقل أي: ذوي العقول النيرة .

قوله:(**وَالأَسْنَانِ**) جمع سن -بالكسر- وهو: العمر أي: ذوي الأعمار الكبيرة من أهل العلم الكبار فاجتمع كبر السن مع كبر العلم وفي الحديث الصحيح: « **لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنْ أَكَابِرِهِمْ** » .(١)

عَنْ عَبْد اللَّهِ بْنِ مَسْعُود -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- « **لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنْ أَكَابِرِهِمْ، فَإِذَا أَخَذُوهُ مِنْ أَصَاغِرِهِمْ وَشِرَارِهِمْ هَلَكُوا** » .(٢)

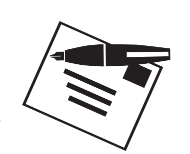
١٨١ كَابْنِ الْمُسَيِّبِ وَالْعَلاَءِ وَمَالِكٍ   وَاللَّيْثِ وَالزُّهْرِيِّ أَوْ سُفْيَانِ

قوله:(**كَابْنِ الْمُسَيِّبِ**) الكاف من:[كابن] للتمثيل أي: كمثل: ابن المسيب.

وابن المسيب هو: الإمام سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي من أئمة التابعين وعلمائهم الأثبات، ومن الفقهاء الكبار، قال ابن المديني : « لا أعلم في التابعين أعلم منه» ، توفي بعد التسعين من الهجرة وقد ناهز الثمانين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى رحمة الأبرار - .(٣)

قوله:(**وَالْعَلاَءِ**) لعل المراد به والله-أعلم-العلاء بن الحارث بن عبد الوارث الحضرمي أبو وهب وثقه بن المديني وابن معين وغيرهما،وهو أعلم أصحاب مكحول وأفقههم خلط في آخر أمره ، توفي سنة (١٣٦ هـ) وعمره (٧١) سنة.(٤)

(١) أخرجه الطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن مسعود -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- .
(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٩٣) .
(٣) تقريب التهذيب (٣٠٥-٣٠٦) ، اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٤٩) الحاشية .
(٤) حاشية اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٢٦) .



ولعله عنى به: العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة من جهينة وهو مدني قالوا عنه: صدوق ربما يهم وروي عنه الثقات ، ووثقه أحمد بن حنبل مات سَنة بضع وثلاثين ومائة هجرية .[(١)]

قوله:(**وَمَالِكٍ**) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي ، أبو عبد الله الإمام الفقيه ، والمحدث الحافظ ، إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة، ينسب إليه المذهب المالك ، روى عنه كثير من المحدثين والحفاظ ، وكان في غاية الدقة والثقة في الحديث ، له مصنفان أشهرها الموطأ توفي سَنة (١٧٩ هـ) وعمره (٨٥) سَنة .[(٢)]

قوله:(**وَاللَّيْثِ**) هو: الليث بن سعد بن عبد الرحمن العهنمي أبو الحارث الإمام المصري من كبار الأئمة في وقته ، في الفقه والعلم والفتوى ومن رواة الحديث الحفاظ الثقات.

قال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: « كان من سادات أهل زمانه فقهًا وورعًا وعلماً وفضلاً وسخاء ، توفي سنة (١٧٥هـ) وعمره(٨٥) سَنة » .[(٣)]

قوله:(**وَالزُّهْرِيِّ**) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري من بني زهرة بن كلاب أبو بكر هو أول من دون الحديث ، وسمع عن بعض الصحابة تابعي مدني ، ومن الحفاظ الثقات ومن المكثرين للحديث مع اتقان وفقه، توفي سَنة (١٢٥ هـ) .[(٤)]

قوله:(**أَوْ سُفْيَانِ**) المراد بسفيان عند الإطلاق هو سفيان الثوري وترجمته هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري نسبة إلى ثور أحد أجداده، ولد سنة

(١) المرجع نفسه (١/ ١٧٧) .
(٢) البداية والنهائية (١٠/ ١٧٤) حاشية الاقتضاء (١/ ١٦٩) .
(٣) تهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٩) حاشية الاقتضاء (١/ ٢٢٤) .
(٤) تهذيب التهذيب (٢/ ٢٠٧) حاشية الاقتضاء (١/ ١٦٨) .



(٩٧ هـ) ،وكان إمامًا من أئمة المسلمين في الفقه والعلم والحديث، ثقة حجة ثبتا ،حتى قال عنه ابن معين وغيره (أمير المؤمنين في الحديث) توفي بالبصرة سنة (١٦١ هـ) . [١]

١٨٢ وَاحْفَظْ رِوَايَةَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ فَمَكَانُهُ فِيهَا أَجَلُّ مَكَانِ

قوله:(**وَاحْفَظْ**) أي: واضبط .

قوله:(**رِوَايَةَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ**) هو: جعفر بن محمد بن عل بن الحسين بن علي بن أبي طالب الشهير بجعفر الصادق الذي ينتسب إليه الشيعة زورًا وبهتانًا وهو منهم برآء ، إذ هو من الأئمة الثقات الفقهاء المشاهير أخرج له البخاري ومسلم وسائر أصحاب السُّنن ، توفي سنة (١٤٨ هـ) . [٢]

قوله:(**فَمَكَانُهُ فِيهَا**) أي: منزلته في رواية الحديث تحملا وأداء .

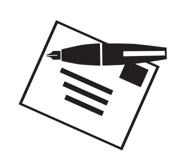
قوله:(**أَجَلُّ مَكَانِ**) أي: أرفع وأعظم منزلة .

قال عنه ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:« وجعفر الصادق من خيار أهل العلم والدين ... إلى أن قال : وقال عمرو ابن أبي المقدم: كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين » . [٣]

وقال عنه الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: « هو الإمام الصادق شيخ بني هاشم، أبو عبد الله القرشي الهاشمي العلوي النبوي المدني أحد الأعلام» . [٤]

---

(١) البداية والنهاية (١٠/ ١٣٤) حاشية الاقتضاء (١/ ١٦٨) .
(٢) تقريب التهذيب (١/ ١٣٢) حاشية الاقتضاء (١/ ٣٤٠) .
(٣) منهاج أهل السُّنَّة (٤/ ٥٢-٥٣) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٥) .



وقال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: « وثقه الشافعي ويحيى ابن معين، وعن أبي حنيفة قال: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد» .[(١)]

وقال عنه أبو حاتم -رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ- : « ثقة لا يسئل عن مثله» .[(٢)]

١٨٣ وَاحْفَظْ لأَهْلِ الْبَيْتِ وَاجِبَ حَقِّهِمْ   وَاعْرِفْ عَلِيًّا أَيَّمَا عِرْفَانِ

قوله:(**وَاحْفَظْ**) أي: صن واحرس وارع .

قوله:(**لأَهْلِ الْبَيْتِ**) سبق ذكرهم في البيت رقم (١٣٥) .

قوله:(**وَاجِبَ حَقِّهِمْ**) أي: ما أمرنا به نحوهم على وجه الإلزام من ذلك :

١- محبتهم المحبة الشرعية التي لا غلو فيها ولا إجحاف .

٢- احترامهم وتقديرهم لا تقديسهم .

٣- نشر فضائلهم بين الأمة .

٤- الذَّب عنهم والإنكار على من آذاهم وطعن فيهم .

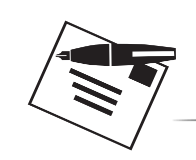
٥- انزالهم منزلتهم الشرعية التي أنزلهم إياها ربهم .

قوله:(**وَاعْرِفْ عَلِيًّا**) أي: تعرف على حق علي بن أبي طالب صهر رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وابن عمه ورابع خلفائه -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- .

قوله:(**أَيَّمَا عِرْفَانِ**) أي: حق العرفان .[(٣)]

---

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ١٥٠) .
(٢) فضائل أهل البيت وعلو مكانتهم (ص ٨١-٨٢) .
(٣) قد سبق ترجمته في البيت رقم (ص ١٦٤) .



١٨٤ لاَ تَنْتَقِصْهُ وَلاَ تَزِدْ فِي قَدْرِهِ   فَعَلَيْهِ تَصْلَى النَّارَ طَائِفَتَانِ

قوله:(**لاَ تَنْتَقِصْهُ**) أي: لا تزدريه وتبخسه حقه، كما فعلت الخوارج بأن كفروه وقاتلوه واستحلوا دمه ودماء من كان معه من الأصحاب وغيرهم .

قوله:(**وَلاَ تَزِدْ فِي قَدْرِهِ**) أي لا تغلو فيه بإنزاله فوق منزلته كما فعلت الروافض بأن اعطوه مقامًا فوق مقام عامة الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- وفيهم من رفعه فوق مقام الأنبياء وقالوا بعصمته، بل إن منهم من أعطاه أوصاف الإلهية والربوبية - ولا حول ولا قوة إلا بالله -.

قوله:(**فَعَلَيْهِ تَصْلَى النَّارَ طَائِفَتَانِ**) أي: بسببه تدخل النار وتصلى في حرها وسمومها طائفتان وهما:

١- الخوارج: الذين كفروه واستحلوا دمه ومن معه وقاتلوه وقتلوه .

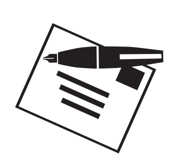
٢-الروافض: الذين تشيعوا له زورًا وكذبًا وخداعًا وقالوا بعصمته وأوصلوه إلى مقام الربوبية والألوهية - قاتلهم الله أنى يؤفكون - .

وكلا الطائفتين ضالتين منحرفتين .

١٨٥ إِحْدَاهُمَا لاَ تَرْتَضِيهِ خَلِيفَةً   وَتَنُصُّهُ الأُخْرَى إِلَهًا ثَانِي

قوله:(**إِحْدَاهُمَا لاَ تَرْتَضِيهِ خَلِيفَةً**) وهم الخوارج كما أشرنا في البيت الذي مضى.

قوله:(**وَتَنُصُّهُ الأُخْرَى إِلَهًا ثَانِي**) وهم الروافض كما بينا في البيت الذي مضى .



١٨٦ وَالْعَنْ زَنَادِقَةَ الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ   أَعْنَاقُهُمْ غُلَّتْ إِلَى الأَذْقَـانِ

قوله:(وَالْعَنْ) اللعن : الطرد والإبعاد من رحمة الله -تعالى-.

قوله:(زَنَادِقَةَ الرَّوَافِضِ) الزنديق: كل ضآل أو شاك أو مُلحد يطلق عليه زنديق .

قوله:(إِنَّهُمْ أَعْنَاقُهُمْ) أي: رقابهم واحدها رقبة ، والرقبة: هي الوصلة التي بين الرأس والجسد .

قوله:(غُلَّتْ) الغل: بالضم الطوق من الحديد يجعل في عنق الأسير أو المجرم أو في أيديها .

والمراد: قيدت وسلسلت أعناقهم بسلاسل من حديد .

قوله:(إِلَى الأَذْقَانِ) الأذقان: جمع ذقن بالفتح والمراد مجتمع اللحيين من أسفلها .

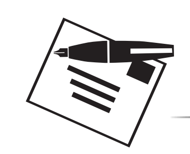
وخلاصة المعنى: أن أهل الإلحاد والضلال ملعونون ،ويوم تقوم الساعة تغل أعناقهم إلى أذقانهم فهم مقمحون .

١٨٧ جَحَدُوا الشَّرَائِعَ وَالنُّبُوَّةَ وَاقْتَدَوا   بِفَسَادِ مِلَّةِ صَاحِبِ الإِيـوَانِ

قوله:(جَحَدُوا) أي: أنكروا وكفروا .

قوله:(الشَّرَائِعَ) جمع شريعة: وهي الطريقة والمذهب .

والمراد هنا : ما شرعه الله لعباده من العقيدة والأحكام وكلفهم به وبعث من أجله الرسل.



قوله:(**وَالنُّبُوَّةَ**) سبق بيان ذلك في البيت رقم (١٤١) .

قوله:(**وَاقْتَدَوا**) أي: تأسوا واتبعوا .

قوله:(**بِفَسَادِ مِلَّةِ صَاحِبِ الإِيوَانِ**) أي: بالملة الفاسدة والشريعة الباطلة التي كان عليها صاحب الإيوان وهو كسرى ، رأس الدولة الفارسية المجوسية التي تعبد النار من دون الله .

١٨٨ لاَ تَرْكَنَنَّ إِلَى الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ شَتَمُوا الصَّحَابَةَ دُونَمَا بُرْهَانِ

قوله:(**لاَ تَرْكَنَنَّ إِلَى الرَّوَافِضِ**) أي: احذر السكون والإعتماد على الروافض دينا ودنيا فإنهم منحرفون هالكون فلا دينا أقاموا ولا دنيا أبقوا .

قوله:(**إِنَّهُمْ شَتَمُوا الصَّحَابَةَ**) أي: سبوا ولعنوا وكفَّروا أصحاب رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- .

قوله:(**دُونَمَا بُرْهَانِ**) أي: بغير دليل ولا تعليل إلا الهوى والأباطيل .

١٨٩ لَعَنُوا كَمَا بَغَضُوا صَحَابَةَ أَحْمَدٍ وَوِدَادُهُمْ فَرْضٌ عَلَى الإِنْسَانِ

قوله:(**لَعَنُوا**) أي: قاموا باللعن الذي يعني: الإبعاد والطرد من رحمة الله -وهم أحق الناس بالإبعاد من رحمة الله- .

قوله:(**كَمَا بَغَضُوا**)أي:أضافوا إلى لعنهم البُغض بالضم وهو:الكراهية والمقت.

قوله:(**صَحَابَةَ أَحْمَدٍ**) أي: أصحاب رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- .

قوله:(**وَوِدَادُهُمْ**) أي: محبتهم والهاء ضمير عائد على أصحاب رسول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- .



قوله:(**فَرْضٌ عَلَى الإِنْسَانِ**) أي: اجب على كل إنسان .

١٩٠ حُبُّ الصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ سُنَّةٌ أَلْقَى بِهَا رَبِي إِذَا أَحْيَانِي

قوله:(**حُبُّ الصَّحَابَةِ**) أي: محبة أصحاب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أجمعين.

قوله:(**وَالْقَرَابَةِ**) أي: ومحبة أهل الإيمان والصلاح من آل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قوله:(**سُنَّةٌ**) أي: طريقة متبعة وعقيدة صحيحة مفروضة مأمونة ولا يعني بها -هنا- السُّنَّة التي هي دون الواجب .

قوله: (**أَلْقَى بِهَا رَبِي**) أي: أموت وأحيا على هذا المعتقد .

قوله: (**إِذَا أَحْيَانِي**) أي: عند البعث والنشور .

١٩١ اِحْذَرْ عِقَابَ اللهِ وَارْجُ ثَوَابَهُ حَتَّى تَكُونَ كَمَنْ لَهُ قَلْبَانِ

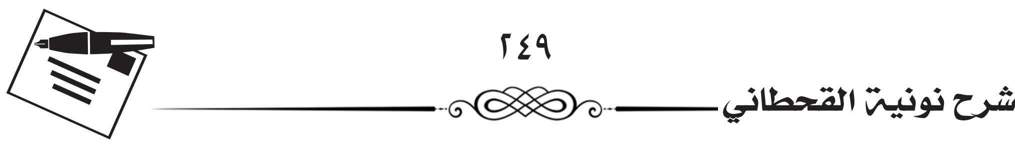
قوله: (**اِحْذَرْ عِقَابَ الله**) هذا هو الخوف المحمود المطلوب وذلك إنما يكون بتجنب أسباب العقابَ من المنهيات .

قوله: (**وَارْجُ ثَوَابَهُ**) وهذا هو الرجاء المحمود المطلوب وذلك إنما يكون بإتيان أسباب الثواب من المأمورات جاء في مختصر منهاج القاصدين : «اعلم أن الخوف والرجاء جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيتان يقطع من طريق الآخرة كل عقبة كؤود» .[1]

فهما للمؤمن بمثابة جناح الطائر وهل علمت بطائر يطير بجناح واحد ؟!.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (٢٨٢) .



وقد جمع بين هذين الخلقين في أكثر من آية من ذلك قول الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠] .

وقال -تعالى- : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء: ٥٧] .

وقال -تعالى- : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المائدة: ٩٨] .

وقال علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- :« إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله » .(١)

فالاقتصار على الخوف وحده يثمر القنوط من رحمة الله ، والاقتصار على الرجاء وحده يؤمنك مكر الله .

لهذا قال بعض السلف :«من عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجيء ، ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو موحد،فالموحد يعبد الله حبًّا فيه» ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾[البقرة:١٦٥] .

وخوفًا منه : ﴿ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران:١٧٥] .

وقال -تعالى- : ﴿ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾[الرعد:٢١] .

ورجاء مقرونا بالعمل الصالح ، قال -تعالى- : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾[الكهف:١١٠] .

قوله: (**حتَّى**) حرف غاية .

---

(١) المرجع نفسه (٢٨٥) .



قوله: (**تَكُونَ**) أي: تصير .

قوله: (**كَمَنْ لَهُ قَلْبَانِ**) أي: كالذي له قلبان وذلك لأنه جمع في قلبه شدة خوفه من ربه مع عظيم رجائه .

واعلم-رحمك الله-أن الحب والخوف والرجاء من عبادات وأعمال القلوب.

١٩٢ إِيمَانُنَا بِاللهِ بَيْنَ ثَلَاثَةٍ   عَمَلٍ وَقَوْلٍ وَاعْتِقَادِ جَنَانِ

قوله: (**إِيمَانُنَا بِاللهِ**) الإيمان لغة: الإقرار والتصديق .

شرعًا : « **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** ».(١)

قوله: (**بَيْنَ ثَلاثَةٍ**) أي: أنه دائر بين ثلاثة أمور .

قوله: (**عَمَلٍ وَقَوْلٍ وَاعْتِقَادِ جَنَانِ**) أي: أنه دائر بين ثلاثة أمور :

فالأول: عمل: أي: عمل الجوارح .

والثاني : قول: أي: قول اللسان .

والثالث: اعتقاد جنان: أي: اعتقاد القلب .

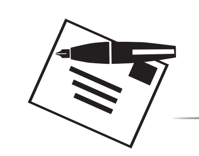
وهذا هو التعريف المجمل للإيمان : قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح .

أما التعريف المفصل أن يقول: قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح .

فالقلب له: قول وعمل .

---

(١) رواه مسلم .



واللسان لها: قول وعمل .

فأما قول اللسان فالأمر فيه واضح وهو النطق وأما عمله فحركاته وليست هي النطق بل النطق ناشيء عنها إن سلمت من الخرس .

وأما قول القلب فهو اعترافه وتصديقه وأما عمله فهو عبارة عن تحركه وإراداته ، وأما عمل الجوارح فواضح ركوع وسجود وقيام ونحوه .[1]

١٩٣ وَيَزِيدُ بِالتَّقْوَى وَيَنْقُصُ بِالرَّدَى وَكِلاَهُمَا فِي الْقَلْبِ يَعْتَلِجَانِ

قوله: (**وَيَزِيدُ بِالتَّقْوَى وَيَنْقُصُ بِالرَّدَى**) هذا هو معتقد أهل السُّنَّة والجماعة قاطبة أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالإيمان وينقص بالعصيان وأدلة ذلك متضافرة من الكتاب والسُّنَّة .

فأما دلالة الكتاب : فقوله -تعالى- : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[التوبة : ١٢٤] .

وقوله-تعالى- : ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ [المدثر : ٣١] .

وقوله-تعالى- : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾[الكهف : ١٣] .

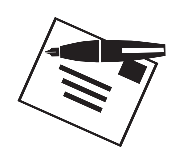
ومن السُّنَّة: قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ** ».[2]

فأثبت -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نقص الدين الذي يفهم منه زيادته .

وقوله-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خيرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ**».[3]

---

(١) شرح الواسطية لابن عثيمين (ص ٣٦٤-٣٦٥) .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه البخاري ومسلم .



وقوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: « **مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ** ».(١)

وخالف هذا المعتقد طائفتان من أهل الضلال :

الأولى: الخوارج والمعتزلة: حيث يخرجون فاعل الكبيرة ، إلا أن الخوارج يقولون: إنه خارج من الإيمان داخل في الكفر .

والمعتزلة يقولون : خارج من الإيمان غير داخل في الكفر، بل هو منزلة بين المنزلتين، فليس بالمؤمن ولا بالكافر .

الثانية: المرجئة: قالوا: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص،لأن الأعمال ليست من الإيمان حتى يزيد بزيادتها وينقص ، فالإيمان عندهم إقرار القلب، والإقرار لا يزيد ولا ينقص،وعقيدتهم أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة .

ولا شك في بطلان معتقد الطائفتين المرجئة والوعيدية «الخوارج والمعتزلة».

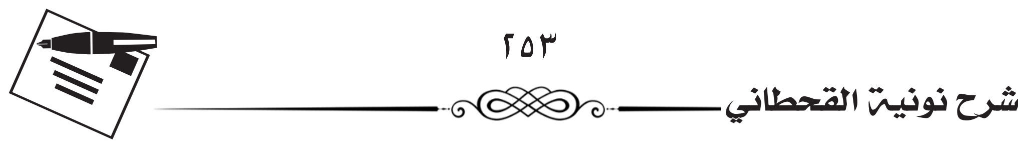
١٩٤ وَإِذَا خَلَوْتَ بِرِيبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ

١٩٥ فَاسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِ الإِلَهِ وَقُلْ لَهَا إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي

قوله: (**وَإِذَا خَلَوْتَ بِرِيبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ**) أي : إذا تهيء لك فعل المعصية وتوفر لك أسبابها ، وزال عنك موانعها ، وذلك كأن تكون في مكان خال عن أعين الخلق ، ومظلم لا يطلع عليك أحد .

قوله: (**وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ**) أي: وزاد أن اشتهت نفسك مواقعة

(١) رواه البخاري ومسلم .



تلك المعصية وتفجر بركانها في أحشائك فسولت لك وزينت لك وزخرفت .

قوله: (**فَاسْتَحْيِ**) من الحياء والحياء: خلق يبعث على فعل الجميل وكف القبيح .

قوله: (**مِنْ نَظَرِ الإِلَهِ**) أي: من رؤية الله لك فإنك إن استخفيت من الناس فإن الله لا يستخفى منه وهو أحق أن يستحيا منه .

والاستحياء من الله يكون: بامتثال أمره واجتناب نهيه وإقامة حدوده .

قوله: (**وَقُلْ لَهَا**) أي: قل لنفسك الأمارة بالسوء الداعية إلى الطغيان .

قوله: (**إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ**) وهو الله فهو الذي خلق الليل والنهار.

قوله: (**يَرَانِي**) أي: يرقبني وينظرني ،قال تعالى: ﴿ **هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا** ﴾ [المجادلة :٧] .

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾[النساء:١٠٨] .

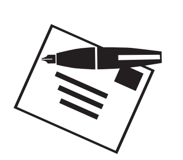
وفي الحديث الصحيح مرفوعًا : « **أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإِنَّه يَرَاكَ** » .(١)

١٩٦ كُنْ طَالِبًا لِلْعِلْمِ وَاعْمَلْ صَالِحًا فَهُمَا إِلَى سُبُلِ الْهُـدَى سَبَبَانِ

قوله: (**كُنْ طَالِبًا لِلْعِلْمِ**) هذه إحدى وصايا الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- المثابرة والجد في طلب العلم الشرعي الذي يبصرك بالحق و يهديك وهو: قال الله وقال رسوله وقال الصحابة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ- .

---

(١) رواه مسلم .



قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

العلم قال الله قال رسوله   قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة   بين الرسول وبين رأي فقيه

ولا شك أن العلم أعظم الرغائب وأنفس ما طلبه الطالب .

قال الإمام أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته»،قالوا: وكيف تصح نيته يا أبا عبد الله ؟ قال: « أن ينوي بالعلم رفع الجهل عن نفسه وعن غيره» . [١]

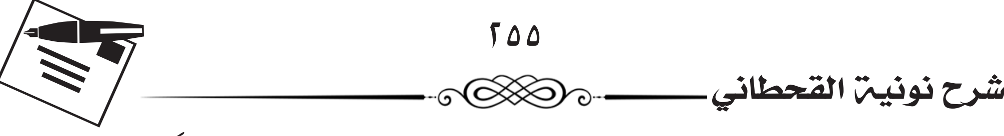
وقال بعض السلف-رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ-:«تمرسنا اللذائذ والشهوات فما وجدنا ألذ من العلم» . [٢]

لمحبرة تجالسني نهاري   أحب إليَّ من أنس الصديق
ورزمة كاغد في البيت عندي   أعز إليَّ من عدل الدقيقُ
ولطمة عالم في الخد مني   ألذ إليَّ من شرب الرحيقُ

قوله: (**وَاعْمَلْ صَالِحًا**) أي: وهذه وصية أخرى تابعة للأولى وهي :العمل بمقتضى العلم إذ المراد من العلم العمل كما قال علي -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- :« هتف العلم بالعمل إن أجابه وإلا ارتحل » .[٣]

---

(١) شرح الحلية (ص ٢١) .
(٢) الصحوة الإسلامية (ص ٣٢-٣٣) .
(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٣٤٦) .



وتارك العمل بالعلم معرض لمقت الله- تعالى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف:٢-٣] .

وموقع لصاحبه في العذاب :

وعـــالم بـعـلـمـه لم يعملن مـعـذب مـن قبل عـبـاد الوثن

وسبب لذم الناس، جاء في الفوائد : « ومن خالف قوله فعله ؛ فذاك إنما يوبخ نفسه» .[1]

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما إذ عبت منهم أمـورا أنت تأتيها

كلابس الصوف من عري وعورته للناس بـاديـة مـا إن يـواريـهـا

قوله: (**فَهُمَا**) أي: العلم النافع والعمل الصالح .

قوله: (**إِلَى سُبُلِ الهُدَى**) أي: إلى طريق الحق ومعلوم أن طريق الحق واحد لا يتعدد وإنما تتعدد طرق الباطل كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

ولكن قد يقول قائل: لماذا جمع هنا في قوله (سبل الهدى)مع أن سبيل الحق واحد لا يتعدد؟.

قلت: إنما جمع هنا باعتبار تعدد طرقه ووسائله وأسبابه لا باعتبار تعدد ذاته وقد جاء في القرآن الكريم نظير ذلك في قوله -تعالى-:﴿ يَهْدِى بِهِ

---

(١) الفوائد (ص ١٩٥) .



ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ ﴾[المائدة: ١٦].

مع أن سبيل السلامة واحد وإنما جمع باعتبار تعدد أسبابه ووسائله كالعبادات والمعاملات والآداب والأخلاق ونحو ذلك.

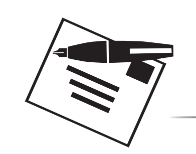
قوله: (**سَبَبَانِ**) السبب في اللغة: ما يتوصل به إلى غيره.

اصطلاحا: ما يلزم من وجوده الوجود ولا يلزم من عدمه العدم لذاته.[1]

والمراد هنا أن العلم النافع والعمل الصالح طريقان موصلان إلى الهداية الحقة.

---

(١) الرائد في علم الفرائض (ص٧).



الخاتمة

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه شرح هذه الأبيات المباركات من نونية الإمام الهمام علم الأعلام المعروف بالإمام القحطاني والموسومة باسمه .

وهذا هو (الجزء الأول) منه ويليه بعون الله (الجزء الثاني) .

حيث وقد استفرغت الجهد على أن أوفي هذه المنظومة حقها ولم أصل لقلة البضاعة ، ونفاد الطاقة إلى مستحقها ، فحقها أعظم مما خططت .

ولكن أكتف بما يسر الله لي إذ أن «الميسور لا يسقط بالمعسور» ، « وما لا يُدرك كله لا يُترك جله» .

وصدق الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– إذ قال: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [الطلاق: ٧] .

فهذه نفقتي الموسومة بـ«**نيل الأمان شرح نونية القحطاني**» على قدر طاقتي.

آملاً من الناظر فيها أن يعض على ما وجد فيها من علم بحق وسُنَّة بالنواجذ وما وجد فيها من مخالفة غير مقصودة فليدعها وليعذر صاحبها فإن الخطأ ملازم للبشر ملازمة الظل للعود مع إقامة النصح إن وجد إلى ذلك سبيلاً بالتي هي أحسن ، وللتي هي أقوم ، إذ حق الشريعة آكد من حق كل أحد .

سائلاً من الله أن يجعل ما دونته في هذه الصفحات ، ثقيلاً في ميزان الحسنات يوم اللقاء ، كما أسأله أن يجعل لها القبول التام بين العباد ، فتنفع وترفع عنا وعنهم العذاب وتدفع.

سبحانك اللهم وبحمد ، أشهد ألا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

وكتبه/

أبو البدر

عمر بن محمد بن صالح العمراني

بدأت تسويدها يوم الخميس

غرة شهر اللّه المحرم للعام ١٤٣٤ هـ

والموافق لـ (١٥) من نوفمير (٢٠١٣ م)



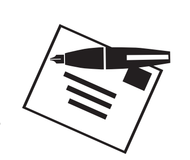
فاتحة الكتاب

الحمد لله الذي رضي من عباده باليسر من العمل ، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل ، وأفاض عليهم النعمة وكتب على نفسه الرحمة ، ودعا عباده إلى دار السلام فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم عدلا ، وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمة منه وفضلا، أحمده حمدا كثيرًا طيبًا مباركًا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك شهادة عبده وابن عبده وابن أمته ومن لا غنى به طرفة عين عن فضله ورحمته، ولا نطمع له بالفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي أعطي جوامع الكلم ، ونوابغ الحكم - ودانت له الفصاحة والبلاغة فكان له منها الحظ الأوفر ، والنصيب الأكمل حتى أعجز بلغاء ربيعة ومضر صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة دائمة بركتها إلى يوم الدين كما صلى على إبراهيم وعلى آل إبراهيم .

وبعد :

فمن فضل الله علي أن وفقني لقراءة نونية الإمام القحطاني وسماع أبياتها الندية بأصوات شجية من بعض الفضلاء فألفيتها جامعة نافعة كأنها أزهار متناثرة في حدائق ذات بهجة فيها من كل زوج بهيج ولها طلع نضيد .

حينئذ عمدت بفضل الله وكرمه مستمدا منه الحول والقوة إلى شرحها معتمدا على كتب أئمة العلم المعتبرين المهتدين بهدى سلفنا الصالحين .



أسميته بـ :(**نيل الأماني شرح نونية الإمام القحطاني**) الجزء الثاني.

وهو اسم يطابق مسماه ، ويوافق معناه والكتاب فيما أحسبه بحمد الله وفضله مشوق للناظر- فيه لا يسأمه الجليس، ولا يمله الأنيس ، محرك للقلوب إلى أجل مطلوب وحاد للأرواح، إلى تعلم الصحاح، مشتمل من بدائع الفوائد، وفرائد القلائد .

والله يعلم ما قصدت، وما بجمعه أردت ، فهو عند لسان كل عبد وقلبه، هو المطلع على نيته وكسبه والله المسؤول أن يجعله لوجهه خالصا وعلى هدي النبي الرسول ، وأن يكتب له القبول وأن يرفعني وقارءه وطابعه وسامعه ومن انتهى إليه يوم البعث والنشور إنه خير مسؤول، وأكرم مأمول .

بِـالله يَا قَارِئًا كُتُبِي وَسَامِعَهَا ... أَسْبِلْ عَلَيْهَا رِدَاءَ الْحُكْمَ والْكَرَمِ

وَاسْتُرْ بِلُطْفِكَ مَا تَلْقَاهُ مِنْ خَطَاءٍ ... أَوْ أَصْلِحَنْهُ تُثَبْ إِنْ كُنْتَ ذَا فَهَمِ

فَكَمْ جَوادٍ كَبَى والسَّبْقُ عَادَتُه ... وَكَمْ حُسَام نَبَا أَوْ عَادَ ذُو ثُلْمِ

وَكُلُّنَا يَا أَخِي خَطَآءٌ ذُو زَلَلٍ ... والْعُذْر يَقْبَلُهُ ذُو الْفَضْلِ والشِّيَمِ

وكتبه/

أبو البدر

عمر بن محمد بن صالح العمراني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١٩٧ لاَ تَتَّبِعْ عِلْمَ النُّجُومِ فَإِنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِزَخَارِفِ الْكُهَّانِ

قوله: (**لاَ تَتَّبِعْ عِلْمَ النُّجُومِ**) أي: احذر أن تتقص وتطلب(**عِلْمَ النُّجُومِ**) وعلم النجوم على ضربين :

١- التنجيم الذي هو على ضرب من السحر والكهانة المبني على التخرصات والأوهام .

٢-التنجيم الذي يعني:الإستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية[1].

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :(...التنجيم نوع من السحر والكهانة وهو محرم لأنه مبني على أوهام لا حقيقة لها ... وهناك نوع آخر من التنجيم وهو أن الإنسان يستدل بطلوع النجوم على الأوقات والأزمنة والفصول فهذا لا بأس فيه ولا حرج فيه مثل أن نقول إذا دخل نجم فلان، فإنه يكون قد دخل موسم الأمطار ... فهذا لا بأس فيه ولا حرج فيه) . ا هـ[2].

والظاهر أن التنجيم الذي حذر منه الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- إنما هو النوع الأول قال الخطابي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : (علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي تقع في مستقبل الزمان كأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر وتغير الأسعار وما في معناها)[3].

(١) فتح المجيد (ص ٣٨) .
(٢) (فتاوى العقيدة(ص ٣٦٦) جواب على السؤال رقم (٢٠١) .
(٣) فتح المجيد (ص ٣٨١) .



وقال قتادة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : (... وإن ناسا جهلة بأمر الله قد أحدثوا كهانة من أعرس بنجم كذا وكذا ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والطويل والقصير والحسن والذميم وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب ولو أن أحدا علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء)[1].

ومن التنجيم المحرم التكهن للشخص بمستقبله وحوادث دهره وذلك بطريقة حسابية بعد أن يأخذ المنجم اسمه واسم أمه ولا شك في فساد هذا كله وبطلانه لمصادمته لصريح القرآن .

قال ربنا الكريم: ﴿ **عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ** ﴾ [الجن ٢٦-٢٧] .

وقال الله -سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ ﴾ [لقمان ٣٤] .

وقال ابن رجب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- كلاما رصينا مفيدا في هذا الباب:(والمأذون في تعلمه علم التسيير لا علم التأثير فإنه باطل محرم قليله وكثيره أما علم التسيير فيتعلم ما يحتاج إليه منه للإهتداء ومعرفة القبلة والطرق جائز عند الجمهور)[2].

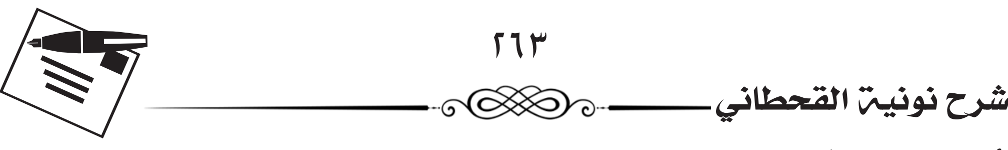
قوله: (**فَإِنَّهُ**) أي: علم النجوم القائم على تخرصات الكهان الضلال .

قوله:(**مُتَعَلِّقٌ بِزَخَارِفِ**) الزخارف جمع زخرف بالضم وهو من القول حسنه بترقيش الكذب .

قوله: (**الْكُهَّانِ**) جمع كاهن : وهو الذي يأخذ عن مسترق السمع والواقع

---

(١) فتح المجيد (ص ٣٨٥) .
(٢) فتح المجيد (ص ٣٨٥) .



أن ذلك من تآلف روح الشيطان القرين مع روح الإنسان الخبيث فيتناجيان ويتكلم الشيطان مع قرينه بما يحب من الأخبار التي يتلقاها عن الشيطان الآخر قرين الإنسان الآخر وهذا من أضل الضلال ومن أعظم الخذلان)[(١)].

١٩٨ عِلْمُ النُّجُومِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

قوله: (**عِلْمُ النُّجُومِ**) المبني على الأوهام والتخرصات الكاذبة .

قوله:(**وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ**) المراد به: شريعة الإسلام البيضاء التي جاء بها محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من عند ربه عز وجل بواسطة أمين الوحي جبريل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- والتي مصدرها القرآن الكريم وصحيح سُنَّة سيد المرسلين .

قوله:(**فِي قَلْبِ عَبْدٍ**) أي: في صدره قال الله : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩] .

قوله:(**لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ**) نعم هذا من أمحل المحال إذ كيف يجتمع كفر وإيمان؟! فهل يستقيم أن يجتمعا ماء ونار ، وليل ونهار ! كلا .

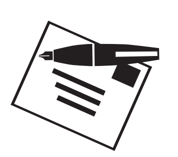
١٩٩ لَوْ كَانَ عِلْمٌ لِلْكَوَاكِبِ أَوْ قَضَا لَمْ يَهْبِطِ الْمِرِّيخُ فِي السَّرَطَانِ

قوله: (**لَوْ كَانَ عِلْمٌ لِلْكَوَاكِبِ أَوْ قَضَا**) أي: لو حصل أن الكوكب الفلاني لديه علم بحوادث الدهر أو تدخل في أحداثها لكان .

قوله: (**لَمْ يَهْبِطِ**) أي: لم ينزل وينحدر .

قوله: (**الْمِرِّيخُ**) أحد كواكب المجموعة الشمسية يقول القدماء أنه في السماء الخامسة وهو بالفارسية (بهرام) .

(١) حاشية فتح المجيد (ص ٣٨٥) .



قوله:(**فِي السَّرَطَانِ**) برج في السماء .

٢٠٠ وَالشَّمْسُ فِي الْحَمْلِ الْمُضِيءِ سَرِيعَةٌ وَهُبُوطُهَا فِي كَوْكَبِ الْمِيزَانِ

قوله: (**وَالشَّمْسُ فِي الْحَمْلِ الْمُضِيءِ**) الحمل بفتحتين أول بروج السماء وهو من البروج الربيعية .

قوله: (**سَرِيعَةٌ**) مفرد «سرَّاع» والمعنى: أن الشمس شديدة السرعة في برج الحمل .

قوله:(**وَهُبُوطُهَا**) أي: سقوطها وانحدارها .

قوله: (**فِي كَوْكَبِ الْمِيزَانِ**) الميزان : الآلة التي توزن بها الأشياء أمر الله بالوفاء بما يوزن فيها قائلا على لسان شعيب -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ ﴾ [هود: ٨٥]، وقال الله -سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ٩ ﴾[الرحمن :٩] .

والمراد بالميزان هنا في البيت : كوكب في السماء .

٢٠١ وَالشَّمْسُ مُحْرِقَةٌ لِسِتَّةِ أَنْجُمٍ لَكِنَّهَا وَالْبَدْرُ يَنْخَسِفَانِ

قوله (**وَالشَّمْسُ مُحْرِقَةٌ لِسِتَّةِ أَنْجُم**) لعل المراد - والله أعلم- أن الستة الأنجم التي أحرقتها الشمس أي: (جعلتها مظلمة) هي : عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل والأرض .

قال ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عند قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ ﴾ [نوح : ١٥] ، فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف



بعضها بعضا فأدناها القمر في السماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة وأما بقية الكواكب وهي الثوابت ففي فلك ثامن يسمونه فلك الثوابت والمتشرعون منهم يقولون: هو الكرسي والفلك التاسع وهو الأطلس ...) أهـ .

قوله: (**لَكِنَّهَا**) أي: الشمس .

قوله:(**وَالْبَدْرُ**) أي: القمر ليلة تمامه وهي ليلة النصف من كل شهر هجري.

قوله:(**يَنْخَسِفَانِ**) خسوف القمر وهو: احتجاب ضوء وجهه كليا أو جزئيا عن الأرض ويحدث حينما تكون الأرض واقعة بين الشمس والقمر على خط مستقيم في منتصف الشهر القمري أي:(عندما يكون القمر بدرًا) .

وأما خسوف الشمس فهو: احتجاب أشعتها كليا أو جزئيا عن بعض جهات الأرض ويحدث عندما يقع القمر بين الأرض والشمس على خط مستقيم .

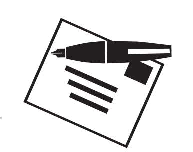
ويقال: كسفت الشمس ، وخسف القمر، ويصح أن يطلق لفظ الكسوف على الشمس والقمر .

كما في الحديث الصحيح : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده وإنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا» [١] .

ومن هذا يستفاد أن الشمس والقمر من آيات الله الكونية التي يخوف الله بهما العباد كما في قوله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء:٥٩].

وكم لله من آيات نذير كالزلازل والبراكين وأعاصير الرياح الشديدة

(١) رواه البخاري ومسلم.



وأمواج البحار المتلاطمة والأمطار الغزيرة المغرقة والجدب المهلك ونحو ذلك نسأل الله أن يوقظ قلوبنا ويطلق الخسوف على الشمس منفردة وذلك لاشتراك الخسوف والكسوف في معنى ذهاب نورهما وإظلامهما .

ويصح أن يطلق لفظ الخسوف عليهما لقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنخسفان لموت أحد ولا لحياته» (١).

٢٠٢ وَلَرُبَّمَا اسْوَدَّا وَغَابَ ضِيَاهُمَا وَهُمَا لِخَوْفِ الله يَرْتَعِدَانِ

قوله:(**وَلَرُبَّمَا اسْوَدَّا وَغَابَ ضِيَاهُمَا**) وذلك بالكسوف الكلي الذي سبق بيانه آنفا .

قوله: (**وَهُمَا**)أي: الشمس والقمر .

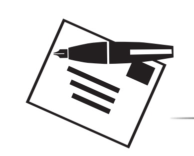
قوله: (**لِخَوْفِ الله يَرْتَعِدَانِ**) لكونهما مخلوقين لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ممتثلين لأمره ساجدين لعظمته مسبحين بحمده قال عز وجل : ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ [النحل :١٢] .

وقال أيضًا : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾[الحج :١٨] .

وقال الله-- عَزَّوَجَلَّ : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾[الصف :١] .

ولما علم ذلك الحق الذي لا ريب فيه دل بجلاء على بطلان ما يعتقده أولئك الضلال الذين اتخذوهما آلهة من دون الله نعوذ بالله أن نتخذ إلها غيره .

(١) رواه البخاري ومسلم.



٢٠٣ اُرْدُدْ عَلَى مَنْ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِمَا وَيَظُنُّ أَنَّ كِلَيْهِمَا رَبَّانِ

قوله: (**اُرْدُدْ عَلَى**) أي: راجع يقال: رد عليه كذا: لم يقبله ورد عليه قوله أي: راجعه فيه .

قوله:(**مَنْ يَطْمَئِنُّ**) أي: يسكن ويستقر .

قوله: (**إِلَيْهِمَا**) أي: إلى الشمس والقمر .

قوله:(**وَيَظُنُّ**) الظن هنا بمعنى الإعتقاد .

قوله:(**أَنَّ كِلَيْهِمَا رَبَّانِ**) أي: أن الشمس والقمر ربان من دون الله -عَزَّوَجَلَّ- أو مع الله لهما من الملك والخلق والإرادة شيئا ما .

ولا شك في بطلان هذا المعتقد الذي كان قديما وما زال في بعض البلاد الوثنية ، قال الله:﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾** ﴾ [المؤمنون :١١٧] .

وعليه: من كان نقي الفطرة سليم العقل فإنها تأبى عيله فطرته السوية أن يصرف شيئا من معاني الإلاهية أو الربوبية لغيره -عَزَّوَجَلَّ- فلا إله إلا الله -.

٢٠٤ يَا مَنْ يُحِبُّ الْمُشْتَرِي وَعُطَارِدًا وَيَظُنُّ أَنَّهُمَا لَهُ سَعْدَانِ

قوله: (**يَا مَنْ يُحِبُّ الْمُشْتَرِي**) المشتري: أكبر الكواكب السيارة وهو في الأساطير كبير الآلهة .

قوله: (**وَعُطَارِدًا**) نجم من السيارات التسعة وهو أقربها إلى الشمس وابن (المشتري) .



قوله:(**وَيَظُنُّ**) أي: يعتقد .

قوله: (**أَنَّهُما لَهُ سَعْدَانِ**) أي: سبب لإسعاده وإنعامه .

٢٠٥ **لِمَ يَهْبِطَانِ وَيَعْلُوَانِ تَشَرُّفًا وَبِوَهْجِ حَرِّ الشَّمْسِ يَحْتَرِقَانِ**

قوله: (**لِمَ**) بكسر اللام – وفتح الميم (استفهام) .

قوله: (**يَهْبِطَانِ**) أي: ينزلان وينحدران .

قوله: (**وَيَعْلُوَانِ**) أي: يرتفعان .

قوله: (**تَشَرُّفًا**) أي: طلبا للشرف .

قوله: (**وَبِوَهْجِ**) الوهج:حر النهار والشمس ونحوهما يقال: يوم وهجان: شديد الحر ويقال: توهجت الشمس: أي: توقدت .

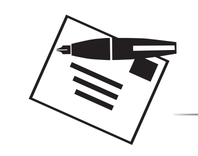
قوله: (**حَرِّ الشَّمْسِ يَحْتَرِقَانِ**) المراد: أن المشتري وعطاردا يحترقان بحر الشمس فكيف تصرف لهما معاني الربوبية من سعادة وشقاء وتيمن وتشاؤم .

٢٠٦ **أَتَخَافُ مِنْ زُحَلٍ وَتَرْجُو الْمُشْتَرِي وَكِلاَهُمَا عَبْدَانِ مَمْلُوكَانِ**

قوله: (**أَتَخَافُ مِنْ زُحَلٍ**) الهمز للإستفهام التي تفيد هنا التعجب ! والذي يظهر أنهم كانوا يتشاءمون من كوكب زحل وزحل: أبعد الكواكب السيارة في النظام الشمسي ، وهو (في الأساطير الاغريقية) كبير الآلهة .

قوله: (**وَتَرْجُو**) أي: تأمل وكأنهم يتفاءلون بنجم المشتري .

قوله: (**الْمُشْتَرِي**) سبق ذكره في البيت رقم (٢٠٤) .



قوله: (**وَكِلاَهُمَا عَبْدَانِ مَمْلُوكَانِ**) العبادة على ضربين:

١- عبادة الاختيار: وهي التي يترتب على فعلها ثواب وعلى تركها عقاب ومنها قوله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-:﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾[الفرقان: ٦٣] .

٢- عبادة الاضطرار: وهي التي لا يترتب على فعلها ثواب ومنها قوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- :﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾[الفرقان: ٩٣] ويدخل تحت هذا العموم ما كان عاقلا وما كان غير عاقل ومما يعقل أصناف الكفر فهم عباد لله عبادة اضطرار لا يثابون عليها .ومما لا يعقل زحل والمشتري ونحوهما .

فإذا علم لدينا أنهما عبدان مملوكان لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فكيف يصح أن يعبدا من دون الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- !.

٢٠٧وَاللهِ لَوْ مَلَكَا حَيَاةً أَوْ فَنَا لَسَجَدتُّ نَحْوَهُمَا لِيَصْطَنِعَانِ

قوله:(**وَاللهِ**) الواو: حرف قسم .

(**الله**) : لفظ الجلالة مقسم به .

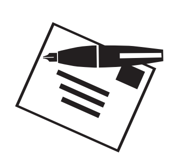
قوله: (**لَوْ مَلَكَا**) مقسم عليه والمراد بهما: كوكبا زحل والمشتري .

قوله: (**حَيَاةً أَوْ فَنَا**) أي: حياة لأحد أو موته .

قوله:(**لَسَجَدتُّ**) من السجود وهو: وضع الجبهة على الأرض .

قوله:(**نَحْوَهُمَا**) أي: جهتهما .

قوله:(**لِيَصْطَنِعَانِ**) الاصطناع: اتخاذ الصنيعة وهي: الخير تسديه إلى إنسان ما.



٢٠٨ وَلِيَفْسِحَا فِي مُـدَّتِي وَيُوَسِّعَا رِزْقِي وَبِالإِحْسَانِ يَكْتَنِفَانِي

قوله: (وَلِيَفْسِحَا) - من باب منع - : ليوسعا ويزيدا .

قوله:(فِي مُدَّتِي) أي: عمري .

قوله:(وَيُوَسِّعَا رِزْقِي) أي: يكثرا في رزقي .

قوله:(وَبِالإِحْسَانِ) الإحسان: ضد الإساءة وهو بذل المعروف وكف الأذى .

قوله:(يَكْتَنِفَانِي) أي: يحوطاني .

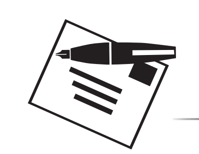
وفي هذين البيتين أراد الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- من خلالهما أن ينفي استحقاق العبادة لجميع الكواكب بل جميع الآلهة التي عبدت -من دون الله -عَزَّوَجَلَّ- وإثباتها لله وحده ولذا قال:

٢٠٩ بَلْ كُلُّ ذَلِكَ فِي يَدِ اللهِ الَّذِي ذَلَّـتْ لِعِزَّةِ وَجْهِهِ الثَّقَلاَنِ

قوله: (بَلْ كُلُّ ذَلِكَ فِي يَدِ الله) أي: أن جميع ما سبق ذكره من الزيادة في العمر وبسط الرزق وجلب الخير ودفع الشر ونحو ذلك إنما هو بيد الله وحده لا يمتلكه مخلوق ضعيف من إنس أو جن أو ملك أو كوكب أو غير ذلك .

قوله: (الَّذِي ذَلَّتْ) أي: خضعت وانكسرت .

قوله:(لِعِزَّةِ) العزة: صفة له -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- مشتقة من اسمه (العزيز) .



والعزة على ثلاثة أقسام:

١- عزة القدر: ومعناه: أنه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ذو قدر عزيز يعني: لا نظير له.

٢- عزة القهر: وهي عزة الغلبة يعني: أنه غالب كل شيء وقاهره.

٣- عزة الامتناع: وهي: أنه -عَزَّ وَجَلَّ- يمتنع أن يناله سوء أو نقص.

هذه هي معاني العزة التي أثبتها الله لنفسه وهي تدل على كمال قهره وسلطانه، وعلى كمال صفاته وعلى تمام تنزهه عن النقص.[1]

وصفة العزة ثابتة لله في كتابه كما قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [المنافقون: ٨].

ففي هذه الآية أثبت الله لنفسه العزة ولرسوله وللمؤمنين.

ولكن يجب أن نعلم أن العزة التي أثبتها الله لرسوله وللمؤمنين ليست كعزته فإن عزة الرسول والمؤمنين قد يشو بها ذلة لقوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢٣﴾ [آل عمران: ١٢٣].

وبهذا نكون عرفنا أن العزة التي أثبتها الله لرسوله وللمؤمنين ليست كالعزة التي اثبتها لنفسه والقاعدة تقول: «لا يلزم من اتفاق الإسمين أن يتماثل المسميان ولا من اتفاق الصفتين أن يتماثل الموصوف».[2]

قوله: (**وَجْهِهِ**) الوجه ثابت لله بدلالة الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف.[3]

فأما من الكتاب: فقوله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٧].

---

(١) انظر شرح الواسطية (ص ١٨٨) لمحمد بن عثيمين.
(٢) انظر شرح الواسطية (ص ١٨٨) مختصرًا.
(٣) انظر شرح لمعة الإعتقاد (ص ٣٠).



وقوله -عَزَّوَجَلَّ- : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الليل: ١٩-٢٠] .

وأما من السُّنَّة: فقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لسعد بن أبي وقاص -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- : «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها» .[1]

وأجمع السلف على اثبات الوجه لله -عَزَّوَجَلَّ- . فيجب اثباته لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بدون تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف .

وقد فسره أهل التعطيل بالثواب ، ونرد عيلهم بالآتي:

١- أن قولهم خلاف ظاهر النصوص .

٢- وخلاف طريقة السلف - الصالح - .

٣- وخلاف ما تقتضيه اللغة العربية .

٤- وليس عليه دليل صحيح .

قوله: (**الثَّقَلاَنِ**) أي: الجن والإنس ومنه قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ ﴾[الرحمن: ٣١]

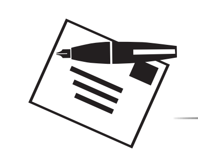
٢١٠ فَقَدِ اسْتَوَى زُحَلٌ وَنَجْمُ الْمُشْتَرِي وَالرَّأْسُ وَالذَّنَبُ الْعَظِيمُ الشَّانِ

قوله: (**فَقَدِ اسْتَوَى زُحَلٌ وَنَجْمُ الْمُشْتَرِي**) أي: في كونهما مخلوقين وعبدين لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ليس لهما من صفات الربوبية ولا من معاني الإلهية شيء .

قوله: (**وَالرَّأْسُ وَالذَّنَبُ**) يعدها المنجمون من سهام الكواكب السبعة

---

(١) متفق عليه .



ويطلقون على الأول سهم القمر وعلى الثاني سهم الشمس .[١]

٢١١ وَالزُّهْرَةُ الْغَرَّاءُ مَعْ مِرِّيخِهَا   وَعُطَارِدُ الْوَقَّادُ مَعْ كَيْوَانِ

قوله: (**وَالزُّهْرَةُ**) أحد كواكب المجموعة الشمسية التسعة وثاني الكواكب في البعد عن الشمس يقع بين عطارد والأرض يوجد في السماء الثالثة ويعد ألمع جرم سماوي باستثناء الشمس والقمر وآلهة الجمال عند الإغريق [أفروديت] وعند الرومان [فينوس] .

قوله: (**الْغَرَّاءُ**) أي: البيضاء والجمع (غر).

قوله: (**مَعْ مِرِّيخِهَا**) سبق بيانه في البيت رقم (١٩٩).

قوله: (**وَعُطَارِدُ**) سبق بيانه في البيت رقم(٢٠٤).

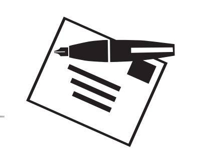
قوله: (**الْوَقَّادُ**) أي: الوهاج المضيء .

قوله: (**مَعْ كَيْوَانِ**) بالفتح زحل وقد سبق بيانه في البيت رقم (٢٠٦) وزعم بعضهم أنها من الأفلاك التسعة .[٢]

٢١٢ إِنْ قَابَلَتْ وَتَرَبَّعَتْ وَتَثَلَّثَتْ   وَتَسَدَّسَتْ وَتَلاَحَقَتْ بِقِرَانِ

يشير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في هذا البيت إلى النجوم التي أسلف ذكرها أنها - والله أعلم- إن تقابلت مع بعضها أو تربعت فصارت رباعية الشكل أو ثلاثية الشكل أو سداسية الشكل أو حصل لها قران مع بعضها فكل ذلك لا يدل على أن لها تأثيرا في السعد أو الشقوة أو التقديم أو التأخير أو الخفض أو الرفع أو

(١) انظر التفهيم (ص ٢٨٣) نقلا من القطوف الدواني شرح نونية القحطاني .
(٢) انظر لسان العرب (١٣ / ٣٦٣) نقلا من القطوف الدواني (ص ٣٥٩) .



الحزن أو المسرة -كما يزعم المنجمون- وهذا ما وضحه في البيت التالي فقال:

٢١٣ أَلَهَا دَلِيلُ سَعَادَةٍ أَوْ شِقْوَةٍ   لاَ وَالَّذِي بَرَأَ الْوَرَى وَبَرَانِي

قوله: (**أَلَهَا**) الهمز للاستفهام الذي مفاده التعجب .

والهاء: ضمير يعود على النجوم.

قوله:(**دَلِيلُ**) أي: إرشاد وتوجيه وتسديد الذي معناه التأثير على الغير .

قوله:(**سَعَادَةٍ أَوْ شِقْوَةٍ**) أي: تأثير وسبب على الإنعام والإسعاد أو التعاسة والشقاء .

قوله: (**لاَ وَالَّذِي**) لا: نافية . والذي: قسم مقدر تقديره - والله - الذي .

قوله: (**بَرَأَ**) أي: خلق وفطر .

قوله: (**الْوَرَى**) أي: الخلق .

قوله: (**وَبَرَانِي**) أي: خلقني .

فالناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أقسم في هذا البيت بالذي خلق الورى وخلقه وهو الله -جَلَّ جَلَالُهُ- أن هذه النجوم ليس لها أدنى تأثير في السعادة أو الشقوة أو الخير أو الشر وهو كذلك كما قال:

٢١٤ مَنْ قَالَ بِالتَّأْثِيرِ فَهْوُ مُعَطِّلٌ   لِلشَّرْعِ مُتَّبِعٌ لِقَوْلٍ ثَانِ

قوله: (**مَنْ قَالَ بِالتَّأْثِيرِ**) أي: من قال بلسانه أو بقلبه بأن لتلك النجوم تأثيرا على الأحداث الكونية أو على الإنسان من خير أو شر فهو مشرك بالله .

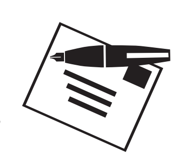
وعليه: فعلم التسيير علم نافع ولا ينكر على أحد تعلمه وتعاطيه والإستفادة منه، قال الله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦]، وقال الله -جَلَّجَلَالُهُ-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ ﴾ [يونس: ٥]، وقال الله ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴾ [الرحمن: ٥].

بينما علم التأثير: هو العلم المحرم.

وعلم التأثير: هو الاستدلال بالكواكب العلوية على الحوادث الأرضية، أو يقال: نسبة الحوادث الأرضية إلى الأحوال الفلكية فيقولون: إن هذا النجم نجم سعد وذاك نجم نحس فالتعلق بعلم النجوم واعتقاد أن لها تأثيرا فيما يجري على الأرض من حوادث موت أو حياة ورفع وخفض وسعد ونحس وخير وشر وتقدم وتأخر وفرح وسرور ونحو ذلك فهذا كله محرم وضرب من أضرب الشرك الأكبر -والعياذ بالله-.

ومن نظر في مناظرة إبراهيم لقومه إنما أراد بذلك إبطال ما كانوا يعتقدوه في تأثير النجوم العلوية على الحوادث الأرضية.

وذلك كما حكى الله عنه في قوله -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٥-٧٩].



ومن زعم في هذه الآيات الكريمة أن إبراهيم الخليل كان شاكا حتى تيقن فهذا الزعم في غاية البطلان بل سوء أدب مع الله وسوء أدب مع خليله الذي قال الله فيه ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٢].

وليعلم أن أصل عبادة الكواكب بدأ من الصابئة الكلدانيين الذين أرسل الله إليهم خليله إبراهيم ويقال : إنهم نسبوا إلى رجل يقال له صابئ بن متوشلح ابن يشجب بن يعرب بن قحطان والذي يهمنا أن نعرف أن الصابئة في الأصل عباد النجوم والكواكب . (١)

قوله: (**فَهْوَ مُعَطِّلٌ لِلشَّرْعِ**) أي: مهمل له غير عامل به .

قوله:(**مُتَّبِعٌ لِقَوْلٍ ثَانِ**) أي: آخذ بقول آخر مناقض للشرع ومضاد له وفي الحديث القدسي عن زيد بن خالد -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- مرفوعا: « .... ومن قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب» . (٢)

٢١٥ إِنَّ النُّجُومَ عَلَى ثَلاَثَةِ أَوْجُهٍ فَاسْمَعْ مَقَالَ النَّاقِدِ الدَّهْقَانِ

قوله: (**إِنَّ النُّجُومَ عَلَى ثَلاَثَةِ أَوْجُهٍ**) أي: أن خلق هذه النجوم على ثلاثة أمور:

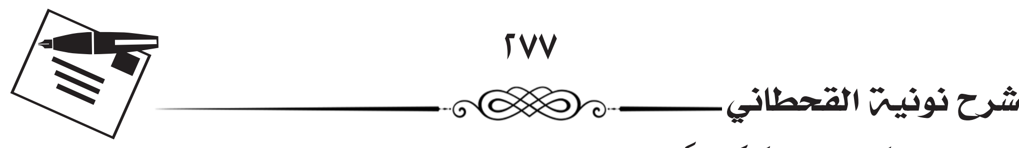
١- زينة للسماء .

٢- رجومًا للشياطين.

٣- للاهتداء بها في ظلمات البر والبحر.

---

(١) انظر القطوف الدواني (ص ٣٦١ - ٣٦٢) .
(٢) رواه البخاري ومسلم .



قوله:(**فَاسْمَعْ مَقَالَ النَّاقِدِ**) أي: فانصت لمقال الناقد وهو المميز للجيد من الرديئ الذي يظهر عيب الشيء أو حسنه بالدليل أو التعليل أو هما معا .

قوله:(**الدَّهْقَانِ**) بضم الدال وكسره رئيس القوم القوي على التصرف مع شدة وحدة .

٢١٦ بَعْضُ النُّجُومِ خُلِقْنَ زِينَةَ لِلسَّماءِ   كَالدُّرِّ فَوْقَ تَرَائِبِ النِّسْوَانِ

قوله: (**بَعْضُ النُّجُوم خُلِقْنَ زِينَةَ لِلسَّماءِ**) وهذا صحيح لقول الله -جَلَّجَلَالُهُ-: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ [الملك:٥] .

وقال الله -جَلَّجَلَالُهُ-: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ ﴾ [الصافات:٦] .

قوله:(**كَالدُّرِّ**) الدر هي: اللآلئ العظام في الحسن والبهاء .

قوله:(**فَوْقَ تَرَائِبِ النِّسْوَانِ**) الترائب: جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر .

شبه-رَحِمَهُٱللَّهُ-زينة النجوم للسماء كالدراري المتلألأه البهية في صدور النسوان .

٢١٧ وَكَوَاكِبٌ تَهْدِي المُسَافِرَ فِي السُّرَى   وَرُجُومُ كُلِّ مُثَابِرٍ شَيْطَانِ

قوله:(**وَكَوَاكِبٌ تَهْدِي المُسَافِرَ**) وهذا كما قال الله: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [النحل:١٦] .

يهتدى بها في البر والبحر للدلالة على الطريق ومعرفة منازل القمر ومواقع النجوم وبها تعرف أوقات الزراعة والحصاد وما إلى ذلك من معرفة مواسم



الحر والبرد ودخول فصول السُّنَّة وفهم الظواهر الكونية ونحو ذلك .

قوله:(**في السُّرَى**) أي: في ظلمة الليل وهذا كما قال الله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ ﴾ [الأنعام :٩٧] أي: لتعرفوا بها جهة قصدكم .

قوله:(**وَرُجُومُ كُلِّ مُثَابِرٍ**) المثابر: المواظب على الشيء .

قوله:(**شَيْطَانِ**) الشيطان: واحد الشياطين من شطن إذا بعد عن الخير وشطنت داره وبئر شطون أي: بعيد القعر .

والمراد به هنا شيطان الجن، وهذا حق ومصدق لقول الله:﴿ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِۖ ﴾[الملك :٥] .

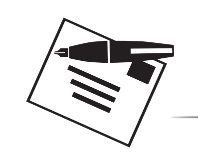
وقول الله: ﴿ وَحِفۡظًا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الصافات :٧] .

٢١٨ لاَ يَعْلَمُ الإِنْسَانُ مَا يُقْضَى غَدًا إِذْ كُلَّ يَوْمٍ رَبُّنَا في شَانِ

قوله:(**لاَ يَعْلَمُ الإِنْسَانُ مَا يُقْضَى غَدًا**) وهذا حق لا ريب فيه قال ربنا الكريم: ﴿ وَمَا تَدۡرِى نَفۡسٌ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدًاۖ ﴾ [لقمان:٣٤] .

قوله: (**إِذْ كُلَّ يَوْم رَبُّنَا في شَانِ**) وهذا صحيح قال الله -سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِى شَأۡنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[الرحمن:٢٩] .

ومعنى ذلك: أن من شأنه -سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ- أن يُحيي ويُميت ، ويبسط ويقدر، ويُغني ويُفقر، ويُعز ويُذل، ويُمرض ويُشفي، ويُرفع ويخفض، ويغفر ويُعاقب، ويُكرم ويُهين، إلى غير ذلك مما لا حد له ولا عد .



٢١٩ وَاللهُ يُمْطِرُنَا الْغُيُوثَ بِفَضْلِهِ   لاَ نَـوْءَ عَـوَّاءٍ وَلاَ دَبَـرَانِ

قوله: (وَاللهُ يُمْطِرُنَا الْغُيُوثَ) الغيوث: جمع غيث وهو: المطر.

قوله: (بِفَضْلِهِ) نعم قال الله: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:٥٣].

وفي الصحيحين عن زيد بن خالد -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: خطبنا رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل فقال: « أتدرون ماذا قال ربكم الليلة» ، قلنا: الله ورسوله أعلم قال: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب».[١]

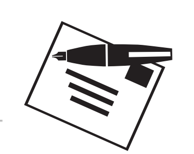
وفي مسلم ومسند أحمد عن أبي مالك الأشعري -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « أربع من أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة ».[٢]

فجميع نعم الله علينا إنما هي فضل منه ورحمة لا لأننا أهلها فكم هي المعاصي والذنوب الكبيرة والصغيرة التي لازمتنا ليل ونهار ومع ذا فنعم الله الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- نازلة علينا تترى على الدوام فسبحانه من جواد كريم واسع العطاء بر رؤوف رحيم.

وتلك الرحمات والأعطيات إن فتحها فلا ممسك لها وإن أمسكها فلا مرسل لها قال الله: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ ﴾ [فاطر:٢].

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه مسلم.



قوله:(**لاَ نَوْءَ**) النوء بالفتح النجم إذا مال للغروب أو سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع آخر من المشرق يقابله من ساعته في كل ثلاثة عشر يومًا ما عدا الجبهة فإن لها أربعة عشر يومًا .

قوله:(**عَوَّاءٍ**) العواء: منزل للقمر خمسة كواكب أو أربعة كأنها كتابة ألف.

قوله:(**وَلاَ دَبَرَانِ**) الدبران بفتحتين خمسة كواكب من الثور يقال: إنها سنامه وهو من منازل القمر، وقيل: نجم بين الثريا والجوزاء وقيل :سمي بذلك لأنه يدبر الثريا .

٢٢٠مَنْ قَالَ إِنَّ الْغَيْثَ جَاءَ بِهَنْعَةٍ أَوْ صَرْفَـةٍ أَوْ كَوْكَبِ الْمِيزَانِ

قوله:(**مَنْ قَالَ إِنَّ الْغَيْثَ جَاءَ بِهَنْعَةٍ**) الهنعة بالفتح منكب الجوزاء الأيسر وهي خمسة أنجم ينزلها القمر، وقيل: نجمان في الجوزاء هما المنزل السادس من منازل القمر .

قوله:(**أَوْ صَرْفَةٍ**) الصرفة بالفتح منزلة للقمر بنجم واحد نير يتلوا الزبرة .

وسمي بالصرفة: لانصراف البرد بطلوعها .وقيل : سمي بذلك لانصراف الحر عند طلوعه غدوة وانصراف البرد عند سقوطه غدوة ».(١)

قوله:(**أَوْ كَوْكَبِ الْمِيزَانِ**) الميزان : كوكب من الكواكب المخلوقة التي ليس لها تأثيرا في مخلوقات الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- .

وخلاصة القول : (أن من اعتمد هذه النجوم وحدها وظن أنها تقربه أو تبعده أو تسقيه أو تنزل الغيث فإن قال هذا بحكم العادة والتقليد دون اعتقاد فهذا شرك أصغر وإن قال مطرنا بنوء كذا وكذا معتقدا أن النوء مستقل بالسقيا

(١) انظر المخصص(٢/ ٣٦٧) نقلاً من القطوف الدواني (ص ٣٦٠) الحاشية .

فهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفر الله لمن مات عليه ، فيجب التنبيه لهذه القضية الخطيرة فالنجوم لا تقدم ولا تؤخر لا الثريا ولا الشعرى ولا الزهرة ولا المريخ ولا زحل ولا الرأس ولا الذنب ولا العقرب ولا أي نجم يلوح في السماء ، بل إن بعض النجوم تحرقها الشمس كما أشار إلى ذلك الناظم في البيت رقم [٢٠١]) . (١)

٢٢١ فَقَدِ افْـتَرَى إِثْـمًا وَبُهْتَانًا وَلَمْ ... يُنْزِلْ بِهِ الرَّحْمَنُ مِنْ سُلْطَانِ

قوله:(**فَقَدِ افْتَرَى**) أي: اختلق وارتكب .

قوله:(**إِثْمًا**) الإثم: كل فعل أو قول يوجب إثم فاعله أو قائله . (٢)

قوله:(**وَبُهْتَانًا**) البهتان: القول الباطل وفي حديث الغيبة: «... وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته».(٣)

ولا شك أن صرف أي معنى من معاني الربوبية أو الإلهية لغير الله يعد من أشد الفرى وأعظم الظلم وأقبح الآثام وأكبر بهتان .

قوله:(**وَلَمْ يُنْزِلْ بِهِ**) أي: بهذا القول الباطل من أن الغيث ينزل بهنعة .

قوله:(**الرَّحْمَنُ**) اسم لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ذو الرحمة الذاتية الواسعة .

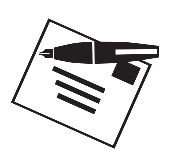
وعليه: فالرحمة من الرحمن يلاحظ فيها الوصف فهي صفة ذاتية له -عَزَّ وَجَلَّ- .

والرحمة من الرحيم يلاحظ فيها الفعل فهي صفة فعلية له -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- .

قوله:(**مِنْ سُلْطَانِ**) أي: من حجة ولا برهان .

---

(١)) انظر القطوف الدواني (ص ٣٦٤) .
(٢)) فتح القدير (٢/ ٩) .
(٣) رواه مسلم والثلاثة وقال الترمذي حسن صحيح .



٢٢٢ وَكَذَا الطَّبِيعَةُ لِلشَّرِيعَةِ ضِدُّهَا وَلَقَلَّمَا يَتَجَمَّعُ الضِّدَّانِ

قوله:(وَكَذَا) الواو حرف عطف ، كذا: إشارة إلى ما سيأتي ذكره .

قوله:(الطَّبِيعَةُ) المادة ، وهي : عبارة عن القوة السارية في الأجسام التي يصل الجسم إلى كماله الطبيعي .

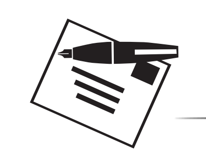
وهي عند الأقدمين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة .

والطبائعيون هم: الدهريون الملاحدة الذين ينكرون وجود الخالق ويقولون بأن الطبيعة أوجدت نفسها وليس ثمة أله موجد لها ومنهم الشيوعيون الماركسيون الذين يعيشون على مبدأ أن المادة (الطبيعية) هي أصل الحياة وليس لها (بزعمهم الكاذب) خالق ولا مبدع ولا متصرف، وبذلك فهم ينكرون وجود الله ويتعامون عن الأدلة الباهرة والآيات الظاهرة الدالة على وجود الله وربوبيته وأحقية إلاهيته وشعارهم:)لا إله والحيادة مادة) .

ويحاربون المسلمين في بلادهم فأبادوا الملايين ويجهدون في نشر الإلحاد وكذلك ينكرون الغيب ومنه البعث والجنة والنار وهذا الصنف المعنيون بقول الله:﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الجاثية: ٢٤] .

قوله:(لِلشَّرِيعَةِ) أي: لشريعة الإسلام .

قوله:(ضِدُّهَا) وهذا لا شك فيه أن الطبيعة بمعناها الذي تقدم مصادمة للفطرة السليمة فطرة الإيمان بالله والركون إليه والإيمان بالجزاء والحساب والثواب والعقاب:﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الروم: ٣٠] .



قوله:(**وَلَقَلَّمَا**) أي: قليل ما .

قوله:(**يَتَجَمَّعُ الضِّدَّانِ**) أي: في محل واحد والمراد بهما هنا الشريعة والطبيعة لا يمكن أن يجتمعا في قلب عبد فمن كان طبائعيا فهو كافر بلا شك ومن كان موحدا فهو مؤمن بلا ريب .

٢٢٣ وَإِذَا طَلَبْتَ طَبَائِعًا مُسْتَسْلِمًا فَاطْلُبْ شُوَاظَ النَّارِ فِي الْغُدْرَانِ

قوله:(**وَإِذَا طَلَبْتَ طَبَائِعًا مُسْتَسْلِمًا**) أي: إذا اجتهدت في البحث عن طبائعي دهري في الوقت الذي يكون معتنقا للإسلام قولا وعملا فقد طلبت مستحيلا ورمت متعسرًا بل متعذرا من أمحل المحال إذ لا يجتمع الكفر بالله والإيمان به في قلب واحد إلا إذا اجتمع الضب والحوت والماء والنار ومن قال بغير هذا فهو واهم قد حاد عن الطريق وتنكب وضل وأبعد ولذا قال الناظم:

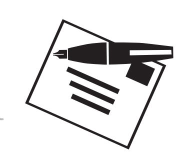
قوله:(**فَاطْلُبْ**) أي: تقص والتمس .

قوله:(**شُوَاظَ النَّارِ**) - بالكسر والضم- لهبها الذي لا دخان له .

قوله:(**فِي الْغُدْرَانِ**) : جمع غدير: وهو القطعة من الماء يغادرها السيل.

٢٢٤ عِلْمُ الْفَلاَسِفَةِ الْغُوَاةِ طَبِيعَةٌ وَمَعَادُ أَرْوَاحٍ بِلاَ أَبْدَانِ

قوله(**عِلْمُ الْفَلاَسِفَةِ**) الفلاسفة: جمع فيلسوف وهو: العالم الباحث في فروع الفلسفة والفلسفة: دراسة المبادئ الأولى وتغيير المعرفة تغييرا عقليا وكانت تشمل العلوم جميعا واقتصرت في هذا العصر على المنطق والأخلاق وعلم الجمال وما وراء الطبيعة .



قوله: (**الْغُوَاةِ**) صدق -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- فهم رأس الغواة والغواة: جمع غاو وهو: الضآل .

قوله:(**طَبِيعَةٌ**) أي: من جنس علم الطبائعيين .

قوله:(**وَمَعَادُ أَرْوَاحٍ بِلاَ أَبْدَانِ**) أي: أنهم يعتقدون رجوع الأرواح إلى الله بدون الأبدان ولا شكَّ أن هذا معتقد فلسفي باطل يوحي بكفر معتقده كونه منكر للبعث قال الله:﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ﴾[التغابن:٧] .

٢٢٥ لَوْلاَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَهُمْ وَفِعَالُهَا لَمْ يَمْشِ فَوْقَ الأَرْضِ مِنْ حَيَوَانِ

قوله:(**لَوْلاَ**) حرف امتناع لوجود ومنه قول الله: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾[النور:١٤] .

فالذي منع وقوع العذاب هو وجود فضل الله ورحمته على العباد .

قوله:(**الطَّبِيعَةُ**) سبق بيانها في البيت رقم (٢٢٢).

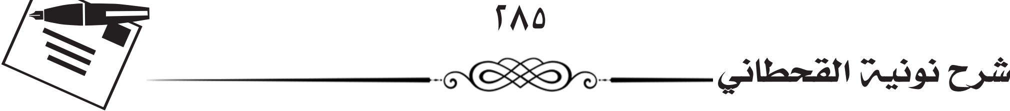
قوله:(**عِنْدَهُمْ**) أي: عند الفلاسفة الطبائعيين .

قوله:(**وَفِعَالُهَا**) أي: أحداثها .

قوله:(**لَمْ يَمْشِ فَوْقَ الأَرْضِ مِنْ حَيَوَانِ**) أي:ما وجد على ظهرها كائن حي.

والمعنى المراد: أن الطبائعيين يعتقدون أن الطبيعة هي التي أوجدت نفسها ولولاها ما كان على ظهرها من حي .

وهذا القول عياذا بالله يتضمن إنكار ربوبية الله –سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ– واعتقاد ربوبية الطبيعة وبهذا الإعتقاد يكفرون كفرا أكبرا مخرجا من الملة يفوق كفر عباد الأوثان الذين إنما حصر كفرهم في الألوهية (العبودية) مع إقرارهم بالربوبية .



قال الله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾[الزخرف:٩] .

وهذا الصنف هم من قال الله فيهم: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[يوسف:١٠٦] .

ومع ذا فإيمانهم بالربوبية لا يشفع لهم عند الله شركهم في الإلاهية .

وبذا علم أن الطبائعيين أعظم كفرا من الوثنيين الذين حصر كفرهم في الإلاهية .

٢٢٦ وَالْبَحْرُ عُنْصُرُ كُلِّ مَاءٍ عِنْدَهُمْ وَالشَّمْسُ أَوَّلُ عُنْصُرِ النِّيرَانِ

قوله: (**وَالْبَحْرُ**) الماء الواسع الكثير ويغلب في الملح .

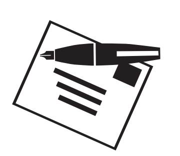
قوله: (**عُنْصُرُ**) أي: أصل .

قوله: (**كُلِّ مَاءٍ**) أي: جميع أنواع المياه ومن كان أصله ماء فأصل مائه ماء البحر هذا ما يظهر لي –والله أعلم– .

قوله: (**عِنْدَهُمْ**) أي: عند الطبائعيين .

قوله: (**وَالشَّمْسُ أَوَّلُ عُنْصُرِ النِّيرَانِ**) أي: أن الشمس عند هؤلاء الفلاسفة الدهريين هي أصل جميع أنواع النيران .

وهذا القول ناجم عن فلسفة لا أصل لها ولا فائدة تذكر من ورائها بل تتضمن إنكار ربوبية الله لعنصر كل ماء وما كان أصله ماء ولكل عنصر نار ويابس فأي خذلان فوق هذا الخذلان عافانا الله –عَزَّوَجَلَّ– .



٢٢٧ وَالْغَيْثُ أَبْخِرَةٌ تَصَاعَدَ كُلَّمَا دَامَـتْ بِهَطْلِ الْوَابِلِ الْهَتَّانِ

قوله:(**وَالْغَيْثُ أَبْخِرَةٌ**) الواو حرف عطف معطوف على ما قبله أي: أن الغيث عند الفلاسفة عبارة عن أبخرة البحار، والأبخرة: جمع بخار وهو: كل ما يصعد كالدخان من السوائل الحارة .

قوله:(**تَصَاعَدَ**) أي: ترتفع .

قوله:(**كُلَّمَا دَامَتْ**) أي: استمرت .

قوله:(**بِهَطْلِ**) الهطل: تتابع المطر المتفرق العظيم القطر .

قوله:(**الْوَابِلِ**) المطر الشديد الضخم القطر ومنه قول الله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾

[البقرة : ٢٦].

قوله:(**الْهَتَّانِ**) القطار بكثرة على جهة التتابع .

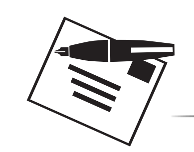
وهذا القول أعني أن المطر عبارة عن أبخرة البحار الناتج عن حرارة الشمس قول غير صحيح لا يقوم على دليل صحيح ولا تعليل صريح .

٢٢٨ وَالرَّعْدُ عِنْدَ الْفَيْلَسُوفِ بِزَعْمِهِ صَوْتُ اصْطِكَاكِ السُّحْبِ فِي الأَعْنَانِ

قوله:(**وَالرَّعْدُ**) الرعد هو: صوت يدوي عقب وميض البرق .

قوله:(**عِنْدَ الْفَيْلَسُوفِ**) أي: في نظره و« أل » استغراقية تعم جميع الفلاسفة.

قوله:(**بِزَعْمِهِ**) أي: بظنه الكاذب .



قوله:(**صَوْتُ اصْطِكَاكِ**) أي: احتكاك .

قوله:(**السُّحْبِ في الأَعْنَانِ**) أي: في نواحي السحب .

وهذا قول في غاية البطلان والحق ما سيأتي ذكره في البيت رقم(٢٣٣) .

٢٢٩ وَالْبَرْقُ عِنْدَهُمْ شُوَاظٌ خَارِجٌ   بَيْنَ السَّحَابِ يُضِيءُ فِي الأَحْيَانِ

قوله:(**وَالْبَرْقُ**) هو: ضوء يلمع في السماء .

قوله:(**عِنْدَهُمْ**) أي: الفلاسفة .

قوله: (**شُوَاظٌ**) الشواظ هو: اللهب الذي لا دخان له وهو أيضًا وهج النار كما في التنزيل قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ ﴾[الرحمن: ٣٥] .

قوله:(**خَارِجٌ بَيْنَ السَّحَابِ**) أي: نتيجة انفجار كهربائي في السحاب .

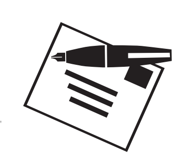
قوله:(**يُضِيءُ فِي الأَحْيَانِ**) أي: يبرق ويلمع .

٢٣٠ كَذَبَ أَرِسْطَالِيسُهُمْ فِي قَوْلِهِ   هَـذَا وَأَسْرَفَ أَيَّـمَا هَذَيَانِ

قوله:(**كَذَبَ أَرِسْطَالِيسُهُمْ**) أرسطاليس : واحد من الفلاسفة الطبائعيين الذين ينسبون الأمور إلى الطبيعة وهم إلى حد كبير قريبون من الماديين الذين يقولون: (لا إله والحياة مادة) غير أن أولئك يصرحون بنفي الإله يقولون : بالقوة الخفية التي تدبر العالم وهي الطبيعة . (١)

قوله:(**فِي قَوْلِهِ هَذَا**) إشارة إلى ما سبق ذكره من أن البحر عنصر كل ماء،

(١) انظر القطوف الدواني(ص ٣٦٩) .



وأن الشمس أصل النيران ، وأن الغيث عبارة عن أبخرة البحار التي تتبخر بواسطة الشمس وان الرعد عبارة عن صوت ناجم عن احتكاك في نواحي السحب وأن البرق كائن نتيجة انفجار كهربائي في السحاب.

قوله:(وَأَسْرَفَ) أي: تجاوز المعقول والمنقول .

قوله: (أَيَّمَا) أداة واصفة تدل على كمال الموصوف كأن تقول: محمد رجل وأي رجل .

قوله:(هَذَيَانِ) الهذيان:اضطراب عقلي مؤقت يتميز باختلاط أحوال العقل .

٢٣١ الْغَيْثُ يُفْرَغُ فِي السَّحَابِ مِنَ السَّمَاءِ   وَيَكِيلُهُ مِيكَالُ بِالْمِيزَانِ

وابتداء من هذا البيت أخذ الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يرد على زعم الفلاسفة التي سبق ذكرها في الأبيات الآنفة ويبين الصواب في تلك الأحداث الكونية فقال:

(الْغَيْثُ يُفْرَغُ) أي: يخلى ويلقى .

قوله: (فِي) بمعنى: إلى التي تفيد الانتهاء إلى الشيء .

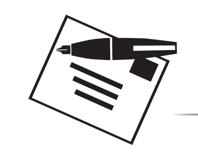
قوله:(السَّحَابِ) الغيم سواء أكان فيه ماء أم لم يكن والجمع سحب .

قوله:(مِنَ) حرف جر وتفيد الابتداء من الشيء .

وذلك كأن تقول:(انطلق زيد من بيته إلى مسجده) .

قوله:(السَّمَاءِ) وهي: من كل شيء أعلاه والمراد بها هنا السماء التي تقابل الأرض وجمعها سماوات وهي المعني بقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾﴾ [نوح ١١] .

وفي شطر هذا البيت تأخير ما حقه التقديم لأجل الروي إذ الأصل أن



يقال: أن الغيث يفرغ من السماء وإلى السحاب .

قوله:(**وَيَكِيلُهُ**) من الميكال وهو: الوعاء الذي يكال به .

قوله:(**مِيكَالُ**) هو: ميكال -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وهو: الملك الموكل بالقطر .

قوله:(**بِالْمِيزَانِ**) بالعدل -والله أعلم- .

٢٣٢ لاَ قَطْرَةٌ إِلاَّ وَيَنْزِلُ نَحْوَهَا مَلَكٌ إِلَى الآكَامِ وَالْفَيَضَانِ

قوله: (**لاَ قَطْرَةٌ**) القطرة: واحد القطر وهو: المطر .

قوله:(**إِلاَّ وَيَنْزِلُ نَحْوَهَا**) أي: جهتها .

قوله:(**مَلَكٌ**) -بفتح اللام- واحد الملائكة .

قوله:(**إِلَى الآكَامِ**)جمع أكمة وهي: التل المرتفع الذي لا يستقر فيه الماء عادة.

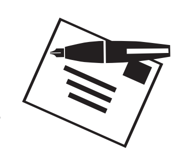
قوله:(**وَالْفَيَضَانِ**) يقال: فاض الماء فيضا وفيوضا وفيضانا كثر حتى سال

والمراد: المكان الذي يستقر ويجتمع فيه الماء .

والمعنى الإجمالي: أنه ما من قطرة تقطر نحو الأرض في مرتفع أو منخفض إلا ويصحبها ملك إلى ذاك المكان هذا ما فهمته من كلام الناظم -رَحِمَهُ اللَّهُ- وهذا من الأخبار الغيبية التي لا بد من لها من دليل صحيح صريح فالله أعلم .

٢٣٣ وَالرَّعْدُ صَيْحَةُ مَالِكٍ وَهْوَ اسْمُهُ يُزْجِي السَّحَابَ كَسَائِقِ الأَظْعَانِ

وهذ البيت تصحيح لما اعتقده الفلاسفة في أمر الرعد كما في البيت رقم (٢٢٨) .



قوله:(**وَالرَّعْدُ صَيْحَةُ مَالِكٍ**) أي: أن الصوت الذي يدوي عقب وميض البرق هو صيحة ملك من الملائكة ، لا كما يزعم الفلاسفة الضلال.

قوله:(**وَهْوَ اسْمُهُ**) مراد الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أن الرعد اسم لملك من ملائكة الله وهو الملك الذي يدوي بالصوت الذي يكون بعد البرق قال الله:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾ [الرعد:١٢-١٣] .

قوله:(**يُزْجِي السَّحَابَ**) أي: يسوق ويدفع .

قوله:(**كَسَائِقِ الأَظْعَانِ**) الأظعان هي: الإبل التي عليها الهوادج كان فيها نساء أو لم يكن واحدها ظعينة وتجمع أيضًا على ظعن، وظعن، وظعائن .

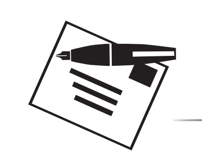
٢٣٤ وَالْبَرْقُ شَوْظُ النَّارِ يَزْجُرُهَا بِهِ زَجْرَ الْحُدَاةِ الْعِيسِ بِالْقُضْبَانِ

وهذا أيضًا تصحيح لمعتقد الفلاسفة المنحرف في أمر البرق كما في البيت رقم (٢٢٩) .

قوله: (**وَالْبَرْقُ شَوْظُ النَّارِ يَزْجُرُهَا بِهِ**) أي: أن البرق إنما هو لهب النار يزجر به السحاب ويسوقها إلى حيث أمر الله قال الله-عَزَّوَجَلَّ-:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النور: ٤٣] .

قوله:(**زَجْرَ الْحُدَاةِ**) الحداة : جمع حاد وهو: السائق للإبل .

قوله:(**الْعِيسِ**) بالكسر الإبل البيض يخالط بياضها شقرة واحدها أعيس



والأنثى عيساء .

قوله:(**بِالْقُضْبَانِ**) بالضم جمع قضيب وهو: الغصن المقطوع .

٢٣٥ أَفَكَانَ يَعْلَمُ ذَا أَرِسْطَالِيسُهُمْ تَدْبِيرَ مَا انْفَرَدَتْ بِهِ الْجِهَتَانِ

قوله(**أَفَكَانَ**) الهمز للإستفهام بمعنى: هل .

قوله:(**يَعْلَمُ ذَا**) إشارة إلى ما سيأتي ذكره ولعله يدخل في الإشارة ما سبق ذكره .

قوله:(**أَرِسْطَالِيسُهُمْ**) سبق التعريف به في البيت رقم (٢٣٠) .

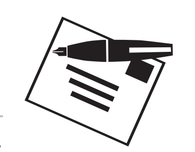
قوله:(**تَدْبِيرَ**) يقال: دَبرَ الأمر إذا ساسه ونظر في عاقبته وعليه فيكون التدبير هو: حسن القيام بالشيء .

قوله:(**مَا انْفَرَدَتْ بِهِ الْجِهَتَانِ**) لعله أراد بالجهتين السماوات والأرض، والمعنى الإجمالي: هل كان أرسطاليس يعلم صدقا ويقينا تدبير شؤون ما في السماء والأرض ؟.

الجواب: كلا فلا يعلم ذلك إلا الله وحده وإذا كان هذا الجواب هو الجواب الفصل تعين على كل أحد أن يعترف بضعفه وعجزه ونقصه وأن يقر بأن القدرة والقوة والكمال لله وحده .

٢٣٦ أَمْ غَابَ تَحْتَ الأَرْضِ أَمْ صَعَدَ السَّمَا فَرَأَى بِهَا الْمَلَكُوتَ رَأْيَ عِيَانِ

قوله:(**أَمْ غَابَ تَحْتَ الأَرْضِ**) أي: هل اختفى فيلسوفكم تحت الأرض حتى أتى بتلك التخرصات .



قوله:(**أَمْ صَعَدَ السَّمَا**) أي: وهل ارتفع حتى وصل السماء فأتى بتلك الفلسفة الكاذبة .

قوله:(**فَرَأَى بِهَا الْمَلَكُوتَ**) الملكوت: عالم الغيب والشهادة الذي ملأ السماوات والأرض قال الله-عَزَّوَجَلَّ-:﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ** ﴾ [الأعراف: ١٨٥] .

وملكوت الله سلطانه وعظمته وفي القرآن:﴿ **وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾[الأنعام ٧٥] .

قوله:(**رَأْيَ عِيَانِ**) أي: بأم عينيه .

والجواب: كلا ما كان له من ذلك شيء .

٢٣٧ أَمْ كَـانَ دَبَّـرَ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا   أَمْ كَانَ يَعْلَمُ كَيْفَ يَخْتَلِفَانِ

قوله: (**أَمْ كَانَ دَبَّرَ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا**) وهل كان فيلسوفكم هو الذي صرف الليل والنهار بفكر وروية وأجرى ما فيهما من أحداث بنظام ودقة وعلم وحكمة كما هو معلوم ومشاهد .

قوله:(**أَمْ كَانَ يَعْلَمُ كَيْفَ يَخْتَلِفَانِ**) وهل يعلم كيف يتداخلا الليل والنهار فيختلفان طولا وقصرا وحرا وبردا ونحو ذلك .

الجواب: كلا : فليس ذلك إلا لله وحده فسبحانك:﴿ **تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾** ﴾ [آل عمران:٢٧].

فمن تأمل أيقن أن ذلك آية كافية على وجود الله وربوبيته وأحقية إلاهيته:

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس: ٣٧-٤٠].

وقال الله: ﴿ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا ﴾ [الأعراف: ٥٤].

٢٣٨ أَمْ سَارَ بَطْلِيمُوسُ بَيْنَ نُجُومِهَا حَتَّى رَأَى السَّيَّارَ وَالْمُتَوَانِي

قوله: (**أَمْ سَارَ بَطْلِيمُوسُ**) بطلموس: فيلسوف طبائعي عقيدته عقيدة أرسطاليس وأفلاطون وسقراط وبقراط وغيرهم من الفلاسفة وكذا من الفلاسفة المنتسبين للإسلام كابن سينا وابن الفارض والفارابي وغيرهم من الملاحدة الطبائعين ، وهي عقيدة كفرية يسندون كل شيء إلى طبائع معينة ويقولون بتناسخ الأرواح .[١]

قوله: (**بَيْنَ نُجُومِهَا**) أي: بين نجوم السماء .

قوله: (**حَتَّى رَأَى السَّيَّارَ**) أي: النجوم السريعة في قطع منازلها .

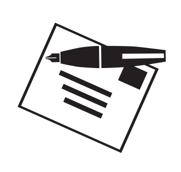
قوله: (**وَالْمُتَوَانِي**) أي: البطيئة الحركة .

٢٣٩ أَمْ كَانَ أَطْلَعَ شَمْسَهَا وَهِلاَلَهَا أَمْ هَلْ تَبَصَّرَ كَيْفَ يَعْتَقِبَانِ

قوله: (**أَمْ كَانَ أَطْلَعَ شَمْسَهَا وَهِلاَلَهَا**) أي: وهل بطلوموسكم هو الذي أخرج شمسها وهلالها من مطلعها (المشرق) .

قوله: (**أَمْ هَلْ تَبَصَّرَ**) أي: هل تعرف وتأمل ونظر إليهما ببصر ثاقب فأدركهما

(١) انظر القطوف الدواني (ص ٣٦٩) .



حقيقة .

قوله:(كَيْفَ يَعْتَقِبَانِ) أي: يخلف كل منهما الآخر ويأتي بعده.

٢٤٠ أَمْ كَانَ أَرْسَلَ رِيحَهَا وَسَحَابَهَا بِالْغَيْثِ يُهْمِلُ أَيَّمَا هَمَلاَنِ

قوله:(**أَمْ كَانَ أَرْسَلَ رِيحَهَا وَسَحَابَهَا**) أرسل أي: أطلق يقال: أرسل الطير: أي: أطلقه والمعنى: أو هل كان لبطلموس أدنى قدرة على إرسال الريح والسحاب ؟!.

قوله:(**بِالْغَيْثِ يُهْمِلُ**) أي: يدوم قطره مع سكون وضعف .

قوله:(**أَيَّمَا هَمَلاَنِ**) شديد الهملان .

٢٤١ بَلْ كَانَ ذَلِكَ حِكْمَةَ اللهِ الَّذِي بِقَضَائِهِ مُتَصَرَّفُ الأَزْمَانِ

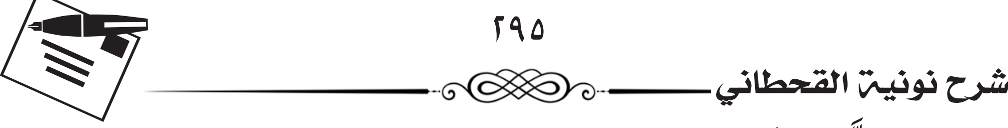
قوله:(**بَلْ**) تفيد الإضراب .

قوله:(**كَانَ ذَلِكَ**) أي: جميع ما سبق ذكره وغيره مما لا عد له ولا حد .

قوله:(**حِكْمَةَ اللهِ**) الحكمة: صفة له -عَزَّوَجَلَّ- مشتقة من اسمه : (الحكيم).

والحكيم هو: الذي يضع الأشياء مواضعها ولا يدخل تدبيره خلل ولا زلل

وليس للفلاسفة من تلك التدابير الكونية سوى التخرص الكاذب فهم أعجز الخلق عن تدبير شؤون حياتهم الذاتية المحصورة المقصورة فكيف الحال بتدبير شؤون الكون الفسيح ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف: ٥] .



قوله: (**الَّذِي بِقَضَائِهِ**) أي: بحكمه وفصله وقدره الذي أمضاه في اللوح المحفوظ .

قوله:(**مُتَصَرَّفُ الأَزْمَانِ**) أي: نوائب الدهر وحدثانه وتقلباته وتغيرات أحواله .

٢٤٢ لاَ تَسْتَمِعْ قَوْلَ الضَّوَارِبِ بِالْحُصَا وَالزَّاجِرِينَ الطَّيْرَ بِالطَّيَرَانِ

قوله:(**لاَ تَسْتَمِعْ**) أي: احذر سماع .

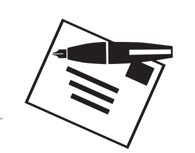
قوله:(**قَوْلَ الضَّوَارِبِ بِالْحُصَا**) الضوارب: جمع ضارب والمراد به هنا الذي يستخدم الحصا في التنجيم وفي العرافة كذلك، وذلك بالرمي بعدد من الحصيات غير محدد في زاوية ثم يشرع العراف باستعادتها حصاتين حصاتين مثلا أو ثلاثة ثلاثة ثم ينظر ما تبقى منها بعد ذلك فإن كان شفعا دل على حسن الطالع وإن كان وترا دل على سوئه وذلك كله من العرافة فإن كان من يعمله كاهنا قد أخبر بها استخبر به شيطانه صارت من الكهانة المحرمة . [١]

وعليه: فالواجب على ولي أمر المسلمين وكل قادر أن يسعى سعيا حثيثا نحو إزالة هؤلاء المنجمين والعرافين والكهنة والمشعوذين ومنعهم من التمركز في الأربطة أو البيوتات ومن الجلوس في الحوانيت والطرقات أو يدخلوا على الناس في منازلهم لذلك. ا هـ . [٢]

قوله:(**وَالزَّاجِرِينَ الطَّيْرَ بِالطَّيَرَانِ**) زجر الطير: زجر الطير تهييجه فإذا طار يمينا يكون فألا وسعدا وإذا طار شمالا يكون شؤما وشرا .

---

(١) التحصين من كيد الشياطين (ص ٤٢) مختصرا .
(٢) انتهى من شرح الطحاوية (ص ٤١١) باختصار وتصرف يسير.



وقد نهينا عن الطيرة بالزمان أو بالمكان أو بالطير أو بالإنسان أو بالحيوان أو نحو ذلك لقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« الطيرة شرك الطيرة شرك وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل». (١)

وعن أبي هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « لا عدوى ولا طيرة ». (٢)

٢٤٣ فَالْفِرْقَتَانِ كَذُوبَتَانِ عَلَى الْقَضَا وَبِعِلْمِ غَيْبِ اللهِ جَاهِلَتَانِ

قوله:(**فَالْفِرْقَتَانِ**) المراد بهما:

١- العرافين الذين يضربون بالحصى .

٢- المتطيرين بالطير أو بالزمان أو بالمكان أو نحوه .

قوله) **كَذُوبَتَانِ عَلَى الْقَضَا**)أي: على أقدار الله الكونية . فإنه ما شآء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأقداره-جَلَّ وَعَلَا-لا يردها تخرص منجم ولا حذر متشائم .

قوله:(**وَبِعِلْمِ غَيْبِ اللهِ جَاهِلَتَانِ**) أي: أن الفرقتين جاهلتان بما هو كائن مستقبلا .

وما تنبئا به إنما هو: عبارة عن إيحاءات شيطانية مسترقة للسمع وتوحي إلى أوليائها من شياطين الإنس ومعظمها تخرصات وتكهنات وأكاذيب لا حقيقة لها قال الله:﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾[الشعراء: ٢٢١-٢٢٣] .

ومعلوم بالضرورة أن علم الغيب مرده إلى الله وحده قال الله: «﴿ عَٰلِمُ

(١) رواه أبو داؤود والترمذي وصححه .
(٢) رواه البخاري ومسلم .

﴿ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] .

وقال -عَزَّوَجَلَّ- : ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام: ٥٩] .

٢٤٤ كَذَبَ المُهَنْدِسُ وَالمُنَجِّمُ مِثْلُهُ فَهُمَا لِعِلْمِ الله مُدَّعِيَانِ

قوله:(**كَذَبَ المُهَنْدِسُ**) المهندس: هو الذي يشتغل بعلم الغيب فيما يتعلق بعلم النجوم بناء على هندسة تخريصية والتي لا تعتمد على علم تجريبي ولا تستند إلى حقيقة ولا ترجع إلى علم مادي معروف كالفيزياء والكيمياء والإلكترونيات ونحو ذلك .[1]

قوله:(**وَالمُنَجِّمُ مِثْلُهُ**) هو الذي يدعي علم الغيب بدعوى معرفته لمطالع النجوم والقمر ويربط علم المغيبات بالنجوم [2] .

قوله:(**فَهُمَا**) أي: المهندس والمنجم .

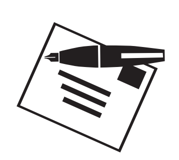
قوله:(**فَهُمَا لِعِلْمِ الله مُدَّعِيَانِ**) أي: لعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله -جَلَّوَعَلَا- لصيقان-كذبًا وزورا - .

٢٤٥ الأَرْضُ عِنْدَ كِلَيْهِمَا كُرَوِيَّةٌ وَهُمَا بِهَذَا القَوْلِ مُقْتَرِنَانِ

قوله:(**الأَرْضُ عِنْدَ كِلَيْهِمَا**) أي: عند المهندس والمنجم .

قوله:(**كُرَوِيَّةٌ**) يبدوا أن الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عندما أنكر كروية الأرض لم يصل إلى علمه بعض الدراسات الجغرافية والفلكية التي دلت على كروية الأرض الأمر الذي أصبح مسلما به وقد حكى الإجماع على كرويتها شيخ

(١) انظر القطوف الدواني (ص ٣٨١) .
(٢) انظر القطوف الدواني (ص ٣٨١) .



الإسلام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- .[(١)]

قال الإمام عبد العزيز بن باز-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :(أما مسألة كروية الأرض فقد ذكر أبو العباس ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي أنه: حكى إجماع علماء الإسلام على كروية الأرض .... وكونها كروية لا ينافي تسطيح وجهها المسكون للعالم وجعلها فراشا ومهادا كما قال عز وجل: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة:٢٢] .

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- :﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨﴾ [النبأ:٦-٧] .

وقال عز وجل:﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾[الغاشية:١٧-٢٠] .

فهي كروية الشكل مسطوحة الوجه البارز للعالم ليتم قرارهم عليها وانتفاعهم بما فيها ولا نعلم في الأدلة النقلية والحسية ما يخالف ذلك والله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أعلم) اهـ .[(٢)]

قوله:(**وَهُمَا**) أي: المهندس والمنجم .

قوله:(**بِهَذَا الْقَوْلِ**) أي: بكروية الأرض .

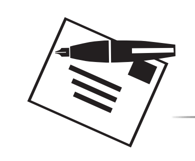
قوله:(**مُقْتَرِنَانِ**) أي: مصطحبان متصلان .

٢٤٦ وَالأَرْضُ عِنْدَ أُولِي النُّهَى لَسَطِيحَةٌ   بِدَلِيلِ صِدْقٍ وَاضِحِ الْقُرْآنِ

قوله:(**وَالأَرْضُ عِنْدَ أُولِي النُّهَى**) أي: عند ذي العقول والألباب .

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٥/ ١٥٠) نقلا من القطوف الدواني ص(٣٨٢) .
(٢) الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون القمر (ص ٢٢) نقلا من منتقى الأشعار الهامش (ص ١٥٥) .



ومنه قول الله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [طه: ١٢٨] .

وقول رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**ليلني منكم أولي الأحلام والنهى**» .[(١)]

قوله: (**لَسَطِيحَةٌ**) أراد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بهذا أن الأرض مسطحة غير كروية والحق ما سبق تقريره في البيت السابق أنها: مسطحة الوجه البارز للعالم ليتم قرارهم عليها وانتفاعهم بها كروية الشكل .

قوله: (**بِدَلِيلِ صِدْقٍ وَاضِحِ الْقُرْآنِ**) ، قال الله: ﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾[الغاشية: ٢٠] .

٢٤٧ وَاللهُ صَيَّرَهَا فِرَاشًا لِلْوَرَى   وَبَنَى السَّمَاءَ بِأَحْسَنِ الْبُنْيَانِ

قوله: (**وَاللهُ صَيَّرَهَا**) أي: جعلها .

قوله: (**فِرَاشًا**) قال الله -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾[البقرة:٢٢].

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾][الذاريات:٤٨].

قوله: (**لِلْوَرَى**) أي: للخلق .

قوله: (**وَبَنَى السَّمَاءَ**) ، وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ [البقرة:٢٢] .

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الذاريات:٤٧] .

قوله: (**بِأَحْسَنِ الْبُنْيَانِ**) أي: أتم وأكمل بنيان .

٢٤٨ وَاللهُ أَخْبَرَ أَنَّهَا مَسْطُوحَةٌ   وَأَبَانَ ذَلِكَ أَيَّمَا تِبْيَانِ

قوله: (**وَاللهُ أَخْبَرَ**) أي: بين ونبأ في كتابه الكريم .

(١) رواه مسلم والثلاثة أصحاب السنن.



قوله:(أَنَّهَا) أي: الأرض .

قوله:(مَسْطُوحَةٌ) سطحه سطحا: بسطه وسواه فهي مبسوطة الوجه البارز للعالم ليتم قرارهم عليها .

قوله:(وَأَبَانَ ذَلِكَ) أي: وضحه وأفصح عنه في كتابه قائلا:﴿ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾[الغاشية: ٢٠] .

قوله:(أَيَّمَا تِبْيَانِ) أي: آكد وأكمل وأوضح بيان وهل هناك أيسر بيانًا وأفصح لسانًا من كتاب الله ؟! كلا .

٢٤٩ أَأَحَاطَ بَالأَرْضِ الْمُحِيطَةِ عِلْمُهُمْ   أَمْ بِالْجِبَالِ الشُّمَّخِ الأَكْنَانِ

قوله:(أَأَحَاطَ بَالأَرْضِ الْمُحِيطَةِ عِلْمُهُمْ) الإحاطة: بمعنى: الإدراك .

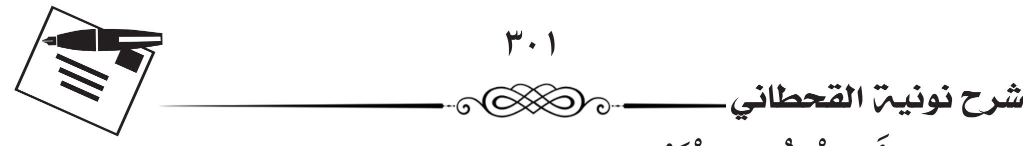
والمراد: هل وصل علم المنجمين والمهندسين إلى منتهاه في شأن الأرض المحيطة بهم .

قوله:(أَمْ بِالْجِبَالِ الشُّمَّخِ الأَكْنَانِ) الشمخ: الشواهق المرتفعة .

قوله:(الأَكْنَانِ) جمع كن بالكسر وهو ما يستكن به من المطر وهي هنا الغيران في الجبال ، والمعنى الإجمالي: هل وصل علم المنجمين والمهندسين أن أحاط بأمر الجبال الشواهق ذوات الغيران .

٢٥٠ أَمْ يُخْبِرُونَ بِطُولِهَا وَبِعَرْضِهَا   أَمْ هَلْ هُمَا فِي الْقَدْرِ مُسْتَوِيَانِ

قوله:(أَمْ يُخْبِرُونَ بِطُولِهَا وَبِعَرْضِهَا) أي: وهل بلغ علمهم إلى معرفة قياس طول الأرض وعرضها .



قوله:(**أَمْ هَلْ هُمَا فِي الْقَدْرِ مُسْتَوِيَانِ**) بمعنى : أن طولها يساوي عرضها.

٢٥١ أَمْ فَجَّرُوا أَنْهَارَهَا وَعُيُونَهَا مَاءً بِهِ يُرْوَى صَدَى الْعَطْشَانِ

قوله:(**أَمْ فَجَّرُوا أَنْهَارَهَا وَعُيُونَهَا مَاءً**) أي: وهل بلغت القدرة لديهم أن فجروا الأرض ماء أنهارا وعيونا .

والأنهار: جمع نهر – بسكون الهاء – وهو: الماء العذب الغزير الجاري .

والعيون: جمع عين – بالفتح – ينبوع الماء ينبع من الأرض ويجري .

قوله:(**بِهِ يُرْوَى**) أي: يسقى .

قوله:(**صَدَى الْعَطْشَانِ**) الصدى: شدة العطش .

٢٥٢ أَمْ أَخْرَجُوا أَثْمَارَهَا وَنَبَاتَهَا وَالنَّخْلَ ذَاتَ الطَّلْعِ وَالْقِنْوَانِ

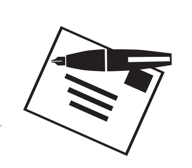
قوله: (**أَمْ أَخْرَجُوا أَثْمَارَهَا وَنَبَاتَهَا**) أي: وهل أولئك الخراصون هم من أخرجوا نباتها من ترابها وفتقوا أثمارها من أشجارها .

والثمار: جمع ثمرة وهي: حمل الشجرة يقال: أثمر الشجر: أي: بلغ أوان الثمار وفي القرآن:﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ﴾[الكهف: ٣٤] .

والنبات: ما أخرجته الأرض من شجر ونحوه .

قوله:(**وَالنَّخْلَ ذَاتَ الطَّلْعِ**) الطلع –بالفتح – أول ما يبدو من ثمر النخلة.

قوله:(**وَالْقِنْوَانِ**) القنوان: جمع قنو وهو: عنقود النخل والفرق بين تثنيته وجمعه أن المثنى مكسور النون والجمع على ما يقتضيه الإعراب .



.

٢٥٣ أَمْ هَلْ لَهُمْ عِلْمٌ بِعَدِّ ثِمَارِهَا   أَمْ بِاخْتِلاَفِ الطَّعْمِ وَالأَلْوَانِ

قوله:(**أَمْ هَلْ لَهُمْ عِلْمٌ بِعَدِّ ثِمَارِهَا**) أي: وهل أولئك الأفاكون قد أحصوا ثمارها عداً .

قوله:(**أَمْ بِاخْتِلاَفِ الطَّعْمِ وَالأَلْوَانِ**) أي: وهل أحاطوا علما بعد ألوانها وأطعامها .

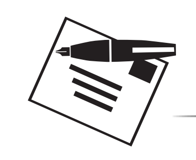
٢٥٤ اللهُ أَحْكَمَ خَلْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ   صُنْعًا وَأَتْقَنَ أَيَّمَا إِتْقَانِ

قوله: (**اللهُ أَحْكَمَ خَلْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ صُنْعًا**) صنعا أي: خلقة وإيجادا : ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [النمل:٨٨] .

قوله:(**وَأَتْقَنَ أَيَّمَا إِتْقَانِ**) أي: أكمل وأتم غاية الإتمام والإحكام قال ربنا الكريم:﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ الحاكمين [التين:٨] .

فسبحان من أحاط بجميع مخلوقاته علما! وسبحان من لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء! وسبحان من أحكم كل شيء صنعا! وسبحان من سبحته السماء بأفلاكها والأرض ببرها وبحرها، والبحر بحيتانها، والوحوش في براريها، والطير في أعشاشها :﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء:٤٤] .

٢٥٥ قُلْ لِلطَّبِيبِ الْفَيْلَسُوفِ بِزَعْمِهِ   إِنَّ الطَّبِيعَةَ عِلْمُهَا بُرْهَانِ



قوله:(**قُلْ**) يا أيها السني .

قوله:(**لِلطَّبِيبِ الْفَيْلَسُوفِ**) المراد به – هنا – من جمع إلى طبه فلسفة وكلاما هراء كابن سيناء ولا يقصد به الطبيب المتعارف عليه عند الناس الذي يعالج المرضى .

قوله:(**بِزَعْمِهِ**) أي: بظنه الكاذب .

قوله:(**إِنَّ الطَّبِيعَةَ**[1] **عِلْمُهَا بُرْهَانِ**) هذا هو قول الفلاسفة وهو قول باطل لا أساس له من الصحة .

٢٥٦ أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ نُطْفَةً   فِي الْبَطْنِ إِذْ مُشِجَتْ بِهِ الْمَاآنِ

مفاد هذا البيت الاستفهام التعجبي بقوله: أين كانت الطبيعة التي تدعيها إلاها – زعما – عندما كنت في بطن أمك أخلاطا من ماء أبيك وأمك؟!.

قال الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾[الإنسان: ٢] .

علما بأن الجنين يستمر أربعين يومًا الأولى نطفة لا يتحول إلى دم .

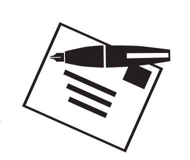
٢٥٧ أَيْنَ الطَّبِيعَةُ حِينَ عُدتَّ عُلَيْقَةً   فِي أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ تَوَانِي

قوله:(**أَيْنَ الطَّبِيعَةُ حِينَ عُدتَّ عُلَيْقَةً**)العليقة: تصغير علقة بفتحتين وهي: قطعة دم لم تيبس وسميت علقة لعلوقها بجدار الرحم وبيد الممسك بها .

قوله:(**فِي أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ**) أي: في ثمانين يومًا كما صح ذلك في الحديث

---

(١) سبق بيان معنى الطبيعة في البيت رقم (٢٢٢) .



عن عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: حدثنا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو الصادق المصدوق:«إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك» .[1]

قوله:(تَوَانِي) أي: متتابعات .

وعليه: فإن الجنين في بطن أمه يستمر في الأربعين الأولى نطفة ثم يتحول أثناء الأربعين الثانية إلى علقة ثم يتحول في الأربعين الثالثة إلى مضغة .

٢٥٨ أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ مُضْغَةً — في أَرْبَعِينَ وَقَدْ مَضَى الْعَدَدَانِ

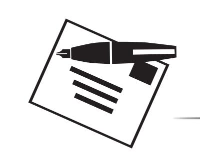
قوله:(**أَيْنَ الطَّبِيعَةُ عِنْدَ كَوْنِكَ مُضْغَةً في أَرْبَعِينَ**) المضغة: بالضم قطعة لحم بقدر ما يمضغ والجمع مضغ وفي الحديث السابق:«...مضغة مثل ذلك».[2]

قوله:(**وَقَدْ مَضَى الْعَدَدَانِ**) أي: الأربعين يومًا نطفة ثم الأربعين يومًا علقة.

وبالتالي: فلا يتحول الجنين إلى مضغة إلا في الأربعين الثالثة ثم يستمر كذلك حتى يستتم المائة والعشرين يومًا .

وقد جمعت هذه الأطوار الثلاثة (النطفة فالعلقة فالمضغة) وما بعدها في قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون:١٢-١٦].

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.



٢٥٩ أَتُرَى الطَّبِيْعَةَ صَوَّرَتْكَ مُصَوَّرًا   بِمَسَامِعٍ وَنَـوَاظِـرٍ وَبَـنَـانِ

قوله:(**أَتُرَى الطَّبِيْعَةَ صَوَّرَتْكَ مُصَوَّرًا**) بهذه الهيئة الحسنة .

قوله:(**بِمَسَامِعٍ وَنَوَاظِرٍ وَبَنَانِ**) أي: بآلة السمع وهما الأذنان ، وآلة النظر وهما العينان ، وبالبنان وهي أطراف الأصابع .

٢٦٠ أَتُرَى الطَّبِيعَةَ أَخْرَجَتْكَ مُنَكَّسًا   مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ وَاهِيَ الأَرْكَانِ

قوله:(**أَتُرَى الطَّبِيعَةَ أَخْرَجَتْكَ مُنَكَّسًا**) أي: مقلوبا على رأسك .

قوله:(**مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ وَاهِيَ الأَرْكَانِ**) أي: ضعيف الأعضاء قال الله -جَلَّجَلَالُهُ-: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الروم ٥٤] .

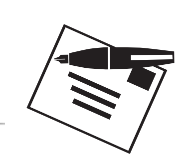
٢٦١ أَمْ فَجَّرَتْ لَكَ بِاللِّبَانِ ثَدْيَهَا   فَرَضَعْتَهَا حَتَّى مَضَى الْحَوْلاَنِ

قوله:(**أَمْ فَجَّرَتْ لَكَ بِاللِّبَانِ**) اللبان هو: اللبن وهو عبارة عن سائل أبيض يكون في إناث الآدميين والحيوان يرضعه الرضيع من الإنسان وغيره. والمراد به - هنا- لبن المرأة .

قوله:(**ثَدْيَهَا**) الثدي: النتوء في صدر الرجل والمرأة ،والمراد به-هنا- ثدي المرأة .

قوله: (**فَرَضَعْتَهَا حَتَّى مَضَى الْحَوْلاَنِ**) الحولان: السنتان الكاملتان .

قال الله -عَزَّوَجَلَّ- : ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾ [البقرة:٢٣٣] .



٢٦٢ أَمْ صَـيَّرَتْ فِي وَالِدَيْكَ مَحَبَّةً فَهُمَا بِمَا يُرْضِيكَ مُغْتَبِطَانِ

قوله:(**أَمْ صَيَّرَتْ فِي وَالِدَيْكَ مَحَبَّةً**) أي: وهل الطبيعة هي التي خلقت وأوجدت في قلب والديك المحبة والعطف والحنان عليك .

قوله:(**فَهُمَا**) أي: الوالدان .

قوله:(**بِمَا يُرْضِيكَ**) أي: يعجبك ويسرك .

قوله:(**مُغْتَبِطَانِ**) أي: فرحان مسروران .

٢٦٣ يَافَيْلَسُوفُ لَقَدْ شُغِلْتَ عَنِ الْهُدَى بِالْمَنْطِقِ الرُّومِيِّ وَالْيُونَانِي

قوله:(**يَا فَيْلَسُوفُ**) سبق التعريف به في البيت رقم (٢٢٤) .

قوله:(**لَقَدْ شُغِلْتَ**) أي: لهيت يقال: شغل عنه بكذا: تلهى به .

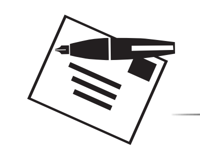
قوله:(**عَنِ الْهُدَى**) أي: عن الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده دينا .

وهذا كلام صدق مطابق لواقع الفلاسفة فقد شغلوا عن الهدى بالهوى وعن الحق بالباطل وعن الطيب بالخبيث وعن النقل بالعقل فكان الإنحراف التام عن سبيل الإسلام .

قوله:(**بِالْمَنْطِقِ**) أي: الكلام الطائل المعتمد على التفكير والعقل وإهمال الدليل والتعليل .

قوله:(**الرُّومِيِّ**) نسبة إلى روما وهي بلدة مسيحية (نصرانية) .

قوله:(**وَالْيُونَانِي**) نسبة إلى بلاد اليونان .



٢٦٤ وَشَرِيعَةُ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ شِرْعَةٍ ... دِينُ النَّبِيِّ الصَّادِقِ الْعَدْنَانِ

قوله:(**وَشَرِيعَةُ الإِسْلاَمِ**) سبق معنى الشريعة في البيت رقم (١٨٧) .

أما الإسلام فهو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله .

قوله:(**أَفْضَلُ شِرْعَةٍ**) أي: أتم طريقة وأكمل ملة .

قوله:(**دِينُ النَّبِيِّ**) أي: طريقة النبي -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومنهجه ومعتقده التي يدين العباد ربهم يوم يلقونه .

قوله:(**الصَّادِقِ**) هذا وصف لرسول الله -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والصدق معناه: مطابقة الأفعال للأقوال .

قوله:(**الْعَدْنَانِ**) هو جد رسول الله -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الأعلى: عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تارح بن يعرب بن يشجب بن نبايوت بن إسماعيل بن إبراهيم -عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ- . [1]

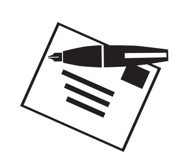
٢٦٥ هُوَ دِينُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَشَرْعُهُ ... وَهُوَ الْقَدِيمُ وَسَيِّدُ الأَدْيَانِ

قوله:(**هُوَ**) أي: الإسلام .

قوله:(**دِينُ**) الدين: هو: التسليم لله والانقياد له وهو ملة الإسلام وعقيدة التوحيد من لدن آدم إلى خاتمهم محمد -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- . [2]

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٥) .
(٢) فرق وأديان .



قوله:(**رَبِّ الْعَالَمِينَ**) الرب: اسم من أسمائه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الذي يعني: أنه الخالق المالك المدبر لجميع الأمور . [١]

ويلزم من هذا المعنى: أنه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ربى جميع الخلق بالنعم وصرف عنهم صنوف النقم . [٢]

العالمين: جمع عالم: والمراد بهم المخلوقات .

قوله:(**وَشَرْعُهُ**) سبق بيانه في البيت رقم (١٨٧) .

قوله:(**وَهُوَ الْقَدِيمُ**) أي: أن دين الإسلام دين قديم جاء به جميع الأنبياء من عند الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فهم في أصول الدين متفقون ولهذا ذكر أولوا العلم أنهم متفقون في التوحيد والمعاد والنبوات وإن كانت تفصيلات شرائعهم تختلف باختلاف أممهم وأقوامهم وحاجاتهم ولهذا قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد» . [٣]

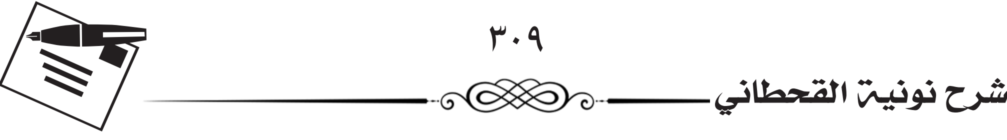
قوله:(**وَسَيِّدُ الأَدْيَانِ**) السيد هنا الرفيع الرتبة ، وسيد كل شيء: هو أشرفه وأرفعه يقال: القرآن سيد الكلام يعني : أرفع كلام وأشرفه وهنا قيل : سيد الأديان: أي : أفضل الأديان مقاما وأعلاها منزلة وأشرفها رتبة ويتوجه الكلام نحو محورين :

الأول : الأديان البشرية .

الثاني: الأديان السماوية .

أما المحور الأول: وهو المقارنة بين دين محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبين الأديان البشرية الباطلة فإنه لا توجد مقارنة البتة بين دين الله الحكيم الذي شرعه الله

(١) شرح الأصول الثلاثة (ص ٣٣) .
(٢) تيسير الكريم الرحمن لسورة الأنعام الآية (١٠٢) .
(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .



لعباده وبين الأديان التي هي من صنع البشر وكل دين سوى دين رب العالمين فهو دين باطل نبرأ إلى الله منه ولا غبار أن يسمى دينا وإن كان باطلا فقد قال الله لنبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون :٦] .

وأما المحور الثاني: فهو المقارنة بين دين نبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبين الأديان السماوية السابقة، فلا شك أن دين نبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو الذي ارتضاه الله وفضله وجعل شريعته شاملة كاملة تامة مهيمنة على ما سبقها من الشرائع ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة :٣]، وقال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة :٤٨]، وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا اتباعي**» . (١)

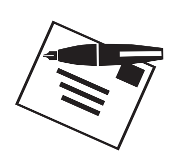
وعيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- عندما ينزل آخر الزمان إنما يحكم بشريعة نبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومن محاسن شرعنا على شرع من قبلنا أنه دين سهل ميسر من أصله ويزداد تيسيرا عند عروض طارئ ما ، كما قال الناظم -رَحِمَهُ اللهُ- :

وكل ما كلفه قد يسرًا من ... أصله وعند عارض طرا

فخفف الله عن هذه الأمة كثيرًا من الآصار والأغلال التي كانت على الأمم السابقة فدين الإسلام هو أيسر الأديان قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف :١٥٧] .

---

(١) أخرجه أحمد وأبو يعلى من حديث جابر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وحسنه الألباني في المشكاة(١٧٧).



وقال -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « بعثت بالحنيفية السمحاء » .[(١)]

٢٦٦ هُوَ دِينُ آدَمَ وَالْمَلَائِكِ قَبْلَهُ ... هُوَ دِينُ نُوحٍ صَاحِبِ الطُّوفَانِ

مثل الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- لجميع الأنبياء بذكر بعضهم لأن ذكر البعض يغني عن ذكر الكل فقال: (**هُوَ**) أي: دين الإسلام .

قوله:(**دِينُ آدَمَ**) آدم هو: أبو البشر الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته .

قوله:(**وَالْمَلَائِكِ قَبْلَهُ**) أي: وهو دين الملائكة -عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ- .

والملائكة هم: عباد الله الأبرار الأطهار خلقوا من نور لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزاوجون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

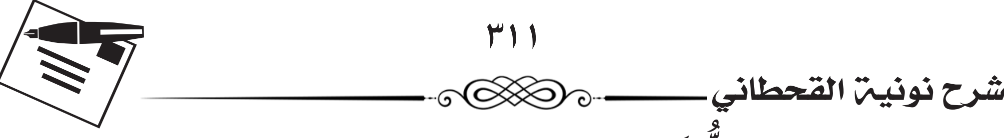
أفضلهم أمين الوحي جبريل ثم ميكال ثم اسرافيل ثم سائر ملائكة رب العالمين -عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ- .

قوله:(**قَبْلَهُ**) أي: قبل آدم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- فهم موجودون قبل آدم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- ودليل ذلك قول الله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة :٣٠] .

قوله:(**هُوَ دِينُ نُوحٍ**) نوح هو: أول رسول أرسله الله إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما وباسمه سميت سورة من كتاب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وقصته مشهورة في كتاب الله .

---

(١) أخرجه أحمد والطبراني من حديث أبي أمامة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- .



قوله:(**صَاحِبِ الطُّوْفَانِ**) الطوفان: الفيضان العظيم الذي أهلك الله به قوم نوح لما كفروا .

٢٦٧ وَلَهُ دَعَا هُودُ النَّبِيُّ وَصَالِحٌ وَهُمَا لِدِينِ اللهِ مُعْتَقِدَانِ

قوله:(**وَلَهُ**) أي :لدين الإسلام .

قوله:(**دَعَا**) أي: قومه .

قوله:(**هُودُ النَّبِيُّ**) هو نبي الله هود -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أرسله الله إلى قومه عاد فدعاهم إلى الإسلام فكفروا فأرسل الله عليهم الريح العقيم سبع ليال وثمانية أيام حسوما وباسمه -عَلَيْهِ السَّلَامُ- سميت سورة من القرآن وقصته مشهورة في كتاب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- .

قوله:(**وَصَالِحٌ**) هو: نبي الله صالح -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أرسله الله إلى قومه ثمود فدعاهم إلى الإسلام فكذبوه وعقروا الناقة فأرسل الله عليهم الصيحة وقصته مشهورة في كتاب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- .

قوله:(**وَهُمَا**) أي: هود وصالح -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - .

قوله:(**لِدِينِ اللهِ مُعْتَقِدَانِ**) أي: معتنقان وداعيان .

٢٦٨ وَبِهِ أَتَى لُوطٌ وَصَاحِبُ مَدْيَنٍ فَكِلَاهُمَا فِي الدِّينِ مُجْتَهِدَانِ

قوله:(**وَبِهِ**) أي: بدين الإسلام .

قوله:(**أَتَى لُوطٌ**) هو: نبي الله لوط -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ابن أخي إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أرسله الله إلى قومه ودعاهم إلى الإسلام فكذبوه وارتكبوا فاحشة اللواط فوقع



عليهم من العذاب ما لم يقع على أمة قبلهم وقصته مشهورة في القرآن الكريم .

قوله:(**وَصَاحِبُ مَدْيَنٍ**) مدين: قرية شعيب وصاحب مدين هو: نبي الله شعيب -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أرسله الله إلى قومه فبشرهم وأنذرهم وحذرهم عاقبة التطفيف كيلاً ووزنًا فكذبوه فأرسل الله عليهم الصيحة وقصته مشهورة في كتاب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- .

قوله:(**فَكِلاَهُمَا**) أي: لوط وشعيب -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- .

قوله:(**فِي الدِّينِ مُجْتَهِدَانِ**) أي: مجدان قائمان به دعوة والتزاما .

٢٦٩ هُوَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ وَابْنَيْهِ مَعًا وَبِـهِ نَجَا مِنْ نَفْحَةِ النِّيرَانِ

قوله:(**هُوَ**) أي: دين الإسلام .

قوله:(**دِينُ إِبْرَاهِيمَ**) إبراهيم بن آزر أبو الأنبياء الخليل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- .

قوله:(**وَابْنَيْهِ مَعًا**) هما: إسماعيل وإسحاق -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- .

قوله:(**وَبِهِ**) أي: بالإسلام .

قوله:(**نَجَا مِنْ نَفْحَةِ النِّيرَانِ**) وذلك حين ألقاه قومه في النار بسبب تحطيمه للأصنام التي كان قومه يعبدونها من دون الله فجعل الله من تلك النار التي عادتها الإحراق بردا وسلاما عليه قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- :﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾[الأنبياء :٦٩] .

وهكذا عادة الله في أوليائه الذين باعوا أنفسهم له -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فقد تكفل بحفظهم وتوليهم والدفاع عنهم قال الله:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأنبياء :٨٨] .

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الروم :٤٧] .

وفي الحديث الصحيح: «احفظ الله يحفظك» .[1]

٢٧٠ وَبِهِ حَمَى اللهُ الذَّبِيحَ مِنَ الْبَلاَ لَمَّا فَدَاهُ بِأَعْظَمِ الْقُرْبَانِ

قوله:(**وَبِهِ حَمَى اللهُ الذَّبِيحَ**)أي: بدين الإسلام حمى الله إسماعيل -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- .

قوله:(**مِنَ الْبَلاَ**) المراد به: الذبح .

قوله: (**لَمَّا فَدَاهُ بِأَعْظَمِ الْقُرْبَانِ**) وهو: الكبش العظيم قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٧] .

والقربان: ما يتقرب به إلى الله من الذبائح من بهيمة النعم يوم النحر وأيام التشريق .

وعليه: فإن كل ما يذبح من بهيمة النعم تعبدا يوم النحر وأيام التشريق بالطريقة الشرعية يعد فداء لنبي الله إسماعيل -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- .

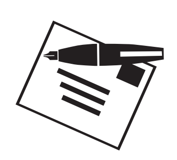
٢٧١ هُوَ دِينُ يَعْقُوبَ النَّبِيِّ وَيُونُسٍ وَكِلاَهُمَا فِي اللهِ مُبْتَلَيَانِ

قوله:(**هُوَ**) أي: الإسلام .

قوله:(**دِينُ يَعْقُوبَ النَّبِيِّ**) هو: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -عليهم السلام- الملقب: بإسرائيل .

قوله:(**وَيُونُسٍ**) هو: نبي الله يونس بن متى بعثه الله إلى أهل(نينوى) من أرض الموصل بالعراق وقصته ظاهرة في كتاب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وبه سميت

(١)رواه الترمذي وغيره وقال حسن صحيح من حديث عبدالله بن عباس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- .



سورة من القرآن .

قوله:(**وَكِلاَهُمَا**) أي: يعقوب ويونس -عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ- .

قوله:(**في الله مُبْتَلَيَانِ**) أي: ممتحنان فمن أعظم ما ابتلى به يعقوب -عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ- فقدان ولده يوسف ومن بعده أخاه بن يامين .

ومن أعظم ما امتحن به يونس -عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ- التقام الحوت له .

وقد حققا -عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ- نجاحا عظيما مع ما ابتليا به .

٢٧٢ هُوَ دِينُ دَاوُودَ الْخَلِيفَةِ وَابْنِهِ وَبِهِ أَذَلَّ لَهُ مُلُوكَ الْجَانِ

قوله:(**هُوَ دِينُ دَاوُودَ الْخَلِيفَةِ**) أي: أن الإسلام هو دين نبي الله داوود -عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ- وداوود أتاه الله الملك والنبوة ورث الملك عن طالوت والنبوة عن نبي بني إسرائيل «شمويل» -والله أعلم- بصحة اسمه .

قال -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ- : ﴿ **فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ** ﴾[البقرة:٢٥١] .

وقال -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ- : ﴿ **وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ** ﴿٢٠﴾ ﴾ [ص:٢٠] .

وقال -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ-: ﴿ **يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ** ﴾[ص:٢٦] .

قوله:(**وَابْنِهِ**) أي: سليمان -عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ- حيث ورث أباه النبوة والملك قال الله: ﴿ **وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ** ﴾ [النمل:١٦].

قوله:(**وَبِهِ**) أي: بالإسلام .

قوله:(**أَذَلَّ لَهُ مُلُوكَ الْجَانِ**) أي: أذل الله لسليمان ملوك الجان فصاروا تحت



خدمته وتصرفه، قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ:١٢-١٣].

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ص:٣٧-٣٨].

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النمل:٣٩].

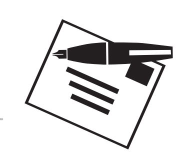
ومن المعلوم أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قد وهب سليمان من الملك ما لم يهبه أحدا تلبية لدعوته، قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ص:٣٥].

فأجاب الله دعاه كما قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ [ص:٣٦-٣٩].

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- على لسانه: ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ [النمل:١٦].

٢٧٣ هُوَ دِينُ يَحْيَى مَعْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ... نِعْمَ الصَّبِيُّ وَحَبَّذَا الشَّيْخَانِ

قوله: (هُوَ دِينُ يَحْيَى) أي: أن الإسلام هو دين نبي الله يحيى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- وقد علمه الله الكتاب والحكمة وهو في سن الصبى قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ [مريم:١٢].



قوله:(**مَعْ أَبِيهِ**) وهو زكريا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[الأنعام:٥٨] .

قوله:(**وَأُمِّهِ**) أي: أم يحيى وزوج زكريا التي ذكر الله شأنها في قوله: ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[الأنبياء:٩٠] .

قوله:(**نِعْمَ**) أسلوب ومدح .

قوله:(**الصَّبِيُّ**) يحيى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- .

قوله:(**وَحَبَّذَا**) أسلوب مدح .

قوله:(**الشَّيْخَانِ**) زكريا وزوجه -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- .

٢٧٤ وَلَهُ دَعَا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْمَهُ لَمْ يَدْعُهُمْ لِعِبَادَةِ الصُّلْبَانِ

قوله:(**وَلَهُ دَعَا**) أي: لملة الإسلام .

قوله:(**عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ قَوْمَهُ**) أي: هو نبي الله عيسى بن مريم عبد الله ورسوله وروح منه وكلمته ألقاها إلى مريم البتول العذراء كلم الناس في المهد صبيا أنزل عليه الإنجيل وبشر بأحمد ويعد واحد من أولي العزم من الرسل لم يزل حيا في السماء وسينزل لقتل الدجال ومريم: هي تلك المرأة العابدة الزاهدة التقية الصالحة البتول العذراء أبوها عمران صاحب دين في بني إسرائيل.

وأمها: حسنة بنت فاقود بنت قبيل من العابدات الصالحات قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾ [مريم:٢٨] .

وفي شأنها وأمها قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ

لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران : ٣٤-٣٧] .

قوله: (**لَمْ يَدْعُهُمْ لِعِبَادَةِ الصُّلْبَانِ**) أي: لم تكن دعوته -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لقومه لعبادة الصلبان والمراد بالصلبان عند النصارى: الخشبة التي يقولون أنه صلب عليها المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام .

٢٧٥ وَاللهُ أَنْطَقَهُ صَبِيًّا بِالْهُدَى في الْمَهْدِ ثُمَّ سَمَا عَلَى الصِّبْيَانِ

قوله: (**وَاللهُ أَنْطَقَهُ صَبِيًّا**) وهذا كما قال الله: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران : ٤٦] .

قوله: (**بِالْهُدَى**) أي: بالسداد وقول الصواب وهو ما أشار إليه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بقوله: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [مريم: ٢٩-٣٤] .

قوله: (**فِي الْمَهْدِ**) بالفتح فراش يهيئ لتنويم الصبي والجمع مهود .

قوله: (**ثُمَّ سَمَا**) من السمو وهو العلو والإرتفاع ومنه سميت السماء بالسماء.

قوله: (**عَلَى الصِّبْيَانِ**) جمع صبي والصبي: الصغير دون الغلام ومن لم يفطم بعد.



٢٧٦ وَكَمَالُ دِينِ اللهِ شَرْعُ مُحَمَّدٍ صَلَّى عَلَيْهِ مُنَزِّلُ الْقُرْآنِ

قوله:(**وَكَمَالُ دِينِ اللهِ**) كمال الشيء تمامه ودين الله كامل سالم من الزيادة والنقص .

قوله:(**شَرْعُ مُحَمَّدٍ**) أي: شريعته التي أنزلها على محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهي تمام الشرائع وختامها .

قوله:(**صَلَّى عَلَيْهِ مُنَزِّلُ الْقُرْآنِ**) أي: أثنى عليه ربه في الملأ الأعلى .

وسبق بيان معنى القرآن وكونه كلام الله منزل غير مخلوق في البيت رقم (١-٣٨-٦٦) .

٢٧٧ الطَّيِّبُ الزَّاكِي الَّذِي لَمْ يَجْتَمِعْ يَوْمًا عَلَى زَلَلٍ لَهُ أَبَوَانِ

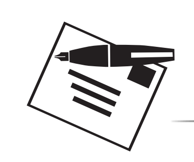
قوله:(**الطَّيِّبُ**) ضد الخبيث وهو: من طاب ظاهره وباطنه ورسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سيد الطيبين ظاهرا وباطنا قولا وعملا معتقد ومنهجا .

قوله:(**الزَّاكِي**) أي: النقي الطاهر .

قوله:(**الَّذِي لَمْ يَجْتَمِعْ يَوْمًا عَلَى زَلَلٍ لَهُ أَبَوَانِ**) الزلل هو: الخطأ .

ولعل المراد به هنا فاحشة الزنا أي: لم يجتمع على سفاح له أبوان فهو -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خيار من خيار ، قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- :﴿ **ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ** ﴾[الأنعام:١٢٤] .

وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « **إن الله أصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش**



بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » .[١]

وكما سأل هرقل أبا سفيان كيف نسبه فيكم؟ قال: « هو فينا ذو نسب قال: كذلك الرسل تبعث في أنساب قومها» .[٢]

٢٧٨ الطَّاهِرُ النِّسْوَانِ وَالْوُلْدِ الَّذِي مِنْ ظَهْرِهِ الزَّهْرَاءُ وَالْحَسَنَانِ

قوله:(**الطَّاهِرُ النِّسْوَانِ**) أي: أن جميع نساء رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- طاهرات مطهرات من كل رذيلة في جاهلية وفي إسلام وعلى رأس تلك الطواهر تلك الطاهرة المطهرة الصديقة المبرأة السيدة عائشة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- وعن جميع أمهات المؤمنين وهن :

١- خديجة بنت خويلد -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- أم أولاده ما عدا إبراهيم تزوجها رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد زوجين الأول: عتيق بن عابد والثاني: أبو هالة التميمي ولم يتزوج عليها حتى ماتت سَنة (١٠) من البعثة قبل المعراج.

٢ عائشة بنت أبي بكر الصديق -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- عقد عليها رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولها ست سنين ودخل عليها في المدينة ولها تسع سنين توفيت سَنة (٥٨ هـ) .

٣- سودة بنت زمعة العامرية -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- تزوجها رسول الله بعد زوج مسلم هو السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو توفيت آخر خلافة عمر وقيل: سَنة (٥٤ هـ) .

٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- تزوجها -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد زوج مسلم هو خنيس بن حذافة الذي قتل في أحد وماتت سَنة (٤١ هـ).

---

(١) رواه مسلم .
(٢)رواه البخاري .



٥- زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- تزوجها رسول الله بعد استشهاد زوجها عبد الله ابن جحش في أحد وماتت سنة(٤هـ) بعد زواجها بيسير .

٦- أم سلمة هند بنت أمية المخزومي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- تزوجها رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد موت .زوجها أبي سلمة عبدالله بن عبد الأسد من جراحة أصابته في أحد وماتت(٦١ هـ) .

٧- زينب بنت جحش الأسدية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- بنت عمته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تزوجها بعد مولاه زيد بن حارثة سَنة (٥هـ) وماتت سَنة (٥٦ هـ) .

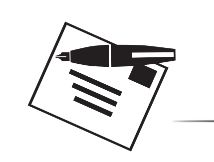
٨-جويرية بنت الحارث الخزاعية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- تزوجها رسول الله بعد زوجها مسافع بن صفوان وقيل :مالك بن صفوان سَنة (٦هـ) وماتت سَنة (٥٦ هـ) .

٩- أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- تزوجها رسول الله بعد زوج أسلم ثم تنصر هو عبيدالله بن جحش وماتت في المدينة في خلافة أخيها سَنة (٤٤ هـ) .

١٠- صفية بنت حيي أخطب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- من بني النضير من ذرية هارون -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أعتقها رسول الله وجعل عتقها صداقها بعد زوجين أولهما : سلام بن مشكم . هـ) . والثاني : كنانة بن أبي الحقيق بعد فتح خيبر سَنة (٦ هـ) وماتت سَنة (٥٠ هـ) .

١١- ميمونة بنت الحارث الهلالية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- تزوجها سَنة (٧هـ) في عمرة القضاء بعد زوجين ، الأول :ابن عبد ياليل والثاني : أبورهم بن عبد العزى بنى بها في سرف وماتت فيه سَنة (٥١ هـ) .

فهؤلاء هن زوجات رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الطاهرات العفيفات



أمهات المؤمنين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ - .

إن يكن للعفاف في الناس أم   فهن رغم الأوباش أمهات العفاف

قوله :(**وَالْوُلْدِ**)أي: وطاهر الولد وأولاد رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذكور هم :عبدالله والقاسم وإبراهيم-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-وجميعهم ماتوا صغارا ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب: ٤٠] .

أما بناته فهن :

١- زينب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- زوجها رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أبي العاص بن الربيع بإشارة من خديجة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- ولما أكرم الله رسوله بالنبوة أسلمت زينب وثبت أبو العاص على شركه ثم أسلم قبيل الفتح.

٢- رقية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- زوجها رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من عثمان بن عفان توفيت في السُّنَّة الثانية من الهجرة إثر وقعة بدر .

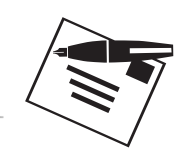
٣- أم كلثوم -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- زوجها رسول الله من عثمان بن عفان بعد أن استوفت رقية عدة الوفاة ولذا لقب عثمان بذي النورين لزواجه من ابنتي رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

٤- فاطمة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- زوَّجها رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من ابن عمه علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .

وجميع أولاده ذكورا وإناثًا من خديجة عدا إبراهيم فإنه من مارية القبطية

قوله : (**الَّذِي مِنْ ظَهْرِهِ**) أي : من ظهر رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

قوله :(**الزَّهْرَاءُ**) أي : فاطمة الطاهرة الشريفة الرضية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- .



قوله (وَالْحَسَنَانِ) أي : الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- وأمهما فاطمة بنت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

٢٧٩ وَأُولُو النُّبُوَّةِ وَالْهُدَى مَا مِنْهُمُ   أَحَدٌ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِي

قوله : (وَأُولُو النُّبُوَّةِ) أي : ذوو النبوة .

قوله : (وَالْهُدَى) أي : ذوو الهداية الحقة .

قوله : (مَا مِنْهُمُ أَحَدٌ) أي : ليس منهم أحد .

قوله :(يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِي) أي : على ملة اليهود ولا على ملة النصارى وديانتهم الباطلة .

٢٨٠ بَلْ مُسْلِمُونَ وَمُؤْمِنُونَ بِرَبِّهِمْ   حُنَفَاءُ فِي الإِسْرَارِ وَالإِعْلاَنِ

قوله:(بَلْ مُسْلِمُونَ) أي : على دين الإسلام

قوله:(وَمُؤْمِنُونَ بِرَبِّهِمْ) أي : مقرون مصدقون بربهم قولا واعتقادا وعملا

قوله:(حُنَفَاءُ) جمع حنيف وهو: الميل إلى الإسلام وكل من كان على دين إبراهيم فهو حنيف.

قوله:(فِي الإِسْرَارِ وَالإِعْلاَنِ) أي: في الباطن والظاهر.

٢٨١ وَلِمِلَّةِ الإِسْلاَمِ خَمْسُ عَقَائِدٍ   وَاللهُ أَنْطَقَنِي بِهَا وَهَدَانِي

قوله:(وَلِمِلَّةِ الإِسْلاَمِ) أي: الشريعة .



قوله:(**خَمْسُ عَقَائِدٍ**) أي: خمس أركان المعروفة بأركانه الخمسة وهي: الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج .

قوله:(**وَاللهُ أَنْطَقَنِي بِهَا**) أي: أن الله وفقني لذكرها في هذه المنظومة .

قوله:(**وَهَدَانِي**) إرشادا وتوفيقا للقيام بها والمحافظة عليها وفق ما جاء به الشرع الحنيف .

وهداني لذكرها في هذه لمنظومة .

٢٨٢ لاَ تَعْصِ رَبَّكَ قَائِلاً أَوْ فَاعِلاً ــــ فَكِلاَهُمَا فِي الصُّحْفِ مَكْتُوبَانِ

قوله:(**لاَ تَعْصِ رَبَّكَ**)أي: احذر مبارزة ربك الخالق المالك المدبر بالعصيان.

قوله:(**قَائِلاً**) أي: في أقوالك كالتقول عليه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بلا علم وأن تشرك معه غيره في أقوالك وكذلك من معاصي القول الطعن في العلماء خصوصا وفي المسلمين عموما سبا وشتما ولعنا وكذبا وغيبة ونميمة وقدحا وتجريحا وشهادة الزور ونحو ذلك من معاصي اللسان التي لا حد لها ولا عد والتي قد توبق دنيا المرء وأخراه . عافانا الله .

قوله:(**أَوْ فَاعِلاً**) أي: في أفعالك كالقتل والزنا والسرقة والرشا والغصب والربا والغش والضرب والإعتداء ونحو ذلك من المعاصي الفعلية .

قوله: (**فَكِلاَهُمَا**) أي: معاصي الأقوال والأفعال .

قوله:(**فِي الصُّحْفِ**) أي: السجلات والكتب التي دونها الكرام الكاتبون .

قوله:(**مَكْتُوبَانِ**) أي: مسجلان ومدونان القول والعمل الخير والشر قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الإنفطار :١١-١٢] .



وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق :١٨] .

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء :١٣-١٤] .

وقال الله: ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف :٤٩] .

] وقال لله: ﴿ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ ﴾ [المجادلة :٦] .

] وقال الله: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية :٢٩] .

وعليه: فالواجب على المسلم أن يتقي الله ربه في أقواله وأفعاله وليحذر أذى المسلمين بلسانه ويده، قال عليه الصلاة والسلام : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .(١)

٢٨٣ جَمِّلْ زَمَانَكَ بِالسُّكُوتِ فَإِنَّهُ زَيْنُ الْحَلِيمِ وَسُتْرَةُ الْحَيْرَانِ

قوله:(جَمِّلْ) أي: زين وحسن .

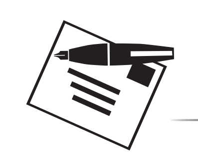
قوله:(زَمَانَكَ) أي: دهرك وعمرك .

قوله:(بِالسُّكُوتِ) أي: بالصمت فلا تكن مهذارا مكثارا فإن من كثر كلامه كثر سقطه وقد حثنا نبينا الكريم على التحلي بحلية الصمت فقال:«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » .(٢)

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه البخاري ومسلم .



وسُئل رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما النجاة؟ فقال:«أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » .(١)

وقال ابن مسعود -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- :«ما أحوج إلى طول سجن من لسان » ، وكان يقول: « يا لسان قل خيرًا تغنم أو اسكت عن سوء تسلم من قبل أن تندم» .(٢)

وقال بعض السلف: « اللسان سبع إن خليته عقر » .

وقال بعضهم: «ما أكثر أحد قط فأفلح » .(٣)

قوله:(**فَإِنَّهُ**) أي: الصمت في موضعه .

قوله:(**زَيْنُ الْحَلِيمِ**) أي: زينة الحليم وجماله والحليم: هو الساكن المتأني عند الغضب حيث لا يعاجل من جهل عليه بالرد أو العقوبة . والصمت في موضعه آية الحلم .

ولله در القائل:

العلم زين والسكوت سلامة ... فإذا نطقت فلا تكن مكثارا

ولقد أحسن من قال:

قالوا نراك طويل الصمت قلت لهم ... ما طول صمتي من عي ولا خرس
لكنه أحمد الأشياء عاقبة عندي ... وأيسره من منطق شكس
ءأنشر البز فيمن ليس يعرفه ... أم أنثر الدر بين العمي في الغلس

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني .
(٢) قواعد في التعامل مع العلماء (ص ١٠٨) .
(٣) سير أعلام النبلاء(٨/ ٥٦) .



قوله:(**وَسُتْرَةُ الْحَيْرَانِ**) السترة: ما تخفي العيب والسوءة.

والحيران: المضطرب المتردد.

وعليه: فالسكوت في موضعه سترة للمتردد يخفي عيبه ويواري سوءته واضطرابه .

٢٨٤ كُنْ حِلْسَ بَيْتِكَ إِنْ سَمِعْتَ بِفِتْنَةٍ وَتَــوَقَّ كُــلَّ مُـنَـافِـقٍ فَتَّانِ

قوله:(**كُنْ حِلْسَ بَيْتِكَ**) بكسر الحاء أي: لا تبرح ولا تزل عنه والحلس في الأصل: بساط يبسط في البيت تحت خيار الثياب والجمع إحلاس وحلوس وحلسة .

وقد أشار إلى ذلك رسولنا الكريم -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- حين سئل ما النجاة؟ قال:« أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك» . [١]

الشاهد: قوله: «وليسعك بيتك» .

وقال -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- :«إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع أمر العوام» .

قوله:(**إِنْ سَمِعْتَ بِفِتْنَةٍ**) المراد: عند افتتان المسلمين ببعضهم فإن الفرار من الفتن سبيل من سبل النجاة ففي القرآن الكريم: ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الكهف: ١٦] .

قال الإمام ابن كثير -رَحِمَهُٱللَّهُ- عند تفسيره لهذه الآية:«وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس أن يفر العبد منهم خوفا على دينه» ، إلى أن قال:«ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس ولا تشرع فيما عداها » اهـ.

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني .

وفي السُّنَّة يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » .(١)

وقال عليه الصلاة والسلام :«ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم خير ما الماشي والماشي خير من الساعي فمن استشرف لها استشرفته فمن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ» .(٢)

وقال عليه الصلاة والسلام :«وهجرة في الهرج (٣) ؛ كهجرة إليَّ » .(٤)

فالسلامة من الفتن اعتزالها والإبتعاد عنها كما اعتزل فريق من أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الفتنة التي جرت بين علي ومعاوية-رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- فكانوا أسعد الناس .

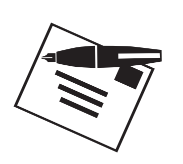
قوله:(**وَتَوَقَّ**) أي: قِ نفسك .

قوله:(**كُلَّ مُنَافِقٍ**) المنافق: من أظهر الإسلام وأبطن الكفر ولا شك أن وقاية المنافق آكد من وقاية من كفره ظاهر صريح كونه متلبسا بالإسلام ومتسترا بالصلاح فبهذا الزخرف يخدع ويضل أكثر ممن وضح كفره قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾** ﴾ [البقرة : ٢٠٤-٢٠٥] .

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- :﴿ **۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾** ﴾ [المنافقون: ٤] .

---

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه البخاري ومسلم
(٣) الهرج: الفتنة والاقتتال
(٤) رواه مسلم



ولله در القائل:

في زخرف القول تزيين لباطله والحق قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا أجاج النحل تمدحه وإن ذممت فقل قيئ الزنابير

قوله:(**فَتَّانِ**) صيغة مبالغة على وزن فعال: أي: كثير الفتنة كما وكيفا .

وأهل النفاق أكثر الناس فتن وفساد والتاريخ خير شاهد ودليل .

٢٨٥ أَدِّ الْفَرَائِضَ لاَ تَكُنْ مُتَوَانِيًا فَتَكُونَ عِنْدَ اللهِ شَرَّ مُهَانِ

قوله:(**أَدِّ**) أي: قم بالأداء وفق ما جاء به الشرع كما وكيفا زمانا ومكانا سببا ووصفا .

قوله: (**الْفَرَائِضَ**) جمع فريضة والفرض: ما أمر به الشارع على وجه الإلزام[١]، بالفعل كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك وهو مرادف للواجب ولعل المراد بالفرائض هنا الصلوات الخمس المفروضات .

قوله : (**لاَ تَكُنْ مُتَوَانِيًا**) المتواني : المتكاسل المتساهل .

والمعنى : احذر التكاسل عن القيام بالفرائض وتأخيرها عن وقتها فإن ذلك آية النفاق قال الله في شأن المنافقين : ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢ ﴾ [النساء:١٤٢].

قوله : (**فَتَكُونَ عِنْدَ اللهِ**) أي : فتصير منزلتك عند الله -سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ- .

قوله :(**شَرَّ مُهَانِ**) أي: ذليل حقير غير مكرم وإذا أهان الله عبده فمن ذا

---

(١) الأصول من علم الأصول .

الذي يكرمه .

قال -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ [الحج:١٨] .

٢٨٦ أَدِمِ السِّوَاكَ مَعَ الْوُضُوءِ فَإِنَّهُ مُرْضِي الإِلَـهِ مُطَهِّرُ الأَسْنَانِ

قوله:(**أَدِمِ السِّوَاكَ**) أي: داوم وحافظ على السواك .

والسواك: بكسر السين عود الأراك أو نحوه مما يذهب صفرة الأسنان ورائحة الفم .

وحكمه: سُنَّة مؤكدة عند الجمهور وقيل: بوجوبه . [١] وقد جاء في فضله ما يربوا على مائة حديث » . [٢] .

قوله:(**مَعَ الْوُضُوءِ**) أي: أثناء الوضوء وأحسنه قبل: الشروع فيه وهذا ما حث عليه رسولنا الكريم -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء » . [٣]

قوله:(**فَإِنَّهُ مُرْضِي الإِلَهِ مُطَهِّرُ الأَسْنَانِ**) هاتان فائدتان من فوائد السواك:

الأولى: سبب لإرضاء الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- .

الثانية: وسيلة لطهارة الفم .

وهاتان الفائدتان قد أخبر بهما -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- بقوله: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب» . [٤]

---

(١) سبل السلام (١/ ٩٤) .
(٢) سبل السلام (١/ ٩٤) .
(٣) رواه مالك وأحمد والنسائي والبخاري معلقا من حديث أبي هريرة -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- والمعلق ما سقط من أول اسناده راو فأكثر .
(٤) رواه البخاري معلقا .



واعلم رحمك الله أن السواك سُنَّة من سنن المرسلين .

٢٨٧ سَمِّ الإِلَهَ لَدَى الْوُضُوءِ بِنِيَّةٍ ثُمَّ اسْتَعِذْ مِنْ فِتْنَةِ الْوَلْهَانِ

قوله:(**سَمِّ الإِلَهَ**) أي: قل باسم الله .

والإله : اسم من أسمائه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- علم على الذات الإلهية وإنما حذفت الهمزة في لفظ الجلالة (الله) تخفيفا لكثرة استعمالها .

والإله : من ألهته القلوب محبة وتعظيما .

قوله: (**لَدَى الْوُضُوءِ**) أي : عند بداية الوضوء

والوضوء : يعني : التعبد لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بغسل أعضاء الوضوء الأربعة بنية رفع الحدث واستباحة الصلاة .

قوله (**بِنِيَّةٍ**) النية : القصد والإرادة وتعد عمل من أعمال القلوب ، والمعنى المراد :استحضار النية عند الوضوء قاصدا به رفع الحدث واستباحة الصلاة .

واعلم وفقك الله أن التسمية واجبة على المشهور من مذهب الحنابلة وذهب الموفق -رَحِمَهُ اللَّهُ- إلى أنها ليست بواجبة بل سُنَّة لأن الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللَّهُ- قال: (لا يثبت في هذا الباب شيء) وحديث « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله» ضعيف .(١)

وعليه : فالتسمية سُنَّة على الصحيح في حق من ذكر وإليه ذهبت الشافعية والحنفية ويؤول حديث النفي «ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله» بنفي كمال الوضوء (أي : لا وضوءا كاملاً) لا بنفي كامله والفرق بين نفي الكامل والكمال جلي واضح

(١) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه بإسناد ضعيف .

قوله:(**ثُمَّ اسْتَعِذْ**) ثم في اللغة تفيد الترتيب مع التراخي ، والإستعاذة : تعني: الإلتجاء إلى الله والإعتصام به -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- من كيد الشيطان ومكره ووسواسه.

قوله:(**مِنْ فِتْنَةِ الْوَلْهَانِ**) -بفتح الواو- وهو: شيطان يغري بكثرة صب الماء في الوضوء .

٢٨٨ فَأَسَاسُ أَعْمَالِ الْوَرَى نِيَّاتُهُمْ وَعَلَى الأَسَاسِ قَوَاعِدُ الْبُنْيَانِ

قوله :(**فَأَسَاسُ**) أساس الشيء : قاعدته .

قوله :(**أَعْمَالِ الْوَرَى**) أي : أعمال الناس .

قوله :(**نِيَّاتُهُمْ**) سبق بيانه في البيت السابق .

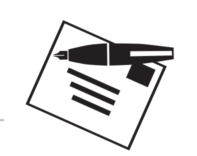
قوله :(**وَعَلَى الأَسَاسِ**) أي : القاعدة .

قوله :(**قَوَاعِدُ الْبُنْيَانِ**) القواعد : جمع قاعدة والقاعدة من البناء أساسه ، والبنيان من البناء ولا شك أن النية عليها مدار الأعمال صحة وفسادا قبولا وردا لحديث « إنما الأعمال بالنيات ،... » .(١)

٢٨٩ أَسْبِغْ وُضُوءَكَ لاَ تُفَرِّقْ شَمْلَهُ فَالْفَوْرُ وَالإِسْبَاغُ مُفْتَرَضَانِ

قوله :(**أَسْبِغْ وُضُوءَكَ**) أي: أتم وضوءك وقد سبق معنى الوضوء في البيت الذي مضى ولا شك أن إتمام الوضوء له فضل عظيم كما في الحديث الصحيح عن النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ ، قالوا : بلى يا رسول الله قال : إسباغ الوضوء على المكاره

(١) رواه البخاري ومسلم .



وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط» .[١]

قوله :(**لاَ تُفَرِّقْ شَمْلَهُ**) أي : لا تفرق اجتماعه والمراد بذلك الموالاة بين أعضاء الوضوء.

والموالاة : أن لا يؤخر غسل عضو الوضوء حتى ينشف الذي قبله.

وقيل : في حكم الموالاة أنها : سُنَّة وقيل : فرض وقيل : شرط.

قوله :(**فَالْفَوْرُ**) أي : المتابعة في غسل أعضاء الوضوء.

قوله :(**وَالإِسْبَاغُ**) أي : الإتمام.

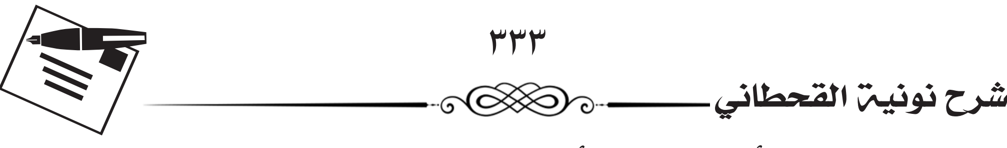
قوله :(**مُفْتَرَضَانِ**) أي : واجبان وقد سبق معنى الفرض والواجب عند الأصوليين في البيت رقم (٢٨٥) .

٢٩٠ فَإِذَا انْتَشَقْتَ فَلاَ تُبَالِغْ جَيِّدًا لَـكِـنَّـهُ شَـمٌّ بِـلاَ إِمْـعَـانِ

قوله :(**فَإِذَا انْتَشَقْتَ**) أي : أدخلت الماء في أنفك وجذبته بالنفس إلى أقصاه لينزل ما في الأنف.

قوله :(**فَلاَ تُبَالِغْ جَيِّدًا**) بمعنى : احذر المبالغة في الإستنشاق ولعل مراده -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- المبالغة الزائدة التي يحصل بها تضرر الأنف أو كان في المتوضئ جيوب أنفيه بحيث لو بالغ في الاستنشاق احتقن الماء بهذه الجيوب وآلمه أو فسد الماء وأدى إلى صديد ونحوه ففي هذه الحال نقول له : لا تبالغ درء للضرر عن نفسك وإنما جاءت الشريعة بجلب المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- .



وإنما قلنا ذلك لأن من المعلوم أن الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد حث المتوضئ على المبالغة في الاستنشاق ما لم يكن صائما فعن لقيط بن صبرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال :« وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائما» .[١]

قوله :(**لَكِنَّهُ شَمٌّ بِلاَ إِمْعَانِ**) أي : بلا مبالغة مضرة

٢٩١ وَعَلَيْكَ فَرْضًا غَسْلُ وَجْهِكَ كُلِّهِ وَالْمَـاءُ مُتَبَّعٌ بِـهِ الْجُـفْـنَـانِ

قوله :(**وَعَلَيْكَ**) اسم فعل أمر بمعنى: الزم ؟.

قوله :(**فَرْضًا**) سبق بيان معنى الفرض في البيت رقم (٢٨٥) .

قوله :(**غَسْلُ وَجْهِكَ كُلِّهِ**) حد الوجه : من منابت شعر الرأس إلى الذقن طولا ومن الأذن إلى الأذن عرضا هذا واحد من فروض الوضوء(غسل الوجه) ودليله قول الله:﴿ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ [المائدة :٦] .

قوله:(**وَالْمَاءُ مُتَّبَعٌ بِهِ الْجُفْنَانِ**) بفتح الجيم والجفن هو: غطاء العين من أعلاها ومن أسفلها .

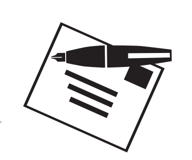
والمراد: أن تحرص على وصول الماء إلى الجفنين فتتبعهما بالماء .

٢٩٢ وَاغْسِلْ يَدَيْكَ إِلَى الْمَرَافِقِ مُسْبِغًا فَكِلاَهُمَا فِي الْغَسْلِ مَدْخُولاَنِ

قوله:(**وَاغْسِلْ يَدَيْكَ إِلَى الْمَرَافِقِ**) وهذا هو الفرض الثاني من فروض الوضوء(غسل اليدين إلى المرفقين) ودليله قول الله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾[المائدة :٦] .

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٩٢٧) .



والمرفقان داخلان في الغسل بدلالة السُّنَّة فعن أبي هريرة -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- أنه توضأ حتى شرع في العضد وقال: «هكذا رأيت النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- يفعل».(١)

وكذلك روي عنه -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- : «أنه توضأ فأدار الماء على مرفقيه».(٢)

قوله: (**مُسْبِغًا**) أي: متما ومكملا.

قوله: (**فَكِلاَهُمَا**) أي: المرفقان.

قوله: (**فِي الْغَسْلِ مَدْخُولاَنِ**) أي: داخلان في الغسل.

٢٩٣ وَامْسَحْ بِرَأْسِكَ كُلِّهِ مُسْتَوْفِيًا ... وَالْمَاءُ مَمْسُوحٌ بِهِ الأُذُنَانِ

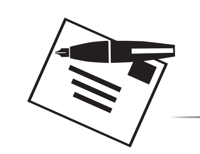
قوله: (**وَامْسَحْ بِرَأْسِكَ**) وهذا هو الفرض الثالث من فروض الوضوء ودليله قول الله: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾[المائدة:٦].

وتعبير الناظم -رَحِمَهُٱللَّهُ- بالمسح هو تعبير القرآن الذي يفيد عدم الغسل وهذا من تخفيف الله على عباده لأن الغالب أن الرأس فيه شعر فيبقى الماء في الشعر فيتأذى به الإنسان لا سيما في أيام الشتاء.(٣)

ويمسح رأسه مسحة واحدة قال ابن المنذر -رَحِمَهُٱللَّهُ- :«إن الثابت عن النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- في المسح مرة واحدة».(٤)

قوله: (**كُلِّهِ مُسْتَوْفِيًا**) أي: مستغرقا جميع الرأس فلا يقتصر على جزأ منه وهذا هو الثابت عن رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- كما روى الجماعة: «مسح رأسه بيده فأقبل بهما وأدبر بمقدم رأسه ثم ذهب إلى قفاه ثم ردهما إلى المكان الذي

(١) رواه مسلم.
(٢) صحيح صححه الألباني.
(٣) الشرح الممتع (١/ ١٤٤).
(٤) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (١/ ٤٠).



بدء منه ». [١]

وقد اتفق العلماء على وجوب مسح الرأس واتفقوا على استحباب مسح جميعه ولكن اختلفوا هل يجزئ مسح بعضه أو لا بدلا من مسحه كله .

فذهب الثوري والأوزاعي وأبو حنيفة والشافعي إلى جواز الاقتصار على بعضه واستدلوا بالآية: ﴿ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ ﴾ على أن الباء للتبعيض وبما رواه مسلم بلفظ أنه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- :« توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة» . [٢]

وذهب أحمد ومالك إلى وجوب استيعابه كله وهو الصواب الذي لا مندوحة عنه والذي تؤيده اللغة والشرع . [٣]

قوله:(**وَالْمَاءُ مَمْسُوحٌ بِهِ الأُذُنَانِ**) أي: ومما فضل من ماء الرأس يمسح به الأذنان ولا يحتاج إلى ماء جديد إلا إن جف الماء من أصابع اليدين فلك أن تأخذ ماء جديدا وذلك لأن الأذنين من الرأس هذا أولا .

وثانيا:لبوته عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- :«أنه كان يمسح الرأس مع الأذنين». [٤]

ومسح الأذنين سُنَّة من سنن الوضوء .

٢٩٤ وَكَذَا التَّمَضْمُضُ فِي وُضُوئِكَ سُنَّةٌ   بِالْمَاءِ ثُمَّ تَمُجُّهُ الشَّفَتَانِ

قوله:(**وَكَذَا التَّمَضْمُضُ**) المضمضة: أن يدخل الماء في فمه ثم يديره ثم يمجه وهذه هي صفة الكمال .

قوله:(**فِي وُضُوئِكَ سُنَّةٌ**) أي: غير واجب وهذا ما ذهب إليه أبو حنيفة

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) انظر تيسير العلام (١/ ٣٦) وما بعدها .
(٤) رواه البخاري .



ومالك والشافعي وسفيان وغيرهم .

والمشهور عند أحمد الوجوب وهذا مذهب ابن أبي ليلى وإسحاق وهو الصحيح بدليل قوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- :﴿ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ والفم والأنف من الوجه، وبالأحاديث الكثيرة الصحيحة من صفة فعله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأمره بذلك .

قوله :(**بِالْمَاءِ**) أي : التمضمض بالماء .

قوله:(**ثُمَّ تَمُجُّهُ الشَّفَتَانِ**) أي : ترميه الشفتان .

٢٩٥ وَالْوَجْهُ وَالْكَفَّانِ غَسْلُ كِلَيْهِمَا فَرْضٌ وَيَدْخُلُ فِيهِمَا الْعَظْمَانِ

هذا البيت بين فيه الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- حكم غسل الوجه واليدين بما فيهما عظمي المرفقين أنهما فرضان واجبان بدلالة الكتاب والسُّنَّة والإجماع.

فأما دلالة الكتاب فقوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة :٦] .

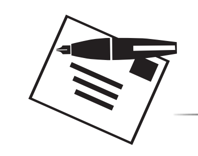
وأما دلالة السُّنَّة : فمن فعله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في الصحيحين وغيرهما.

وأما دلالة الإجماع : فقد اتفق السلف والخلف قاطبة على فرضيتهما .

٢٩٦ غَسْلُ الْيَدَيْنِ لَدَى الْوُضُوءِ نَظَافَةٌ أَمَرَ النَّبِيُّ بِهَا عَلَى اسْتِحْسَانِ

قوله:(**غَسْلُ الْيَدَيْنِ**) المراد بهما غسل الكفين إلى الرسغين .

قوله:(**لَدَى الْوُضُوءِ**) أي : قبل الوضوء .



قوله:(**نَظَافَةٌ**) أي : من الطهارة المستحبة .

قوله:(**أَمَرَ النَّبِيُّ بِهَا عَلَى اسْتِحْسَانِ**) أي : أن الأمر بغسلهما قبل الشروع في الوضوء على سبيل الإستحباب لا على سبيل الإيجاب هذا ما ظهر لي من معنى -والله أعلم- .

٢٩٧ سِيمَا إِذَا مَا قُمْتَ فِي غَسَقِ الدُّجَى وَاسْتَيْقَظَتْ مِنْ نَوْمِكَ الْعَيْنَانِ

قوله:(**سِيمَا**) تساوي: لا سيما والمعنى: وبخاصة .

قوله:(**إِذَا مَا قُمْتَ فِي غَسَقِ الدُّجَى**) أي: إذا ما قمت من نوم اليل .

والغسق – بفتحتين – ظلمة أول اليل يقال: غسق اليل: إذا اشتدت ظلمته.

قوله:(**وَاسْتَيْقَظَتْ مِنْ نَوْمِكَ الْعَيْنَانِ**) أي: عند الاستيقاظ من نوم اليل .

والمستفاد من هذا البيت أن غسل اليدين إلى الرسغين يتأكد استحبابهما عند الاستيقاظ من نوم اليل .

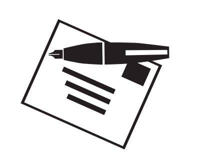
٢٩٨ وَكَذَلِكَ الرِّجْلاَنِ غَسْلُهُمَا مَعًا فَرْضٌ وَيَدْخُلُ فِيهِمَا الْكَعْبَانِ

قوله:(**وَكَذَلِكَ الرِّجْلاَنِ غَسْلُهُمَا مَعًا فَرْضٌ**) أي: أن غسل الرجلين فرض رابع من فروض الوضوء بدلالة الكتاب والسُّنَّة .

فمن الكتاب فقوله– سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى –:﴿ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة :٦].

وأما من السُّنَّة فمن فعله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كما في الصحيحين وغيرهما .

قوله:(**وَيَدْخُلُ فِيهِمَا الْكَعْبَانِ**)أي:ويدخل في غسل الرجلين غسل الكعبين.



والكعبان هما: العظمان الناتئان عند ملتقى الساق والقدم وفي كل قدم كعبان عن يمنتها وعن يسرتها والعامة تسمى العقب كعبا .[١]

وعليه: فحد غسل الرجل إلى الكعبين .

٢٩٩ لاَ تَسْتَمِعْ قَوْلَ الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ   مِنْ رَأْيِهِمْ أَنْ تُمْسَحَ الرِّجْلاَنِ

قوله:(**لاَ تَسْتَمِعْ**) أي: احذر أن تسمع .

قوله:(**قَوْلَ الرَّوَافِضِ**) سبق أن بينا من هم الروافض في البيت رقم(١٣١).

قوله:(**إِنَّهُمْ مِنْ رَأْيِهِمْ**) أي: من ضمن أرآئهم القائمة على قاعدة الهوى .

قوله:(**أَنْ تُمْسَحَ الرِّجْلاَنِ**)أ هذا واحد من أرآئهم الباطلة مسح الرجلين إلى الكعبين الناتئين على ظهر القدم لا غسلهما آخذون بقراءة المسح وأهدروا القراءة الثانية أذلهم الله .[٢]

٣٠٠ يَتَأَوَّلُونَ قِرَاءَةً مَنْسُوخَةً   بِقِرَاءَةٍ وَهُمَا مُنَزَّلَتَانِ

قوله:(**يَتَأَوَّلُونَ**)يتأولون(من التأويل وهو: التفسير .

قوله:(**قِرَاءَةً مَنْسُوخَةً**)قراءة منسوخة(النسخ لغة: الإزالة أو النقل يقال: نسخت الشمس الظل أي: أزالته .

ويقال: نسخت الكتاب أي: نقلته .

اصطلاحا: رفع حكم شرعي أو لفظه بدليل شرعي آخر متراخ عنه .[٣]

(١) المعجم الوسيط (ص ٧٩٠).
(٢) الشرح الممتع (١/ ١٤٥).
(٣) الشرح الممتع (١/ ١٤٥).



والمراد: أن الروافض يتأولون قراءة:(وأرجلكم) بالفتح أنها منسوخة .

قوله:(**بِقِرَاءَةٍ**) أي: بقراءة:(وأرجلكم) بالكسر أنها ناسخة .

قوله:(**وَهُمَا مُنَزَّلَتَانِ**) أي: والقراءتان (وأرجلَكُم) -بالفتح-، (وأرجلِكُم) - بالكسر- قراءتان سبعيتان متواترتان .

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : (.....أن القرائتين) تنزل كل واحد منهما على حال من أحوال الرجل وللرجل حالان :

الأول: أن تكون مكشوفة وهنا يجب غسلها .

الثاني: أن تكون مستورة بالخف فيجب مسحها .

فتنزل القراءتان على حال الرجل والسُّنَّة بينت ذلك .ا هـ ..[1]

٣٠١ إِحْدَاهُمَا نَزَلَتْ لِتَنْسَخَ أُخْتَهَا لَكِنْ هُمَا فِي الصُّحْفِ مُثْبَتَتَانِ

قوله : (**إِحْدَاهُمَا**) أي: إحدى القرأتين وهي: القراءة بـ -الكسر- (وأرجلِكُم) المراد منها المسح عطفا على الرأس .

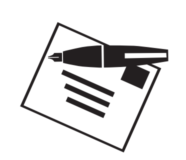
قوله:(**نَزَلَتْ لِتَنْسَخَ أُخْتَهَا**) أي: لتنزيل حكم القراءة بالفتح (وأرجلكم) المراد منها الغسل عطفا على الوجه .

وهذا كله من تأويل الروافض وهو تأويل فاسد الاعتبار .

قوله:(**لَكِنْ هُمَا**) أي: قراءة الفتح وقراءة الكسر .

قوله:(**فِي الصُّحْفِ مُثْبَتَتَانِ**) أي: في القرآن الكريم ثابتتان متواترتان لا يصح قول أن أحدهما ناسخة والأخرى منسوخة .

(١) الشرح الممتع (١/ ١٤٥).



٣٠٢غَسَلَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ أَقْدَامَهُمْ لَمْ يَخْتَلِفْ فِي غَسْلِهِمْ رَجُلَانِ

قوله:(**غَسَلَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ أَقْدَامَهُمْ**) أي: أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه غسلوا أقدامهم في الوضوء كما في الصحيحين عن حمران مولى عثمان أنه رأى عثمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- دعا بوضوء» .[١] وفيه:«...ثم غسلا كلتا رجليه ثلاثا ثم قال: رأيت النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- توضئ نحو وضوئي هذا وقال:«من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه» .[٢]

وعن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه توضأ فغسل ذراعيه حتى أشرع في العضد ورجليه حتى أشرع في الساق ، وقال:« هكذا رأيت النبي-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يفعل».[٣]

قوله:(**لَمْ يَخْتَلِفْ فِي غَسْلِهِمْ رَجُلَانِ**) أي: أن غسل الرجلين إلى الكعبين محل اتفاق بين المسلمين سلفا وخلفا .

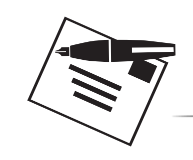
٣٠٣وَالسُّنَّةُ الْبَيْضَاءُ عِنْدَ أُوْلِي النُّهَى فِي الْحُكْمِ قَاضِيَةٌ عَلَى الْقُرْآنِ

قوله:(**وَالسُّنَّةُ**) أي: سيرته-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهديه وقوله ومعتقده وإقراراته.

قوله:(**الْبَيْضَاءُ**) أي: المشرقة الصافية النقية .

قوله:(**عِنْدَ أُوْلِي النُّهَى**) أي: لدى أهل الفضل والعلم والحلم .

(١) فائدة: فرق بين(الوَضُوء) بالفتح (والوُضُوء) بالضم فهو بالفتح يعني: الماء وبالضم يعني: الصفة أعني صفة الوضوء .
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) رواه مسلم .



قوله:(فِي الْحُكْمِ) أي: في أحكام الشريعة .

قوله:(قَاضِيَةٌ) من القضاء: وهو: الحكم والفصل في الشيء .

قوله:(عَلَى الْقُرْآنِ) أي: أنها مبينة لمبهمه، ومفصلة لمجمله، ومخصصة لعامه، ومقيدة لمطلقه، وناسخة لبعض أحكامه وألفاظه .

قال الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[النحل:٤٤] .

٣٠٤ فَإِذَا اسْتَوَتْ رِجْلاكَ فِي خُفَّيْهِمَا وَهُمَا مِنَ الأَحْدَاثِ طَاهِرَتَانِ

قوله:(فَإِذَا اسْتَوَتْ) أي: استقرت .

قوله:(رِجْلاكَ فِي خُفَّيْهِمَا) الخف –بالضم– النعل الساتر للكعب من الجلد والجمع أخفاف .

قوله:(وَهُمَا مِنَ الأَحْدَاثِ) الأحداث: جمع حدث –بفتحتين– وهو: الحالة الناقضة للطهارة شرعا .

قوله:(طَاهِرَتَانِ) من الخبث .

٣٠٥ وَأَرَدتَّ تَجْدِيدَ الطَّهَارَةِ مُحْدِثًا فَتَمَامُهَا أَنْ يُمْسَحَ الْخُفَّانِ

قوله:(وَأَرَدتَّ تَجْدِيدَ الطَّهَارَةِ مُحْدِثًا)أي:أردت الوضوء بعد حدث أصغر.

قوله:(فَتَمَامُهَا) أي: تمام الطهارة.حيث لا يصح أن يكون وضوء إلا بإتمامها.

قوله (أَنْ يُمْسَحَ الْخُفَّانِ) أي :أن تمسح على ظاهر الخفين أو الجوربين



وصفة المسح : أن تبلل يدك بالماء ناويا بذلك المسح إتمام الطهارة ثم تضع يدك اليمنى على أطراف أصابع رجلك اليمنى واليسرى على أطراف أصابع رجلك اليسرى ثم تمر بهما على أعلى الخف في وقت واحد .

٣٠٦ وَإِذَا أَرَدتَّ طَـهَـارَةً لِجَنَابَةٍ   فَلْتُخْلَعَا وَلْتُغْسَلِ الْقَدَمَانِ

قوله :(**وَإِذَا أَرَدتَّ**) المخاطب هنا المريد للطهارة .

قوله:(**طَهَارَةً لِجَنَابَةٍ**) الجنب : هو من خرج منه المني دفقا بلذة سواء كان بجماع أو مباشرة أو احتلام أو استمناء ومنه قول الله: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴾[الطارق:٥-٦] .

قوله:(**فَلْتُخْلَعَا**) أي : الخفين أو الجوربين أو هما معا.

قوله:(**وَلْتُغْسَلِ الْقَدَمَانِ**) أي : أنه لا يجزئ مسح الخفين في حق الجنب بل يجب الغسل تبين مما سبق في الثلاث الأبيات الماضية أن للمسح على الخفين شروط وهي :

١- أن يكون المسح من حدث أصغر كالبول والغائط والريح .

٢- أن يكونا الخفان أو الجوربان طاهرين .

٣- أن يكونا الخفان أو الجوربان مباحين .

٤- أن يكونا الخفان أو الجوربان ساترين للمفروض مسحه .

٥- أن يدخلا رجلاه على طهارة .

٦- أن يكون في المدة المحددة شرعا وهي يوم وليلة للمقيم وثلاثة أيام بلياليهن للمسافر .

٣٠٧غُسْلُ الجُنَابَةِ فِي الرِّقَابِ أَمَانَةٌ فَأَدَاؤُهَا مِنْ أَكْمَلِ الإِيمَانِ

قوله:(**غُسْلُ الجُنَابَةِ**) سبق في البيت الماضي بيان معنى الجنب.

قوله :(**فِي الرِّقَابِ أَمَانَةٌ**) أي : أن الغسل من الجنابة واجب وأمانة يلزم أداؤها دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة .

فأما دلالة الكتاب فقوله– سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى –: ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ ﴾ [المائدة٦].

وأما دلالة السُّنَّة فمنها ما جاء في الصحيحين أن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل» ، وفي لفظ لمسلم : «وإن لم ينزل » .(١)

قوله :(**فَأَدَاؤُهَا**) أي :تلك الأمانة والمعني بها هنا الغسل من الجنابة .

قوله :(**مِنْ أَكْمَلِ الإِيمَانِ**) أي : من الإيمان الكامل ، ولا شك أن الطهارة من الإيمان كما في الحديث الصحيح « الطهور شطر الإيمان» .(٢)

٣٠٨فَإِذَا ابْتُلِيتَ فَبَادِرَنَّ بِغُسْلِهَا لاَ خَيْرَ فِي مُتَثَبِّطٍ كَسْلاَنِ

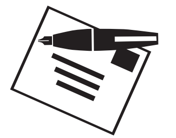
قوله :(**فَإِذَا**) إذا هنا شرطية .

قوله:(**ابْتُلِيتَ**) هذا فعل الشرط والمعنى : إذا أجنبت.

قوله :(**فَبَادِرَنَّ بِغُسْلِهَا**) وهذا جواب الشرط والمعنى عجل بالغسل ولا تتوانى وذلك لأن صيغة الأمر تقتضي المبادرة بفعله فورا لقوله – جَلَّ وَعَلَا –:

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – .



﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣]. وقوله : ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة:١٤٨].

قوله:(**لاَ خَيْرَ فِي مُتَثَبِّطٍ كَسْلاَنِ**) أي : متوان متثاقل.

٣٠٩ وَإِذَا اغْتَسَلْتَ فَكُنْ لِجِسْمِكَ دَالِكًا حَتَّى يَعُمَّ جَمِيعَهُ الْكَفَّانِ

قوله:(**وَإِذَا اغْتَسَلْتَ**) أي : قمت بفرض الغسل من الجنابة

قوله :(**فَكُنْ لِجِسْمِكَ دَالِكًا**) هذا وصف من أوصاف الغسل وهو دلك الجسم أثناء الغسل والدلك واجب في مذهب مالك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- والصحيح أنه سُنَّة وهو ما رجحه الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في البيت رقم (١١٢) .

والمدالكة : المعاركة .

قوله :(**حَتَّى يَعُمَّ**) أي : يشمل .

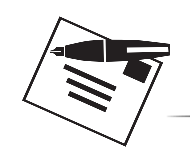
قوله:(**جَمِيعَهُ**) أي : جميع الجسد .

قوله:(**الْكَفَّانِ**) أي : دلكا بالكفين لا سيما معاطف الجسد ومغابنه كالإبطين ومعاطف الركبتين والسرة وباطن القدمين ونحو ذلك .

واعلم رحمك الله أن للغسل صفتين :

الأولى : صفة الإجزاء : وذلك بتعميم البدن بالماء بنية رفع الحدث تعبدًا لله -جَلَّ وَعَلَا- .

الثانية : صفة الكمال : أن ينوي رفع الحدث الأكبر تعبدا لله قائلا : باسم الله ثم يغسل كفيه ثلاثا ، ثم يستنجي فيغسل ما بفرجيه وما حولهما من أذى ، ثم يتوضأ كوضوئه للصلاة إلا رجليه ، فله أن يغسلهما أو يؤخرهما إلى الفراغ من



غسله ، ثم يغمس كفيه في الماء فيخلل بهما أصول شعر رأسه ، ثم يغسل رأسه مع أذنيه ثلاث مرات بثلاث غرفات ، ثم يفيض الماء على شقه الأيمن يغسله بذلك من أعلاه إلى أسفله ، ثم الأيسر كذلك مع الدلك ، وتتبع أماكن الغسل الخفية كالسرة وتحت الإبطين ومعاطف الركبتين ونحوها .(١)

٣١٠ وَإِذَا عَدِمْتَ الْمَاءَ كُنْ مُتَيَمِّمًا مِنْ طِيبِ تُرْبِ الأَرْضِ وَالْجُدْرَانِ

قوله :(**وَإِذَا عَدِمْتَ الْمَاءَ**) أي: فقدته هذا يعد واحد من أسباب التيمم لقوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[المائدة : ٦] .

والثاني : إذا كان في حكم المفقود كأن يكون الماء في بئر لا يستطيع استخراجه

والثالث : عدم القدرة على استعماله كأن يكون في الجسد قروح أوفي أعضاء الوضوء أو في آحادها يزيدها الماء ضررا أو يؤخر برأها هذه هي أسباب التيمم إذا وجدت واحدة منها شرع التيمم للحدث الأكبر والأصغر

قوله:(**كُنْ مُتَيَمِّمًا**) التيمم لغة : القصد .

شرعا : التعبد لله- جَلَّ وَعَلَا- بقصد الصعيد الطيب لمسح الوجه واليدين به .

والصعيد : التراب الصاعد على وجه الأرض

قوله :(**مِنْ طِيبِ تُرْبِ الأَرْضِ**) يعني : من تراب الأرض الطاهر لقوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة : ٦] .

قوله:(**وَالْجُدْرَانِ**) أي : من تراب الجدران العالق بها وعليه: فالتراب بدل عن أصل وهو الماء والقاعدة الشرعية تقول:)البدل له حكم المبدل(فكما أن طهارة الماء ترفع الحدث الأصغر والأكبر فكذلك طهارة التيمم تقوم مقام الماء

(١) الشرح الممتع (١/ ٢١٩) .



حتى يجده وكما أن التيمم له أصل في القرآن الكريم فله أصل في السُّنَّة المطهرة من ذلك حديث عمران بن الحصين الطويل .(١)

وقوله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- للرجل الذي أصابته جنابة ولا ماء : « عليك بالصعيد فإنه يكفيك» .(٢)

ولما جاء الماء قال -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- قال : «خذ هذا وأفرغه عليك» .(٣)

وقوله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- : «الصعيد الطاهر وضوء المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين فإذا وجده فليتق الله وليمسه بشرته» .(٤)

٣١١ مُتَيَمِّمًا صَلَّيْتَ أَوْ مُتَوَضِّئًا فَكِلاَهُمَا فِي الشَّرْعِ مُجْزِيَتَانِ

قوله:(**مُتَيَمِّمًا صَلَّيْتَ أَوْ مُتَوَضِّئًا**) يعني: إن صليت بالتيمم عند سببه الذي سبق ذكره أو صليت متوضئا بالماء فالصلاة صحيحة مجزية كما أشار إلى ذلك في عجز هذا البيت .

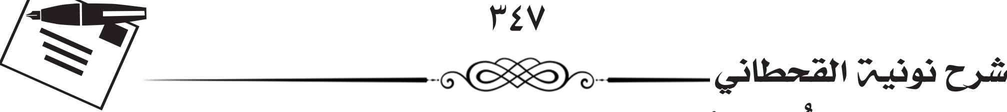
قوله (**فَكِلاَهُمَا فِي الشَّرْعِ مُجْزِيَتَانِ**) أي : كافيتان مغنيتان.

٣١٢ وَالْغُسْلُ فَرْضٌ وَالتَّدَلُّكُ سُنَّةٌ وَهُمَا بِمَذْهَبِ مَالِكٍ فَرْضَانِ

قوله (**وَالْغُسْلُ فَرْضٌ**) أي : أن تعميم البدن بالماء من الجنابة فرض واجب وسبق أدلة ذلك في) البيت رقم (٣٠٧) .

---

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه البخاري .
(٣) رواه البخاري ومسلم .
(٤) رواه أبو داود والترمذي وأحمد وصححه الألباني .



قوله (**وَالتَّدَلُّكُ سُنَّةٌ**) أي : أن دلك الجسد باليدين سُنَّة والمراد بالسُّنَّة هنا ما ليس بواجب .

قوله(**وَهُمَا**) أي : تعميم البدن بالماء ودلكه .

قوله (**بِمَذْهَبِ مَالِكٍ فَرْضَانِ**) أي : أن مالك ابن أنس -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- إمام المذهب المالكي يرى أن الغسل ودلك الجسد أثناء الإغتسال فرض واجب.

٣١٣وَالْمَـاءُ مَا لَمْ تَسْتَحِلْ أَوْصَافُهُ بِنَجَاسَةٍ أَوْ سَائِرِ الأَدْهَـانِ

قوله: (**وَالْمَاءُ مَا لَمْ تَسْتَحِلْ**) أي: ما لم تتغير

قوله: (**أَوْصَافُهُ**)أي: أحد أوصافه الثلاثة وهي(اللون ، والطعم ، والريح).

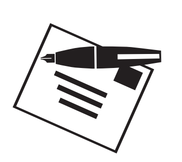
قوله : (**بِنَجَاسَةٍ**) أي : بما ينجسه من النجاسات المعلومة شرعا كالبول والغائط ولعاب الكلب وما شابه ذلك . أما إن تغير أحد أوصافه الآنفة بغير نجاسة كأن يتغير بطول مكثه فهو باق على طهوريته لقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «إن الماء طهور لا ينجسه شيء» . [١]

واختلف العلماء في الماء الذي أصابته نجاسة هل هو باق على طهوريته أو تنجس؟ فإن كان متغيرا بنجاسة فإن الإجماع منعقد على نجاسته قليلا كان أو كثيرًا.

قال ابن المنذر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « أجمع العلماء على أن الماء القليل والكثير إذا وقعتا فيه نجاسة فغيرت له لونا أو طعما أو ريحا فهو نجس فالإجماع هو الدليل على نجاسة ما تغير أحد أوصافه» . [٢]

---

(١)رواه أبو داود والترمذي وأحمد وصححه الألباني .
(٢)) سبل السلام (١/ ٤٧) .



وإن كان غير متغير بنجاسة وهو كثير فالإجماع -أيضًا- على طهورته .

وإن كان غير متغير بنجاسة وهو قليل فذهب أبو هريرة وابن عباس والحسن البصري وابن المسيب والثوري وداود ومالك والبخاري إلى عدم تنجسه وقد سرد البخاري عدة أحاديث ردا على من قال إنه نجس .

وذهب ابن عمر ومجاهد والحنفية والشافعية والحنابلة إلى أنه تنجس بمجرد ملاقاة النجاسة ولو لم يتغير ما دام قليلا ولهم أدلة يمكن ردها.

والحق ما ذهب إليه الأولون فإن مدار التنجس على التغير بالنجاسة قل الماء أو كثر وهو قول أهل المدينة وجمهور السلف وأكثر أهل الحديث وبه أفتى عطاء بن أبي رباح وسعيد ابن المسيب وغيرهم [١] ، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية [٢] ، وتلميذه ابن القيم [٣] ، رحم الله الجميع- وهو ما رجحه العلامة عبد الله البسام - [٤] ، والعلامة ابن عثيمين [٥] .

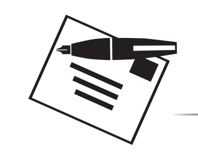
واعلم -فقهك الله في دينه- أن الماء قسمان فقط على الصحيح طهور ونجس وهذا هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية ، وما سوى ذلك فلا وجود له في الشريعة والدليل عدم الدليل [٦] .

والماء الطهور: هو الماء الثابت على أصله .

والماء النجس : هو الماء الذي تغيرت أحد أوصافه الثلاثة بنجاسة .

قوله :(**أَوْ سَائِرِ الأَدْهَانِ**) الأدهان : جمع دهن وهو مادة في الحيوان والنبات

(١)) حاشية الشرح الممتع (١/ ٥٣) .
(٢)) تيسير العلام (١/ ٣٠-٣١) .
(٣)) إغاثة اللهفان (ص ١٥٦) .
(٤)) انظر تيسير العلام (١/ ٣١) .
(٥)) انظر الشرح الممتع (١/ ٥٣) .
(٦)) الشرح الممتع (١/ ٥٩) .



دسمة جامدة في درجة الحرارة العالية فإذا سالت كانت زيتا.

والمراد :أن الماء إن تغير بالدهن فإنه يسلبه طهوريته .

والصحيح -والله أعلم- أنه لا يسلبه الطهورية بل يبقى طهورا لأن الدهن لا يمازج الماء فتجده - طافيا على أعلاه فتغيره به تغير مجاورة لا ممازجة.

٣١٤فَإِذَا صَفَى فِي لَوْنِهِ أَوْ طَعْمِهِ مَعَ رِيحِهِ مِنْ جُمْلَةِ الأَضْغَانِ

قوله:(**فَإِذَا صَفَى**)فإذا صفا(أي : الماء.

قوله:(**فِي لَوْنِهِ أَوْ طَعْمِهِ مَعَ رِيحِهِ**) هذه هي أوصاف الماء الثلاثة إن تغير بجميعها أو واحد منها بنجاسة فهو نجس وإن بقت على أصلها فهو طاهر كما سبق تحرير ذلك في البيت السابق.

قوله:(**مِنْ جُمْلَةِ الأَضْغَانِ**) أي : الأنجاس والأدناس .

٣١٥فَهُنَاكَ سُمِّيَ طَاهِرًا وَمُطَهِّرًا هَـذَانِ أَبْلَـغُ وَصْـفِـهِ هَـذَانِ

قوله :(**فَهُنَاكَ**)فهناك(إشارة إلى ما سبق ذكره من نقاء الماء وعدم تغير أحد أوصافه الثلاثة بنجاسة .

قوله :(**سُمِّيَ طَاهِرًا وَمُطَهِّرًا**) مراده -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أنه طاهر في نفسه ومطهر لغيره ، والناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- على من جعل الماء على ثلاثة أقسام:

١- ماء طاهر غير مطهر كالشاي والعصير.

٢- ماء طاهر مطهر كماء السماء والبحار والأنهار.

٣- ماء نجس كالماء الذي تغير أحد أوصافه بنجاسة.



والصحيح ما سبق ذكره من أن الماء على قسمين:

١- طهور . ٢- نجس .

قوله:(**هَذَانِ أَبْلَغُ وَصْفِهِ هَذَانِ**) إشارة إلى الوصفين طاهرا ومطهرا.

قوله:(**هَذَانِ أَبْلَغُ**) أي: غاية ما وصف به الماء.

قوله:(**هَذَانِ**) توكيدا للوصفين.

٣١٦ فَإِذَا صَفَا فِي لَوْنِهِ أَوْ طَعْمِهِ مِنْ حَمْأَةِ الآبَارِ وَالْغُدْرَانِ

قوله:(**فَإِذَا صَفَا**) المراد الماء.

قوله:(**فِي لَوْنِهِ أَوْ طَعْمِهِ**) أي : لم يتغير لونا وطعما.

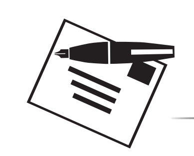
قوله:(**مِنْ حَمْأَةِ**) الحمأة بالفتح الطين الأسود المنتن ومنه قول الله:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الحجر :٢٦] .

قوله:(**الآبَارِ**) جمع بئر وهو : عبارة عن حفرة عميقة يستخرج منها الماء أو النفط.

قوله :(**وَالْغُدْرَانِ**) الواو: حرف عطف وهو: ما ينحت في الجبل شبه المغارة فإذا اتسع قيل: كهف والجمع أغوار، والغاران: معطوف على ما قبله (**حَمْأَةِ الآبَارِ**) وصوابه أن يقول : والغارين لكنه رفعه لضرورة الشعر .

والحريري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- جعل الشعر صلفا فقال:

وجائز في صنعة الشعر الصلف أن يصرف الشاعر ما لا ينصرف



وقال ابن مالك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في الألفية :

ولاضطرار أو تناسب صرف ذو المنع والمصروف قد لا ينصرف

٣١٧جَازَ الْوُضُوءُ لَنَا بِهِ وَطُهُورُنَا فَاسْمَعْ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ

قوله:(**جَازَ**) أي : أبيح وأحل .

قوله:(**الْوُضُوءُ لَنَا**)بالضم إذا أريد الفعل وبالفتح إذا أريد الماء الذي يتوضأ به.

قوله:(**بِهِ**) أي: بالماء الذي صفا لونه وطعمه وريحه .

قوله:(**وَطُهُورُنَا**) يقال فيه كما قيل في الوضوء -بالضم وبالفتح- .

قوله:(**فَاسْمَعْ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ يَقْظَانِ**) أي: عِ قولي: هذا بقلب حاضر يقظان غير غافل .

٣١٨وَمَتَى تَمُتْ فِي الْمَاءِ نَفْسٌ لَمْ يَجُزْ مِنْهُ الطُّهُورُ لِعِلَّةِ السَّيَلاَنِ

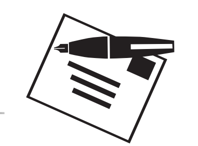
قوله:(**وَمَتَى تَمُتْ فِي الْمَاءِ نَفْسٌ**) أي: ما لها دم يجري وسمي الدم نفسا لأن النفس اسم لجملة الحيوان التي قوامها بالدم قال ابن الأمير: (....فلما كان سبب التنجيس هو الدم المحتقن فإذا عدم انتفى الحكم) [١] .

فما ليس له نفس سائلة فإنه لا ينجس الماء إذا مات فيه

ومعنى: ما ليس له نفس سائلة أي: لا دم له يجري .

---

(١)) سبل السلام (١/ ٦٤) مختصرا .



قوله:(**لَمْ يَجُزْ مِنْهُ الطُّهُورُ**) أي: لا يجوز شرعا التطهر منه لحدث أصغر أو أكبر .

قوله:(**لِعِلَّةِ السَّيَلاَنِ**) أي: لسبب سيلان الدم .

تبين مما سبق أن ماله نفس سائلة فتغير بسببه أحد أوصاف الماء لونه أو طعمه أو ريحه فهذا يجعل من الماء نجس لا يزيل خبثا ولا يرفع حدثا .

٣١٩إِلاَّ إِذَا كَانَ الْغَدِيرُ مُرَجْرِجًا غَدَقًا بِـلاَ كَيْلٍ وَلاَ مِيزَانِ

قوله:(**إِلاَّ إِذَا كَانَ**) هذا مستثنى مما سبق ذكره من تنجس الماء لسبب الساقط فيه مما له نفس سائلة .

قوله:(**الْغَدِيرُ**) أي: الماء .

قوله:(**مُرَجْرِجًا**) أي: مضطربا متحركا يقال: ترجرج الماء إذا ذهب وجاء .

قوله:(**غَدَقًا**) الغدق: - بفتحتين - الماء الكثير الواسع .

قوله:(**بِلاَ كَيْلٍ وَلاَ مِيزَانِ**) أي: لا يكال ولا يوزن لكثرته .

تبين مما سبق: أن الماء المتحرك الكثير الواسع لا يؤثر فيه الساقط مما له نفس سائلة إن لم يتغير أحد أوصافه بتلك النجاسة الساقطة .

٣٢٠أَوْ كَانَتِ الْمَيْتَاتُ مِمَّا لَمْ تَسِلْ وَالْمَـا قَلِيلٌ طَـابَ لِلْغُسْلاَنِ

قوله:(**أَوْ**) هذا نوع آخر من ما يستثنى من تنجس الماء لسبب الساقط فيه وهو :

قوله:(**كَانَتِ الْمَيْتَاتُ مِمَّا لَمْ تَسِلْ**) أي: أنها إذا كانت الميتة مما ليس لها نفس سائلة (لا دم لها) .

قوله:(**وَالْمَا قَلِيلٌ**) أي: أقل من القلتين .

قوله:(**طَابَ لِلْغُسْلاَنِ**) أي: ماء طيب طاهر يزيل النجس ويرفع الحدث .

تبين هنا أن ما ليس له نفس سائلة وكان الماء قليلا فالماء باق على طهوريته .

وخلاصة ما سبق في الأبيات الثلاثة الماضية الآتي:

١- ما له نفس سائلة فتغير بسببه أحد أوصاف الماء فهذا يجعل من الماء نجس لا يزيل خبثا ولا يرفع حدثا .

٢- ما له نفس سائلة ولم يتغير بسببه أحد أوصاف الماء فهو باق على طهوريته.

٣-ما ليس له نفس سائلة وكان الماء قليلا أقل من القلتين فهو باق على طهوريته.

٣٢١وَالْبَحْرُ أَجْمَعُهُ طَهُورٌ مَاؤُهُ   وَتَحِلُّ مَيْتَتُهُ مِنَ الْحِيتَانِ

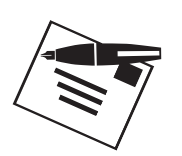
قوله:(**وَالْبَحْرُ أَجْمَعُهُ طَهُورٌ مَاؤُهُ**) أي: أن ماء البحر طهور بضم الطاء المهملة لقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما سئل عن ماء البحر: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته» (١) .

ومن هذا الحديث تبين أن ماء البحر طاهر في نفسه مطهر لغيره سواء كان البحر عذبا حلوا أو مالحًا أجاجا .

قوله: (**وَتَحِلُّ مَيْتَتُهُ مِنَ الْحِيتَانِ**) أي: أن ميتة البحر من الحيتان حلال للحديث السابق .

---

(١)) رواه الأربعة من حديث أبي هريرة وصححه الألباني في الصحيحة] (٤٨٠) .



٣٢٢ إِيَّاكَ نَفْسَكَ وَالْعَدُوَّ وَكَيْدَهُ فَكِلاَهُمَا لأَذَاكَ مُبْتَدِيَانِ

قوله:(**إِيَّاكَ**) أسلوب تحذير بمعنى احذر .

قوله:(**نَفْسَكَ**) أي: الأمارة بالسوء وذلك لأن النفس أحد أعداء الإنسان قال -جَلَّ وَعَلَا- :﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣] .

قوله:(**وَالْعَدُوَّ وَكَيْدَهُ**) وهذا عدو آخر للإنسان (الشيطان) قال -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ ﴾[فاطر: ٦] .

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- :﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف: ٢٢] .

والمراد احذر الشيطان وكيده ومكره واتباع خطواته قال عز وجل :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾[النور: ٢١] .

وقال الشاعر:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

قوله:(**فَكِلاَهُمَا**) أي: النفس والشيطان .

قوله:(**لأَذَاكَ**) أي: لأذيتك وعدائك .

قوله:(**مُبْتَدِيَانِ**) أي: يتقدمان جميع أعدائك في هذه الدنيا .

٣٢٣ وَاحْذَرْ وُضُوءَكَ مُفْرِطًا وَمُفَرِّطًا فَكِلاَهُمَا فِي الْعِلْمِ مَحْذُورَانِ

قوله:(**وَاحْذَرْ وُضُوءَكَ مُفْرِطًا وَمُفَرِّطًا**) أي: تجنب في وضوئك الإفراط

والتفريط والإفراط هو: تجاوز الحد عددًا وصفة .

والتفريط هو: التقصير وعدم الإتمام .

قوله:(**فَكِلاَهُمَا**) أي: الإفراط والتفريط .

قوله:(**فِي الْعِلْمِ**) أي: في الشرع .

قوله:(**مَحْذُورَانِ**) أي: مما يجب حذرهما .

٣٢٤ فَقَلِيلُ مَائِكَ فِي وُضُوءِكَ خَدْعَةٌ ... لِتَعُودَ صِحَّتُهُ إِلَى الْبُطْلاَنِ

قوله:(**فَقَلِيلُ مَائِكَ**) أي: الإقتار والتقصير .

قوله:(**فِي وُضُوءِكَ**) أي: في صفة وضوئك بعدم إسباغه وإتمامه .

قوله:(**خَدْعَةٌ**) أي: من مخادعة الشيطان لك وقد يزينه لك بزينة عدم الإسرًاف والتبذير .

قوله:(**لِتَعُودَ**) أي: لترجع .

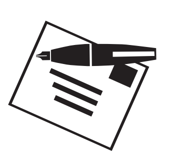
قوله:(**صِحَّتُهُ**) أي: صحة الوضوء .

قوله:(**إِلَى الْبُطْلاَنِ**) أي: إلى الفساد .

٣٢٥ وَتَعُودَ مَغْسُولاَتُهُ مُمْسُوحَةً ... فَاحْذَرْ غُرُورَ الْمَارِدِ الْخَوَّانِ

قوله:(**وَتَعُودَ مَغْسُولاَتُهُ**) أي: تؤول أعضاء الوضوء الواجب غسلها وهي الوجه واليدان والرجلان .

قوله:(**مُمْسُوحَةً**) وذلك لشدة الإقلال من الماء .



قوله:(**فَاحْذَرْ**) أي: انتبه هذا التلبيس .

قوله:(**غُرُورَ**) أي: خداع .

قوله:(**المَارِدِ**) أي: المجاوز للحد في الاستكبار وركوب المعاصي وهو الشيطان الرجيم .

قوله:(**الخَوَّانِ**) كثير الخيانة وعظيمها .

٣٢٦وَكَثِيرُ مَائِكَ فِي وُضُوئِكَ بِدْعَةٌ يَدْعُوا إِلَى الْوَسْوَاسِ وَالْهَمَلاَنِ

قوله:(**وَكَثِيرُ مَائِكَ فِي وُضُوئِكَ بِدْعَةٌ**) (أي: أن الإسرًاف والمبالغة في استخدام الماء لأجل الوضوء محدث في دين الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَى- فإن من السُّنَّة أن يكون الوضوء بمد والغسل بصاع .

والمد: ربع الصاع إذ أن الصاع أربعة أمداد .

ومن السُّنَّة في الوضوء أن لا يزاد على ثلاث في أعضاء الوضوء عدا الرأس فإنه يمسح مسحة واحدة .

فإن أسبغ بأقل أجزأ أي: بأقل من المد في الوضوء ومن الصاع في الغسل أجزأ لكن يشترط أن لا يكون مسحا فإن كان مسحا فلا يجزئ .

والفرق بين الغسل والمسح أن الغسل يتقاطر منه الماء ويجري والمسح لا يتقاطر منه الماء .

قوله:(**يَدْعُوا**) أي: يطلب ويحث .

قوله:(**إِلَى الْوَسْوَاسِ**) أي: إلى حديث النفس الذي لا نفع فيه ولا خير .

قوله:(**وَالْهَمَلاَنِ**) أي: كثرة إسالة الماء .



٣٢٧ لاَ تُكْثِرَنَّ وَلاَ تُقَلِّلْ وَاقْتَصِدْ ... فَالْقَصْدُ وَالتَّوْفِيقُ مُصْطَحِبَانِ

قوله:(**لاَ تُكْثِرَنَّ**) أي: لا تسرف في استخدام الماء للوضوء .

قوله:(**وَلاَ تُقَلِّلْ**) أي :لا تقصر في استخدام الماء للوضوء .

قوله:(**وَاقْتَصِدْ**) أي: توسط بين الإفراط والتفريط .

قوله:(**فَالْقَصْدُ وَالتَّوْفِيقُ**) أي: فالاعتدال والتوسط الموافق للشرع .

قوله:(**مُصْطَحِبَانِ**) أي: متلازمان لا ينفكان فمن لزم العدل والتوسط بالميزان الشرعي في جميع أموره الدينية والدنيوية فقد أدرك حظه الوافر من التوفيق وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

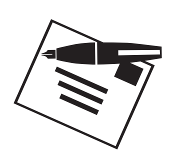
٣٢٨ وَإِذَا اسْتَطَبْتَ فَفِي الْحُدِيثِ ثَلاَثَةٌ ... لَمْ يُجْزِنَا حَجَرٌ وَلاَ حَجَرَانِ

قوله: (**وَإِذَا اسْتَطَبْتَ**) الإستطابة : الإستنجاء وسمي استطابة لما فيه من إزالة النجاسة وتطهير موضعها من البدن .

قوله: (**فَفِي الْحُدِيثِ ثَلاَثَةٌ**) أي: ثلاثة أحجار للقبل وثلاثة للدبر لما في سنن أبي داود من حديث خزيمة بن ثابت -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سُئِل عن الإستطابة فقال : « بثلاثة أحجار ليس فيها رجيع» . [١]

وعن عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قالت قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « إذا ذهب أحدكم إلى الغائط فليستطب بثلاثة أحجار فإنها تجزئ عنه» . [٢]

(١)رواه أبو داود .
(٢)رواه أحمد والنسائي .



وعن ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال : أتى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الغائط فأمرني أن آتيه بثلاثة أحجار فوجدت حجرين ولم أجد ثالثا فأتيته بروثة فأخذهما وألقى الروثة وقال : « هذا رجس أو ركس» زاد أحمد والدارقطني: « ائتني بغيرها» . (١)

قوله: (**لَمْ يُجْزِنَا حَجَرٌ وَلاَ حَجَرَانِ**) وذلك لورود النهي عن الإستنجاء بأقل من ثلاثة أحجار لحديث سلمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- : «أمرنا رسول الله أن لا نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار» . (٢)

وفي الصحيحين : «من استجمر فليوتر» . (٣)

تبين أن الاستجمار: يكون بثلاثة أحجار منقية فلا يجزئ بها دون ذلك.

٣٢٩مِنْ أَجْلِ أَنَّ لِكُلِّ مَخْرَجِ غَائِطٍ   شَرَجًا تَضُمُّ عَلَيْهِ نَاحِيَتَانِ

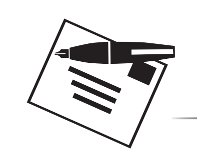
قوله :(**مِنْ أَجْلِ أَنَّ لِكُلِّ مَخْرَجِ غَائِطٍ**) الغائط : أصله المنخفض الواسع من الأرض ثم كني عن الخارج المستقذر من الإنسان كراهة لتسميته باسمه الخاص لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في المواضع المنخفضة فهو من مجاز المجاورة .

قوله :(**شَرَجًا**) الشرج: مجمع حلقة الدبر .

قوله :(**تَضُمُّ عَلَيْهِ نَاحِيَتَانِ**) أي : تضم حلقة الدبر جهتان.

---

(١)رواه البخاري .
(٢)رواه مسلم .
(٣) متفق عليه .



٣٣٠ وَإِذَا الأَذَى قَدْ جَازَ مَوْضِعَ عَادَةٍ لَمْ يُجْزِ إِلاَّ الْمَاءُ بِالإِمْعَانِ

قوله :(**وَإِذَا الأَذَى**) أي : الخارج من الدبر وهو الغائط.

قوله :(**قَدْ جَازَ مَوْضِعَ عَادَةٍ**) أي : قد تجاوز وخرج عن موضع عادة الخارج.

قوله :(**لَمْ يُجْزِ إِلاَّ الْمَاءُ**) أي : لا يحصل النقاء إلا بالماء فلا تكفي الحجارة والذي يظهر والله أعلم أنها مجزية وإن كان النقاء بالماء أتم وأكمل.

قوله :(**بِالإِمْعَانِ**) أي: بالمبالغة والاستقصاء والإسالة.

٣٣١ نَقْضُ الْوُضُوءِ بِقُبْلَةٍ أَوْ لَمْسَةٍ أَوْ طُولِ نَوْمٍ أَوْ بِمَسِّ خِتَانِ

٣٣٢ أَوْ بَوْلَةٍ أَوْ غَائِطٍ أَوْ نَوْمَةٍ أَوْ نَفْخَةٍ فِي السِّرِّ وَالإِعْلاَنِ

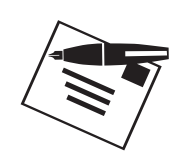
٣٣٣ وَمِنَ الْمَذِيِّ أَوِ الْوَدِيِّ كِلَيْهِمَا مِنْ حَيْثُ يَبْدُو الْبَوْلُ يَنْحَدِرَانِ

قوله:(**نَقْضُ الْوُضُوءِ**) شرع هنا -رَحِمَهُ اللَّهُ- في بيان نواقض الوضوء ، والناقض للوضوء : هو ما يفسد به الوضوء.

قوله:(**بِقُبْلَةٍ**) هذا هو الناقض الأول: على مذهب المؤلف)تقبيل الرجل لامرأته(وهذا قول مرجوح .

والراجح : أن القبلة لا تفسد الوضوء إلا إذا كانت بشهوة وحصل من ورائها إنزال ودليل ذلك أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «قبَّل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ» . (١)

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني .



قوله:(**أَوْ لَمْسَةٍ**) وهذا هو الناقض الثاني: على مذهب المؤلف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وهو قول الشافعية)مس أو لمس الرجل لامرأته(والمراد باللمس: مطلق لمس المرأة بدون حائل واستدلوا بقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [المائدة: ٦] ، وهذا هو القول الأول: وهو قول مرجوح .

القول الثاني: أن اللمس إذا كان بشهوة -أي: بتلذذ - فهو ناقض وإلا فلا وهذا قول الحنابلة وأكثر الفقهاء .

القول الثالث :أن مجرد لمس المرأة سواء كان بشهوة أم بغير شهوة لا ينقض الوضوء ما لم ينزل من القبل من مذي أو ودي أو مني فالمعول عليه هو خروج شيء من القبل ويستوي في ذلك المرأة والرجل وهذا قول أكثر الصحابة منهم أبو بكر وابن عباس وابن عمر وعامة أهل الحديث وهو قول أبي حنيفة وأصحابه وهو الصحيح ودليل ذلك أن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « كان يصلي من الليل وكانت عائشة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- تمد رجليها بين يديه فإذا أراد السجود غمزها فكفت رجليها» . (١)

ومعنى غمزها : أي أشار إليها باللمس فلو كان مجرد اللمس ناقضا لانتقض وضوء النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واستأنف الصلاة .

والقول أن مجرد اللمس يعد ناقضا للوضوء فيه مشقة عظيمة إذ قل من يسلم منه.

وخلاصة القول أن أهل العلم في هذا الناقض على ثلاثة أقوال:

الأول: أن مس المرأة بشهوة ينقض الوضوءوهو مذهب الحنابلة وأكثر الفقهاء.

الثاني: أن مس المرأة ينقض الوضوء مطلقا ولو بغير شهوة أو قصد وهو مذهب

---

(١) متفق عليه .

الشافعية وإليه ذهب الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- .

الثالث: أنه لا ينقض الوضوء إلا إذا خرج منه شيء وهذا هو الصحيح -والله أعلم- .

قوله :(**أَوْ طُولِ نَوْمِ**) وهذا هو الناقض الثالث: من نواقض الوضوء (**طُولِ نَوْمِ**) ويعبر بعض الفقهاء بقولهم (وزوال عقل) وهو أعم من التعبير بالنوم وذلك لأن زوال العقل على نوعين:

الأول: زوال الكلية وهو رفع العقل وذلك بالجنون.

الثاني : تغطية بسبب يوجب ذلك لمدة معينة كالنوم والإغماء والسكر وما أشبه ذلك . وعليه: فزوال العقل بالجنون والإغماء والسكر هو في الحقيقة فقد له وبالتالي فجميعها ناقضة للوضوء قلت أو كثرت بخلاف النوم فقد اختلف فيه أهل العلم على أقوال:

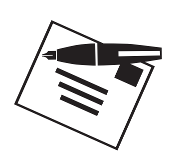
الأول: أن النوم ناقض للوضوء مطلقا يسيره وكثيره وعلى أي صفة كان النائم لأنه حدث وليس مظنة الحدث.

الثاني : أن النوم مظنة الحدث ولا ينقض منه إلا ما كان مظنة الحدث .

الثالث : أن النوم ليس بحدث ولكنه مظنة الحدث ولا يعفى منه إلا ما كان بعيدا فيه الحدث .

الرابع : أن النوم مظنة الحدث فإذا نام بحيث لو انتقض وضوءه أحس بنفسه فإن وضوءه باق وهذا هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ورجحه العلامة ابن عثيمين رحمهما الله وهو الصحيح فيما يظهر -والله أعلم- .

والدليل على كون النوم الذي هو مظنة الحدث ناقضا قوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:



« العين وكاء السه فإذا نامت العين استطلق الوكاء» . [(١)]

قوله :(**أَوْ بِمَسِّ خِتَانِ**) وهذا هو الناقض الرابع للوضوء(**مَسِّ خِتَانِ**) ، الختان : موضع القطع من الذكر والأنثى والمراد ذكر الرجل وفرج الأنثى

(و**مَسِّ خِتَانِ**) : هو لمس الفرج باليد مباشرة بدون حائل سواء مس فرجه أو فرج غيره

وقد اختلف العلماء في هذا الناقض على أقوال:

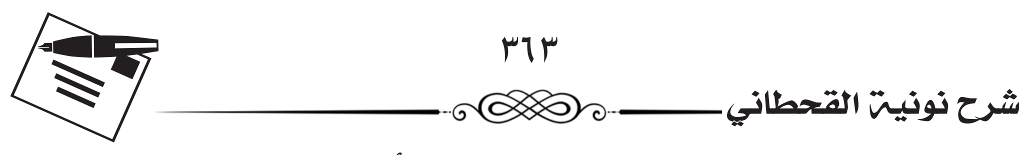
الأول : وهو مذهب الحنابلة أنه ينقض الوضوء ومن أدلتهم حديث بسرة بنت صفوان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال « من مس فرجه فليتوضأ» . [(٢)] وفي رواية «ذكره» ، وفي رواية: «من مس ذكره أو أنثييه أو رفغيه فليتوضأ» والأنثى تلحق بالذكر.

الثاني : أن مس الذكر لا ينقض الوضوء واستدلوا بحديث طلق بن علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه سأل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن الرجل يمس ذكره أعليه وضوء؟ فقال:«إنه بضعة منك » . [(٣)]

القول الثالث : الجمع بين القولين وذلك بأن يحمل حديث بسرة وما شابهه على ما إذا كان لشهوة وحديث طلق على ما إذا كان لغير شهوة .

أو يجمع بأن الأمر في حديث بسرة للاستحباب وحديث طلق السؤال فيه للوجوب فهو سأل عن الواجب)أعليه وضوء(وكلمة)على(ظاهرة في الوجوب فإنه يجب الوضوء أخذا بالتعليل (إنما هو بضعة منك).

(١) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه من حديث معاوية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤١٤٨) .
(٢) أخرجه أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث بسرة بنت صفوان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- وصححه الألباني في الإرواء (١١٦) .
(٣) صحيح صححه الألباني في صحيح أبي داود والمشكاة (٣٢٠) .



القول الرابع: وهو اختيار شيخ الإسلام أن الوضوء من مس الذكر مستحب مطلقا ولو بشهوة.

وخلاصة القول : ما قاله العلامة ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :« أن الإنسان إذا مس ذكره استحب له الوضوء مطلقا سواء بشهوة أو بغير شهوة وإذا مسه بشهوة فالقول بالوجوب قوي لكنه ليس بظاهر بمعنى أني لا أجزم به والاحتياط أن يتوضأ » . (١)

قوله: (**أَوْ بَوْلَةٍ**) وهذا هو الناقض الخامس:)خروج البول(يسيره وكثيره بالإجماع.

قوله: (**أَوْ غَائِطٍ أَوْ نَوْمَةٍ**) (وهذا هو الناقض السادس (خروج الغائط) يسيره وكثيره بالإجماع .

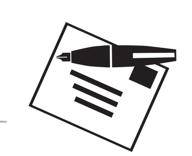
ولقوله -سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ- ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [المائدة: ٦] .

قوله:(**أَوْ نَفْخَةٍ فِي السِّرِّ وَالإِعْلاَنِ**) وهذا هو الناقض السابع للوضوء والمراد بالنفخة خروج الريح من الدبر بصوت أو بدون صوت أو من فروج النساء وخروجها من الدبر ناقض بالاتفاق لقوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- : « لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ» ، قال رجل من حضرموت: ما الحدث؟ قال: «فساء أو ضراط» . (٢) ولقوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- : « لا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا» . (٣)

وخروجه من فرج المرأة قال بعضهم بأنه ينقض الوضوء.

---

(١) الشرح الممتع (١/ ١٨١-١٨٢-١٨٣) مختصرًا .
(٢) أخرجه البخاري [١٣٥] .
(٣) رواه البخاري ومسلم .



قوله:(**وَمِنَ الْمَذِيِّ**) وهذا هو الناقض الثامن من نواقض الوضوء خروج المذي والمذي: سائل أبيض مخاطي شفاف يخرج بلا شهوة عند التفكير بالجماع أو عند الملاعبة أو عند النظر وقد لا يشعر المرء بخروجه ولا يعقبه فتور، وحكمه نجس بالاتفاق يجب غسله من البدن لا غسل عموم البدن وإذا أصاب الثوب فيكفي في تطهيره رشه بكف من ماء لأنها نجاسة يشق الإحتراز عنها لكثرة ما يصيب ثياب الشاب لا سيما العازب فكانت أولى بالتخفيف من بول الغلام -والله أعلم- .

قوله:(**أَوِ الْوَدِيِّ كِلَيْهِمَا**) وهذا هو الناقض التاسع من نواقض الوضوء خروج الودي ، والودي : ماء أبيض كدر لزج ثخين عقب البول وحكمه نجس بالاتفاق يجب غسله من البدن لا غسل عموم البدن وإذا أصاب الثوب وجب تطهيره .

قوله :(**كِلَيْهِمَا**) أي: المذي والودي .

قوله :(**مِنْ حَيْثُ يَبْدُو الْبَوْلُ يَنْحَدِرَانِ**) أي : أنهما يخرجان من مخرج البول

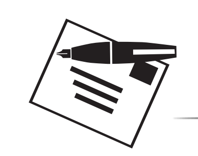
وبإمكاننا أن نعبر عن النواقض التالية)خروج البول والغائط ، والريح ، والمذي ، والودي بقولنا : (ما خرج من السبيلين).

وهناك نواقض أخرى لم يذكرها الناظم رحمه الله وهي :

* أكل لحم الجزور (الإبل) وهذا هو الناقض العاشر من نواقض الوضوء لقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «توضئوا من لحوم الإبل » . [(١)] ولحديث جابر بن سمرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أنه سئل رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنتوضأ من لحوم الإبل قال نعم ؟ قال : أنتوضأ من لحوم - الغنم ؟ قال : « إن شئت» .[(٢)]

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وصححه الألباني .
(٢) رواه مسلم .



وهذا القول هو الصحيح من قولي العلماء .

أما الوضوء من ألبان الإبل فالصحيح أنه مستحب وليس بواجب » . [١]
-والله أعلم- .

* غسل الميت : وهو الناقض الحادي عشر من نواقض الوضوء وهذا على مذهب أحمد وخالفه الأئمة الثلاثة والصحيح أن تغسيل الميت لا ينقض الوضوء وهذا هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة من أهل العلم. [٢]
- والله أعلم- وعلمه أتم وأكرم- .

٣٣٤وَلَرُبَّمَا نَفَخَ الْخَبِيثُ بِمَكْرِهِ حَتَّى يَضُمَّ لِنَفْخِهِ الْفَخِذَانِ

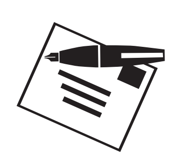
قوله :(**وَلَرُبَّمَا**) تستخدم للتقليل والتكثير

قوله: (**نَفَخَ الْخَبِيثُ**) الشيطان كما في حديث ابن عباس -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا- مرفوعا : «إن الشيطان يأتي أحدكم فينفخ في مقعدته فيخيل إليه أنه أحدث ولم يحدث فلا ينصرفن حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا » . [٣]

قال ابن الأمير الصنعاني -رَحِمَهُٱللَّهُ- « والحديث عام لمن كان في الصلاة أو خارجها وهو قول الجماهير» . [٤] وهذا الحديث أصل من أصول الإسلام وقاعدة جليلة من قواعد الفقه وهو أنه دل على أن « الأشياء يحكم ببقائها على أصولها حتى يتيقن خلاف ذلك» . [٥]

---

(١) الشرح الممتع (١/ ١٩٣) .
(٢) الشرح الممتع (١/ ١٩٠) .
(٣) رواه البخاري ومسلم .
(٤) سُبل السلام (١/ ١٤٣) .
(٥) تيسير العلام (١/ ٦٩) .



أو يقال : « الأصل بقاء ما كان على ما كان حتى يتيقن خلاف ذلك» . [١]

وفائدة العمل بهذا الحديث قطع وسواس الشيطان وأن مجرد الشك في الحدث لايبطل الوضوء ولا الصلاة .

قوله : (**بِمَكْرِهِ**) المكر الخداع وأن تصرف غيرك عن مقصده بحيلة .

قوله : (**حَتَّى يَضُمَّ لِنَفْخِهِ الْفَخِذَانِ**) أي : أنه يعمل على ضم فخذيه حين يحس بين الإليتين مكان الخارج ريحا وهو ليس كذلك وإنما هو من نفخة الشيطان ليحدث وسواسا.

٣٣٥وَبَيَانُ ذَلِكَ صَوْتُهُ أَوْ رِيحُهُ هَاتَانِ بَيِّنَتَانِ صَادِقَتَانِ

قوله:(**وَبَيَانُ ذَلِكَ**) أي : دليل صحة الخارج .

قوله:(**صَوْتُهُ**) أي : سماع صوت الخارج من الدبر .

قوله:(**أَوْ رِيحُهُ**) أي : شم رائحة الخارج من الدبر .

قوله:(**هَاتَانِ بَيِّنَتَانِ صَادِقَتَانِ**) المشار إليهما : سماع الصوت أو شم الريح إذ هما الدليلان الصادقان الواضحان على فساد الوضوء ووجوب الإنصراف من الصلاة ما لم فيحرم الإنصراف لمجرد الشك .

دليل ذلك ما جاء في البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وعبدالله بن زيد -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : «لا ينصرف حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا» . [٢]

(١) تيسير العلام (١/ ٧٠) .

(٢) رواه البخاري ومسلم .



وعند مسلم من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال قال رسـول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « إذا وجد أحدكم في بطنه شيئا فأشكل عليه أخرج منه شيء أم لا فلا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا» . (١)

٣٣٦وَالْغُسْلُ فَرْضٌ مِنْ ثَلاثَةِ أَوْجُهٍ دَفْقِ الْمَنِيِّ وَحَيْضَةِ النِّسْوَانِ

قوله:(**وَالْغُسْلُ**) بضم الغين المعجمة اسم الاغتسال وحقيقته : تعميم البدن بالماء

قوله:(**فَرْضٌ**) سبق بيان معناه في البيت رقم (٢٨٥) .

قوله:(**مِنْ ثَلاثَةِ أَوْجُهٍ**) أي : أن الإغتسالات الواجبة ثلاثة:

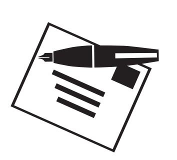
قوله (**دَفْقِ الْمَنِيِّ**) (هذا هو الأول من موجبات الغسل (**دَفْقِ الْمَنِيِّ**) واكتفى الناظم -رَحِمَهُ اللَّهُ- بذكر وصف موجب للغسل من المني وهو (الدفق) ولعله يرى أن لا يكون دفقا إلا إذا كان بلذة لموافقة قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ [الطارق: ٥-٧]، ومعنى الدفق: الإنصباب بشدة .

والمني: ماء أبيض لزج ثخين ينكسر الذكر بخروجه ورائحته تشبه رائحة العجين وطلع النخل رطبا ورائحة البيض يابسا.

أما حكمه فقد اختلف فيه العلماء:

فذهب بعضهم إلى القول بنجاسته وأدلتهم غير صريحة في ذلك ، وذهب آخرون إلى القول بطهارته وهو الصحيح الذي لا مندوحة عنه للأدلة الصحيحة الصريحة ولكن يستحب غسله رطبا وفركه : أي: دلكه يابسا،

(١) رواه مسلم .



وخروجه بشهوة يوجب الإغتسال لقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ﴾ [المائدة: ٦] .

والجنب: هو الذي خرج منه المني دفقا وبلذة .(١)

وهذا هو قول جمهور العلماء أنه يشترط لوجوب الغسل بخروجه أن يكون دفقا وبلذة ، ويرى الإمام الشافعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أن خروج المني مطلقا موجب للغسل حتى ولو بدون شهو وبأي سبب خرج لعموم الحديث : « الماء من الماء» .(٢)

والصحيح -والله أعلم- أنه إن خرج من غير لذة من يقظان فإنه لا يوجب الغسل وهو قول جمهور العلماء ورجحه العلامة ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- .(٣)

قوله:(وَحَيْضَةِ النِّسْوَانِ) وهذا هو الثاني من موجبات الغسل)حيضة النسوان(وذلك عند انقطاعه، والحيض : دم يحدث للأنثى بمقتضى الطبيعة بدون سبب في أوقات معلومة » .(٤)

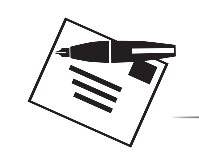
وحكمه: نجس ويجب التطهر بعد الطهر دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة والإجماع.

أما دلالة الكتاب فقوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] .

ففي قوله ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ ﴾ أي : اغتسلن ففي الآية إشارة إلى مطلق الفعل.

---

(١) الشرح الممتع (١/ ٢٠٨) .
(٢) رواه مسلم .
(٣) الشرح الممتع (١/ ٢٠٩) .
(٤) فقه الحيض والنفاس (ص ٥) لابن عثيمين .



وصيغة الأمر في هذه الآية : الجملة الخبرية التي قصد بها الطلب .

ومن السُّنَّة : ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- أن فاطمة بنت أبي حبيش سألت النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقالت : « إني استحاض فلا أطهر أفأدع الصلاة؟ قال: لا إن ذلك عرق ولكن دعي الصلاة قدر الأيام التي كنت تحيضين فيها ثم اغتسلي وصلي» . [١]

والأصل : في الأمر الوجوب إلا بصارف شرعي .

وأما الإجماع : فقد أجمع العلماء على وجوب الغسل من الحيض بعد الطهر

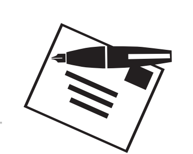
واعلم رحمك الله أن حكم النفاس وأحكامه كحكم الحيض وأحكامه كونه نوع من الحيض لقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لعائشة لما حاضت :« لعلك نفست».[٢]

٣٣٧ إِنْـزَالِـهِ فِي نَـوْمَـةٍ أَوْ يَقْظَةٍ ... حَـالاَنِ لِلتَّطْهِيرِ مُوجِبَانِ

قوله:(**إِنْزَالِهِ**) الضمير يعود على المني وهذا هو الثالث من موجبات الغسل

قوله :(**فِي نَوْمَةٍ**) وهو ما يسمى بالإحتلام فالنائم إذا استيقظ ورأى أثرا نازلا وجب الغسل مطلقا سواء أكان على وصف المني أم لم يكن لأن النائم قد لا يحس به وهذا يقع كثيرًا أن الإنسان إذا استيقظ وجد الأثر ولم يشعر باحتلام والدليل على ذلك : حديث أم سلمة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- حين سألت النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل هل عليها غسل؟ قال: «نعم إذا رأت الماء». [٣]

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) متفق عليه .
(٣) متفق عليه .



فأوجب الغسل إذا هي رأت الماء ولم يشترط أكثر من ذلك فدل على وجوب الغسل إذا استيقظ ووجد الماء أحس بخروجه أم لم يحس أما إن تذكر أنه احتلم ولم ير لذلك أثرا فليس عليه غسل لأن الأصل الطهارة .

قوله :(**أَوْ يَقْظَةٍ**) يعني : لو حصل الإنزال من اليقظان بدفق ولذة وجب الغسل عليه فإن أنزل بلا دفق ولا لذة فلا غسل عليه على الصحيح .

قوله :(**حَالاَنِ**) أي : الإنزال في اليقظة والإنزال في المنام .

قوله :(**حَالاَنِ لِلتَّطْهِيرِ مُوجِبَتَانِ**) أي: يجب منهما الإغتسال .

٣٣٨وَتَطَهُّرُ الزَّوْجَيْنِ فَرْضٌ وَاجِبٌ عِنْدَ الْجِمَاعِ إِذَا الْتَقَى الْفَرْجَانِ

قوله :(**وَتَطَهُّرُ الزَّوْجَيْنِ فَرْضٌ وَاجِبٌ عِنْدَ الْجِمَاعِ**) أي: أنه يجب اغتسال الزوجين من جماع دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة والإجماع

فأما دلالة الكتاب فقوله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَى- :﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ﴾ [المائدة: ٦] .

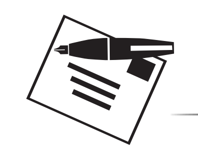
الشاهد قوله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَى- :﴿ فَٱطَّهَّرُواْ ﴾ فعل أمر والأصل في الأمر الوجوب إلا بصارف شرعي .

وأما دلالة السُّنَّة : فقوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- : «إذا جلس الرجل بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل». (١)

وأما الإجماع : فقد أجمع العلماء على وجوب الغسل من الجماع .

---

(١) متفق عليه .



٣٣٩ فَكِلاَهُمَا إِنْ أَنْـزَلاَ أَوْ أَكْسَلاَ فَهُمَا بِحُكْمِ الشَّرْعِ يَغْتَسِلاَنِ

قوله :(**فَكِلاَهُمَا**) أي : الرجل والمرأة .

قوله:(**فَكِلاَهُمَا إِنْ أَنْزَلاَ أَوْ أَكْسَلاَ**(أي : أمنيا أو لم يمنيا أو أمنا أحدهما ولم يمني الاخر ففي هذه الصور جميعها يجب الغسل، ما دام قد اختلطا الفرجين ولذا قال الناظم :(**فَهُمَا بِحُكْمِ الشَّرْعِ يَغْتَسِلاَنِ**).

واقتصر الناظم -رَحِمَهُ اللَّهُ- على ذكر هذه الثلاث الصور الموجبة للغسل وهي:

❋ دفق المني بلذة في يقظة أو منام.

❋ الحيض والنفاس.

❋ الجماع.

وهناك موجبات أخرى للغسل لم يذكرها الناظم وهي :

❋ غسل الميت المسلم.

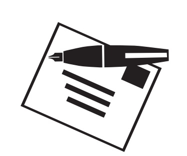
❋ الغسل عند الدخول في الإسلام في حق الكافر الأصلي والمرتد احتياطا وفي هذه المسألة ، خلاف والصحيح أنه لا يجب -والله أعلم- .

❋ الغسل يوم الجمعة -على الصحيح -.

٣٤٠ وَاغْسِلْ إِذَا أَمْذَيْتَ فَرْجَكَ كُلَّهُ وَالأُنْثَيَانِ فَلَيْسَ يُفْتَرَضَانِ

قوله: (**وَاغْسِلْ إِذَا أَمْذَيْتَ**) سبق ذكر معنى المذي في البت رقم (٣٣٣) .

قوله:(**فَرْجَكَ كُلَّهُ**) اختلف العلماء هل يجب غسل الذكر كله أو غسل



المحل الذي أصابه المذي فذهب الجمهور إلى وجوب غسل المحل الذي أصابه المذي لأنه الموجب للغسل فيقتصر عليه .

قال ابن الأمير الصنعاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : «وأما إطلاق لفظ ذكرك فهو ظاهر في غسل الذكر كله وليس كذلك إذ الواجب غسل محل الخارج وإنما هو من إطلاق اسم الكل على البعض والقرينة ما علم من قواعد الشرع». (١)

وذهب الحنابلة وبعض المالكية إلى وجوب غسل الذكر كله مستدلين بحديث علي بن ابي طالب -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال:(كنت رجلا مذاء فاستحييت أن أسأل رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لمكان ابنته مني فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال: « يغسل ذكره ويتوضأ ». (٢)

وللبخاري:(توضأ واغسل ذكرك) ، ولمسلم(توضأ وانضح فرجك) .

ففي هذه الألفاظ تصريح بغسل الذكر وهو حقيقة يطلق عليه كله ولعل هذا القول هو القول الراجح لأن غسل بعضه مجاز يحتاج إلى قرينة قوية ولأن في المذي شبه بالمني من ناحية سبب خروجهما وتقارب لونهما وغير ذلك. (٣)

قوله:(**فَلَيْسَ يُفْتَرَضَانِ**) أي: ليس غسلهما بفرض واجب ورواية غسل الأنثيين قد طعن فيها فعند أبي داوود: « يغسل ذكره وأنثييه ويتوضأ». (٤)

وعنده أيضًا :« فتغسل من ذلك فرجك وأنثييك وتوضأ للصلاة». (٥)

قال ابن الأمير الصنعاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :« إلا إن رواية غسل الأنثيين قد طعن

---

(١) سبل السلام (١/ ١٤٠-١٤١) .
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) تيسير العلام (١/ ٦٨-٦٩) .
(٤) رواه أبو داؤود .
(٥) رواه أبو داؤود .

فيها وذلك أنها من رواية عروة عن علي وعروة لم يسمع من علي....». [(١)]

وذهب بعض الحنابلة وبعض المالكية إلى وجوب غسل الذكر والأنثيين من المذي وخالف الجمهور في ذلك فقالوا وجوب غسل المحل الذي أصابه المذي من البدن ولا يجب تعميم الذكر والأنثيين .

٣٤١ وَالْحَيْضُ وَالنُّفَسَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ ... عِنْدَ انْقِطَاعِ الدَّمِّ يَغْتَسِلاَنِ

سبق بيان ذلك في البيت رقم (٣٣٦) .

٣٤٢ وَإِذَا أَعَادَتْ بَعْدَ شَهْرَيْنِ الدِّمَا ... تِلْكَ اسْتِحَاضَةُ بَعْدَ ذِي الشَّهْرَانِ

قوله:(**وَإِذَا أَعَادَتْ بَعْدَ شَهْرَيْنِ الدِّمَا**) أي: إذا نقطع دم النفاس)دم الولادة(في مدة الشهرين ثم عاد بعد مضي شهرين من الولادة فلا يعد نفاسا وبالتالي لا يجري عليه أحكامه وكذلك ما إذا استمر نزول الدم فوق الشهرين فما زاد عن الشهرين فلا يعد دم نفاس وبالتالي لا يجري عليه أحكامه .

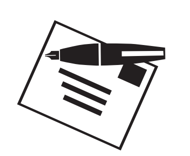
قوله:(**تِلْكَ**) إشارة إلى ما سبق بيانه في شطر هذا البيت .

قوله:(**اسْتِحَاضَةُ بَعْدَ ذِي الشَّهْرَانِ**) الاستحاضة: استمرار سيلان الدم من المرأة في غير أيام الحيض والنفاس بسبب انفجار عرق العاذل في الرحم أو مرض آخر فلا ينقطع أبدا أو ينقطع منها مدة يسيرة كاليوم واليومين في الشهر.

ودليل عدم الانقطاع: ما ثبت في البخاري عن عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قالت: قالت فاطمة بنت أبي حبيش لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يا رسول الله إني لا أطهر وفي رواية: إني استحاض فلا أطهر ودليل الانقطاع اليسير ما جاء عند

---

(١) سبل السلام (١/ ١٤١) .



أبي داوود وأحمد والترمذي من حديث حمنة بنت جحش قالت:)يا رسول الله إني استحاض حيضة كبيرة شديدة) .

ومدة النفاس أي: مقدار زمنه على خلاف بين العلماء :

فالحنابلة أكثره أربعون يومًا والمشهور عند الشافعة ستون يومًا وهو مذهب المالكية والجمهور.

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « والذي يترجح عندي أن الدم إذا كان مستمرا على وتيرة واحدة فإنها تبقى إلى تمام الستين ولا تتجاوزه فإذا زاد على ذلك نقول: إن وافق العادة فهو حيض وإن لم يصادف العادة فدم فساد لا تترك من أجله صوم ولا صلاة ». (١)

٣٤٣ فَلْتَغْتَسِلْ لِصَلاَتِهَا وَصِيَامِهَا وَالْمُسْتَحَاضَةُ دَهْرُهَا نِصْفَانِ

قوله:(**فَلْتَغْتَسِلْ لِصَلاَتِهَا وَصِيَامِهَا**) يحتمل أن الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أراد المستحاضة وهو احتمال قوي ويحتمل أنه أراد الحائض وهو احتمال بعيد.

وعلى كل: « إن أراد المستحاضة فإنه يستحب لها أن تغتسل لكل صلاة وهذا الاغتسال ليس بواجب وفيه فائدة من الناحية الطبية لأنه يوجب تقلص أوعية الدم إذا تقلصت انسدت فيقل النزيف وربما ينقطع بهذا الاغتسال لأن دم الاستحاضة دم عرق ودم العرق يتجمد مع البرودة ». (٢)

أما بالنسبة للصيام فلا يلزمها بل لا يستحب لها من أجله الاغتسال .

وإن أراد الحائض فإنه يجب عليها الاغتسال بعد انقطاع الدم مباشرة ومن

---

(١) الشرح الممتع (١/ ٣٠٧-٣٠٨) مختصرا .
(٢) الشرح الممتع (١/ ٣٠٥) .



ثم القيام بالصلاة وقل مثل ذلك في حق النفساء .

أما بخصوص الصيام فإنها إن طهرت قبل طلوع الفجر بدقائق فإنها تنوي الصيام حتى لو اغتسلت بعد طلوع الفجر فصومها صحيح .

قوله:(**وَالْمُسْتَحَاضَةُ دَهْرُهَا نِصْفَانِ**) أي: نصفه حيض ونصفه الآخر طهر وهذا على قول من قال: بأن أكثر الحيض خمسة عشر يومًا وما زاد فهو دم استحاضة .

٣٤٤ فَالنِّصْفُ تَتْرُكُ صَوْمَهَا وَصَلاَتَهَا وَدَمُ الْمَحِيضِ وَغَيْرُهُ لَوْنَانِ

قوله:(**فَالنِّصْفُ**) أي: نصف دهرها طهر وإن نزل دم فهو دم استحاضة لا تترك من أجله صوم ولا صلاة ونصفه الآخر حيض تترك من أجله الصوم والصلاة .

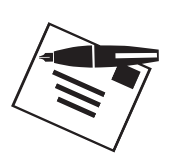
قوله:(**وَدَمُ الْمَحِيضِ**) أي: دم الحائض .

قوله:(**وَغَيْرُهُ**) أي: دم الاستحاضة .

قوله:(**لَوْنَانِ**) فدم الحيض أسود داكن ودم الاستحاضة أحمر قان معروف لدى النساء كما جاء في الحديث الصحيح أن النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- قال لفاطمة بنت أبي حبيش: «إذا كان دم الحيض فإنه أسود يعرف فأمسكي عن الصلاة فإذا كان الآخر فتوضئي وصلي». [1]

ومن الفروق بينهما أيضًا من حيث الرائحة فرائحة دم الحيض كريهة ويصاحبه ألم وغليظ بخلاف دم الاستحاضة فهو عكس ذلك.

(١) رواه أبو داؤود والنسائي وابن حبان والحاكم .



٣٤٥وَإِذَا صَفَا مِنْهَا وَأَشْرَقَ لَوْنُهُ   فَصَلاَتُهَا وَالصَّوْمُ مُفْتَرَضَانِ

قوله:(**وَإِذَا صَفَا مِنْهَا**) أي: أنقطع عنها الدم بأن حصل الجفاف أو نزل منها ما يسمى بالقصة البيضاء .

قوله:(**وَأَشْرَقَ لَوْنُهُ**) بالكسر أي: لون بحمرة بعد مدة الحيض وهو ما يسمى بدم الاستحاضة .

قوله:(**فَصَلاَتُهَا وَالصَّوْمُ مُفْتَرَضَانِ**) أي: أن الصلاة والصوم عند هاتين الحالتين مفترضان:

الحالة الأولى: عند الطهر بالجفاف أو بنزول القصة البيضاء .

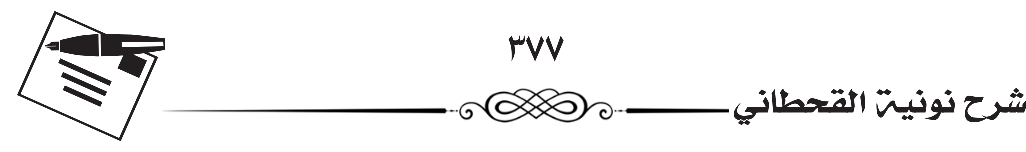
الحالة الثانية : عند تغير لون الدم إلى الحمرة أو الكدرة أو الصفرة بعد انتهاء مدة الحيض المعروفة لدى المرأة .

٣٤٦تَقْضِي الصِّيَامَ وَلاَ تُعِيدُ صَلاَتَهَا   إِنَّ الصَّلاَةَ تَعُودُ كُلَّ زَمَـانِ

قوله:(**تَقْضِي الصِّيَامَ**) أي: أنه يجب على الحائض أن تقضي أيام صومها المفروضة التي أفطرتها من رمضان في مدة حيضها .

قوله:(**وَلاَ تُعِيدُ صَلاَتَهَا**) أي: ولا تقضي الصلاة التي تركتها في مدة حيضها.

دليل ذلك: ما جاء في الصحيحين أن امرأة قالت لعائشة ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: أحرورية أنت؟ : « كنا نحيض على



عهد رسول الله فكنا نؤمر بقضاء الصوم ؛ ولا نؤمر بقضاء الصلاة». (١)

قوله: (**إِنَّ الصَّلاَةَ تَعُودُ كُلَّ زَمَانِ**) هذه حكمة من حكم عدم قضاء الصلاة في حق الحائض تدل على أن اليسر والتخفيف هو روح الإسلام الحنيف فلما كانت الصلاة متكررة في كل زمان فيحصل بقضائها المشقة على الحائض خفف عليها أما الصوم لما كان غير متكرر إذ فرضه في العام مرة واحدة وجب قضاؤه -والله أعلم- .

٣٤٧ فَالشَّرْعُ وَالْقُرْآنُ قَدْ حَكَمَا بِهِ   بَيْنَ النِّسَاءِ فَلَيْسَ يُطَّرَحَانِ

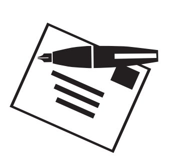
قوله: (**فَالشَّرْعُ**) إما أنه أراد به أصول الشرع عموما)الكتاب والسُّنَّة والإجماع(وإنما ذكر القرآن بعد العموم من باب التنصيص لزيادة العناية والتأكيد والإهتمام نظيره قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿ **حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾** ﴾[البقرة:٢٣٨] .

فذكر الصلاة الوسطى بعد ذكر الصلوات التي تدخل تحت عمومها الوسطى ليس تخصيصا إنما هو تنصيصًا عليها تعظيما لشأنها أو لبيان الاهتمام بها. (٢)

ومثل ذلك قول الله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾** ﴾ [البقرة:٩٨-٩٨] .

فذكر جبريل وميكال بعد ذكر عموم الملائكة من باب التنصيص على عظيم شأنهما وعلو مرتبتهما عند الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- .

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) شرح الأصول من علم الأصول (٢١١) .



وإما أنه أراد به هنا السُّنَّة النبوية.

قوله : (**وَالْقُرْآنُ قَدْ حَكَمَا بِهِ**) أي : قد حكما بأن الحيض أذى تترك المرأة لأجله الصلاة والصوم فإذا حصل النقاء وجب عليها الصلاة والصوم وعليها وجوبا قضاء صومها دون صلاتها.

قوله: (**بَيْنَ النِّسَاءِ فَلَيْسَ يُطَّرَحَانِ**) أي : فلا يتركان .

٣٤٨ وَمَتَى تَرَى النُّفَسَاءُ طُهْرًا تَغْتَسِلْ أَوْ لاَ فَغَايَةُ طُهْرِهَا شَهْرَانِ

قوله: (**وَمَتَى تَرَى النُّفَسَاءُ طُهْرًا تَغْتَسِلْ**) أي : متى ما رأت المرأة انقطاع دم النفاس وليس لأقله مدة محددة وجب عليها الاغتسال ويجري عليها أحكام الطاهرات من صلاة وصوم عدا الجماع فإن بعض العلماء يرى استحسانا أن لا توطأ من دم النفاس في مدة الأربعين .

قوله: (**أَوْ لاَ**) أي : ومن لم تر الطهر .

قوله: (**فَغَايَةُ طُهْرِهَا شَهْرَانِ**) أي : فأكثر مدة نفاسها شهران على مذهب الشافعية والمالكية وما بعد ذلك فإنه دم فساد لا تترك لأجله الصلاة ولا الصيام .

٣٤٩ مَسُّ النِّسَاءِ عَلَى الرِّجَالِ مُحَرَّمٌ حَرْثُ السِّبَاخِ خَسَارَةُ الْحِرْثَانِ

يحتمل هذا معنيين : الأول : حرمة جماع النساء حال الحيض والنفاس في موضع الحرث فأما ما دونه فإنه يباح للزوج أن يستمتع بزوجه بما دون الفرج لحديث عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قالت : « كان رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يأمرني

فأتزر فيباشرني وأنا حائض» .[١]

الثاني : حرمة مس النساء الأجنبيات.

قوله :(**مَسُّ**) مس الشيء مسا : لمسه بيده.

قوله :(**النِّسَاءِ**) أي : النساء الأجنبيات خرج بذلك غير المحارم.

والمحارم :جمع محرم وهم الذين لا يحل نكاح بعضهم بعضا لسبب أو نسب كالأم وإن علت والبنت وإن نزلت والأخت وبنتها وإن نزلت وبنت الأخ وبنتها وإن نزلت والخالة التي هي أخت الأم والعمة التي هي أخت الأب وأم الزوجة وبنتها المدخول بها وما شابه ذلك ومن الرضاع مثله .

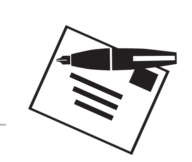
قوله :(**عَلَى الرِّجَالِ مُحَرَّمٌ**) هذا بيان لحكم مس الرجل للأجنبية أنه محرم دليل ذلك : ما جاء في البخاري من حديث عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قالت : « وما مست يد رسول الله يد امرأة لا يملكها» .[٢] أي : يملك نكاحها .

وعند عبدالله بن عمرو بن العاص -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « كان لا يصافح النساء في البيعة» .[٣]

وعن معقل بن يسار-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:«لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له».[٤]

وقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « إني لا أصافح النساء إنما قولي لمائة امرأة كقولي

---
(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه البخاري .
(٣) رواه أحمد وحسنه الألباني .
(٤) رواه البيهقي وصححه الألباني.



لامرأة واحدة» .[١]

قوله:(**حَرْثُ**) الحرث إثارة الأرض للزراعة والمرأة موطن زراعة الرجل قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ [البقرة:٢٢٣] .

قوله :(**السِّبَاخِ**) جمع سبخة بالسكون أرض ذات ملح ونز لا تكاد تنبت أو سبخة بالفتح وهي من الأرض ما لم يحرث ولم يعمر لملوحته .

قوله:(**خَسَارَةُ الحِرْثَانِ**) أي : خسارة الأزواج وهذا يحتمل معنيين:

١- أن يحرث في غير موضع الحرث .

٢- أن يحرث في موضع الحرث أثناء حيضها ونفاسها .

٣٥٠ لاَ تَلْقَ رَبَّكَ سَارِقًا أَوْ خَائِنًا أَوْ شَارِبًا أَوْ ظَالِمًا أَوْ زَانِي

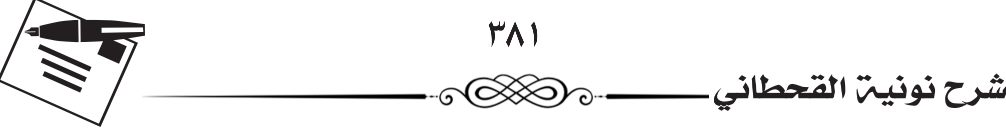
قوله :(**لاَ تَلْقَ رَبَّكَ**) أي : احذر أن تلقاه على المعاصي التي سيأتي ذكرها:

قوله :(**سَارِقًا**) هذه هي المعصية الأولى التي حذر منها الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (السرقة) ، والسرقة: أخذ مال الغير خفية ومن غير حق .

وحكمها: محرمة وكبيرة من كبائر الذنوب ويجب فيها الحد وهو قطع يد السارق ما إذا استوفت الشروط وانتفت الموانع لقوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[المائدة:٣٨] .

ولقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «تقطع اليد في ربع دينار فصاعدا» .[٢]

(١) رواه مالك والنسائي وقال الألباني إسناده صحيح .
(٢) رواه البخاري ومسلم.



ولقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في شأن المخزومية التي كانت تجحد المتاع وجاء أسامة بن زيد -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- ليشفع لها فقال: «أتشفع في حد من حدود الله وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» .[١]

قوله: (**أَوْ خَائِنًا**) وهذه هي المعصية الثانية التي حذر منها الناظم في هذا النظم) الخيانة) .

والخيانة للعهد: نقضه، وللأمانة عدم تأديتها، وللنصيحة عدم الإخلاص فيها، وللشخص الغدر به .

وقد حذر الله منها في أكثر من موضع من كتابه الكريم بالمنطوق أو بالمفهوم فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٧ ﴾[الأنفال:٢٧] .

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ [النحل:٩١] .

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء:٣٤] .

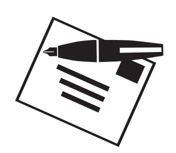
وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾[المائدة:١] .

والخيانة: علامة للنفاق كما في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعا: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان» .[٢]

قوله: (**أَوْ شَارِبًا**) وهذه هي المعصية الثالثة المحذر منها في هذا النظم (شرب المسكر من خمر ومخدر ونحوهما من الخبائث التي يغول فيها العقل) .

وشرب الخمر محرم بدلالة الكتاب والسُّنَّة ويلحق به قياسا ما أسكر قال الله

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم.



-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[المائدة:٩٠] .

ومن السُّنَّة: ما جاء عند أبي داوود وغيره أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لعن في الخمر بضعة فعن ابن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال: قال: رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحملها والمحمولة إليه» .[1]

وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«كل مسكر خمر وكل خمر حرام» .[2]

قوله:(**أَوْ ظَالِمًا**) وهذه هي المعصية الرابعة التي حذر منها الناظم (الظلم).

والظلم: ضد العدل وهو مجاوزة الحد أو يقال: هو وضع الشيء في غير موضعه ، والظلم محرم وكبيرة من كبائر الذنوب التي نهينا عن اقترافها بدلالة القرآن والسُّنَّة :

فمن الكتاب: قوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- :﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾[الفرقان:١٩] .

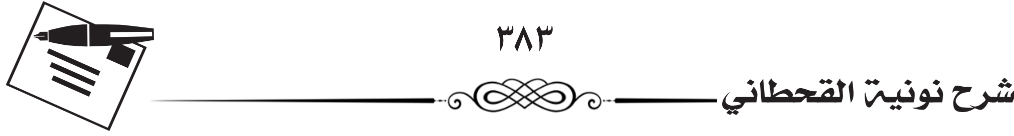
وقوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- :﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾[غافر:١٨] .

وقوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- :﴿ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[الإنسان:٢١] .

وقوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾[إبراهيم:٤٢-٤٣] .

---

(١) رواه أبو داؤود وصححه الألباني .
(٢) رواه مسلم وابن ماجه وأحمد.



ومن السُّنَّة: قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة».[١]

وفي الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا».[٢]

والظلم نوعان:

الأول: ظلم يتعلق بحق الله والشرك أعلاه وأعظمه وأبشعه قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣﴾ [لقمان:١٣].

وكذلك ما دون الشرك مما يتعلق بحقه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

الثاني: ظلم يتعلق بحقوق الخلق ويدور ذلك على ثلاثة أمور الدماء والأموال والأعراض روى مسلم أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم، حرم عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا».[٣]

وقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه».[٤]

ومن صور ظلم الخلق:

١- ظلم الآباء للأبناء بعدم العدل بينهم أو عدم القيام بحقهم.

٢-ظلم الأزواج للزوجة أو الزوجات بعدم العدل بينهن أو عدم القيام بحقهن.

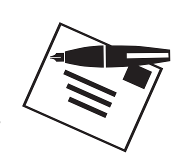
٣- ظلم الرعية وذلك بعدم العدل بينهم أو عدم القيام بحقهم وفي الحديث «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الإمام راع ومسؤول عن رعيته

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبدالله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-.

(٢) رواه مسلم من حديث أبي ذر.

(٣) رواه مسلم بدون لفظ (وأعراضكم).

(٤) رواه مسلم.



والرجل راع في بيت أهله ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته» .(١)

٤- ظلم العلماء وذلك في الوقيعة فيهم قدحا وجرحا وفي مؤلفاتهم عن تعصب وهوى لا عن عدل وإنصاف.

٥- ظلم الأقارب وذوي الميراث دمًا ومالًا وعرضًا .

٦- ظلم عموم المسلمين وغير المسلمين ممن يجب إقامة العدل والإنصاف في حقهم .

٧- ظلم البهائم بعدم القيام بحقها والرفق بها.

إلى غير ذلك من صور الظلم القولية والعملية الموبقة لدنيا المرء وأخراه عافانا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- .

قوله:(أَوْ زَانِي) وهذه هي المعصية الخامسة التي حذر منها الناظم (الزنا).

والزنا : «هو فعل الفاحشة في قُبل أو دُبر » .(٢)

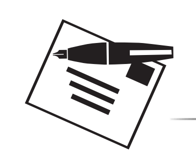
والفاحشة : كل جماع محرم وتحريم الزنا ثابت بدلالة القرآن والسُّنَّة والإجماع والشرائع السماوية السابقة والفطرة السوية .

فمن القرآن : يقول الكريم المنان : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[الإسراء:٣٢] .

وقوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ [النور:٣] .

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- .
(٢) الشرح الممتع (٦/ ١٥١) . .



ومن السُّنَّة: يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» .[١]

وأما الإجماع : فقد أجمع العلماء سلفا وخلفا على تحريم الزنا .

وأما الشرائع السماوية السابقة: فهو محرم في جميعها .

وأما الفطرة: فما منا من أحد من بني آدم إلا ويستفحش عقله وفطرته هذا الفعل المنكر إلا من سلب الله عقله ومسخ طبيعته فإنه يستسيغ هذا المنكر كالجعل يستسيغ رائحة العذرة ولكنه في رائحة الورد قد يموت .

قال ابن وردي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : «إن ريح الورد مؤذ في الجعل» .[٢]

٣٥١ قُلْ إِنَّ رَجْمَ الزَّانِيَيْنِ كِلَيْهِمَا   فَرْضٌ إِذَا زَنَيَا عَلَى الإِحْصَانِ

قوله:(**قُلْ**) أيها المسلم.

قوله:(**إِنَّ رَجْمَ الزَّانِيَيْنِ كِلَيْهِمَا**) أي : المرأة والرجل إذا زنيا.

قوله:(**فَرْضٌ إِذَا زَنَيَا عَلَى الإِحْصَانِ**) أي : يجب رجمهما إذا كانا محصنيين.

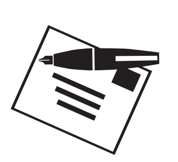
والمحصن هو: من وطئ امرأته المسلمة أو الذمية في نكاح صحيح وهما بالغان عاقلان حران.

٣٥٢ وَالرَّجْمُ فِي الْقُرْآنِ فَرْضٌ لاَزِمٌ   لِلْمُحْصَنَيْنِ وَيُجْلَدُ الْبِكْرَانِ

قوله:(**وَالرَّجْمُ فِي الْقُرْآنِ فَرْضٌ لاَزِمٌ لِلْمُحْصَنَيْنِ**) أي : أن رجم الزانيين المحصنيين البالغين العاقلين الحرين واجب بدلالة القرآن والسُّنَّة وعمل

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) الشرح الممتع (٦/ ١٥١) .



الخلفاء الراشدين وهو قول الأئمة المهديين .

فأما دلالة الكتاب : فقد جاء في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال : « إن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رجم ورجمنا بعده وكان فيما أنزل الله على نبيه آية الرجم فقرأناها ووعيناها ورجم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ورجمنا بعده وأخشى إن طال بالناس زمان أن يقولوا لا نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله -عَزَّ وَجَلَّ- » .(١)

والمعنى : أن آية الرجم كانت مما يتلى من القرآن ثم إنه نسخ لفظها وبقي حكمها وهذا نوع من أنواع النسخ المعلوم في علم الأصول وهذا يعد شهادة كافية من الفاروق عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- على منبر رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بحضور الصحابة ولم ينكره أحد على أن آية الرجم نزلت في القرآن وقرئت ووعيت وعمل بها في عهد رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وفي عهد خلفائه الراشدين.

فيا ليت شعري ماذا سيقول بعد هذا النص الصحيح الصريح أولئك الأقزام الصعافقة اللئام الفلاسفة ذوي الكلام ممن تشبعوا بالهوى والجدال والخصام الذين أنكروا رجم الزاني بحجة أنه وحشية مخالف لسماحة الشريعة ويسرها ومذهب لجمالها - عافانا الله وسلمنا من الهوى - .

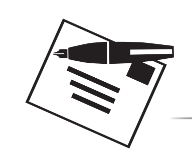
وأما دلالة السُّنَّة : فقد قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» .(٢)

وقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «اغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها» .(٣)

والرجم بدون الجلد في حق المحصن هو آخر الأمرين من رسول الله

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه البخاري ومسلم .



-صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- فإنه رجم الغامدية ولم يجلدها .

وأئمة المذاهب الأربعة على رجم الزاني المحصن حتى الموت.

قوله:(**وَيُجْلَدُ الْبِكْرَانِ**) أي : أن الزاني البكر ذكرا كان أو أنثى يجد بجلد مائة لقول الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- : ﴿ **ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴿٢﴾ ﴾[النور:٢] .

وفي السُّنَّة : يقول -صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام»[(١)].

٣٥٣وَالْخَمْرُ يَحْرُمُ بَيْعُهَا وَشِرَاؤُهَا سِيَّانِ ذَلِكَ عِنْدَنَا سِيَّانِ

قوله :(**وَالْخَمْرُ يَحْرُمُ بَيْعُهَا وَشِرَاؤُهَا**) وهذه هي المعصية السادسة :التي حذر منها الناظم (شرب الخمر) والخمر محرم بيعها كما أنه محرم شراؤها وقد سبق دليل ذلك في البيت رقم (٣٥٠) .

قوله:(**سِيَّانِ ذَلِكَ**) أي : متساويان في الإثم كلا من البائع والمشتري للخمر.

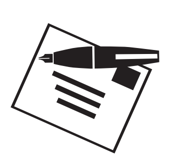
قوله :(**عِنْدَنَا**) لعله يشير -رَحِمَهُٱللَّهُ- إلى أحد أمرين:

١- إما إلى مذهب مالك -رَحِمَهُٱللَّهُ- كونه على المذهب المالكي .

٢- أو أنه يشير إلى أهل الإسلام عموما وهو كذلك .

قوله:(**سِيَّانِ**) توكيدا لما سبق من تساوي البائع والمشتري للخمر في الإثم.

(١) رواه مسلم من حديث عبادة بن الصامت -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- .



٣٥٤ فِي الشَّرْعِ وَالْقُرْآنِ حُرِّمَ شُرْبُهَا وَكِلاَهُمَا لاَ شَكَّ مُتَّبَعَانِ

قوله : (**فِي الشَّرْعِ**) لعله أراد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بهذا أحد أمرين :

١- إما أدلة الشرع الأصلية عموما (الكتاب والسُّنَّة والإجماع) والتنصيص للقرآن بعد العموم هو من باب ذكر الخاص بعد العام للعناية والإهتمام ولشرف القرآن على ما سواه .

٢- وإما أنه أراد بالشرع (السُّنَّة النبوية) بدلالة ذكر القرآن بعده وهذا فيما يبدوا أظهر لقوله (**وَكِلاَهُمَا لاَ شَكَّ مُتَّبَعَانِ**) وهذا مثنى يشير إلى اثنين وهما القرآن ، والسُّنَّة -والله أعلم- .

قوله :(**مُتَّبَعَانِ**) أي :يجب اتباعهما والعمل بما فيهما من أحكام وقال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[الأنفال:٢٤] .

وقال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾[النساء:٥٩].

وقال الله -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب:٧١].

وقال -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا كتاب الله وسُنَّة نبيه» .(١)

٣٥٥ أَيْقِنْ بِأَشْرَاطِ الْقِيَامَةِ كُلِّهَا وَاسْمَعْ هُدِيتَ نَصِيحَتِي وَبَيَانِي

قوله:(**أَيْقِنْ**) من اليقين : وهو العلم الذي لا شك فيه

---

(١) حديث صحيح رواه مالك في الموطأ .

قوله:(بِأَشْرَاطِ الْقِيَامَةِ) الأشراط : جمع شرط وهو لغة : العلامة ومنه قوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ﴿ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد:١٨] ، أي : علاماتها .

وعلامات الساعة على ضربين :

١- علامات صغرى .

٢- علامات كبرى .

قوله:(كُلِّهَا) أي : جميعها .

قوله:(وَاسْمَعْ) المراد أيها السامع والقارئ لهذه المنظومة .

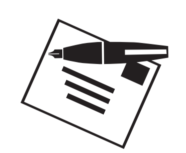
قوله:(هُدِيتَ) أي : هداك الله توفيقا وإرشادا .

قوله:(نَصِيحَتِي) من النصح وهو الشيء الخالص والمراد هنا قولي المتضمن الأمر بالخير والنهي عن الشر .

قوله:(وَبَيَانِي) من البيان وهو وضوح الشيء وظهوره ولعل المراد هنا بياني لأشراط الساعة .

٣٥٦ كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ مَكَانِ غُرُوبِهَا وَخُرُوجِ دَجَّالٍ وَهَوْلِ دُخَانِ

ذكر الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في هذا البيت والأبيات التي تليه ثمان علامات كبرى للساعة وهذا لا يفيد الحصر وقد ذكر النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عشر آيات في حديث واحد فقال : « إنها لا تقوم الساعة حتى ترو قبلها عشر آيات، الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف



بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم» .[١]

وهذا الحديث لا يفيد الحصر وإنما هذه جملة من العلامات الكبرى .

والعلامات الكبرى : هي التي تكون بين يدي الساعة.

بينما العلامات الصغرى : هي التي تشير إلى قرب الساعة

قوله:(**كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ مَكَانِ غُرُوبِهَا**) هذه واحدة من العلامات الكبرى (طلوع الشمس من مغربها) وقد دل عليها القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة قال الله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿ **يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا** ﴾[الأنعام:١٥٨] .

وقد بينت السُّنَّة الصحيحة أن المراد بذلك طلوع الشمس من مغربها كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت الشمس ورآها الناس أجمعون وذلك حين : ﴿ **لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا** ﴾ » .[٢]

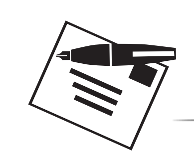
قوله :(**وَخُرُوجِ دَجَّالٍ**) وهذه علامة أخرى للساعة

الدجال لغة : صيغة مبالغة من الدجل وهو : الكذب والتمويه .

وشرعا : رجل من بني آدم مموه يخرج في آخر الزمان يدعي الصلاح ثم الربوبية -عافانا الله من فتنته -وخروج الدجال أكبر فتنة يتعرض لها الناس وذلك لما يجري الله على يد هذا الرجل من أمور خارقة للعادة يغتر بها ضعاف العقيدة من ذلك : إنه ليأمر السماء فتمطر ويأمرها فتمسك ويأمر الكلأ فينبت

---

(١) رواه مسلم .
(٢) متفق عليه .



ويحي الميت ويتبعه كنوز الأرض ونحو ذلك من الخوارق.

وعن أنس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال : قال: رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « ما بعث من نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وإن بين عينيه مكتوب كافر » .[1]

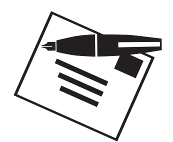
قوله:(**وَهَوْلِ دُخَانِ**) وهذه علامة أخرى للساعة قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [الدخان:١٠-١٣].

ذكر ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ- في تفسيره لهذه الآيات أقوال مختلفة منها : تفسير ابن مسعود أن هذه العلامة قد مرت حيث قال -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- :« قد مضى خمسة: الدخان والروم والقمر والبطشة واللزام» ، والحديث مخرج في الصحيحين وقد وافق ابن مسعود جماعة من أعلام السلف كمجاهد وأبي العالية والضحاك والنخعي وهو اختيار ابن جرير.

ومنها :أن هذه العلامة إنما تكون بين يدي الساعة وهو قول علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- حيث قال:« لم تمض آية الدخان بعد يأخذ المؤمن كهيئة الزكام وتنفخ الكافر حتى ينفد» ، وقال ابن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- نحوه وعلى القول أنها آية لم تمض بعد ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وهو حبر الأمة وترجمان القرآن وهو ما رجحه ابن كثير وهو القول الراجح فيما يبدوا للحديث الذي مر ذكره آنفا «إنها لا تقوم الساعة حتى ترون قبلها عشر آيات ...» فذكر الدخان ضمن العلامات الكبرى - والله أعلم- .

٣٥٧وَخُرُوجِ يِأْجُوجٍ وَمَأْجُوجٍ مَعًا   مِنْ كُلِّ صَقْعٍ شَاسِعٍ وَمَكَانِ

(١) رواه البخاري .



قوله:(**وَخُرُوجِ يأْجُوجٍ وَمَأْجُوجٍ مَعًا**) وهذه واحدة من العلامات الكبرى (خروج يأجوج ومأجوج) .

ويأجوج ومأجوج : اسمان أعجميان أو عربيان مشتقان من الماج وهو : الإضطراب وهما أمتان من بني آدم موجودتان وقد جاء ذكرهما في القرآن الكريم وفي السُّنَّة المطهره قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ ﴾ [الأنبياء:٩٦-٩٧] .

وقال-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ٩٤ ﴾[الكهف:٩٣-٩٤] .

وقد جاء ذكرهم في السُّنَّة الصحيحة عن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال:«إن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يقول: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: ابعث بعث النار، فيقول: وما بعث النار؟، فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحد إلى الجنة، فحينئذ يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وقال: إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلى كثرتاه: يأجوج ومأجوج» .(١)

قال بعض العلماء: إنهم من نسل يافث بن نوح -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- ويافث هو أبو الترك وإنما سموا تركا لأنهم تركوا وراء السد .

قوله:(**مِنْ كُلِّ صَقْعٍ**) أي: من كل ناحية .

قوله:(**شَاسِعٍ**)أي: بعيد .

قوله:(**وَمَكَانِ**) أي: ومن كل مكان .

---

(١) متفق عليه .

٣٥٨وَنُـزُولِ عِيسَى قَاتِلاً دَجَّالَهُمْ يَقْضِي بِحُكْمِ الْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ

قوله:(**وَنُزُولِ عِيسَى قَاتِلاً دَجَّالَهُمْ**) وهذه علامة خامسة للساعة .

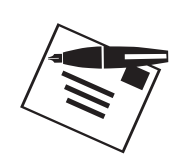
عيسى هو ابن مريم ابنت عمران- عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- وروح الله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، أرسله الله إلى بني إسرائيل، وأنزل عليه الإنجيل، فبلغ ما أنزل إليه من ربه، وبشر بأحمد نبيا من بعده، وتآمر من كفر من بني إسرائيل على قتله، فما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، ورفعه الله إليه، فهو حي في السماء، وسينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق على اجنحة ملكين وقت صلاة الصبح ويقتل المسيح الدجال، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية .

قوله:(**يَقْتَضِي بِحُكْم بَيْنَنَا العَدْنَان**) أي: ومما ينزل لأجله عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- دعوة الناس إلى الإسلام الدين الخاتم الذي جاء به محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والتحاكم إليه .

وقد دل على نزوله القرآن والسُّنَّة المتواترة .

فأما دلالة القرآن فقول- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ **وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا** ﴾ [الزخرف:٦١] .

قال ابن كثير عند تفسيره للآية: قال مجاهد: أي: آية الساعة خروج عيسى ابن مريم -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- قبل يوم القيامة، وقال أيضًا -رَحِمَهُ اللَّهُ- : « المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- :﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ** ﴾ أي: قبل موت عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ثم: ﴿ **وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ**



شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء:١٥٩] .

ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى:(وإنه لعلم الساعة) -بفتح العين واللام المهملتان- أي: أمارة ودليل على وقوع الساعة. ا هـ » .(١)

وأما دلالة السُّنَّة فالحديث الذي سبق ذكره التالي للبيت رقم (٣٥٦) .

أضف إلى ذلك: ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:« والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» .(٢)

والأحاديث في هذه الآية تبلغ مبلغ التواتر. كما حكاه ابن كثير في تفسيره .

٣٥٩ وَاذْكُرْ خُرُوجَ فَصِيلِ نَاقَةِ صَالِحٍ   يَسِمُ الْوَرَى بِالْكُفْرِ وَالإِيمَانِ

قوله:(**وَاذْكُرْ خُرُوجَ فَصِيلِ نَاقَةِ صَالِحٍ**) وهذه علامة سادسة للساعة دل عليها القرآن والسُّنَّة الصحيحة .

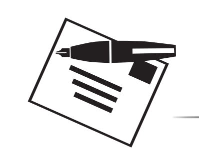
الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه .

ومراد الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بالفصيل الدابة التي ذكرها الله في كتابه في قوله: ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[النمل:٨٢] .

وأما دلالة السُّنَّة: فيكفي ما أوردناه فيما مر في البيت رقم (٣٥٦) .

قوله:(**يَسِمُ**) أي: ينعت ويصف .

(١) تفسير ابن كثير للآية .
(٢) رواه مسلم .



قوله: (**الْوَرَى**) أي: الناس .

قوله:(**بِالْكُفْرِ وَالإِيمَانِ**) أي: أنها تنادي المسلم يا مسلم وتنادي الكافر يا كافر هذه الدابة لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تكتب بين عيني المؤمن مؤمنا فيضيء وجهه وتكتب بين عيني الكافر كافرا فيسود وجهه حتى أنها تقول: يا فلان أبشر أنت من أهل الجنة و يا فلان أنت من أهل النار ، وهذا كما قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[النمل:٨٢] .

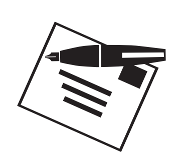
قال ابن عباس والحسن وقتادة ويروى عن علي بن أبي طالب: تكلمهم كلاما أي: تخاطبهم مخاطبة ، قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « وليس في القرآن والسُّنَّة الصحيحة ما يدل على مكان خروج هذه الدابة وصفتها وإنما وردت في ذلك أحاديث في صحتها نظر وظاهر القرآن أنها دابة تنذر الناس بقرب العذاب والهلاك -والله أعلم- » .[١]

٣٦٠ وَالْوَحْيُ يُرْفَعُ وَالصَّلاَةُ مِنَ الْوَرَى وَهُمَا لِعِقْدِ الدِّيْنِ وَاسِطَتَانِ

قوله:(**وَالْوَحْيُ يُرْفَعُ**) وهذه علامة كبرى للساعة لم ترد في الحديث الذي سبق إيراده عند أول علامة للساعة ولكنه ورد ذكره في أحاديث أخرى كثيرة وصحيحة عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « أن القرآن يرفع من الصدور والسطور».[٢]

قوله:(**وَالصَّلاَةُ**) أي: وترفع الصلاة وهي علامة كبرى للساعة كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :«لتنتقضن عرى الإسلام عروة عروة فأولهن

(١) شرح لمعة الإعتقاد (ص ٦٠) .
(٢) شرح لمعة الإعتقاد (ص ٣٩) .



نقضا الحكم وآخرهن الصلاة » .(١)

قوله:(**مِنَ الْوَرَى**) أي: من الناس .

قوله:(**وَهُمَا**) أي: القرآن الكريم والصلاة .

قوله:(**لِعِقْدِ الدِّيْنِ وَاسِطَتَانِ**) أي: أن دين الله -جَلَّوَعَلَا- لا يقوم إلَّا عليهما.

٣٦١ صَلِّ الصَّلاَةَ الْخُمْسَ أَوَّلَ وَقْتِهَا　　إِذْ كُلُّ وَاحِدَةٍ لَهَا وَقْتَانِ

قوله:(**صَلِّ الصَّلاَةَ الْخُمْسَ أَوَّلَ وَقْتِهَا**) أي: حافظ على إقام الصلوات الخمس المكتوبة في أول وقتها وقد اختلف العلماء هل الأفضل المبادرة لأداء الصلاة في أول وقتها أم الأفضل التأخير؟ .

ولا شك أن الراجح حسب علمي المبادرة بها أول وقتها عدا العشاء فالأفضل تأخيرها إلى آخر وقتها المختار وهو نصف الليل ما لم يشق ذلك على المصلين .

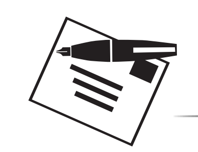
دليل ذلك ما رواه الشيخان من حديث ابن عباس -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :« لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بهذه الصلاة هذه الساعة » (٢) .

والمراد بها صلاة العشاء وكان قد أخرها حتى نام بعض الناس .

وبالنسبة لصلاة الظهر فالأفضل المبادرة بأدائها في أول وقتها مطلقا ما لم يشتد الحر لقوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- : « إذا اشتد الحر فأبردوا ، بالصلاة فإن شدة

---

(١) رواه ابن حبان وصححه الألباني وقال الأرناؤوط اسناده قوي .
(٢) متفق عليه .



الحر من فيح جهنم[١] .

قوله:(**إِذْ كُلُّ وَاحِدَةٍ لَهَا وَقْتَانِ**) فأول وقت صلاة الظهر حين تزول الشمس عن كبد السماء نحو الغروب وآخر وقتها مساواة الشيء ظله بعد فيء[٢] الزوال.

وأول وقت العصر: هو خروج وقت الظهر فإذا خرج وقت الظهر دخل وقت العصر وآخر وقت العصر إلى أن يصير ظل الشيء مثليه بعد ظل الفيء وهذا هو الوقت الاختياري والوقت الاضطراري إلى غروب الشمس.

* وأول وقت المغرب : إذا سقطت الشمس في مغيبها وآخره هو غياب الشفق الأحمر .

* وأول وقت العشاء : هو غياب الشفق الأحمر وآخر وقتها المختار هو نصف الليل .

* وأول وقت الفجر: هو طلوع الفجر الصادق من جهة المشرق وآخر وقته إذا طلعت الشمس.

جاء في الصحيحين من حديث جابر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قال :« كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يصلي الظهر بالهاجرة والعصر والشمس نقية والمغرب إذا وجبت والعشاء أحيانا ، وأحيانا إذا رآهم اجتمعوا عجل وإذا أبطؤا أخر والصبح كان يصلي بغلس »[٣] .

وعن أبي المنهال سيار بن سلامة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال : دخلت أنا وأبي على أبي برزة الأسلمي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فقال له :أبي : كيف كان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يصلي المكتوبة ؟ فقال : كان يصلي الهاجرة التي تدعونها الأولى حين تدحض

(١) متفق عليه .
(٢) والفيء : هو الظل بعد الزوال .
(٣) متفق عليه .

الشمس ويصلي العصر ثم يرجع أحدنا إلى رحله في أقصى المدينة والشمس حية ونسيت ما قال : في المغرب وكان يستحب أن يؤخر من العشاء التي تدعونها العتمة وكان يكره النوم قبلها والحديث بعدها وكان ينفتل من صلاة الغداة حين يعرف الرجل جليسه وكان يقرأ بالستين إلى المائة [(١)] .

٣٦٢ قَصْرُ الصَّلاَةِ عَلَى الْمُسَافِرِ وَاجِبٌ وَأَقَلُّ حَدِّ الْقَصْرِ مَرْحَلَتَانِ

قوله:(**قَصْرُ الصَّلاَةِ**) المراد بها الرباعية)الظهر والعصر والعشاء(وقصرها أن تصلى كل صلاة منها ركعتان .

قوله:(**عَلَى الْمُسَافِرِ**) هذا هو الأصل في القصر لقوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ [النساء: ١٠١] .

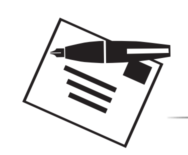
وعن يعلى بن أمية قال : قلت لعمر بن الخطاب ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ فقد أمن الناس فقال : عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن ذلك فقال : « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » [(٢)] .

وأما السُّنَّة : فقد تواترت الأخبار أن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يقصر في أسفاره حاجا ومعتمرا وغازيا .

وأما الإجماع : فقد أجمع أهل العلم على أن من سافر سفرا تقصر في مثله الصلاة في حج أو عمرة أو جهاد له أن يقصر الرباعية فيصليها ركعتين » [(٣)] .

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه مسلم .
(٣) الاجماع لابن المنذر (ص ٤٦)، والمغني لابني قدامة (٣/ ١٠٥) .



واعلم رحمك الله أنه يشترط في السفر الذي تقصر لأجله الرباعية شرطان:

١- أن يكون سفرا مباحا على قول بعض أهل العلم .

٢- أن يبلغ مسافة قصر وسيأتي بيان ذلك قريبا -بعون الله- .

قوله:(**وَاجِبٌ**) اختلف الفقهاء فذهب بعضهم إلى أن القصر في السفر سُنَّة وهو قول بعض المالكية وذهب آخرون إلى أنه واجب وهو قول أكثر العلماء والفقهاء ومنهم علي وابن عمر وجابر وابن عباس وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول الحنفية وتبعهم على هذا شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم - رَحِمَهُمُاللَّهُ- .

وقد رد ابن الأمير الصنعاني في(سبل السلام) والشوكاني في (نيل الأوطار) أقوال وحجج القائلين بأن القصر رخصة لا عزيمة .

وذهب فريق ثالث : إلى أن القصر في السفر جائز وهو قول الشافعية والحنابلة والقصر أفضل من الإتمام .

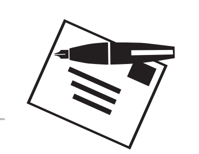
قوله:(**وَأَقَلُّ حَدِّ الْقَصْرِ**) أي: أقل مسافة تبيح القصر .

قوله:(**مَرْحَلَتَانِ**) المرحلة: مسيرة يوم وليلة بسير الإبل المحملة بالأثقال والمشاة سيرا معتادا ، فالمرحلتان تساوي تقريبا (٧٦,٨) كيلو متر، وقيل (٨٠ , ٤٦) كيلو متر .

قال ابن باز -رَحِمَهُٱللَّهُ- :(والصواب ما قدره جمهور العلماء وهو التحديد بالمسافة التي ذكرت وهو الذي عليه أكثر أهل العلم فينبغي الالتزام بذلك) .

واختار شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُٱللَّهُ- :« أنه لا حد للسفر بالمسافة بل كل ما يعد سفرا ويتزود له ويبرز للصحراء فهو سفر ورجحه العلامة ابن عثيمين ورجحه ابن قدامة في المغني» [1] .

(١) المغني (٣/ ١٠٩) .



وهذا القول يقال بيسر الإسلام لأن التحديد يستلزم من الناس معرفة مسافات الطرق وهذا يشق على أكثرهم خاصة إذا لم تكن الطرق مطروقة من قبل .

٣٦٣ كِلْتَاهُمَا فِي أَصْلِ مَذْهَبِ مَالِكٍ   خَمْسُونَ مِيلاً نَقْصُهَا مِيلاَنِ

قوله:(**كِلْتَاهُمَا**) أي: المرحلتان .

قوله:(**فِي أَصْلِ مَذْهَبِ مَالِكٍ**) أي: فيما استقر عليه الإمام مالك مؤخرا .

قوله:(**خَمْسُونَ مِيلاً نَقْصُهَا مِيلاَنِ**) أي: ثمانية وأربعون ميلا قال ابن القاسم:(كان مالك يقول قبل اليوم يقصر الصلاة في مسيرة يوم وليلة ثم ترك وقال مالك: لا يقصر الصلاة إلا في مسيرة ثمانية وأربعين ميلا كما قال ابن عباس: في أربعة برد) .

والخلاصة: أن جمهور العلماء على أن مسافة السفر التي تقصر فيها الصلاة أربعة برد والبريد الواحد مسيرة نصف يوم فيكون اليومّان القاصدان) »[١] .

هما أربعة برد والبريد الواحد أربعة فراسخ والفرسخة ثلاثة أميال والميل المعروف ألف وستمائة متر .

فتكون الأربعة البرد ستة عشر فرسخا وثمانية وأربعين ميلا بما يساوي (٧٦,٨) كيلو متر تقريباً ، وقيل : (٦٤ , ٨٠) كيلو متر .

قال ابن عثيمين –رَحِمَهُ ٱللَّهُ–:«والميل المعروف يساوي كيلو وستين في المائة»[٢].

---

(١) اليومّان القاصدان: أي: الذي لا يسير فيهما الإنسان ليلا ونهارا سيرا بحتا ولا يكون كثير النزول والإقامة .

(٢) انظر للشرح الممتع (٤/ ٤٩٦) ، تيسير العلام (١/ ٢٣٧) .



٣٦٤وَإِذَا الْمُسَافِرُ غَابَ عَنْ أَبْيَاتِهِ فَالْقَصْرُ وَالإِفْطَارُ مَفْعُولاَنِ

قوله:(**وَإِذَا الْمُسَافِرُ غَابَ**) أي: غرب وبرز .

قوله:(**عَنْ أَبْيَاتِهِ**) أي: عن بيوت قريته أو محل إقامته .

قوله:(**فَالْقَصْرُ**) أي: قصر الرباعية إلى ركعتين .

قوله:(**وَالإِفْطَارُ**) أي: فطر ما وجب عليه من الصيام في مدة سفره .

قوله:(**مَفْعُولاَنِ**) أي: كائنان .

قال ابن القاسم:وقال مالك في الرجل يريد سفرا:«أنه يتم الصلاة حتى يبرز عن بيوت القرية فإذا برز قصر الصلاة حتى يدخل بيوت القرية أو قربها»(١) .

قال ابن المنذر:« وأجمعوا على أن للذي يريد السفر أن يقصر الصلاة إذا خرج عن جميع بيوت القرية التي خرج منها» (٢) .

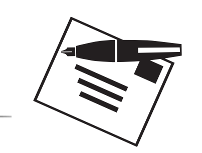
وهذا مذهب جمهور أهل العلم: « أن المسافر إذا أراد سفرا تقصر في مثله الصلاة لا يقصر حتى يفارق جميع البيوت» (٣) .

قال أنس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- : « صليت الظهر مع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالمدينة أربعا وبذي الحليفة ركعتين» (٤) .

٣٦٥وَصَلاَةُ مَغْرِبِ شَمْسِنَا وَصَبَاحِنَا فِي الْحَضْرِ وَالأَسْفَارِ كَامِلَتَانِ

---

(١) المدونة الكبرى (١/ ٢٥٦) .
(٢) الإجماع لابن المنذر (ص ٤٧) .
(٣) فتح الباري (٢-٥٦٩) .
(٤) متفق عليه.



قوله:(**وَصَلاَةُ مَغْرِبِ شَمْسِنَا وَصَبَاحِنَا**) أي:صلاة المغرب وصلاة الفجر.

قوله:(**فِي الْحَضَرِ**) أي: في مكان الإقامة .

قوله:(**وَالأَسْفَارِ**) أي: في مكان السفر .

قوله:(**كَامِلَتَانِ**) أي: تامتان فتصلى المغرب ثلاثا حضرا وسفرا وتصلى الفجر ركعتان حضرا وسفرا .

٣٦٦ وَالشَّمْسُ حِينَ تَزُولُ مِنْ كَبِدِ السَّمَا فَالظُّهْرُ ثُمَّ الْعَصْرُ وَاجِبَتَانِ

قوله:(**وَالشَّمْسُ حِينَ تَزُولُ**) أي: حين تميل نحو الغروب .

قوله:(**مِنْ كَبِدِ السَّمَا**) أي: من وسطها ولو شعرة بعد ظل الفيء .

قوله:(**فَالظُّهْرُ**) أي: فهذا هو بداية وقت الظهر .

قوله :(**ثُمَّ الْعَصْرُ**) ثم: حرف عطف يفيد الترتيب مع التراخي أي : ويعقب صلاة الظهر صلاة العصر فإذا خرج وقت الظهر وذلك بأن يصير ظل الشيء مساو له بعد ظل الفيء دخل وقت العصر .

قوله :(**وَاجِبَتَانِ**) أي : يجب القيام بهما .

٣٦٧ وَالظُّهْرُ آخِرُ وَقْتِهَا مُتَعَلِّقٌ بِالْعَصْرِ وَالْوَقْتَانِ مُشْتَبِكَانِ

سبق بيان ذلك في البيت رقم (٣٦١-٣٦٦) .

٣٦٨ لاَ تَلْتَفِتْ مَا دُمْتَ فِيهَا قَائِمًا وَاخْشَعْ بِقَلْبٍ خَائِفٍ رَهْبَانِ

قوله:(**لاَ تَلْتَفِتْ مَا دُمْتَ فِيهَا قَائِمًا**) أي : ما دمت قائما لصلاة الظهر بعد تحول الشمس عن وسط السماء فلا تلتفت لخروج الوقت بل

قوله : (**وَاخْشَعْ بِقَلْبٍ خَائِفٍ رَهْبَانِ**) أي : صل بقلب خاشع حاضر خائف يرجو الثواب ويخشى العقاب قال الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَى- : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢** ﴾ [المؤمنون :١-٢] ، والخشوع في الصلاة هو روحها .

ويحذر من الإلتفات الذي هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد كما أخبر بذلك النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-« **إياك والالتفات فإنه اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**» .

وقال أيضًا : « أسوأ السرقة الذي يسرق صلاته ، لا يتم ركوعها ولا سجودها» [1] .

٣٦٩ وَكَذَا الصَّلاَةُ غُرُوبَ شَمْسِ نَهَارِنَا وَعِشَاؤُنَا وَقْتَانِ مُتَّصِلاَنِ

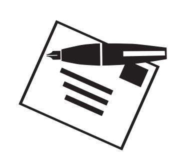
قوله :(**وَكَذَا**) الواو: حرف عطف على ما سبق بيانه من أن وقت صلاتي الظهر والعصر مشتبكان .

كذا : إشارة إلى صلاتي المغرب والعشاء .

قوله:(**وَقْتَانِ مُتَّصِلاَنِ**) أي : مشتبكان فإذا غاب الشفق الأحمر من السماء خرج وقت المغرب وهو أول وقت العشاء ، ولذا فإن من المعلوم أن الجمع لا يكون إلا بين الظهرين أو بين العشائين وذلك لتداخل وقتيهما.

وعليه : فلا يصح أن يجمع بين العشاء والفجر ، أو بين الفجر والظهر ، أو

(١) أخرجه مالك وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب وقال عنه صحيح لغيره .



بين العصر والمغرب، لانفراد كل واحد بوقت خاص.

٣٧٠وَالصُّبْحُ مُنْفَرِدٌ بِوَقْتٍ مُفْرَدٍ　　لَكِنْ لَهَا وَقْتَانِ مَفْرُودَانِ

قوله :(**وَالصُّبْحُ مُنْفَرِدٌ بِوَقْتٍ مُفْرَدٍ**) أي: لا يتصل بوقت السابقة لها وهي: العشاء ولا بوقت التالية ، وهي : الظهر إذ صلاة العشاء ينتهي وقتها المختار بنصف الليل ولا يبدأ وقت الفجر إلا بطلوع الفجر الثاني فبينهما وقت طويل لا يصح أداء أحدهما فيه وينتهي وقت صلاة الفجر بطلوع الشمس ولا يبدأ وقت الظهر إلا بعد تحول الشمس من كبد السماء بعد ظل الفيء فبينهما وقت طويل لا يصح أداء الصلاتين فيه .

قوله :(**لَكِنْ لَهَا وَقْتَانِ مَفْرُودَانِ**) أي : لصلاة الفجر وقتان مفرودان وهما الفجر والإسفار كما ذكر في البيت التالي:

٣٧١فَجْرٌ وَإِسْفَارٌ وَبَيْنَ كِلَيْهِمَا　　وَقْتٌ لِكُلِّ مُطَوِّلٍ مُتَوَانِ

قوله :(**فَجْرٌ**) الفجر: ضوء الصبح وهو: حمرة الشمس في سواد الليل أي: أن الفجر في آخر الليل كالشفق في أوله .

قوله:(**وَإِسْفَارٌ**) أسفر الصبح إسفارا: أي : أضاء وأشرق وانكشف.

قوله :(**وَبَيْنَ كِلَيْهِمَا**) أي : بين الفجر والإسفار.

قوله :(**وَقْتٌ لِكُلِّ مُطَوِّلٍ مُتَوَانِ**) أي: لكل متأخر ومتكاسل فله أداء الصلاة بين الفجر والإسفار .

٣٧٢ وَارْقُبْ طُلُوعَ الْفَجْرِ وَاسْتَيْقِنْ بِهِ ... فَالْفَجْرُ عِنْدَ شُيُوخِنَا فَجْرَانِ

قوله:(**وَارْقُبْ طُلُوعَ الْفَجْرِ**) أي :ترقب وقت طلوع الفجر الصادق .

قوله:(**وَاسْتَيْقِنْ بِهِ**) أي :حتى تستيقن وتتأكد من طلوعه .

قوله:(**فَالْفَجْرُ عِنْدَ شُيُوخِنَا**) المراد: بهم هنا شيوخ المالكية كون الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- على المذهب المالكي وهو كذلك عند غير المالكية .

قوله:(**فَجْرَانِ**) أي :فجر كذوب وفجر صادق وهما ما ذكر الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في البيت التالي بقوله :

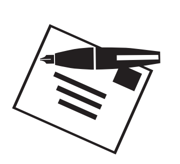
٣٧٣ فَجْرٌ كَذُوبٌ ثُمَّ فَجْرٌ صَادِقٌ ... وَلَرُبَّمَا فِي الْعَيْنِ يَشْتَبِهَانِ

قوله:(**فَجْرٌ كَذُوبٌ**) وهو: الضياء المستطيل في الأفق)أي: الذاهب في السماء طولا(كأنه ذنب السرحان)أي : الذئب(شبه به لأنه مستدق صاعد في غير اعتراض وهو لا يحرم شيئا .

قوله:(**ثُمَّ**)حرف عطف يفيد الترتيب مع التراخي .

قوله :(**فَجْرٌ صَادِقٌ**) وهو : الضياء المعترض المستطير(أي: المنتشر) في الأفق جهة الشرق في آخر الليل ويبدوا ساطعا يملأ الأفق بحمرته ويطلع بعد ما يغيب الفجر الكاذب ، وبطلوعه يدخل النهار ويحرم على الصائم كل ما يفطر به .

قوله(**وَلَرُبَّمَا فِي الْعَيْنِ يَشْتَبِهَانِ**) أي : أنه قد يحصل اشتباه بين ضياء الفجر



الصادق وبين ضيائه الكاذب .

٣٧٤وَالظِّلُّ في الأَزْمَانِ مُخْتَلِفٌ كَمَا   زَمَنُ الشِّتَا وَالصَّيْفِ مُخْتَلِفَانِ

قوله :(**وَالظِّلُّ**) أي : ظل الأجسام من الشمس .

قوله :(**في الأَزْمَانِ**) أي : في الأوقات .

قوله :(**مُخْتَلِفٌ**) أي: في طوله وقصره .

قوله :(**كَمَا زَمَنُ الشِّتَا وَالصَّيْفِ مُخْتَلِفَانِ**) أي: كما هو الحال في اختلاف الليل والنهار طولا وقصرا شتاء وصيفا فكذلك يختلف طول الظل وقصره .

٣٧٥فَاقْرَأْ إِذَا قَرَأَ الإِمَامُ مُخَافِتًا   وَاسْكُتْ إِذَا مَا كَانَ ذَا إِعْلاَنِ

قوله:(**فَاقْرَأْ إِذَا قَرَأَ الإِمَامُ مُخَافِتًا**) أي: اقرأ في الصلاة السرية الفاتحة وما تيسر وكذلك في الركعتين الأخريين من العشاء والركعة الأخيرة من المغرب ولا تعتد بقراءة إمامك.

قوله :(**وَاسْكُتْ إِذَا مَا كَانَ ذَا إِعْلاَنِ**) أي : استمع وانصت لقراءة الإمام الفاتحة وما بعدها في الصلاة الجهرية الفجر والركعتين الأولين من المغرب والعشاء وقراءة الإمام تعد قراءة للمأموم والعلماء في هذه المسألة على أربعة أقوال: [١]

الأول :لا قراءة على المأموم مطلقا لا الفاتحة ولا غيرها لا في السرية ولا في الجهرية وأن المأموم لو وقف ساكتا في كل الركعات فصلاته صحيحة ودليلهم « من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة » . [٢]

(١) الشرح الممتع (٢/ ١٣٩-١٤٠) .
(٢) حسنه الألباني في صحيح الجامع .

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « وهذا قول ضعيف جدا والحديث لا يصح عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما قال ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أنه يصح موقوفًا » .

وقال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في الفتح : « إنه ضعيف باتفاق الحفاظ ثم على تقدير صحته لا يدل على أن المأموم لا قراءة عليه في السرية والجهرية إنما يدل على أنه لا قراءة عليه في الجهرية لأن قول :-قراءة الإمام له قراءة- يدل على أنه استمع إليها فاكتفى بها عن قراءته ولكن الحديث ضعيف كما سبق » .

القول الثاني : وجوبها على المأموم في كل الصلوات السرية والجهرية وهذا مقابل للقول الأول .

القول الثالث : أنها تجب على المأموم في الصلاة السرية دون الجهرية لأن الجهرية إذا قرأ فيها الإمام فقراءته قراءة للمأموم الفاتحة وغيرها وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « واستدل بعموم حديث أبي هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « انصرف ذات يوم من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال : «مالي أنازع القرآن» ، قال : فانتهى الناس عن القراءة فيما يجهر فيه الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- » .(١)

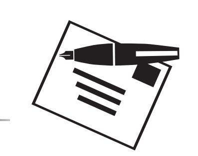
ومن أدلة هذا القول قول الله تبارك و -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[الأعراف: ٢٠٤] . وقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الإمام : « وإذا قرأ فانصتوا» .(٢)

والآية والحديث يدلان على عموم الإنصات سواء في الفاتحة أو غيرها.

هذا صحيح ولكن هذا العموم مقيد بعموم آخر وهو قوله-صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

---

(١) صحيح صححه الألباني في صحيح الجامع.
(٢) رواه مسلم .



«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» . [١] حيث قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد أن انفتل من صلاة الفجر وذلك حين قرأ في صلاة الفجر وثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال: « لعلكم تقرؤون خلف إمامكم»، قالوا : إي والله قال : « لا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها » . [٢]

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ اللَّهُ- : « وهذا نص صريح في الصلاة الجهرية وعلى هذا فتكون قراءة الفاتحة مستثناة من عموم ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾[الأعراف: ٢٠٤] .

وهذا هو المشهور من مذهب الشافعي قال ابن مفلح : وهذا هو القول الأظهر.

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ اللَّهُ- : « وصدق فإنه أظهر من القول بعدم وجوب القراءة على المأموم مطلقا أو في الصلاة الجهرية » وعليه : فيكون هذا هو:

القول الرابع : ألا وهو : وجوب قراءة الفاتحة على المأموم في السرية والجهرية والإصغاء للإمام فيما بعد الفاتحة وهذا هو الصحيح - والله أعلم- وعلمه أتم وأكرم - .

٣٧٦ وَلِكُلِّ سَهْوٍ سَجْدَتَانِ فَصَلِّهَا قَبْلَ السَّلَامِ وَبَعْدَهُ قَوْلَانِ

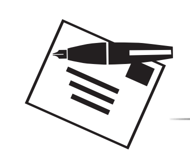
قوله:(**وَلِكُلِّ سَهْوٍ**) السهو: الغفلة والنسيان .

شرعا : الزيادة أو النقص أو الشك في الصلاة .

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .

(٢) أخرجه أحمد وأبو داوود من حديث عبادة بن الصامت -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وحسنه الألباني في المشكاة (٨٥٤) .



وهذه هي أسباب سجود السهو في الصلاة :

١- الزيادة : فمن زاد قول أو عمل فليسجد للسهو

٢- النقص: فمن ترك واجبا من واجبات الصلاة أو سُنَّة من سننها القولية أو الفعلية فليسجد للسهو أما من ترك ركنا من أركانها فإنها لا تجبر بسجود السهو وعليه القيام بالركن الذي تركه (ولك أن تراجع أركان وواجبات وسنن الصلاة مفصلة في البيت التالي برقم (٣٧٧) .

٣- الشك : من شك فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد للسهو .

قوله:(**سَجْدَتَانِ**) أي : تشرع لأحد هذه الأسباب سجدتان يقول فيهما «سبحان ربي الأعلى» ثلاثا

قوله:(**فَصَلِّهَا قَبْلَ السَّلاَمِ وَبَعْدَهُ**) أي : قم بأدائها قبل السلام أو بعده

قوله:(**قَوْلاَنِ**) أي : هما قولان:

فالحنفية : يرون أن سجود السهو كله بعد السلام .

والشافعية :يرون أن سجود السهو كله قبل السلام .

وهناك قول ثالث : وهو قول الحنابلة: حيث يرون أن سجود السهو قبل السلام إلا إذا سلم قبل إتمام الصلاة فالأفضل أن يسجد بعد السلام .

وهناك قول رابع : وهو قول المالكية : حيث يرون أن كل زيادة في الصلاة يكون سجود السهو محله بعد السلام وكل نقص وشك فمحله قبل السلام

وهذا هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية ورجحه ابن عثيمين . [1] وهو أصح الأقوال – والله أعلم– .

(١) الشرح الممتع (٢/ ٣٧) .



٣٧٧ سُنَنُ الصَّلاَةِ مُبَيَّنَهْ وَفُرُوضُهَا فَاسْأَلْ شُيُوخَ الْفِقْهِ وَالإِحْسَانِ

قوله :(**سُنَنُ الصَّلاَةِ مُبَيَّنَهْ**) نعم للصلاة سنن واضحة أوردها أهل العلم في مصنفاتهم الفقهية، وهي على قسمين :

١- سُنن قولية . ٢- سُنن فعلية .

فأما القولية فمنها :

١- دعاء الاستفتاح . ٢- التأمين .

٣- قراءة ما تيسر بعد الفاتحة .

٤- الزيادة على التسبيحة الواحدة في الركوع والسجود بالمشروع .

٥- الزيادة على قول : ربنا ولك الحمد في الإعتدال بالمشروع .

٦- الزيادة على قول :ربي اغفر لي في الجلوس بين السجدتين بالمشروع .

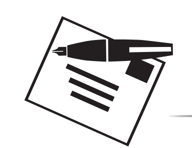
٧- الدعاء بالمأثور بعد الصلاة الإبراهيمية في التشهد .

وأما الفعلية فمنها :

١-رفع اليدين إلى حيال الأذنين أو المنكبين مستقلا بباطنهما القبلة في أربعة مواضع عند تكبيرة الإحرام وعند تكبيرة الركوع وعند القيام منه وعند القيام من التشهد الأول .

٢-وضع اليمين على الشمال فوق الصدر أو فوق السرة أو بينهما عند القيام

٣- تفريج الأصابع عند الركوع .



٤- استواء الظهر مع الرأس عند الركوع .

٥- النزول على الركبتين عند السجود .

٦- نصب اليمنى وفرش اليسرى عند الجلسة بين السجدتين وعند كل تشهد لم يسبقه تشهد أول .

٧- النظر إلى محل السجود.

وجميع هذه السنن لا تبطل الصلاة بتركها لا سهوا ولا جهلا ولا عمدا ، وسن في حق من سقط عليه واحدة منها سهوا سجود سهو يجبر النقص وأما من تركها أو بعضها عمدا أو جهلا فإنه ينقص من كمال الصلاة.

٨- التورك [1] في التشهد الأخير من الثلاثية والرباعية .

قوله(**وَفُرُوضُهَا**) أن فروض الصلاة واضحة ظاهرة في كتب الفقه المعتمدة لدى أهل السُّنَّة والجماعة والفقهاء وهي على ضربين : من الفقهاء من عد الأركان والفروض بمعنى واحد ومنهم من فرق بين الأركان والفروض.

قوله (**فَاسْأَلْ شُيُوخَ الْفِقْهِ وَالإِحْسَانِ**) أي : سل عن هذه المسألة وأشباهها ونظائرها أهل الفقه في الدين فهم من يحسنون البيان ويجيدون إحكام الأحكام.

وعليه: فإن أركان الصلاة أربعة عشر ركنا على التفصيل:

١- القيام مع القدرة . ٢- تكبيرة الإحرام .

٣- قراءة الفاتحة . ٤- الركوع .

٥- الرفع منه. ٦- الإعتدال .

٧- السجود على الأعضاء السبعة. ٨- الرفع منه .

(١) التورك : نصب قدم اليمنى وإخراج قدم اليسرى من تحت ساق اليمنى والجلوس على الإليتين.



٩- الجلوس بين السجدتين. ١٠- الطمأنينة في جميع الأركان.

١١- الترتيب . ١٢- التشهد الأخير والجلوس له.

١٣- الصلاة على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

١٤- التسليمتان .

قال الناظم -رَحِمَهُ اللَّهُ- :

وأركانها خذها القيام لقادر وتكبيرة الإحرام والحمد فاسرد
ومنها ركوع واعتدلك بعده سجود على آرابك السبعة اسجد
وجلسته بين السجود تشهد أخير وأن تجلس لهذا التشهد
صلاة على الهادي به وسلامها وأن تطمئن افهم وترتيب أشهد

وجميع هذه الأركان لا تسقط عمدا ولا سهوا ولا جهلا فلا تجبر بسجود السهو .

وأما فروض الصلاة)واجباتها(فسبعة وهي كالتالي:

١- جميع التكبيرات غير تكبيرة الإحرام

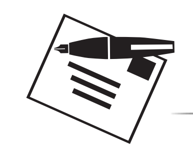
٢- قول«سبحان ربي العظيم» في الركوع.

٣- قول (سمع الله لمن حمده) للإمام والمنفرد عند الرفع من الركوع .

٤- وقول (ربنا ولك الحمد) للكل عند الرفع من الركوع .

٥- قول (سبحان ربي الأعلى) في السجود.

٦- قول (ربي اغفر لي) في الجلوس بين السجدتين .



٧- التشهد الأول والجلوس له .

قال الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :

وواجبها التكبير غير الذي مضى وتسميع التحميد تسبيحة قد
بكل ركـوع أو سجود ومـرة سؤالك غفرانا هديت بمقعد
وســن ثـلاثـا والتشهد أولا وجلسته هـذه السبعة اعـدد

وهذه الواجبات : ما سقط منها عمدا بطلت الصلاة وما سقط سهوا فيجبر بسجود السهو .

٣٧٨ فَرْضُ الصَّلاَةِ رُكُوعُهَا وَسُجُودُهَا مَا إِنْ تَخَالَفَ فِيهِمَا رَجُلاَنِ

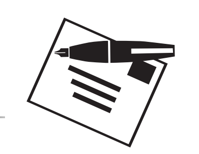
قوله(**فَرْضُ الصَّلاَةِ**) أي :الأعمال والأقوال المفروضة في الصلاة ويعبر عنها بعض أهل العلم بالأركان .

قوله (**رُكُوعُهَا وَسُجُودُهَا**) أي : أن الركوع والسجود هما فرضان من فروض الصلاة .

قوله (**مَا إِنْ تَخَالَفَ فِيهِمَا رَجُلاَنِ**) أي :لم يختلف في كونهما فرضين من فروض الصلاة رجلان .

٣٧٩ تَحْرِيمُهَا تَكْبِيرُهَا وَحَلاَلُهَا تَسْلِيمُهَا وَكِلاَهُمَا فَرْضَانِ

قوله:(**تَحْرِيمُهَا تَكْبِيرُهَا**) أي: أن حرمة الصلاة يبتدأ بالتكبير وهو قول: (الله أكبر) .



ومعنى الحرمة: أي: يحرم ما كان يحل لك من كلام وضحك وأكل وشرب ونحو ذلك .

قوله:(**وَحَلاَلُهَا تَسْلِيمُهَا**) أي: أنه يحل ما كان يحضر عليك قوله وفعله في الصلاة بالتسليم وهو قول:(السلام عليكم ورحمة الله) .

دليل ذلك ما جاء في الحديث الصحيح أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم » . (١)

قوله:(**وَكِلاَهُمَا فَرْضَانِ**) أي: أن التكبير والتسليم فرضان من فروض الصلاة والفرض في التسليم هي التسليمة الأولى أما الثانية فسُنَّة .

٣٨٠ وَالْحَمْدُ فَرْضٌ فِي الصَّلاَةِ قِرَاتُهَا آيَاتُهَا سَبْعٌ وَهُنَّ مَثَانِي

قوله:(**وَالْحَمْدُ**) من أسماء فاتحة الكتاب كونها استفتحت بالحمد لله .

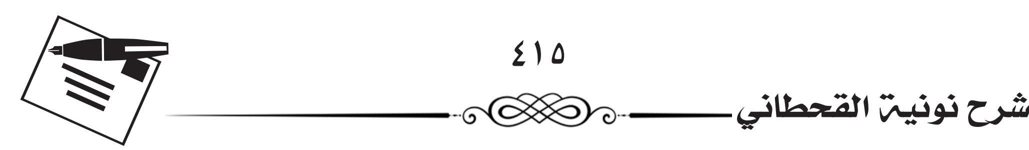
قوله:(**فَرْضٌ فِي الصَّلاَةِ قِرَاتُهَا**) أي: أن قراءة الفاتحة فرض من فروض الصلاة لحديث: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» . (٢)

وقد أمر -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المسيء في صلاته بقراءة الفاتحة في كل ركعة حيث قال له بعد أن أمر بقراءتها في الركعة الأولى:«ثم افعل ذلك في صلاتك كلها». (٣)

ولقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج» . (٤)

ومعنى خداج: فاسد .

(١) رواه أبو داوود والترمذي والحاكم ووافقه الذهبي .
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) رواه البخاري ومسلم .
(٤) رواه مسلم .



قوله:(**آيَاتُهَا سَبْعٌ**) أي: سبع آيات بدون البسملة على الصحيح وذلك أن قول الله:﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة:٧] ، هذه هي الآية السادسة وإن لم يرسم على رأسها وقف وهي بهذا القول تكون آياتها متناسبة بخلاف من لم يعدها آية مستقلة فلا يحصل التناسب بين آياتها .

والآية السابعة هي ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧ ﴾ [الفاتحة:٧] .

قوله:(**وَهُنَّ مَثَانِي**) سميت الفاتحة مثاني لأنها تثنى أي: تكرر في الصلاة فتقرأ في كل ركعة .

قال –سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ– :﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧ ﴾ [الحجر:٨٧] .

٣٨١في كُلِّ رَكْعَاتِ الصَّلاَةِ مُعَادَةٌ فِيهَا بِبَسْمَلَةٍ فَخُذْ تِبْيَانِي

قوله:(**فِي كُلِّ رَكْعَاتِ الصَّلاَةِ مُعَادَةٌ**) أي: أن الفاتحة تقرأ وتكرر في كل ركعة من الصلاة .

قوله:(**فِيهَا بِبَسْمَلَةٍ**) البسملة : هي قول(بسم الله الرحمن الرحيم) .

قوله:(**فَخُذْ تِبْيَانِي**) أي: خذ هذا البيان وتمسك به .

ولا شك أن الخلاف بين العلماء قديما وحديثا جار في البسملة وذلك في أمرين:

الأول: هل هي آية من الفاتحة ومن كل سورة أم لا ؟ .

الثاني: هل كان يجهر بها –صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ– في صلاته أم لا ؟ .

جواب السؤال الأول: من نظر في كتب الفقه والتفاسير وجد كثرة الخلاف بين العلماء فمالك وأبو حنيفة وأحمد أنها ليست بآية من الفاتحة ولا من أوائل



السور وإنما هي آية مستقلة بذاتها وقال الشافعي هي آية في أول الفاتحة قولا واحدا وأن من تركها في الصلاة أو حرفا واحدا لم تجزه الركعة .

والصحيح: هو القول الأول بدليل أن رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- كان لا يعرف فصل السورة حتى تنزل عليه:﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ﴾ .[١]

وقوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- :« سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ ﴾» .[٢]

وسورة الملك ثلاثون آية دون البسملة كما هو معلوم مرسوم .

وجواب السؤال الثاني: أن الخلاف حاصل بين أئمة الفقه قديما وحديثا فمذهب أبي حنيفة وأحمد أن قراءتها سرًا لا جهرًا .

ومذهب الشافعي الجهر بها في الجهرية .

ومذهب مالك عدم قراءتها سرًا وجهرًا .

وذهب ابن أبي ليلى وإسحاق إلى التخيير فمن شاء جهر ومن شاء أسر .

وبإمكاننا أن نحسم هذه المسألة بالآتي:

أولا: أن السُّنَّة الصحيحة الثابتة عن رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- وخلفائه الراشدين وطوائف من السلف والتابعين والخلف وجمهور أئمة الحديث الإسرَار بالبسملة في الصلاة عموما للأدلة الصحيحة الصريحة من ذلك:

ما رواه مسلم عن عائشة -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا- قالت: كان رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-: «يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ﴾ .[٣]

---

(١) رواه أبو داؤود في سننه والحاكم في مستدركه عن ابن عباس -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا- .
(٢) رواه أحمد وأبو داؤود والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ- .
(٣) رواه مسلم .



ومن ذلك حديث أنس -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- قال: «صليت خلف رسول الله وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بـ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾» .(١)
ولمسلم: « لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول القراءة ولا في آخرها ».(٢)

ثانيا: أنه لا بأس من الجهر بها أحيانا ليعلم من وراءه أنه يقرأها وبهذا تحمل رواية: «جهره -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- بالبسملة » وقد قال ذلك بعض أئمة السلف.

ثالثا: لا ينكر ولا يشنع على من جهر بالبسملة في الصلاة الجهرية فله بذلك سلف .

رابعا: لا ينكر على من أسر بها مطلقا بل هو عين السُّنَّة والصواب .

وبهذا تحسم المسألة -والله أعلم- وعلمه أتم وأكرم .

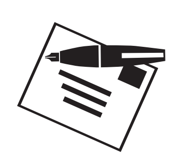
٣٨٢وَإِذَا نَسِيتَ قِرَاتَهَا فِي رَكْعَةٍ فَاسْتَوْفِ رَكْعَتَهَا بِغَيْرِ تَوَانِ

قوله:(**وَإِذَا نَسِيتَ قِرَاتَهَا فِي رَكْعَةٍ**) أي: إذا أغفلت عن قراءة الفاتحة في ركعة من الصلاة .

قوله:(**فَاسْتَوْفِ رَكْعَتَهَا**) أي: قم بأداء ركعة بدلا عنها والركعة التي أقيمت بدون الفاتحة ملغية غير صحيحة وذلك لأن الفاتحة فرض أو ركن من أركانها لا تسقط بالسهو اللهم إلا إذا كان جاهلا بفرضيتها أو ما إذا أدرك الإمام راكعا فإنها تجزئه ولا يلزمه قضاؤها -على الصحيح - .

قال العلامة عبد العزيز بن باز -رَحِمَهُٱللَّهُ- :« وإذا نسي المأموم قراءة الفاتحة أو جهل وجوبها عليه أو أدرك الإمام راكعا فإنه في هذه الأحول تجزئه الركعة

(١) متفق عليه .
(٢) رواه مسلم .



وتصح صلاته ولا يلزمه قضاء الركعة معذورا بالجهل والنسيان وعدم إدراك القيام وهذا قول لأكثر أهل العلم» . (١)

قوله:(**بِغَيْرِ تَوَانِ**) أي: بغير تأخير وتأجيل وتقصير في العمل .

٣٨٣اِتْبَعْ إِمَامَكَ خَافِضًا أَوْ رَافِعًا فَكِلاَهُمَا فِـعْـلاَنِ مَحْـمُـودَانِ

قوله :(**اِتْبَعْ إِمَامَكَ**) متابعة الإمام: أن يأتي المأموم بأفعال الصلاة بعد إمامه بدون تأخير أو مساواة أو مسابقة .

وعليه فالمأموم من إمامه له حالات أربع:

الأولى :المسابقة: وهي : أن يأتي بالشيء قبل إمامه وحكمها محرمة.

الثانية : الموافقة : وهي :أن يكون مساويا لإمامه في ركوعه وسجوده ونحو ذلك وظاهر الأدلة أنها محرمة ويرى بعض العلماء أنها مكروهة إلا في تكبيرة الإحرام فمحرمة.

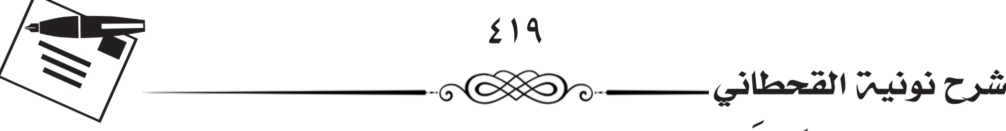
الثالثة: التخلف : وهي :أن يتخلف المأموم عن إمامه تخلفا يخرجه عن المتابعة وهذا خلاف المشروع ويظهر أنه إن تخلف عن إمامه حتى انتقل إلى ركن آخر كأن ينزل الإمام ساجدا والمأموم لا زال في ركوعه فتبطل صلاته لتخلفه - والله أعلم- .

الرابعة : المتابعة: وهي: الصفة التي دعانا إليها رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم كما في الصحيحين « إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا ولا تكبروا حتى يكبر وإذا ركع فاركعوا ولا تركعوا حتى يركع» . (٢)

---

(١) الفتاوى المهمة لعموم الأمة (ص٣٤٧) ، رقم السؤال (٣٢٨) .

(٢) متفق عليه .



قوله :(**خَافِضًا أَوْ رَافِعًا**) أي: اتبع الإمام في خفضه للركوع أو للسجود أو نحوه وفي رفعه من الركوع ومن السجود ونحوه.

قوله:(**فَكِلاَهُمَا فِعْلاَنِ مَحْمُودَانِ**) أي: أن متابعة الإمام في خفضه ورفعه وجميع أعماله وأقواله مما حمد شرعا وعقلا - والله أعلم- .

٣٨٤ لاَ تَرْفَعَنْ قَبْلَ الإِمَامِ وَلاَ تَضَعْ   فَكِلاَهُمَا أَمْـرَانِ مَذْمُومَانِ

قوله:(**لاَ تَرْفَعَنْ قَبْلَ الإِمَامِ وَلاَ تَضَعْ**) أي : احذر من مسابقة الإمام في خفضه ورفعه وجميع أعمال الصلاة وقد سبق أن بينا آنفا أن مسابقة الإمام محرمة لقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار أو يجعل صورته صورة حمار» . [١]

وإذا كانت المسابقة للإمام في تكبيرة الإحرام لم تنعقد صلاته إطلاقا وعليه أن يعيد الصلاة من جديد . [٢]

قوله :(**فَكِلاَهُمَا**) أي: مسابقة المأموم للإمام في خفضه ورفعه .

قوله :(**أَمْرَانِ مَذْمُومَانِ**) أي: فعلان قبيحان شرعا وعقلا .

٣٨٥ إِنَّ الشَّرِيعَةَ سُنَّةٌ وَفَرِيضَةٌ   وَهُمَـا لِـدِيـنِ مُحَـمَّـدٍ عِـقْـدَانِ

قوله:(**إِنَّ الشَّرِيعَةَ**) سبق بيان معناها في البيت رقم(١٨٧) .

قوله :(**سُنَّةٌ**) المراد بالسُّنَّة هنا ما يقابل الفريضة وهي : ما أمر بها الشارع لا على وجه الإلزام كالرواتب .

(١) متفق عليه .
(٢) الفتاوى المهمة لابن عثيمين(ص ٣٤٠) .



وحكمها : يثاب فاعلها امتثالا ولا يعاقب تاركها .

قوله :(**وَفَرِيضَةٌ**) والمراد بها هنا ما يقابل السُّنَّة وهي : ما أمر بها الشارع على وجه الإلزام كالصلوات الخمس .

وحكمها : يثاب فاعلها امتثالا ويستحق العقاب تاركها .

وعليه :فالشريعة المأمور بها إما فريضة واجبة وإما سُنَّة مستحبة .

قوله:(**وَهُمَا**) أي : السُّنَّة والفريضة .

قوله:(**لِدِينِ مُحَمَّدٍ**) أي : لشريعة محمد -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

قوله:(**عِقْدَانِ**) العقد بالكسر خيط ينظم فيه الخرز ونحوه مما يحاط به العنق ولا شك أن السُّنَّة والفريضة هما عقدان يتم عليهما وبهما صلاح الدنيا والآخرة.

٣٨٦لَكِنْ أَذَانُ الصُّبْحِ عِنْدَ شُيُوخِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتبَيَّنَ الْفَجْرَانِ

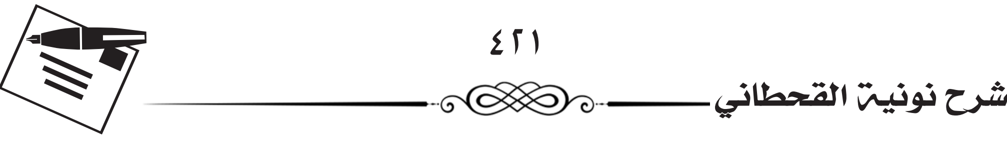
قوله:(**لَكِنْ أَذَانُ الصُّبْحِ**) المراد به هنا الأذان الأول الذي ينادى به ليلا كي يستيقظ النائم ويتسحر الصائم .

قوله:(**عِنْدَ شُيُوخِنَا**) المراد : شيوخ المالكية كون الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- على المذهب المالكي وهو كذلك فيما أعلم عند غير المالكية - والله أعلم- .

قوله:(**مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَبَيَّنَ الْفَجْرَانِ**) أي: من قبل ظهور الفجر الكاذب بالضياء المستطيل أو الفجر الصادق بالضياء المستطير(المنتشر) .

قال يحي بن مالك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « لم تزل الصبح ينادى لها قبل الفجر فأما غيرها من الصلوات فإنا لم نرها ينادى لها إلا بعد أن يحل وقتها » . (١)

(١) الموطأ (ص ٥٦) .



وقد روى البخاري ومسلم عنهما من حديث عبدالله بن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال : « إن بلالا يؤذن بليل فكلوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم » . (١)

وهذا دليل على أن الأذان الأول للفجر قبل طلوع الفجر مشروع لأنها وقت نوم يحتاج الناس إلى الإستعداد لها قبل دخول وقتها .

٣٨٧ هِيَ رُخْصَةٌ فِي الصُّبْحِ لاَ فِي غَيْرِهِ مِنْ أَجْلِ يَقْظَةِ غَافِلٍ وَسْنَانِ

قوله :(**هِيَ رُخْصَةٌ فِي الصُّبْحِ لاَ فِي غَيْرِهِ**) (أي : أن شرعية الأذان الأول رخصة في أدائها لا عزيمة في الفجر ولا في غيرها .

قوله:(**مِنْ أَجْلِ يَقْظَةِ غَافِلٍ وَسْنَانِ**) الوسنان : من كثر نعاسه .

٣٨٨ أَحْسِنْ صَلاَتَكَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا بِتَطَمُّنٍ وَتَرَفُّقٍ وَتَدَانِ

قوله:(**أَحْسِنْ صَلاَتَكَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا**) أي : اعمل على إتمام الصلاة ركوعها وسجودها.

قوله :(**بِتَطَمُّنٍ**) أي : بسكينة القلب وخشوعه قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [المؤمنون ١-٢] ، وفي الحديث الصحيح : «ثم اركع حتى تطمئن راكعا» . (٢)

قوله :(**وَتَرَفُّقٍ**) أي : وتؤدة دون عجلة .

(١) رواه الشيخان .
(٢) رواه الشيخان .



قوله :(**وَتَدَانِ**) دنا منه وإليه وله دنوا ودناوة أي : قرب فهو دان والمراد : قرب القلب من الله.

٣٨٩ لاَ تَدْخُلَنَّ إِلَى صَلاَتِكَ حَاقِنًا فَالإِحْتِقَانُ يُخِلُّ بِالأَرْكَانِ

قوله:(**لاَ تَدْخُلَنَّ إِلَى صَلاَتِكَ حَاقِنًا**) الحاقن : من احتبس بوله ، والحاقب: من احتبس غائطه ، فهنا النهي عن الدخول إلى الصلاة حاقنا أو حاقبا لحديث «لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان» .[1] والأخبثان هما : البول والغائط .

قوله:(**فَالإِحْتِقَانُ يُخِلُّ بِالأَرْكَانِ**) نعم وذلك لانشغال الخاطر بمدافعتهما، ويلحق بذلك كل ما يشغل المرء عن صلاته .

واختلف العلماء في صحة الصلاة بحضرة الطعام أو مدافعة الأخبثين ، فأخذ بظاهر الحديث الظاهرية وشيخ الإسلام ابن تيمية فلم يصححوا الصلاة مع وجود الطعام ولا مدافعة الأخبثين وعدوا الصلاة باطلة إلا أن شيخ الإسلام لم يصححها مع الحاجة إلى الطعام والظاهرية شذوا فلم يصححوها مطلقا .

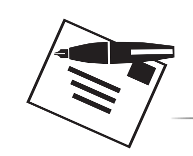
وذهب الجمهور إلى صحة الصلاة مع الكراهة وقالوا : إن نفي الصلاة في الحديث نفي لكمالها لا لصحتها وهذا هو القول الراجح – والله أعلم– .

٣٩٠ بَيِّتْ مِنَ اللَّيْلِ الصِّيَامَ بِنِيَّةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَيَّزَ الْخَيْطَانِ

قوله :(**بَيِّتْ مِنَ اللَّيْلِ الصِّيَامَ بِنِيَّةٍ**) أي : انو الصيام للفرض ليلا لحديث

---

(١) رواه مسلم من حديث عائشة –رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا– .



«لا يصومن إلا من أجمع الصيام قبل الفجر» .[١]

قوله :(**مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَيَّزَ الْخَيْطَانِ**) هذا فيه بيان لوقت نية الصيام وهو جميع الليل إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر لحديث «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له» .[٢]

وعليه : فتبييت نية فرض الصيام شرط لصحته أما صوم النافلة فلا يشترط لها تبييت نية لحديث عائشة –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– قالت : دخل علي النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ذات يوم فقال «هل عندكم شيء »، فقلنا لا ، قال : « فإني إذا صائم» ثم أتانا يوم آخر فقلنا : يا رسول الله أهدي لنا حيس، فقال : «أرنيه فلقد أصبحت صائما فأكل» .[٣]

٣٩١ يُجْزِيكَ فِي رَمَضَانَ نِيَّةُ لَيْلَةٍ ‏ ‏ ‏ إِذْ لَيْسَ مُخْتَلِطًا بِعَقْدٍ ثَانِ

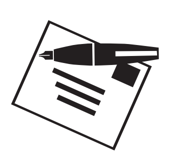
قوله:(**يُجْزِيكَ**) أي : يكفيك ويغنيك

قوله:(**فِي رَمَضَانَ نِيَّةُ لَيْلَةٍ**) المراد : أن تبييت نية الصيام في أول ليلة من رمضان تغنيك عن نية كل ليلة من ليالي الصيام

قوله:(**إِذْ لَيْسَ مُخْتَلِطًا بِعَقْدٍ ثَانِ**) يظهر لي –والله أعلم– أن المراد أن نية أول ليلة من رمضان كافية عن تجديد النية في كل ليلة وذلك لأنه ليس مختلطا بنية وعزيمة أخرى غير صيام الفرض من رمضان العام حتى يحتاج إلى تجديد نية أخرى .

---

(١) رواه مالك في الموطأ .
(٢) رواه أصحاب السنن .
(٣) رواه مسلم .



٣٩٢ رَمَضَانُ شَهْرٌ كَامِلٌ فِي عَقْدِنَا   مَا حَلَّهُ يَوْمٌ وَلاَ يَوْمَانِ

قوله:(**رَمَضَانُ شَهْرٌ كَامِلٌ فِي عَقْدِنَا**) أي : شهر هجري كامل والشهر الهجري يكون تسعة وعشرين يومًا أو ثلاثين يومًا لحديث أم سلمة –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– أن النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حلف لا يدخل على بعض أهله شهرا فلما مضى تسعة وعشرين يومًا غدا عليهن أو راح فقيل له :يا نبي الله حلفت ألا تدخل عليهن شهرا قال : « إن الشهر يكون تسعة وعشرين يومًا» . (١)

قوله:(**فِي عَقْدِنَا**) أي : في عهدنا وذمتنا .

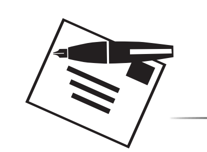
قوله:(**مَا حَلَّهُ يَوْمٌ وَلاَ يَوْمَانِ**) أي : ما حل فطر يوم ولا يومين من شهر رمضان .

٣٩٣ إِلاَّ الْمُسَافِرُ وَالْمَرِيضُ فَقَدْ أَتَى   تَأْخِيرُ صَوْمِهِمَا لِوَقْتٍ ثَانِ

قوله :(**إِلاَّ الْمُسَافِرُ وَالْمَرِيضُ**) أي: رخص لهما الفطر في نهار الصيام .

قوله:(**فَقَدْ أَتَى تَأْخِيرُ صَوْمِهِمَا لِوَقْتٍ ثَانِ**) أي : جاء في الوحي ما يدل على جواز الفطر لهما مع وجوب القضاء عليهما فمتى انتهى المسافر من سفره وبرء المريض من مرضه تعين عليهما القضاء وجوبا لقوله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– ﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة:١٨٥] .

(١) رواه مسلم .



٣٩٤وَكَذَاكَ حَمْلٌ وَالرَّضَاعُ كِلاَهُمَا في فِطْرِهِ لِنِسَائِنَا عُذْرَانِ

قوله :(وَكَذَاكَ حَمْلٌ وَالرَّضَاعُ) الواو عاطفة على ما قبلها أي: أن ممن يرخص لهم في الفطر نهار الصيام المرأة الحامل، المرأة المرضع .

قوله:(كِلاَهُمَا في فِطْرِهِ لِنِسَائِنَا عُذْرَانِ) وذلك ما إذا شق عليهما الصوم بسبب الحمل أو بسبب الرضاع كونهما يلحقان المريض والمسافر الذين يشق عليهما الصوم، ومتى انتفت عنهما المشقة وجب عليهما القضاء وليس عليهما إطعام على الصحيح سواء خافتا على أنفسهما أو على ولديهما او على كليهما والأصل براءة الذمة حتى يقوم الدليل على الإطعام وهذا مذهب أبي حنيفة وهو قوي .

٣٩٥عَجِّلْ بِفِطْرِكَ وَالسُّحُورُ مُؤَخَّرٌ فَكِلاَهُمَا أَمْرَانِ مَرْغُوبَانِ

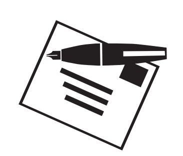
قوله:(عَجِّلْ بِفِطْرِكَ) لحديث:«لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر» . [1]

قوله:(وَالسُّحُورُ مُؤَخَّرٌ) لحديث:«تسحرنا مع النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- ثم قام إلى الصلاة قلت: كم كان بين الأذان والسُحُور؟ قال: قدر خمسين آية».[2]

قوله:(فَكِلاَهُمَا) أي: تعجيل الفطر وتأخير السحور .

قوله:(أَمْرَانِ مَرْغُوبَانِ) أي: محمودان مطلوبان شرعا .

(١) رواه الشيخان .
(٢) رواه الشيخان .



٣٩٦ حَصِّنْ صِيَامَكَ بِالسُّكُوتِ عَنِ الخَنَا | أَطْبِقْ عَلَى عَيْنَيْكَ بِالأَجْفَانِ

قوله:(**حَصِّنْ صِيَامَكَ**) أي: قِ واحرز صومك وذلك بـ:

قوله:(**بِالسُّكُوتِ عَنِ الخَنَا**) هذا واحد من محرزات الصوم: السكوت عن الخنا أي: الصمت عن الفحش وحفظ اللسان من آفات الكلام قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣**﴾[البقرة: ١٨٣]، ومن تقوى الله اتقاء الفاحش من الأقوال.

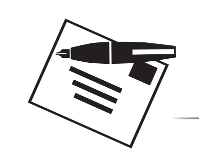
وفي الحديث الصحيح: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». (١)

واللسان لها آفات منها: القول على الله بلا علم وعلى رسوله، والكذب، وشهادة الزور، والغيبة، والنميمة، والسب، والشتم واللعن، والحلف بغير الله، والطعن في العلماء ونحوها.

قوله:(**أَطْبِقْ عَلَى عَيْنَيْكَ بِالأَجْفَانِ**) وهذا هو الحرز الثاني للصوم الغض من البصر عن غير المحارم من النساء والعكس لقوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾[النور: ٣٠-٣١].

---

(١) أخرجه البخاري.



٣٩٧ لا تَمْشِ ذا وَجْهَيْنِ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى   شَرُّ الْبَرِيَّةِ مَنْ لَهُ وَجْهَانِ

قوله:(**لاَ تَمْشِ ذَا وَجْهَيْنِ**) ذو الوجهين: هو من يأتي هؤلاء بوجه وأولئك بوجه آخر وهذه خصلة أهل النفاق كما قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٤].

وعن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:«....وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» .[١]

قوله:(**مِنْ بَيْنِ الْوَرَى**) أي: من بين الناس .

قوله:(**شَرُّ الْبَرِيَّةِ**) أي: شر الخلق .

قوله:(**مَنْ لَهُ وَجْهَانِ**) سبق معناه آنفا .

٣٩٨ لاَ تَحْسُدَنْ أَحَدًا عَلَى نَعْمَائِهِ   إِنَّ الْحَسُودَ لِحُكْمِ رَبِّكَ شَانِي

قوله:(**لاَ تَحْسُدَنْ**) الحسد: أن يكره الإنسان ما أنعم الله به على غيره من علم أو مال أو أهل أو جاه أو غير ذلك .

وقد حذر نبينا الكريم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من هذا الخلق الذميم بقوله: «لا تحاسدوا» .[٢]

وذلك لأن الحسد داء نفسي عضال يستقر في نفس الحاسد يغلي قلبه كأنه شعلة نار على المحسود .

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه البخاري ومسلم .



قوله:(**أَحَدًا عَلَى نَعْمَائِهِ**) أي: على ما أنعم الله به عليه من أصناف النعم .

قوله:(**إِنَّ الحُسُودَ لِحُكْمِ رَبِّكَ شَانِي**) أي: مبغض وذلك لأن فيه اعتراضا على قضاء الله وقدره .

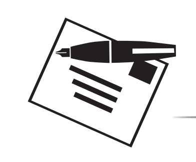
والحسد خلق ذميم وكبيرة من كبائر الذنوب وبسببه طرد إبليس من ملكوت السماء وبدل من القرب بعدا ومن الرحمة لعنة ومن زجل التسبيح زجل الكفر وذلك بعد أن ظهر منه الحسد المكنون في باطن الجسد فقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾[الإسراء : ٦٢] .

والحسد كان سببا في قتل أحد ابني آدم لأخيه وعليه كفل من كل دم يسفك على وجه الأرض إلى يوم القيامة كونه أول من سن القتل وقص الله علينا خبرهما في سورة المائدة فقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ... ﴾ [المائدة : ٢٧-٣١] .

وهو صفة من صفات اليهود كما قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- :﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- :﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [النساء : ٥٤] .

وأمرنا ربنا أن نستعيذ به من شر الحاسد كما في قوله:﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ [الفلق : ٥] .



وفي الحديث: « لا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد» .[(١)]

٣٩٩ لاَ تَسْعَ بَيْنَ الصَّاحِبَيْنِ نَمِيمَةً فَلأَجْلِهَا يَتبَاغَضُ الخِلاَّنِ

قوله:(لاَ تَسْعَ) أي: احذر أن تكون ساعيا بالنميمة .

قوله:(بَيْنَ الصَّاحِبَيْنِ) أي: الأصدقاء والأخلاء والإخوان .

قوله:(نَمِيمَةً) النميمة: أن ينقل الإنسان كلام الناس في بعضهم بقصد الإفتان بينهم .

وقد حذر الله من هذا الخلق السيء وأهله بقوله:﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ [القلم: ١٠-١١] .

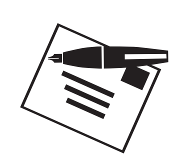
وذم الله امرأة أبي لهب ووصفها بأنها حمالة الحطب أي ساعية بالنميمة ووجه الشبه أن النميمة تلهب نار العداوة بين الناس كما يلهب الحطب النار، فالنمام مفسد في الأرض يزرع العداوات، ويجلب البغضاء، ويقطع الأواصر، ويزيل العلاقات، وحكم النميمة: محرمة شرعا وكبيرة من كبار الذنوب ففي الحديث: « لا يدخل الجنة نمام» .[(٢)]

وعن ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مر بقبرين فقال: « إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير بلى إنه كبير: أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله» .[(٣)]

وعن ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:« ألا أنبئكم ما

---

(١) رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .
(٢) متفق عليه .
(٣) متفق عليه .



العضة؟ ، هي النميمة القالة بين الناس» . (١)

قوله:(**فَلأَجْلِهَا يَتبَاغَضُ**) أي: بسبب النميمة .

قوله :(**يَتبَاغَضُ**) أي : يتشاحن ويتدابر ويتقاطع .

قوله:(**الخِلاَّنِ**) مثنى: خل بالكسر وهو الصديق المختص والجمع أخلال .

٤٠٠ وَالْعَيْنُ حَقٌّ غَـيْرُ سَابِقَةٍ لِمَا يُقْضَى مِنَ الأَرْزَاقِ وَالحِرْمَانِ

قوله:(**وَالْعَيْنُ**) المراد بها: النظر باستحسان مشوب بحسد من خبيث الطبع يحصل للمنظور منه ضرر » . (٢)

قوله:(**حَقٌّ**) أي: صدق واقع دل عليها القرآن والسُّنَّة .

فأما دلالة القرآن فقوله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– :﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ ﴾[القلم: ٥١] .

قال ابن كثير: قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما :﴿ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾ أي: ليعينونك بأبصارهم .

بمعنى:« يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم » أهـ . (٣)

وقوله– جَلَّ وَعَلَا–: ﴿ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ ﴾ [يوسف: ٦٧] .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) فتح الباري (١٠/ ٢١٠) ، نقلا من التحصين من كيد الشياطين (٤٨) .
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٢) .



قال الإمام ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في تفسيره : قال ابن عباس ومحمد بن كعب ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي:« إنه خشي عليهم العين وذلك أنهم كانوا ذو جمال وهيئة حسنة ومنظر وبهاء فخشي عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم فإن العين حق تستنزل الفارس عن فرسه » .[(١)]

وأما دلالة السُّنَّة: فقد قال -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين ، وإذا استغسلتم فاغسلوا » .[(٢)]

٤٠١ وَالسِّحْرُ كُفْرٌ فِعْلُهُ لاَ عِلْمُهُ   مِـنْ هَهُنَا يَتَفَرَّقُ الْحُـكْـمَانِ

قوله:(**وَالسِّحْرُ**)السحر:عبارة عن عقد وقراءات ونفثات ، يتوصل بها الساحر إلى الإضرار بالمسحور، فمنه ما يقتل ، ومنه ما يمرض ، ومنه ما يذهب العقل ، ومنه ما يوجب العطف ، ومنه ما يوجب الصرف ، وكله محرم .

قوله:(**فِعْلُهُ لاَ عِلْمُهُ**) أي: أن العمل بالسحر كفر بينما تعلم السحر من غير عمل يعد أمر ضار غير نافع وهو شر محض لا خير فيه ولا يجوز لقوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ [البقرة:١٠٢] .

ويعد تعلمه ذريعة ولا شك للعمل به والعمل به حرام مطلقا فيمتنع تعلمه سدا للذريعة المفضية إلى الحرام .[(٣)]

قوله:(**مِنْ هَهُنَا يَتَفَرَّقُ الْحُكْمَانِ**)من ها هنا يتفرق الحكمان(أي: نستطيع التفريق بين حكم تعلم السحر وبين العمل به وبالمناسبة نورد مسائل وأحكام مهمة متعلقة بالسحر والسحرة:

---

(١) تفسير ابن كثير للآية .
(٢) رواه مسلم بتمامه والبخاري بلفظ العين حق .
(٣) أضواء البيان (٤/ ٥٠٤) نقلا من التحصين من كيد الشياطين (ص٥٩-٦٠) .



الأولى: أن السحر ثابت وله حقيقة وهو مؤثر بإذن الله الكوني والقدري وهذا هو مذهب أهل السُّنَّة والجماعة خلافا لبعض أهل العلم القائلين بأنه لا حقيقة للسحر إنما هو تمويه وتخييل .

ومن ما يدل على حقيقته أنه مما يتعلم ولو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعليمه وأن من أثره حدوث فرقة بين الزوجين بإذن الله قال -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- : ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢] .

الثانية: أن السحر حرام حرمته شديدة وهو من كبائر الذنوب بالإجماع لقوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- :« اجتنبوا السبع الموبقات:«الشرك بالله والسحر ....» .(١)

الثالثة: أن تعلم السحر واستعماله إن كان من ما يعظم فيه غير الله كالكواكب والجن وغير ذلك مما يؤدي إلى الكفر فهو كفر بلا نزاع ،وكذلك إذا كان الساحر يتوصل إلى سحره بالأرواح الشيطانية، يتقرب إليها ويتعبد لها حتى تطيعه فهذا كفر لا شك فيه ،وأما إذا لم يكن كذلك، فإنه أذية ومحرم ومن كبائر الذنوب، ويجب على ولي الأمر أن يقتل الساحر وإن تاب، لأنه إن تاب فأمره إلى الله عز وجل وإن لم يتب فأمره إلى الله، لكننا نقتله درأ لمضرته ومفسدته ، وأما إذا لم يتب فهو من أهل النار إذا كان سحره مكفرا، لأن السحر والعياذ بالله من أعظم الفساد في الأرض» .(٢)

الرابعة: هل يقتل الساحر كفرا وردة أم حدا؟

إن كان الساحر المسلم قد استعمل السحر الذي هو كفر فلا شك في أنه يقتل كفرا لقوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- : « من بدل دينه فاقتلوه» .(٣)

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) شرح رياض الصالحين (٦/ ٥٧٣) .
(٣) رواه البخاري .

أما إن كان الساحر قد عمل السحر الذي لا يبلغ بصاحبه الكفر فهذا هو محل الخلاف بين العلماء فمنهم من قال: يقتل مطلقا إذا عمل بسحره سواء قتل بسحره أحدا أم لم يقتل وممن ذهب إلى ذلك من الأئمة مالك وأبو حنيفة وأحمد في أصح الروايتين ورجحه صاحب المغني [١] وابن عثيمين [٢] ، وهو قول الجمهور .

وذهب الشافعي وابن المنذر ومن وافقهما إلى أن الساحر لا يقتل إن عمل بسحر لا يبلغ به الكفر .

الخامسة: أن المرأة الساحرة حكمها حكم الرجل الساحر .

السادسة: هل يستتاب الساحر وهل تقبل توبته ؟ .

قال الإمام القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :« ذهب مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفرا يقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته وهو قول أحمد وأبي ثور وإسحاق والشافعي وأبي حنيفة رحمهم الله » .

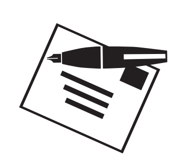
٤٠٢ وَالْقَتْلُ حَدُّ السَّاحِرِينَ إِذَا هُمُ عَمِلُوا بِهِ لِلْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ

سبق بيان ذلك في المسألة الرابعة آنفا .

وقد روي قتل الساحر عن عمر وابنه عثمان وحفصة وأبي موسى الأشعري وقيس بن سعد-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ-وعن سبعة من التابعين وروي عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « حد الساحر ضربه أو ضربة بالسيف» . [٣]

---

(١) المغني (١٠/ ١١٦) .
(٢) المجموع الثمين (٢/ ١٤٣) .
(٣) رواه الترمذي .



٤٠٣ وَتَحَــرَّ بِــرَّ الْــوَالِـدَيْــنِ فَإِنَّهُ   فَرْضٌ عَلَيْكَ وَطَاعَةَ السُّلْطَانِ

قوله:(وَتَحَرَّ) أي: احرص واجتهد .

قوله:(بِرَّ الْوَالِدَيْنِ) أي: طاعتهما فيما عدا معصية الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ومن صور الطاعة امتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، وخفض الجناح لهما، والقيام بهما، وعدم التأفف والتضجر منهما، والدعاء لهما ونحو ذلك .

قوله:(فَإِنَّهُ فَرْضٌ عَلَيْكَ) أي: واجب عليك دل على وجوبه القرآن والسُّنَّة والنظر الصحيح .

فأما دلالة القرآن: فقوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الأحقاف:١٥].

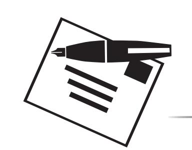
وقوله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-:﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء:٣٦] .

وقوله-تَبَارَكَ وَتَعَالَى- :﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسرَاء:٢٣] .

وأما دلالة السُّنَّة: فقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « لا يجزي ولَد وا لِد اً إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه» . [١]

وعن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: جاء رجل إلى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: « أمك قال: ثم من؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال أمك قال: ثم من؟ قال: أبوك» . [٢]

(١) رواه مسلم .
(٢) متفق عليه .



وعنه -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف ، من أدرك أبويه عند الكبر: أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة».[١]

ثم إن بر الوالدين مما أقرته الفطرة السوية، واتفقت عليه الشرائع السماوية، وهو خلق الأنبياء، ودأب الصالحين .

واعلم رحمك الله أن عصيانهما حرام وكبيرة من كبائر الذنوب فقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-أنه قال : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟، قلنا: بلى يا رسول الله ، قال: « الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال: ألا وقول الزور ،وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا: لا يسكت » .[٢]

وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس» .[٣]

قوله:(**وَطَاعَةَ السُّلْطَانِ**) أي: أن طاعة السلطان(وهو ولي أمر المسلمين) فريضة واجبة بدلالة الكتاب والسُّنَّة والإجماع .

فأما من الكتاب فقوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[النساء:٣٦] .

وأما من السُّنَّة: فعن عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع

(١) رواه مسلم .
(٢) متفق عليه من حديث أبي بكرة .
(٣) رواه البخاري .



ولا طاعة» . (١)

وأما الإجماع: فقد حكاه غير واحد من السلف فهذا الإمام ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقول:« وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء » . (٢)

وقال النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :«وقد أجمع العلماء على طاعة الأمراء في غير معصية الله وعلى تحريمها في المعصية نقل الإجماع على هذا القاضي عياض وغيره» . (٣)

٤٠٤ لاَ تَخْرُجَنَّ عَلَى الإِمَـامِ مُحَارِبًا وَلَـوَ انَّهُ رَجُـلٌ مِنَ الْحُبْشَانِ

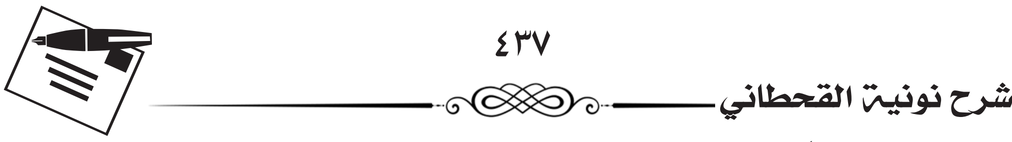
قوله:(**لاَ تَخْرُجَنَّ عَلَى الإِمَامِ مُحَارِبًا**) يحذر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- من الخروج على السلطان بالسلاح وهذا حق ومعتقد صحيح تناقله الخلف عن السلف والخروج على السلطان على ضربين: (٤)

الأول: خروج باللسان: الذي يعني: تحريض الناس على الحاكم من فوق المنابر أو عبر الصحف أو نحو ذلك مما فيه فضح وتشهير وتعيير .

الثاني: خروج بالسنان (بالسلاح) وهو عاقبة الخروج باللسان وقد دل على حرمة الخروج على السلطان السُّنَّة الصحيحة والإجماع المتأخر .

---

(١) متفق عليه .
(٢) الفتح (١٣/ ٧) .
(٣) شرح النووي لمسلم .
(٤) وبعض العلماء يجعلونه ثلاثة: الأول: خروج بالقلب فما اللسان والسنان إلا ترجمان الخروج بالجنان (القلب) والثاني والثالث: ماذكره في الشرح .



أما دليل السُّنَّة: حديث عبادة بن الصامت -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال:«فكان مما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله قال: إلا أن تروا كفرا بواحا لكم فيه من الله برهان» . (١)

الشاهد قوله:(وأن لا ننازع الأمر أهله) .

أما دلالة الإجماع: فقد قال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :« وكان يرى الخروج بالسيف على أئمة الجور وهذا مذهب للسلف قديم لكن قد استقر الأمر على ترك ذلك لما رأوه قد أفضى إلى أشد منه ففي وقعت ابن الأشعث وغيرهما عظة لمن تدبر».(٢)

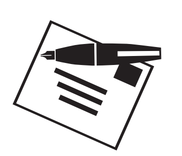
وقال النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:«وأما الخروج عليهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين» . (٣)

وقال ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :« ولهذا استقر أهل السُّنَّة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم...» . (٤)

قوله:(**وَلَوَ انَّهُ رَجُلٌ مِنَ الحُبْشَانِ**) مراده -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وجوب السمع والطاعة للسلطان المسلم وحرمة الخروج عليه باللسان والسنان ولو كان هذا السلطان من الحبشان أي : من أرض الحبشة وهم جنس من السودان وهذا مأخوذ من قوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) التهذيب (٢/ ٢٥٠) .
(٣) شرح النووي لمسلم (١٢/ ٢٢٩) .
(٤) منهاج السُّنَّة (٤/ ٣١٥-٣١٦) .



عبد حبشي » . [١]

٤٠٥ وَمَتَى أُمِـرْتَ بِبِدْعَةٍ أَوْ زَلَّةٍ فَاهْرُبْ بِدِينِكَ آخِرَ الْبُلْدَانِ

قوله :(**وَمَتَى أُمِرْتَ**) أي : من قبل السلطان .

قوله :(**بِبِدْعَةٍ**) البدعة تعني : التعبد لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بقول أو فعل لم يأذن به الله.

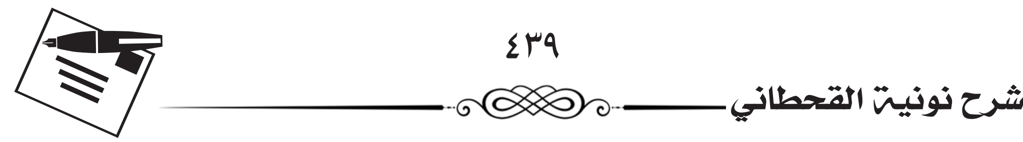
قوله :(**أَوْ زَلَّةٍ**) الزلة: الذنب والمعصية .

قوله :(**فَاهْرُبْ بِدِينِكَ**) أي : فر بدينك وصنه من البدع والمعاصي ولا تسمع ولا تطع لذي سلطان في تلك المعصية أو البدعة التي دعاك إليها وتبقى طاعته فيما سوى ذلك ودليل ذلك قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « على المرء والسمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» .[٢] وقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « إنما الطاعة في المعروف » . [٣]

قوله:(**آخِرَ الْبُلْدَانِ**) أي :أبعد البلدان فرارا من الفتن وصيانة للدين والعرض ولا شك ولا ريب في مشروعية الهجرة من بلد الفتنة التي لا تقوى على إظهار دينك أو تخشى الفتنة فيه ففي الهدي النبوي أنه هاجر مع أصحابه من مكة إلى المدينة وأمر أصحابه بالهجرة إلى أرض الحبشة في السُّنَّة الخامسة من النبوة .

وفي الحديث الصحيح أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «يوشك أن يكون خير مال المرء غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر فرارا بدينه من الفتن » . [٤]

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال :حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع .
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري ومسلم .
(٤) رواه البخاري .



وقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلي فصبر فواها» . (١)

واعلم -رحمك الله- : أن عامة الفتن لها أصلان:

الأول: منابذة السلطان والإفتئات عليه دون مراعاة توفر الشروط وانتفاء الموانع.

الثاني: الوقوع في المحدثات في الدين.

وإلى هذين الأصلين أشار -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما في حديث العرباض بن سارية -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وفيه: « ...أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرًا فعليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور...» . (٢)

٤٠٦ الدِّينُ رَأْسُ المَالِ فَاسْتَمْسِكْ بِهِ   فَضَيَاعُهُ مِنْ أَعْظَمِ الخُسْرَانِ

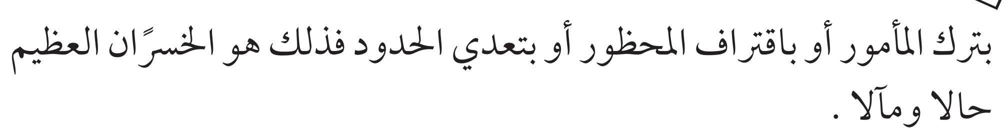
قوله :(**الدِّينُ**) سبق بيان معناه في البيت رقم (١٣١) .

قوله :(**رَأْسُ المَالِ**) لا شك أن المرء يعتني برأس ماله ويجهد في حفظه أكثر منه عناية وحفظا من الأرباح والدين هو رأس مال كل مسلم الذي به سعادته وفلاحه .

قوله:(**فَاسْتَمْسِكْ بِهِ**) أي :فاحفظه والزمه وكن به مستمسكا واحذر التفريط والضياع .

قوله :(**فَضَيَاعُهُ مِنْ أَعْظَمِ الخُسْرَانِ**) أي : أن التفريط بالدين وذلك كائن

(١) رواه أبو داود .
(٢) رواه أبو داوود والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٩) .



بترك المأمور أو باقتراف المحظور أو بتعدي الحدود فذلك هو الخسران العظيم حالا ومآلا .

قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الزمر:١٥] .

٤٠٧ لاَ تَخْلُ بِامْرَأَةٍ لَدَيْكَ بِرِيبَةٍ لَوْ كُنْتَ فِي النُّسَّاكِ مِثْلَ بَنَانِ

قوله)لا تخل بامرأة لديك بريبة(أي : احذر الخلوة بالأجنبية إذ الخلوة محرمة شرعا لقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما». [(١)] ولقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«إياكم والدخول على النساء» ، قالوا : يا رسول الله أرأيت الحمو[(٢)] ؟ قال :« الحمو الموت» . [(٣)]

ولا يأمن أحد على نفسه الفتنة ولو كان على درجة عالية من العلم والعبادة فقد ثبت في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- أن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال :«ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» . [(٤)]

وقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر بما تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء» . [(٥)]

قوله (**لَوْ كُنْتَ فِي النُّسَّاكِ مِثْلَ بَنَانِ**) أي: ولو كنت على درجة عالية من

---

(١) رواه أحمد وغيره من حديث عمر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- .
(٢) الحمو : قريب الزوج كأخيه وعمه وخاله .
(٣) رواه البخاري ومسلم .
(٤) رواه الشيخان .
(٥) رواه مسلم .

التنسك أو التعبد والورع والزهد « كبنان » .[١]

٤٠٨ إِنَّ الرِّجَالَ النَّاظِرِينَ إِلَى النِّسَا   مِثْلُ الْكِلاَبِ تَطُوفُ بِاللُّحْمَانِ

قوله:(**إِنَّ الرِّجَالَ**) المراد : الأجانب .

قوله :(**النَّاظِرِينَ إِلَى النِّسَا**) أي: الذين أطلقوا لأعينهم النظر في النساء الأجانب .

قوله:(**مِثْلُ الْكِلاَبِ تَطُوفُ بِاللُّحْمَانِ**) أي : أشبه بالكلاب التي تطوف حول اللحم لتأكلها وعليه : فإطلاق الرجل بصره في النساء الأجانب قد نهى عنه الشارع الحكيم والنهي للتحريم لما يفضي ذلك من مفاسد وخيمة أعظمها فاحشة الزنا .

قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ** ﴾ [النور :٣٠] .

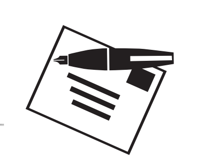
فأمر الشارع الحكيم بغض النظر وذلك لأنه بريد الزنا قال -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء :٣٢] ، ومن قربان الزنا إطلاق العنان للبصر في النساء الأجانب .

وفي السُّنَّة النبوية يقول عليه الصلاة والسلام لعلي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- : « **لا تتبع النظرة النظرة فإن النظرة الأولى لك والثانية عليك**» .[٢]

---

(١) وبنان هو : أبو الحسن بنان بن محمد بن أحمد بن سعيد الزاهد يعرف بالجمال كان مضرب المثل في العبادة والزهد وله كرامات كثيرة أصله من واسط ونشأته وإقامته في بغداد وانتقل قبل وفاته إلى مصر ومات بها في رمضان سَنة (٣١٦هـ) ، انظر البداية (١١/ ١٦٠) والنهاية .

(٢) رواه أبو داو والترمذي .



وعن جرير بن عبدالله البجلي -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أنه سأل رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن نظر الفجأة فقال: «اصرف نظرك» . (١)

وعن أبي هريرة أن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «كتب على بن آدم حظه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان وتزنيان وزناهما النظر» . (٢)

٤٠٩ إِنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللُّحُومَ أُسُودُهَا   أُكِلَتْ بِلاَ عِوَضٍ وَلاَ أَثْمَانِ

قوله:(**إِنْ لَمْ تَصُنْ**) أي: إن لم تحفظ وتحرز .

قوله:(**تِلْكَ اللُّحُومَ أُسُودُهَا**) شبه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- النساء باللحوم والرجال بالأسود التي تحوم حولها .

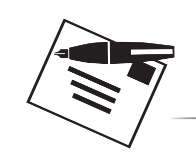
قوله:(**أُكِلَتْ بِلاَ عِوَضٍ وَلاَ أَثْمَانِ**) أي: انتهكت الأعراض بلا مقابل والمراد به المهر المفروض شرعا الذي تعطاه المرأة مقابل استحلالها .

فيدعوا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في هذا البيت إلى وجوب صيانة المرأة والمحافظة عليها من الرجال الأجانب الذين قد ينتهكون تلك الأعراض .

وتكمن صيانة المرأة بعدم اختلاطها بالرجال وبلزومها الحجاب الشرعي الساتر ومنعها وعدم تبرجها وسفورها وعدم خلوتها بالأجانب وعدم خضوعها بالقول وعدم مصافحتها للأجانب ونحو ذلك مما يحفظ عفتها من الإنتحار وشرفها من الإندثار .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه البخاري .



٤١٠ لاَ تَقْبَلَنَّ مِنَ النِّسَاءِ مَـوَدَّةً فَقُلُوبُهُنَّ سَرِيـعَـةُ الْمُـيَـلاَنِ

قوله:(**لاَ تَقْبَلَنَّ مِنَ النِّسَاءِ مَوَدَّةً**) أي : احذر كل سبب ووسيلة توصل إلى زرع الوداد والعطف والحب بينك وبين المرأة الأجنبية .

قوله:(**فَقُلُوبُهُنَّ سَرِيعَةُ الْمُيَلاَنِ**) أي :أن المرأة ذات عاطفة جياشة سريعة التأثر فربما تسحر قلبها وتأسر روحها بكلمات رقراقة حانية تديرها حيث شئت وتسخرها حيث أردت .

٤١١ لاَ تَتْرُكَنْ أَحَدًا بِأَهْلِكَ خَالِيًا فَعَلَى النِّسَاءِ تَقَاتَلَ الأَخَـوَانِ

قوله:(**لاَ تَتْرُكَنْ أَحَدًا بِأَهْلِكَ خَالِيًا**) أي : احذر أن تترك أجنبيا يخلو بأهلك فالخلو بالأجنبية داع إلى الفحش والريبة ولذا فحكمه التحريم شرعا ففي الحديث الصحيح : «لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما» .(١)

قوله:(**فَعَلَى النِّسَاءِ تَقَاتَلَ الأَخَوَانِ**) أي :بسبب النساء وقعت الفتنة بين ابني آدم قابيل وهابيل اللذين قصهما الله علينا في كتابه الكريم فقال ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ...... ﴾[المائدة:٢٧-٣١] .

قال ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ- : « كان لا يولد لآدم مولودا إلا ولد معه جارية فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن والعكس حتى ولد له ابنان يقال لهما : قابيل وهابيل وكان قابيل صاحب زرع وكان هابيل صاحب ضرع وكان قابيل أكبرهما وكان له أخت أحسن من أخت هابيل وأن هابيل طلب أن

(١) رواه أحمد وغيره من حديث عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .



ينكح أخت قابيل فأبى عليه فأمره أبوه أن يزوجها هابيل فأبى وأنهما قربا قربانا إلى الله أيهما أحق بالجارية فلما قربا قرب هابيل جذعة سمنة وقرب قابيل حزمة سنبل فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها فأكلها فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي فقال هابيل: إنما يتقبل الله من المتقين وهو الكبش الذي ذبحه إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- » . [1]

٤١٢ وَاغْضُضْ جُفُونَكَ عَنْ مُلاَحَظَةِ النِّسَا وَمَحَاسِنِ الأَحْدَاثِ وَالصِّبْيَانِ

قوله :(**وَاغْضُضْ جُفُونَكَ**) غض الجفن : خفضه وإطباقه على العين بحيث تمتنع الرؤية .

والمراد: إغماض العين أو خفض الطرف عن النساء الأجانب .

قوله :(**عَنْ مُلاَحَظَةِ النِّسَا**) أي : عن إطلاق البصر في النساء الأجانب .

قوله:(**وَمَحَاسِنِ الأَحْدَاثِ**) الأحداث : جمع حدث وهو الشاب الفتي .

قوله :(**وَالصِّبْيَانِ**) جمع صبي : وهو الصغير دون الغلام .

والمراد من هذا كله : النهي والتحذير عن إطلاق العنان للبصر في النساء الأجانب وفي المردان من الشباب والصبيان .

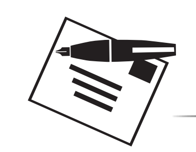
٤١٣ لاَ تَجْعَلَنَّ طَلاَقَ أَهْلِكَ عُرْضَةً إِنَّ الطَّلاَقَ لأَخْبَثُ الأَيْـمَانِ

قوله :(**لاَ تَجْعَلَنَّ طَلاَقَ**) الطلاق لغة : مأخوذ من التخلية والإطلاق.

شرعا: حل قيد النكاح أو بعضه.

---

(١) تفسير ابن كثير للآية مختصرا .



أراد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- التحذير من الطلاق بطريقة الأيمان.

قوله :(**أَهْلِكَ عُرْضَةً**) أي : معرضا للوقوع فيه من قولهم (فلان عرضة للناس) أي: لا يزالون يقعون فيه .

قوله :(**إِنَّ الطَّلاَقَ لأَخْبَثُ الأَيْمَانِ**) أي : إن الأيمان بلفظ الطلاق من أنكر الأيمان وأخبثها وذلك كأن يقول (حرام وطلاق) أو يقول(علي الطلاق) أو يقول (امرأتي طالق) أو نحو ذلك .

٤١٤ إِنَّ الطَّلاَقَ مَعَ الْعِتَاقِ كِلاَهُمَا قَسَمَانِ عِنْدَ اللهِ مَمْقُوتَانِ

قوله:(**إِنَّ الطَّلاَقَ مَعَ الْعِتَاقِ**) الطلاق : سبق بيانه في البيت السابق .

العتاق: المراد به : عتق المملوكين من العبيد والإماء من الرق إلى الحرية .

قوله:(**كِلاَهُمَا**) أي : الطلاق والعتاق .

قوله:(**قَسَمَانِ**) أي : يمينان .

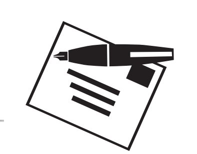
قوله:(**عِنْدَ اللهِ مَمْقُوتَانِ**) أي : مبغوضان .

٤١٥ وَاحْفِرْ لِسِرِّكَ فِي فُؤَادِكَ مَلْحَدًا وَادْفِنْهُ فِي الأَحْشَاءِ أَيَّ دِفَانِ

قوله:(**وَاحْفِرْ لِسِرِّكَ**) أي : اتخذ لأسرارك حفرة مأمونة .

قوله:(**فِي فُؤَادِكَ**) أي : في قلبك وأحشائك .

قوله:(**مَلْحَدًا**) أي : مخبأ آمنا أشبه بلحد الميت الذي يحفظه من السباع ونحوها .



قوله:(**وَادْفِنْهُ فِي الأَحْشَاءِ**) الأحشاء : جمع حشا والمراد : أعماق جوفك

قوله:(**أَيَّ دِفَانِ**) أي : بالغ في دفنها فلا تفش سرك لأحد فتندم ولات مندم ، وعليه : فالذي ينبغي على من له سر أن يحفظه في نفسه ولا يفشيه لغيره فإن احتاج لإفشائه فلينتق ورعا أمينا إن لم فلا يلومن إلا نفسه قال عمرو بن العاص -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- : « ما وضعت سر ي عند أحد فلمته على أن يفشيه كيف ألومه وقد ضقت به » . [(١)]

وفي ذلك أنشأ الشافعي -رَحِمَهُ اللَّهُ- :

إِذا المَـرءُ أَفشى سِرَّهُ بِلِسانِهِ وَلامَ عَليهِ غَـيَرهُ فَهُوَ أَحمَـقُ
إِذا ضاقَ صَدرُ المَرءِ عَن سِرِّ نَفسِهِ فَصَدرُ الَّذي يُستَودَعُ السِرَّ أَضيَقُ

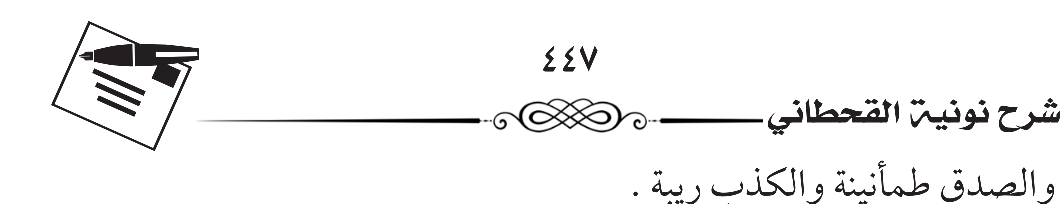
٤١٦ إِنَّ الصَّدِيقَ مَعَ الْعَدُوِّ كِلاَهُمَا في السِّرِّ عِنْدَ أُولِي النُّهَى شَكْلاَنِ

قوله:(**إِنَّ الصَّدِيقَ**) الصاحب الصادق الود ، جمعه أصدقاء وصدقاء ، ومنه قول الله-عَزَّوَجَلَّ- في محكم التنزيل : ﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْۚ ﴾ [النور:٦١] .

واعلم -رحمك الله- أن الصديق إنما سم بذلك لصدقه في مودته ومحبته ونصحه ولذلك استحق أبو بكر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن يفوز بمرتبة الصديقية لخالص محبته ووفائه ومودته وتصديقه لما جاء به رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

والصدق خلة شريفة وخصلة رفيعة، تقود صاحبها إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ،كما أن الكذب يقود صاحبه إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار ،

(١) روضة العقلاء (ص ٣١١) .



والصدق طمأنينة والكذب ريبة .

وحد الصدق: مطابقة الكلام للواقع دون وكس أو شطط بحسب اعتقاد المتكلم، ولقد دعانا ديننا الحنيف إلى التحل بهذه الحلية المحمودة ، والزينة الممدوحة ، من ذلك قوله -تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ- في كتابه :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[التوبة:١١٩] .

قوله:(مَعَ الْعَدُوِّ) العدو -هنا- نقيض الصديق وهو الخصم ذو العداوة والبغضاء.

قوله:(كِلاَهُمَا) أي : العدو والصديق .

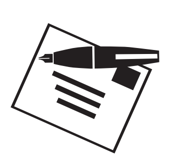
قوله:(فِي السِّرِّ) أي:في حفظهما للأسرار، وحفظ السر أمانة يجب القيام بها، فعن جابر بن عبد الله -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا- أن رسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال : « إذا حدث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة» رواه أبو داود والترمذي وأحمد ، وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع .

قوله:(عِنْدَ أُولِي النُّهَى) أي : لدى أولي الأحلام والعقول ومنه قول الله -تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ-: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ [طه :٥٤] .

قوله:(شَكْلاَنِ) أي : صنفان متغايران مفترقان .

وهذا لا شك فيه أنه لا يستوي الصديق الوفي والخب اللئيم ، فالصديق الكريم من يحفظ سر صاحبه في صفائه وبعد تصرم حبال مودته ، واللئيم بالضد من ذلك .

لا يَكْتُمُ السِّرَّ إلاَّ مَنْ لَهُ شَرَفٌ   والسِّرُ عِنْدَ كِرَامِ النَّاسِ مَكْتُومُ



٤١٧ لاَ يَبْدُ مِنْكَ إِلَى صَدِيقِكَ زَلَّةٌ　　وَاجْعَلْ فُـؤَادَكَ أَوْثَقَ الخِلاَّنِ

قوله:(**لاَ يَبْدُ مِنْكَ**) أي : لا يظهر منك .

قوله:(**إِلَى صَدِيقِكَ**) أي : إلى صاحبك .

قوله:(**زَلَّةٌ**) أي :خطيئة أو سقطة وهنة وقعت فيها .

قوله:(**وَاجْعَلْ فُؤَادَكَ**) أي : اتخذ قلبك مستودعا وحرزا لهفواتك وهناتك وأسرارك ولا تبدها لأحد .

قوله :(**أَوْثَقَ الخِلاَّنِ**) أي : أعظم وأقوى الأصدقاء أمانا لأسرارك وزلاتك.

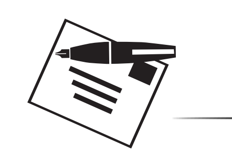
ولا شك ان هذه خلة عظيمة فإن من الناس من تظهر له خطأك وتفشي له سرك فإذا ما انقطعت الحبال وتصرمت الوصال أظهر القبيح ووارى الإحسان.

وفيه يصدق قول القائل :

وترى الكريمَ إذَا تصرَّمَ وصله　　يُخفي القبيحَ ويُظهِرُ الإحسانا
وتـرى اللئيمَ إذَا تقضّى وصله　　يُخفي الجميلَ ويُظهِرُ البُهتانا

وقال آخر :

لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي إِنْ زَلَّ صَاحِبُهُ　　بَثَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عِلْمَا
إِنَّ الْكَرِيمَ الَّـذِي تَبْقَى مَوَدَّتُهُ　　وَيَحْفَظُ السِّرَّ إِنْ صَافَى وَإِنْ صَرَمَا



وقال آخر :

لا يكتمُ السرَّ إلاّ من لَهُ شرفٌ　　　والسرُّ عِندَ كِرامِ النَّاسِ مكتومُ

٤١٨ لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الذُّنُوبِ صِغَارَهَا　　　فَالْقَطْرُ مِنْهُ تَدَفُّقُ الْخِلْجَانِ

قوله:(**لاَ تَحْقِرَنَّ**) أي : لا تستهين وتستصغر .

قوله:(**مِنَ الذُّنُوبِ صِغَارَهَا**) أي : صغائر الذنوب ومحقراتها قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » .[1]

قوله:(**فَالْقَطْرُ**)والقطر(أي: المطر والواحد قطرة.

قوله:(**مِنْهُ تَدَفُّقُ الْخِلْجَانِ**) أي :الأنهار واحدها خليج.

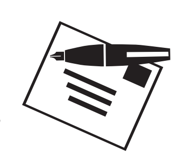
والمعنى : أن تدفق الأنهار العظيمة وجريان السيول العارمة إنما كان من اجتماع قطرة فوق قطرة وكذلك الذنوب فإنما هو الذنب فوق الذنب فيصير كبيرا.

ولله در القائل:

خَلِّ الذُّنوبَ صَغيرَها　　　وَكَبيرَها فَهوَ التُقى
كُن فَوقَ ماشٍ فَوقَ أَر　　　ضِ الشَوكِ يَحذُرُ ما يَرى
لا تَحقِرَنَّ صَغيرَةً　　　إِنَّ الجِبالَ مِنَ الحَصى

---

(١) رواه أحمد في المسند والطبراني في المعجم من حديث عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .



وإنما يكون الفساد في الأرض وهلاك الحرث والنسل والذل والخزي في الدنيا والعذاب المهين في الآخرة بالذنب روى البخاري من حديث أنس -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- موقوفًا : «إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا لنعدها على عهد رسول الله من الموبقات» . [١]

وعن ابن مسعود -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- موقوفًا : «إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا». [٢]

٤١٩ وَإِذَا نَذَرْتَ فَكُنْ بِنَذْرِكَ مُوفِيًا فَالنَّذْرُ مِثْلُ الْعَهْدِ مَسْئُولاَنِ

قوله:(**وَإِذَا نَذَرْتَ**) النذر لغة: الإيجاب .

شرعا : إلزام المكلف نفسه عبادة لم تكن لازمة بأصل الشرع .

والأصل فيه الكتاب والسُّنَّة والإجماع .

أما دلالة الكتاب فقد قال رب الأرباب ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ** ﴾[الإنسان:٧] ، وقوله ﴿ **وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ** ﴾ [الحج:٢٩] .

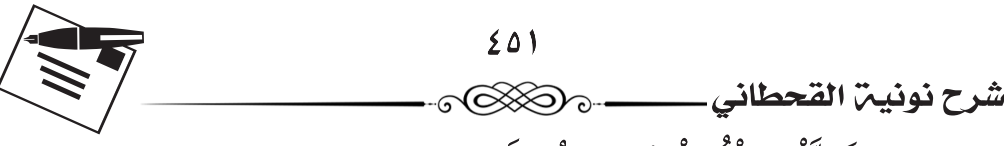
وأما دلالة السُّنَّة : فقوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- :« من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه» . [٣]

وأما الإجماع : فقد أجمع المسلمون على صحته في الجملة .

قوله:(**فَكُنْ بِنَذْرِكَ مُوفِيًا**)أي:أوف بنذرك ما إذا كان نذر طاعة للأدلة السابقة.

---

(١) رواه البخاري.
(٢) أخرجاه في الصحيحين.
(٣) رواه البخاري.



قوله :(فَالنَّذْرُ مِثْلُ الْعَهْدِ مَسْئُولاَنِ) العهد : ما يعاهد به الإنسان غيره وهو نوعان :

الأول :عهد مع الله .

الثاني: عهد مع الناس.

أما العهد مع الله فإن الله عز وجل قد أخذه على عباده جميعا أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا قال الله -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٢] .

وأما العهد مع الناس : فمنه ما يكون بين المسلم وأخيه المسلم ومنه ما يكون بين المسلم والكافر وغير ذلك من العهود المعروفة وهي عهود يجب القيام بها ما لم تكن حراما لقول الله ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء:٣٤].

وخلاصة عجز البيت : أن الوفاء بالعهد يسئل عنه المرء يوم القيامة كما أنه مسؤول عن نذره أوفى به أم لا؟.

٤٢٠ لاَ تُشْغَلَنَّ بِعَيْبِ غَيْرِكَ غَافِلاً عَنْ عَيْبِ نَفْسِكَ إِنَّهُ عَيْبَانِ

قوله:(لاَ تُشْغَلَنَّ بِعَيْبِ غَيْرِكَ) أي : احذر تتبع الزلات والهفوات التي تقع من غيرك لاسيما زلات العلماء والأمراء إذ من تتبع عيب غيره زل ومن نشرها في الخلق ضل فعمي قلبه وتعب بدنه ومن أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم وأعجز منه من عابهم بما فيه ومن عاب الناس عابوه والواقف على عيوب الناس أشبه ما يكون بذباب لا يقع إلا على جرح أو قذر .



جاء عند أحمد من حديث أبي برزة الأسلمي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال : نادى رسول الله حتى أسمع العواتق فقال : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته حتى يفضحه في بيته» . [١]

وعند الترمذي أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : « يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته» . [٢]

وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «... ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة». [٣]

قوله:(**غَافِلاً عَنْ عَيْبِ نَفْسِكَ**)أي : ناسيًا عيب نفسك ، قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه» . [٤]

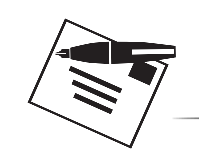
وقال بكر المزني -رَحِمَهُ اللَّهُ- : « إذا رأيتم الرجل موكلا بعيوب الناس ناسيا لعيبه فاعلموا أنه قد مكر به» . [٥]

قبيحٌ من الإنسانِ ينسى عيوبَهُ ويذكرُ عيبًا في أخيهِ قد اختفى
ولو كانَ ذا عقلٍ لما عابَ غيرهُ وفيه عيـوبٌ لو رآها بها اكتفى

قوله :(**إِنَّهُ عَيْبَانِ**) : الأول : نسيان عيوبه .

---

(١) رواه أحمد.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه مسلم من حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .
(٤) رواه ابن حبان وصححه الألباني .
(٥) الأخلاق بين الطبع والتطبع (ص ٢٨٢) .



الثاني : اشتغاله بعيب غيره.

٤٢١ لاَ تُفْنِ عُمْرَكَ فِي الْجِدَالِ مُخَاصِمًا   إِنَّ الْجِــدَالَ يُخِـلُّ بِـالأَدْيَـانِ

قوله:(**لاَ تُفْنِ عُمْرَكَ فِي الْجِدَالِ مُخَاصِمًا**) أي: لا تذهب حياتك ولا تضيع عمرك في اللجاج ، والخصام فعمرك أغلى وأعلى من أن تدمره مجادلا ومخاصما.

والجدال هو : المفاوضة على سبيل المنازعة لإلزام الخصم .(١)

واعلم -رحمك الله- أن الجدال على ضربين :

الأول: الجدال المحمود: وهو: الجدال بالتي هي أحسن وللتي هي أقوم .

قال الله –سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ– : ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[النحل:١٢٥]، وقال الله ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[العنكبوت:٤٦] .

الثاني: الجدال المذموم : وهو: الجدال بالباطل لإدحاض الحق.

قال الله– جَلَّوَعَلَا–:﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ ﴾[الكهف:٥٦] .

وقال الله –سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ– : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠ ﴾[لقمان:٢٠] .

وعن أبي أمامة –رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ– قال : قال رسول الله –صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ– : «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أورثوا الجدل» .(٢)

قوله :(**إِنَّ الْجِدَالَ يُخِلُّ بِالأَدْيَانِ**) المراد: الجدال بالباطل أو الجدال الذي ليس من ورائه إلا ضياع الأوقات وإهدار الطاقات لم يبنى على شروط وقواعد

(١) فن الحوار (ص ٦) .
(٢) رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح.



وآداب الجدال .

قال مالك بن أنس -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « ليس هذا الجدل من الدين بشيء » . [١]

وقال الأوزاعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : «إذا أراد الله بقوم شرا فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل » . [٢]

وفي الحديث الصحيح : « أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا» . [٣]

وعن عائشة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : « إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» . [٤]

٤٢٢ وَاحْـذَرْ مُجَادَلَةَ الرِّجَالِ فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الشَّحْنَاءِ وَالشَّنَآنِ

هذا البيت فيه إتمام للبيت السابق حيث ذكر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ضرران للجدال:

١- الشحناء : أي : العداوة .

٢- الشنآن : أي : البغض .

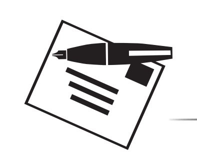
٤٢٣ وَإِذَا اضْطُرِرْتَ إِلَى الجِدَالِ وَلَمْ تَجِدْ لَكَ مَهْرَبًا وَتَلاقَتِ الصَّفَّانِ

قوله:(**وَإِذَا اضْطُرِرْتَ إِلَى الْجِدَالِ**)وإ أي :ألجأت إليه ولم تجد منه بدا.

قوله:(**وَلَمْ تَجِدْ لَكَ مَهْرَبًا**) أي : لم تحصل على منفذ للفرار منه .

---

(١) الآداب الشرعية (١/ ١٧٢) .
(٢) الآداب الشرعية (١/ ١٧٣) . .
(٣) رواه أبو داود من حديث أنس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- .
(٤) ٢٣١ رواه البخاري ومسلم.



قوله :(**وَتَلاَقَتِ الصَّفَّانِ**) أي: الطرفان وفي هذا البيت والأبيات التالية له والتي تتضمن الحديث حول الجدال شبه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- طرفي الجدال كطرفي القتال في الشدة وفي البأس والمنازعة وإرغام الخصم وإسقاطه وكأنها معركة حامية الوطيس تحتاج إلى إعداد وعدة وكر وفر ودهاء وتحرف ونحو ذلك مما يتخذ في ساحات الوغى .

٤٢٤ فَاجْعَلْ كِتَابَ اللهِ دِرْعًا سَابِغًا وَالشَّرْعَ سَيْفَكَ وَابْدُ فِي الْمَيْدَانِ

قوله :(**فَاجْعَلْ كِتَابَ اللهِ دِرْعًا سَابِغًا**) كما أن المجاهد في الميدان يحتاج إلى درع يحميه من ضرب السيفَ ورمي السهم ووقع النبل فمثله المضطر للجدال عليه أن يجعل كتاب الله درعه السابغ الذي يقيه من شبه المجادل ومكائده ومكره وخداعه .

والدرع السابغ : هو التام الطويل الواسع .

قوله :(**وَالشَّرْعَ سَيْفَكَ**) لعل المراد هنا بالشرع : السُّنَّة النبوية وذلك لأنه قد أشار إلى الكتاب في شطر البيت بأن يتخذه المجادل درعا سابغا فوجه هنا بأن يتخذ من السُّنَّة سيفا صارما يسله في وجه خصمه ويحتمل أنه أراد به الشرع جميعه كتابا وسُنَّة.

قوله :(**وَابْدُ فِي الْمَيْدَانِ**) أي : وابرز في ميدان الجدال فلا تخفض رأسا .

٤٢٥ وَالسُّنَّةَ الْبَيْضَاءَ دُونَكَ جُنَّةً وَارْكَبْ جَوَادَ الْعَزْمِ فِي الْجَوَلاَنِ

قوله :(**وَالسُّنَّةَ الْبَيْضَاءَ**) أي : الصافية النقية وهذا التعبير أخذه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- من التعبير النبوي في قوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « تركتكم على البيضاء ليلها



كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» . (١)

قوله :(**دُونَكَ**) أي: أمامك .

قوله :(**جُنَّةً**)-بالضم- أي: وقاية .

قوله :(**وَارْكَبْ جَوَادَ الْعَزْمِ**) أي: وامتط جواد الجد والقوة والهمة العالية والجواد : الفرس الرائع .

قوله :(**فِي الْجُوَلاَنِ**) جال في الحرب جولانا : كطاف وزنا ومعنى.

٤٢٦ وَاثْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى فَالصَّبْرُ أَوْثَقُ عُدَّةِ الإِنْسَانِ

قوله :(**وَاثْبُتْ**) ثبت ثباتا وثبوتًا دام واستقر فهو ثابت .

قوله :(**بِصَبْرِكَ**) صبر صبرًا :تجلد ولم يجزع .

والصبر: حبس النفس عن الجزع ، واللسان عن التشكي ، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب . (٢)

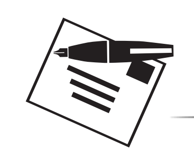
قوله :(**تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى**) الألوية : جمع لواء وهو العلم والراية .

قوله :(**فَالصَّبْرُ أَوْثَقُ**) أي : أحكم وأقوى .

قوله :(**عُدَّةِ الإِنْسَانِ**) العدة : بالضم ما أعددته لحوادث الدهر من مال أو سلاح أو غير ذلك والجمع عدد .

---

(١) رواه أحمد في المسند وابن ماجه في السنن والحاكم في المستدرك وقال الألباني: إسناده صحيح.
(٢) عدة الصابرين (ص ٢٧) .



٤٢٧ وَاطْعَنْ بِرُمْحِ الْحَقِّ كُلَّ مُعَانِدٍ ... لله دَرُّ الْـفَـارِسِ الطَّعَّانِ

قوله :(وَاطْعَنْ) من الطعن وهو : موضع الطعن الذي يصيب منه مقتل .

قوله :(بِرُمْحِ) الرمح : قناة في رأسها سنان يطعن به .

قوله :(الْحَقِّ) الدليل والتعليل .

قوله :(كُلَّ مُعَانِدٍ) أي : كل متباعد ومنصرف ومخالف للحق .

قوله :(لله دَرُّ) عبارة ثناء ومدح .

قوله :(الْفَارِسِ) أي :الماهر في ركوب الخيل والمراد هنا الماهر في دفع الخصم ودحض شبهه .

قوله :(الطَّعَّانِ) الكثير الطعن .

٤٢٨ وَاحْمِلْ بِسَيْفِ الصِّدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ ... مُـتَـجَـرِّدٍ لله غَــيْرِ جَـبَـانِ

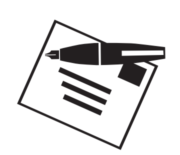
قوله :(وَاحْمِلْ) يقال : حمل عليه في الحرب ونحوها حملة أي: كر.

قوله :(بِسَيْفِ الصِّدْقِ) أي: ليكن سيفك عند المناظرة والجدال هو الصدق.

والصدق : هو الإخبار بما يعتقد الانسان أنه الحق وأنه المطابق للواقع بلا وكس ولا شطط.

قوله :(حَمْلَةَ) الحملة :الكرة في الحرب أي: الفر للجولان ثم العودة للقتال.

قوله :(مُخْلِصٍ) المخلص :لغة : من الإخلاص وهو : النقاء ومنه قول الله -تبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا



خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ [النحل :٦٦] .

اصطلاحا: إفراد الله بالقصد في الطاعات.

قوله :(**مُتَجَرِّدٍ لله غَيْرِ جَبَانِ**) أي : لا تبتغي سوى الله في جدالك ومناظراتك وجميع أعمالك.

قوله :(**غَيْرِ جَبَانِ**) أي : غير متهيب الإقدام على ما لا ينبغي أن يخاف منه.

٤٢٩ وَاحْذَرْ بِجُهْدِكَ مَكْرَ خَصْمِكَ إِنَّهُ كَالثَّعْلَبِ الْبَرِّيِّ فِي الرَّوَغَانِ

قوله :(**وَاحْذَرْ**) أي : تيقظ واحترز من خصمك .

قوله :(**بِجُهْدِكَ**) أي :بوسعك وطاقتك .

قوله :(**مَكْرَ خَصْمِكَ**) أي: خداع عدوك .

قوله:(**إِنَّهُ كَالثَّعْلَبِ الْبَرِّيِّ**) الثعلب:حيوان معروف مشتهر بالمكر والمراوغة والاحتيال .

قوله :(**فِي الرَّوَغَانِ**) راغ الثعلب روغا وروغانا ذهب يمنة ويسرة في سرعة وخديعة فهو لا يستقر في جهة .

٤٣٠ أَصْلُ الْجِدَالِ مِنَ السُّؤَالِ وَفَرْعُهُ حُسْنُ الْجَوَابِ بِأَحْسَنِ التِّبْيَانِ

قوله :(**أَصْلُ**) الأصل: ما يبنى عليه غيره كأصل الجدار الذي هو أساسه وأصل الشجرة التي يتفرع منه أغصانها .

قوله :(**الْجِدَالِ**) المفاوضة على سبيل المنازعة لإلزام الخصم .



قوله :(**مِنَ السُّؤَالِ**) سأل عن كذا وبكذا سؤالا ومسألة : استخرجه عنه .

قوله :(**وَفَرْعُهُ**) الفرع : ما تفرع من غيره وجمعه فروع وفروع الشجرة : أغصانها وفروع الرجل :أولاده وفروع المسألة : أجزاؤها .

قوله :(**حُسْنُ الْجَوَابِ**) أي : الجواب الصواب .

قوله:(**بِأَحْسَنِ التِّبْيَانِ**) أي : بالحجة البالغة والبرهان القاطع والمنطق الفصيح الصحيح .

٤٣١ لاَ تَلْتَفِتْ عِنْدَ السُّؤَالِ وَلاَ تُعِدْ لَفْظَ السُّؤَالِ كِلاَهُمَا عَيْبَانِ

قوله :(**لاَ تَلْتَفِتْ**) التفت عن الشيء وإليه أي : صرف وجهه عنه وإليه .

قوله :(**عِنْدَ السُّؤَالِ**) أي : إذا قدم لك سؤالا من قبل خصمك المجادل أو المناظر فالتفاتك مظهر ضعف وعجز .

قوله :(**وَلاَ تُعِدْ لَفْظَ السُّؤَالِ**) أي: لا تكرر لفظ السؤال المقدم إليك .

قوله :(**كِلاَهُمَا**) إشارة إلى الإلتفات عند السؤال وإعادة لفظه .

قوله :(**عَيْبَانِ**) أي : صفتان معيبتان .

٤٣٢ وَإِذَا غَلَبْتَ الْخَصْمَ لاَ تَهْزَأْ بِهِ فَالْعُجْبُ يُخْمِدُ جَمْرَةَ الإِحْسَانِ

قوله :(**وَإِذَا غَلَبْتَ الْخَصْمَ**) أي: انتصرت على الخصم بقوة الدليل والتعليل وكشفت شبهه .

قوله :(**لاَ تَهْزَأْ بِهِ**) أي : احذر أن تسخر منه وتحقره .



قوله :(**فَالْعُجْبُ**) العجب هو: رؤية النفس بعين الافتخار [١]، وما الكبر إلا ثمرة العجب .

قوله :(**يُخْمِدُ**) أي: يذهب ويسكن .

قوله :(**جَمْرَةَ**) الجمرة : قطعة النار الملتهبة .

قوله :(**الإِحْسَانِ**) أي : الفضل .

٤٣٣ فَلَرُبَّمَا انْهَزَمَ الْمُحَارِبُ عَامِدًا ثُمَّ انْثَنَى فَسَطَا عَلَى الْفُرْسَانِ

قوله :(**فَلَرُبَّمَا انْهَزَمَ الْمُحَارِبُ عَامِدًا**) أي: لعل المحارب والمراد به هنا) المجادل(يظهر الانهزام خدعة وهو أشبه بالفر الذي يتخذه المحارب في ميدان القتال تحرفا منه .

قوله :(**ثُمَّ انْثَنَى**) أي : انعطف وكر على خصمه بقوة .

قوله :(**فَسَطَا**) أي : جورا وظلما .

قوله :(**عَلَى الْفُرْسَانِ**) أي: على الفارس المعلوم في فروسيته فينكأه ويصيب منه جرحا أو مقتلا .

٤٣٤ وَاسْكُتْ إِذَا وَقَعَ الْخُصُومُ وَقَعْقَعُوا فَلَرُبَّمَا أَلْقَوْكَ فِي بَحْرَانِ

قوله :(**وَاسْكُتْ**) أي: لا تتكلم .

قوله :(**إِذَا وَقَعَ الْخُصُومُ**) وقع ويقع وقعا ووقوعا أي: سقط الخصوم أمام الحجة والدليل .

(١) الآداب الشرعية (١/ ١٢١).



قوله :(**وَقَعْقَعُوا**) أي: تحرك القوم واضطربوا وأحدثوا سوطا .

قوله :(**فَلَرُبَّمَا**) تفيد الاحتمال وقد تفيد التأكيد كما في قوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٢ ﴾ [الحجر: ٢].

قوله :(**أَلْقَوْكَ**) أي: رموا بك .

قوله :(**فِي بَحْرَانِ**) أي: في نهر من ماء والمراد هنا في نهر الباطل والشبهات - والله أعلم- .

٤٣٥ وَلَرُبَّمَا ضَحِكَ الْخُصُومُ لِدَهْشَةٍ فَاثْبُتْ وَلاَ تَنْكَلْ عَنِ الْبُرْهَانِ

قوله :(**وَلَرُبَّمَا ضَحِكَ الْخُصُومُ**) أي: أنه قد يضحك الخصم ضحك سخرية واستفزاز من أجل النكاية والاضعاف والارباك وهذا أسلوب لطالما يستخدمه أصحاب اللجاج في الجدال والمراء فلا يستغرب منهم محاورهم وعليه أن يهيء نفسه لهذه الأساليب كي لا ينكل عن الدفاع عن الحق الذي يحمله .

قوله :(**فَاثْبُتْ**) أي: اسكن ولا تفزع لضحكهم .

قوله :(**وَلاَ تَنْكَلْ**) أي: لاتجبن ولا تنكص .

قوله:(**عَنِ الْبُرْهَانِ**)أي:عن الحجة الدامغة التي تدمغ الباطل فإذا هو زاهق.

٤٣٦ فَإِذَا أَطَالُوا فِي الْكَلاَمِ فَقُلْ لَهُمْ إِنَّ الْبَلاَغَةَ لُجِّمَتْ بِبَيَانِ

قوله :(**فَإِذَا أَطَالُوا فِي الْكَلاَمِ فَقُلْ لَهُمْ**) إذا هنا الفجائية والمعنى: إذا



فجئت بإطالة الكلام والتفرع فيه والتهرب من أساسه وصلبه وقواعده من قبل خصمك فليكن جوابك عليهم .

قوله :(**إِنَّ الْبَلاَغَةَ**) أي : الفصاحة وحسن البيان وقوة التأثير ومن البلاغة الإيجاز في الكلام دون إخلال .

قوله :(**لُجِمَتْ**) اللجام : هو الخطام الذي يوضع في وجه الدابة .

قوله :(**بِبَيَانِ**) أي : بالدليل القاطع والبرهان الساطع دون إطالة مملة ولا إيجاز مخل .

٤٣٧ لاَ تَغْضَبَنَّ إِذَا سُئِلْتَ وَلاَ تَصِحْ   فَكِلاَهُمَا خُلُقَانِ مَذْمُومَانِ

قوله :(**لاَ تَغْضَبَنَّ**) أي : احذر الغضب أثناء حوارك للآخرين .

والغضب هو :السخط ومحاولة الانتقام .

قوله :(**إِذَا سُئِلْتَ**) أي : إذا سألك خصمك سؤالا ما .

قوله :(**وَلاَ تَصِحْ**) أي: لا ترفع صوتك أكثر مما يحتاج إليه السامع، فإنه رعونة وإيذاء، ثم إن رفع الصوت لا يقوي حجة صاحبه قط، بل إن صاحب الحجة الضعيفة يحاول أن يقوي ضعفه بغلظته وزعاقه، وفي أكثر الحالات يكون صاحب الصوت الهادئ هو الذي يعكس عقلا متزنا وفكرا منتظما وحجة وموضوعية بل إن الصوت الهادئ المتأني من غير صراخ وصياح ومن غير إسرًار وإخفات هو الأدخل في النفوس والأنفذ إلى الأعماق والأحفظ لجلال الكلمة ووقار المتكلم .



ولله در القائل:

فكن هادئا طبعا ذا مهابة ... ولا ترفعن الصوت عند التجادل
فصوتك لا يعطيك قوة حجة ... وغضك لا يرديك بين الأراذل
فعقل الفتى عنوانه في لسانه ... وعلم الفتى يعليه عن كل سافل

قال أبو عثمان ابن الإمام الشافعي -رَحِمَهُمَاٱللَّهُ- ما سمعت أبي يناظر أحدا فرفع صوته» :

ورحم الله إمامنا الشافعي حين قال:

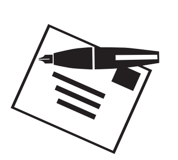
إِذا ما كُنتَ ذا فَضلٍ وَعِلمٍ ... بِما اِختَلَفَ الأَوائِلُ وَالأَواخِر
فَناظِر مَن تُناظِرُ في سُكونٍ ... حَليماً لا تَلِحُّ وَلا تُكابِر
يُفيدُكَ ما اِستَفادَ بِلا اِمتِنانٍ ... مِنَ النُكَتِ اللَطيفَةِ وَالنَوادِر
وَإِيّاكَ اللَجوجَ وَمَن يُرائي ... بِأَنّي قَد غَلَبتُ وَمَن يُفاخِر
فَإِنَّ الشَرَّ في جَنَباتِ هَذا ... يُمَنّي بِالتَقاطُعِ وَالتَدابُر

قوله:(**فَكِلاَهُمَا**) أي: الغضب ورفع الصوت .

قوله:(**خُلُقَانِ مَذْمُومَانِ**) أي : غير ممدوحان شرعا وعقلا .

٤٣٨ وَاحْذَرْ مُنَاظَرَةً بِمَجْلِسِ خِيفَةٍ ... حَتَّى تُبَدَّلَ خِيفَةً بِأَمَانِ

قوله :(**وَاحْذَرْ**) أي : تجنب .



قوله:(**مُنَاظَرَةً**) المناظرة: أصلها من النظر .

وناظر فلانًا أي: باحثه وباراه في المحاجة .

وتناظر القوم الأمر: أي: تجادلوا وتراوضوا .

وعليه فالمناظرة: ترديد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه مع رغبة كل منهم في ظهور الحق .

قوله:(**بِمَجْلِسِ خِيفَةٍ**) أي: في موطن مناظرة تخاف منه .

قوله:(**حَتَّى**) حرف غاية بمعنى: إلى .

قوله:(**تُبَدَّلَ خِيفَةً بِأَمَانِ**) أي: تتغير وتتحول الخيفة إلى أمن على النفس ونحوها وذلك باتخاذ الأسباب الواقية من المخاوف كي تناظر باطمئنان فتقوى الحجة وتدفع الشبهة .

٤٣٩ نَاظِرْ أَدِيبًا مُنْصِفًا لَكَ عَاقِلاً وَانْصِفْهُ أَنْتَ بِحَسْبِ مَا تَرَيَانِ

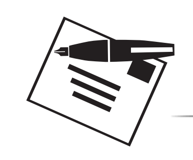
قوله:(**نَاظِرْ**) إذا عزمت على المناظرة فناظر من توفرت فيه الصفات التالية:

قوله:(**أَدِيبًا**) هذه الصفة الأولى: الأدب: وهو الأخذ بمحاسن الأخلاق ومعالي الشيم .

قوله:(**مُنْصِفًا لَكَ**) وهذه هي الصفة الثانية: الإنصاف: هنا هو العدل .

قوله:(**عَاقِلاً**) وهذه هي الصفة الثالثة: العقل: وهو: الإدراك للشيء على حقيقته .

قوله:(**وَانْصِفْهُ أَنْتَ**) أي: كما أنصفك فاستوفاك حقك من نفسه فكذلك أنت أنصفه فأوفه حقه من نفسك .



قوله:(**بِحَسْبِ مَا تَرَيَانِ**) أي: بالقدر الكاف الذي تراه .

٤٤٠ وَيَكُونُ بَيْنَكُمَا حَكِيمٌ حَاكِمًا عَـدْلاً إِذَا جِئْتَاهُ تَحْتَكِمَانِ

قوله:(**وَيَكُونُ بَيْنَكُمَا**) أي: واجعلا بينكما .

قوله:(**حَكِيمٌ**) أي: من ذوي الحكمة وهو من يضع الأشياء في مواضعها .

قوله:(**حَاكِمًا**) الحاكم: من نصب للحكم بين الناس وفض النزاع بينهم .

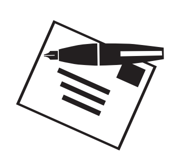
قوله:(**عَدْلاً**) أي: مسلما عاقلا غير فاسق ولا مخروم مروءته .

قوله:(**إِذَا جِئْتَاهُ**) أي: أتيتما إليه .

قوله:(**تَحْتَكِمَانِ**) أي: تطلبان فصل النزاع بينكما .

وخلاصة ما ذكره الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في هذه الأبيات التسع عشرة التي تناولت الجدال والمناظرة وما يتعلق بهما من ضوابط وقواعد وآداب ، حيث حذر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- من الجدال العقيم الذي لا يأتي بخير، ولكن ما إذا اضطررت إليه فالزم آدابه وقواعده ، وشبه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- طرفي الجدال بفريقي القتال لشدته وبأسه ، فكانت الوصايا النافعة للمجادل السني بأن يجعل كتاب الله درعه الواقي ، وشريعة الإسلام سيفه الطعان، وسُنَّة رسول الله بيضته الواقية ، والعزم جواده ، والصبر عدته الذي لا يتصرم حباله ولا ينتقض بنيانه .

ثم أوصاه بالثبات في الميدان وعدم الفرار من الزحف، وأن يكر على عدوه بسيف الصدق الذي لا ينبو ولا يهزم مع تحقيق الإخلاص لله ، الذي هو أصل النجاح وسر الفلاح ، ثم حذره من مكر الخصم وغدره، ثم ذكره بأن أصل الجدال هو السؤال وأن الالتفات عند السؤال وتكرار السؤال عيبان مذمومان



في صولة الجدال، ثم نبه إلى بعض الآداب من ذلك عدم الهزء بالخصم ما إذا غلب وهزم، فإن ذلك عين العجب الذي يذهب روح الجدال وثمرته .

ثم نبه إلى بعض الحيل الحربية التي يتخذها الخصم منها :

١- التظاهر بالإنهزام كما يفعل المقاتل في ميدان القتال كرًا وفرًا .

٢- الضحك الاستفزازي لإسقاط خصمه وإرباكه .

ثم حذر من خلقين مذمومين :

١- الغضب عند السؤال

٢- ارتفاع أصوات المتناظرين .

٣- ثم حذر من المناظرة في مجلس لا تأمن فيه على نفسك فتتعثر عن البرهان وتعجز عن دفع الباطل ثم وجه أن لا تناظر إلا من اشتمل فيه صفات الأدب والإنصاف والعقل وأوصاك بمثلها ثم ختم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- باختيار الحاكم الحكيم العدل الذي لا يتحيز إلى فئة ، ولا ينتصر لفريق حمية وعصبية.

ولله در الإمام الشافعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- حين أنشأ قائلا :

إِذا ما كُنتَ ذا فَضلٍ وَعِلمٍ … بِما اِختَلَفَ الأَوائِلُ وَالأَواخِر

فَناظِر مَن تُناظِرُ في سُكونٍ … حَليماً لا تَلِحُّ وَلا تُكابِر

يُفيدُكَ ما اِستَفادَ بِلا اِمتِنانٍ … مِنَ النُكَتِ اللَطيفَةِ وَالنَوادِر

وَإِيّاكَ اللَجوجَ وَمَن يُرائي … بِأَنّي قَد غَلَبتُ وَمَن يُفاخِر

فَإِنَّ الشَرَّ في جَنَباتِ هَذا … يُمَنّي بِالتَقاطُعِ وَالتَدابُر

إلى هنا أكون قد وصلت إلى نهاية الجزء الثاني من: « **نيل الأماني شرح نونية الإمام القحطاني**» .

يليه بعون الله وتوفيقه : (الجزء الثالث) .

سائلاً من الله أن يجعل ما دونته في هذه الصفحات ، ثقيلاً في ميزان الحسنات يوم اللقاء ، كما أسأله أن يجعل لها القبول التام بين العباد ، فتنفع وترفع عنا وعنهم العذاب وتدفع.

سبحانك اللهم وبحمد ، أشهد ألا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه/

أبو البدر

عمر بن محمد بن صالح العمراني

بدأت تسويدها يوم الخميس

غرة شهر الله المحرم للعام ١٤٣٤ هـ

والموافق لـ (١٥) من نوفمير (٢٠١٣ م)



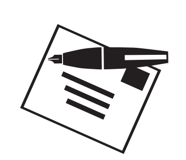
فاتحة الكتاب

الحمد لله الذي رضي من عباده باليسر من العمل ، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل ، وأفاض عليهم النعمة وكتب على نفسه الرحمة ، ودعا عباده إلى دار السلام فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم عدلا ، وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمة منه وفضلا، أحمده حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك شهادة عبده وابن عبد وابن أمته ومن لا غنى به طرفة عين عن فضله ورحمته، ولا نطمع له بالفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي أعطي جوامع الكلم ، ونوابغ الحكم - ودانت له الفصاحة والبلاغة فكان له منها الحظ الأوفر ، والنصيب الأكمل حتى أعجز بلغاء ربيعة ومضر صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة دائمة بركتها إلى يوم الدين كما صلى على إبراهيم وعلى آل إبراهيم .

وبعد :

فمن فضل الله علي أن وفقني لقراءة نونية الإمام القحطاني وسماع أبياتها الندية بأصوات شجية من بعض الفضلاء فألفيتها جامعة نافعة كأنها أزهار متناثرة في حدائق ذات بهجة فيها من كل زوج بهيج ولها طلع نضيد .

حينئذ عمدت بفضل الله وكرمه مستمدا منه الحول والقوة إلى شرحها معتمدا على كتب أئمة العلم المعتبرين المهتدين بهدى سلفنا الصالحين .



أسميته بـ:(**نيل الأماني شرح نونية الإمام القحطاني**) الجزء الثالث.

وهو اسم يطابق مسماه ، ويوافق معناه والكتاب فيما أحسبه بحمد الله وفضله مشوق للناظر - فيه لا يسأمه الجليس، ولا يمله الأنيس ، محرك للقلوب إلى أجل مطلوب وحاد للأرواح، إلى تعلم الصحاح، مشتمل من بدائع الفوائد، وفرائد القلائد .

والله يعلم ما قصدت، وما بجمعه أردت ، فهو عند لسان كل عبد وقلبه، هو المطلع على نيته وكسبه والله المسؤول أن يجعله لوجهه خالصا وعلى هدي النبي الرسول ، وأن يكتب له القبول وأن يرفعني وقارءه وطابعه وسامعه ومن انتهى إليه يوم البعث والنشور إنه خير مسؤول، وأكرم مأمول .

بِـالله يَا قَارِئًا كُتُبِي وَسَامِعَهَا ... أَسْبِلْ عَلَيْهَا رِدَاءَ الْحُكْمَ والْكَرَمِ
وَاسْتُرْ بِلُطْفِكَ مَا تَلْقَاهُ مِنْ خَطَاءٍ ... أَوْ أَصْلِحَنْهُ تُثَبْ إِنْ كُنْتَ ذَا فَهَمِ
فَكَمْ جَوادٍ كَبَى والسَّبْقُ عَادَتُه ... وَكَمْ حُسَامٍ نَبَا أَوْ عَادَ ذُو ثُلْمٍ
وَكُلُّنَا يَا أَخِي خَطَآءٌ ذُو زَلَلٍ ... والْعُذْر يَقْبَلُهُ ذُو الْفَضْلِ والشِّيَمِ

وكتبه/

أبو البدر

عمر بن محمد بن صالح العمراني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٤٤١ كُنْ طُولَ دَهْرِكَ سَاكِنًا مُتَوَاضِعًا فَهُمَا لِكُلِّ فَضِيلَةٍ بَابَانِ

قوله: (**كُنْ طُولَ دَهْرِكَ**) أي: طول عمرك .

قوله: (**سَاكِنًا**) من السكون وهو: التأني والرزانة والسمت الحسن .

قوله: (**مُتَوَاضِعًا**) التواضع هو: قبول الحق وخفض الجناح للخلق قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣] .

وقال -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« من تواضع لله رفعه» (١).

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع

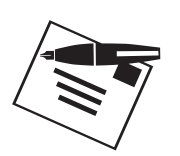
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضيع

قوله:(**فَهُمَا**) أي: السكون والتواضع .

قوله:(**لِكُلِّ فَضِيلَةٍ**) جمعها فضائل:وهي مجموع الخصال والخلال الكريمة.

قوله:(**بَابَانِ**)أي: منفذان ومدخلان .

(١)أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -وصححه الألباني في الصحيحة.



٤٤٢ وَاخْلَعْ رِدَاءَ الْكِبْرِ عَنْكَ فَإِنَّهُ ... لاَ يَسْتَقِلُّ بِحَمْلِهِ الْكَتِفَانِ

قوله:(**وَاخْلَعْ**) أي: انزع .

قوله:(**رِدَاءَ**) بالمد ما يتردى به .

قوله:(**الْكِبْرِ عَنْكَ**) الكبر هو: دفع الحق وازدراء الخلق ، قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «الكبر بطر الحق وغمط الناس» (١).

قوله:(**فَإِنَّهُ**) الهاء: ضمير يعود على خلق الكبر .

قوله:(**لاَ يَسْتَقِلُّ بِحَمْلِهِ**) أي: لا ينهض ولا يقوى على حمله .

قوله:(**الْكَتِفَانِ**) عظمان عريضان خلف المنكب . وصدق -رَحِمَهُ اللَّهُ- أن الكبر داء دوي أهلك إبليس وفرعون وقارون وغيرهم من المستكبرين .

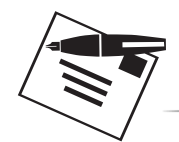
قال ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ- : « وليحذر كل الحذر من طغيان أنا ولي وعندي فأنا قالها: إبليس ولي قالها: فرعون وعندي قالها: قارون» (٢).

وعليه: لنحذر هذا الداء القاتل وهذا الخلق المشين فإن الله يبغضه، قال -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النحل: ٢٣] .

وقال:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾[لقمان: ١٨] .

وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان» (٣). وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء» (٤).

(١) رواه مسلم من حد يث عبد الله بن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .
(٢) زاد المعاد هدي خير العباد نقلا من فن الحوا ر (ص ١٢٨) .
(٣) أخرجه أحمد والترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع .
(٤) أخرجه مسلم من حديث عبدالله بن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- .



٤٤٣ كُنْ فَاعِلاً لِلْخَيْرِ قَــوَّالاً لَهُ فَالْقَوْلُ مِثْلُ الْفِعْلِ مُقْتَرِنَانِ

قوله:(**كُنْ فَاعِلاً لِلْخَيْرِ**) أي: تحل والزم فعل الخيرات الواجبة والمندوبة كالصلوات والزكوات والصوم والحج والبر والجهاد والصلة والإحسان للخلق وطلب العلم ونحو ذلك .

قال الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى–:﴿ **وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[الحج: ٧٧] .

قوله:(**قَوَّالاً لَهُ**) أي: قل الحق كالدعوة إلى الله والذكر وقراءة القرآن ونحو ذلك قال الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠** ﴾ [الأحزاب: ٧٠] .

وقال الله: ﴿ **وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ٢٤** ﴾ [الحج: ٢٤] .

وقال الله ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ** ﴾[فاطر: ١٠] .

قوله:(**فَالْقَوْلُ مِثْلُ الْفِعْلِ مُقْتَرِنَانِ**) أي: قرينان لا ينفكان .

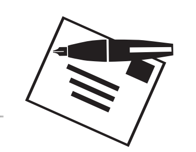
إذ الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قال الله:﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ٣٠** ﴾[فصلت: ٣٠] .

وقال –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– :« قل آمنت بالله ثم استقم »(١) .

وفي المقابل : مخالفة القول للعمل خلق مذموم يبغضه الله قال الله ﴿ **كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ٣** ﴾ [الصف: ٣] .

---

(١) رواه مسم وابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن صحيح .



وقال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ٤٤].

٤٤٤ مِنْ غَوْثِ مَلْهُوفٍ وَشِبْعَةِ جَائِعٍ ... وِدِثَارِ عُرْيَانٍ وَفِدْيَةِ عَانِ

أشار الناظم -رَحِمَهُ اللَّهُ- في هذا البيت إلى جملة من أعمال الخير .

قوله:(**مِنْ غَوْثِ مَلْهُوفٍ**)الملهوف هو:المظلوم المضطر الذي يستغيث ويتحسر.

قوله:(**وَشِبْعَةِ جَائِعٍ**) أي: إشباع جائع .

قوله:(**وِدِثَارِ عُرْيَانٍ**) الدثار بالكسر هو: الثوب الذي يكون فوق الشعار ومنه قول الله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ ﴾ [المدثر: ١].

والشعار بالكسر هو: الثوب الذي يلي شعر الجسد ومنه قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « الناس دثار والأنصار شعار» .

والعريان بالضم المتجرد من الثياب الذي يستر بها عورته .

قوله:(**وَفِدْيَةِ عَانِ**) الفدية هي: الفداء التي تعني: استنقاذ الأسير بمال أو نحوه وتخليصه مما هو فيه .

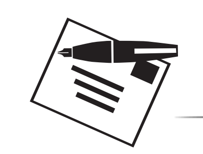
والعان: الأسير ومنه قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- « أيها الناس: اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله» (١).

٤٤٥ فَإِذَا عَمِلْتَ الْخَيْرَ لاَ تَمْنُنْ بِهِ ... لاَ خَيْرَ فِي مُتَمَدِّحٍ مَنَّانِ

قوله:(**فَإِذَا عَمِلْتَ الْخَيْرَ**) أي: ما إذا أعنت ووفقت لعمل الخير وهو:

---

(١) رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- .



العمل الصالح .

قوله:(**لاَ تَمْنُنْ بِهِ**) من المن: وهو: تعديد الصنائع والافتخار بها على المنعم .

قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ... ﴾ [البقرة: ٢٦٣-٢٦٤] .

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم وهم عذاب أليم ؛ المنان، والمُسبل، والمُنفق سلعته بالحلف الكاذب» [١].

قوله:(**لاَ خَيْرَ فِي مُتَمَدِّحٍ مَنَّانِ**) أي: بعطائه إذ أن تمدحه يفسد عطاءه .

أفسدت بالمن ما قدمت من حسن   ليس الكريم إذا أعطى بمنان

والمنان: اسم من أسمائه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[لقمان: ١٧] .

٤٤٦ اُشْكُرْ عَلَى النَّعْمَاءِ وَاصْبِرْ لِلْبَلاَ   فَكِلاَهُمَا خُلُقَانِ مَمْدُوحَانِ

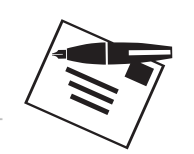
قوله:(**اُشْكُرْ**) الشكر هو: الثناء على المنعم بما هو أهله والاعتراف بالنعمة وإظهارها .

وشكر الله الشكر المطلق واجب قال -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- :﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٢] .

وقال:﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[إبراهيم: ٧] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .



ويستحب شكر من له عليك فضل شكرا مقيدا قال الله: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: ١٤] .

وقال -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » (١).

وللشكر أركان ثلاثة:

١- شكر القلب: اقرارا واعترافا بالنعمة وفضل المنعم بها .

٢- شكر اللسان: بالثناء على المنعم بما هو أهله .

٣- شكر الجوارح: بتسخيرها في طاعة خالقها حسب ما جاء به الشرع .

قوله:(**وَاصْبِرْ**) سبق بيان معناه في البيت رقم (٤٢٥).

قوله:(**لِلْبَلاَ**) أي: ما إذا امتحنت بالضراء في نفسك أو أهلك أو ولدك أو عرضك .

قال الله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧] .

قوله:(**فَكِلاَهُمَا**) أي: الشكر مقابل النعماء والصبر مقابل الضراء .

قوله:(**خُلُقَانِ مَمْدُوحَانِ**) أي: من الأخلاق المحمودة الممدوحة لقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » (٢).

---

(١) رواه أبو داؤود وصححه الألباني .

(٢) رواه مسلم .



وقد قال بعض السلف : « الإيمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر » ، وقد جمع الله بينهما كما في قوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سبأ: ١٩] .

ولقد قيل إن من علامة السعادة للمؤمن ثلاثة: إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر .

٤٤٧ لاَ تَـشْـكُـوَنَّ بِعِلَّةٍ أَوْ قِلَّةٍ فَهُمَا لِعِرْضِ الْمَرْءِ فَاضِحَتَانِ

قوله:(**لاَ تَشْكُوَنَّ**) أي:احذر التشكي الناجم عن تسخط وعدم رضا بالمقادير.

قوله:(**بِعِلَّةٍ**) العلة - بالكسر- المرض والجمع علل .

قوله:(**أَوْ قِلَّةٍ**) القلة - بالكسر- قلة ذات اليد وهو: الفقر .

قوله:(**فَهُمَا**) أي: العلة والقلة .

قوله:(**لِعِرْضِ الْمَرْءِ**) بالكسر وهو ما يمدح ويذم من الإنسان سواء في نفسه أو أهله أو من يلزمه أمره .

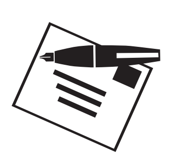
قوله:(**فَاضِحَتَانِ**) أي: كاشفتان عن المساوي والعيوب .

وفي الحديث يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»[1].

٤٤٨ صُنْ حُرَّ وَجْهِكَ بِالْقَنَاعَةِ إِنَّمَا صَوْنُ الْوُجُوهِ مُرُوءَةُ الْفِتْيَانِ

قوله:(**صُنْ**) أي: احفظ .

(١) أخرجه البخاري ومسلم .



قوله:(**حُرَّ وَجْهِكَ**) بالضم ما بدا من الوجنة .

والوجنة: ما ارتفع من الخدين .

قوله:(**بِالْقَنَاعَةِ**) القناعة هي: الرضا بالمقسوم وعدم مد اليدين لأحد من الخلق .

قوله:(**إِنَّمَا صَوْنُ الْوُجُوهِ**) يعني: بعدم المسألة .

قوله:(**مُرُوءَةُ الْفِتْيَانِ**) المروءة: جماع محاسن الأخلاق وكريم الصفات وجميل العادات .

وفي هذا البيت حث الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- على التحلي بحلية القناعة التي فيها صون الوجه عن ذل المسألة لغير ضرورة أو حاجة ملحة وفي الحديث الصحيح :« ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم» (١).

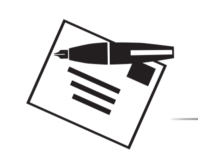
هي القناعة فالزمها تكن ملكا ... لو لم يكن لك فيها إلا راحة البدن

فانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير الحنط والكفن

وقال آخر:

صن حر وجهك لا تهتك غلالته ... فكل حـر لحـر الـوجـه صـوان

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- .



٤٤٩ بِاللهِ ثِقْ وَلَهُ أَنِبْ وَبِهِ اسْتَعِنْ فَإِذَا فَعَلْتَ فَأَنْتَ خَيْرُ مُعَانِ

أوصى الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في هذا البيت بثلاث وصايا(الثقة به -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- والإنابة إليه والاستعانة به).

قوله:(**بِاللهِ ثِقْ**) أي: وثق صلتك بربك فإن فعلت فاعتمد عليه في جميع أمورك فإنه الرّكن إن خانتك أركان.

قوله:(**وَلَهُ أَنِبْ**) أي: ارجع وتب وأب إلى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فإنه يقبل ويحب الآيبين التائبين قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾ [الشورى: ١٠].

قوله:(**وَبِهِ اسْتَعِنْ**) أي: اطلب منه العون على فعل الطاعات وترك المعاصي والسيئات وتيسير أبواب الخيرات فإنه نعم المعين وخير من به يستعان قال الله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾[الفاتحة: ٥].

وفي الحديث الصحيح :«...وإذا استعنت فاستعن بالله»(١).

قوله:(**فَإِذَا فَعَلْتَ**) أي: مما ذكر آنفا من الثقة به التوكل عليه والاستعانة به.

قوله:(**فَأَنْتَ خَيْرُ مُعَانِ**) أي: إن من استعان بالله أعين ومن استعان بغيره ممن لا يقدر عليه سواه أذل وأهين.

واعلم -رحمك الله- أن جماع الدين كله الإنابة إليه والتوكل عليه قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾ [الشورى: ١٠].

وقال الله: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾[هود: ١٢٣].

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي من حديث ابن عباس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا- وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

فالاستعانة وسيلة والعبادة غاية وهذا هو الدين كله ولقد جمع في قوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة: ٥] .

قال شيخ الإسلام- رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ دفع للرياء، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ دفع للكبرياء » .

إذا لم يكن عون من الله للفتى   فأول ما يجني عليه اجتهاده

٤٥٠ وَإِذَا عَصَيْتَ فَتُبْ لِرَبِّكَ مُسْرِعًا   حَذَرَ الْمَمَاتِ وَلاَ تَقُلْ لَمْ يَانِ

قوله:(**وَإِذَا عَصَيْتَ**) المعصية: مخالفة المأمور ومواقعة المحذور .

قوله:(**فَتُبْ لِرَبِّكَ**) أي: ارجع إلى ربك وذلك يكون بالإقلاع عن الذنب والعزم على عدم معاودته،والندم على فعله كل ذلك مقرون بالإخلاص لوجهه.

قوله:(**مُسْرِعًا**) أي: مبادرا غير متوان .

قوله:(**حَذَرَ الْمَمَاتِ**) أي: محاذرا الموت أن يفجأك

قوله:(**وَلاَ تَقُلْ لَمْ يَانِ**) أي: احذر أن تقل: لم يحن وقت التوبة كأن تكون في شرخ شبابك ومعدن عافيتك ومقتبل عمرك فيطول أملك ويشقى عملك .

ولله در القائل حين قال:

إياكم أن تهملوا أوقاتكم   فتندموا يوما على ما فاتكم

فإنما غنيمة الإنسان شبابه   والخسر في التوان

ومن تفته ساعة من عمره   تكن عليه حسرة في قبره

ومـــن يقل إني صغير أصبر　　حتى أخـــاف الله حـين أكبر

فـــإن ذاك غــــره إبـلـيـس　　وقـلـبـه مـقـفـل مـطـمـوس

لا خـير فيمن لم يتب صغيرًا　　ولم يـكـن بـعـيـبـه بـصـيرًا

ولا شك أن كل بني آدم خطاء كما صح في الحديث أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال :« كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» (١).

فإذا ابتلي العبد بالذنب فليسارع إلى التوبة وليحذر من التسويف فإنه من جنود إبليس والموت يأتي بغتة لا يمهل مذنب ولا غيره قال الله : ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأعراف ٣٤] .

ماض وأعرف ما دربي وما هدفي　　والموت يرقص لي في كل منعطف

٤٥١ وَإِذَا ابْتُلِيتَ بِعُسْرَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا　　فَالْعُسْرُ فَـرْدٌ بَعْدَهُ يُـسْرَانِ

قوله:(**وَإِذَا ابْتُلِيتَ**) من الابتلاء وهو: الامتحان والاختبار .

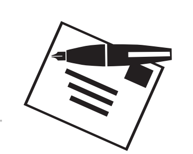
قوله:(**بِعُسْرَةٍ**) العسرة: بالضم ضيق الحال من جهة عدم المال ضد الميسرة .

قوله:(**فَاصْبِرْ لَهَا**) أي: فاحبس نفسك عن الجزع ولسانك عن التشكي وجوارحك عن الأذى .

قوله:(**فَالْعُسْرُ فَرْدٌ بَعْدَهُ يُسْرَانِ**) لأن الله يقول:﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الإنشراح: ٥-٦] .

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني .



وفي الحديث الصحيح :« واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا »[١].

فقد كرر -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- العسر معرفا بـ (ألـ) واليسر منكرا .

والمعرف إذا كرر هو عين الأصل فالعسر هنا كرر معرفا بـ (ألـ) فهو شيء واحد بينما المنكر إذا كرر يكون المكرر مغايرا للأصل الأول فاليسر هنا كرر منكرا فدل على تعدده .

وفي الأثر:« لن يغلب عُسر يُسرين»[٢]. وإلى هذا أشار الناظم بقوله: **(فَالْعُسْرُ فَرْدٌ بَعْدَهُ يُسْرَانِ)** .

كما أن تعريف العسر بالألف واللام الدال على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر مهما بلغ من الصعوبة والشدة فإن اليسر لا محالة يخلفه .

إذا لاح عسر فـارج يسرا فإنما قضى الله أن العسر يتبعه يسر

وقال آخر:

ولـرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعـا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

ومن البشارات في هذا الباب أن اليسر جاء منكرا وهذا يفيد التفخيم والتعظيم ، فلله الحمد والمنة على هذه البشارة العظيمة .

---

(١) أخرجه أحمد وغيره من حديث ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- وصححه الألباني .
(٢) أخرجه مالك والحاكم والبيهقي موقوفا على عمر بن الخطاب-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- .

٤٥٢ لاَ تَحْشُ بَطْنَكَ بِالطَّعَامِ تَسَمُّنًا   فَجُسُومُ أَهْلِ الْعِلْمِ غَيْرُ سِمَانِ

قوله: (**لاَ تَحْشُ بَطْنَكَ بِالطَّعَامِ**) أي: لا تملأ بطنك بأصناف الطعام متجاوزا الحد المقدور والمعقول .

قوله: (**تَسَمُّنًا**) أي: ترجو السمن من خلاله .

قوله: (**فَجُسُومُ أَهْلِ الْعِلْمِ غَيْرُ سِمَانِ**) أي: أن أجسام العلماء ليست بالممتلئة لحما وشحما وذلك لزهدهم وورعهم وقلة طعامهم وشرابهم وكثرة عبادتهم لربهم ولكن قد تحصل السمنة إما وراثية ، وإما لسبب غير السرف في المطعم والمشرب فهذا غير مذموم .

ولا يعني ذلك ترك الطيب من الطعام والشراب والإقبال على زهيده المضر بالجسم وصحته فإن ذلك ليس من دين الله في شيء قال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٧٢] .

وقال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ ﴾[آل الأعراف: ٣٢] .

وقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- على لسان فتية أهل الكهف : ﴿ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ ﴾[الكهف: ١٩] .

وقال -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« كل واشرب والبس وتصدق في غير سرف ولا مخيلة» (١) .

(١) أخرجه أحمد وحسنه الألباني في صحيح الجامع .

إنما المعني: ترك فضول المطعم والمشرب الذي يبلغ بصاحبه إلى حد السرف.

قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٧] .

٤٥٣ لاَ تَتَّبِعْ شَهَوَاتِ نَفْسِكَ مُسْرِفًا فَـاللهُ يُبْغِضُ عَابِدًا شَهْوَانِي

قوله: (**لاَ تَتَّبِعْ شَهَوَاتِ نَفْسِكَ**) أي: احذر أن تتبع النفس هواها ومشتهاها إذ النفس مجبولة على حب الشهوات شهوة البطن وشهوة الفرج ونحو ذلك، قال الله : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٧-١٠] .

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فخالف النفس والشيطان وعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

وقال آخر:

ومـن الـبـلاء وللبلاء علامة أن لا يرى لك عن هواك نزوع

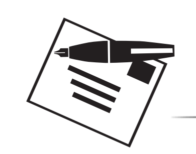
العبد عبد النفس في شهواتها والحـر يشبع تـارة ويجـوع

قوله: (**مُسْرِفًا**) أي: متجاوزا الحد المشروع .

قوله: (**فَاللهُ يُبْغِضُ**) أي: يكره ويمقت .

قوله: (**عَابِدًا شَهْوَانِي**) أي: صاحب عبادة بلا علم يبصره ويهديه .

قوله: (**شَهْوَانِي**) أي: تغلبه الشهوات .



٤٥٤ أَقْلِلْ طَعَامَكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ   نَفْعُ الجُسُومِ وَصِحَّةُ الأَبْدَانِ

قوله:(**أَقْلِلْ طَعَامَكَ**) أي: لا تسرف في مطعمك لقوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[الأعراف: ٣١] .

ولقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» (١).

وهذا الحديث: أصل جامع لأصول الطب كلها كما ذكر ابن رجب في كتابه: (جامع العلوم والحكم).

قوله:(**مَا اسْتَطَعْتَ**) أي: ما قدرت على ذلك فقد جاء في الحديث الصحيح الآنف الذكر بين فيه أن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه .

قوله:(**فَإِنَّهُ**) أي: الإقلال من المطعم .

قوله:(**نَفْعُ الجُسُومِ وَصِحَّةُ الأَبْدَانِ**) أي: فيه منفعة للبدن وللقلب فإن البطن إذا امتلأ من الطعام ضاق عن الشراب فإذا ورد عليه الشراب ضاق عليه النفس وعرض له الكرب والتعب بحمله هذا إلى ما يلزم من فساد القلب وكسل الجوارح عن الطاعات وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشبع .

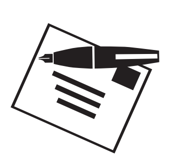
ومن أمثال العرب: البطنة تذهب الفطنة .

وقيل :أصل كل داء التخمة .

تبين أن امتلاء البطن من الطعام مغير للقلب والبدن فلنحذر .

---

(١) صحيح أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه الألباني .



٤٥٥ وَامْلِكْ هَوَاكَ بِضَبْطِ بَطْنِكَ إِنَّهُ   شَرُّ الرِّجَالِ الْعَاجِزُ الْبَطْنَانِي

قوله:(**وَامْلِكْ هَوَاكَ**) أي: حز وانفرد بالتصرف في شهواتك واحذر أن تتصرف هي فيك .

قوله:(**بِضَبْطِ بَطْنِكَ**) عن الحرام وعن الامتلاء بالطعام والشراب .

قوله:(**إِنَّهُ**) أي: من أطلق العنان لشهواته .

قوله:(**شَرُّ الرِّجَالِ**) أي : من أسوء الرجال وأفسدهم .

قوله:(**الْعَاجِزُ**) وهو من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

قوله:(**الْبَطْنَانِي**) أي: صاحب البطن الممتلأ وفي الحديث :« ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطن» [١].

٤٥٦ وَمَنِ اسْتَذَلَّ لِفَرْجِهِ وَلِبَطْنِهِ   فَهُمَا لَهُ مَعَ ذَا الهُوَى بَطْنَانِ

قوله :(**وَمَنِ اسْتَذَلَّ**) أي : خضع وانكسر .

قوله:(**لِفَرْجِهِ**) فوقع في الحرام أي كانت أو أكثر من الجماع الحلال حرصا على إشباع شهوته .

قوله:(**وَلِبَطْنِهِ**) فلم يتحر الحلال الطيب أو أكثر من الطعام الحلال حرصا على الشبع .

قوله:(**فَهُمَا لَهُ**) إشارة إلى الفرج والبطن .

---

(١) تقدم تخريجه في شرحه البيت السابق .

قوله:(**مَعَ ذَا الهُوَى**) أي: مع هذا الذي أطلق العنان لنفسه فأشبع رغباته واتبع هواه .

قوله:(**بَطْنَانِ**) أي: أنه يصير صاحب بطنان يعمل على إشباعهما دون خشية أورقابة لله .

٤٥٧ حِصْنُ التَّدَاوِيِّ الْمَجَاعَةُ وَالظَّمَا وَهُمَـا لِفَكِّ نُفُوسِنَا قَيْدَانِ

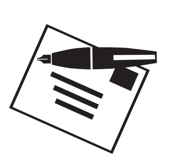
قوله:(**حِصْنُ التَّدَاوِيِّ**) الحصن هو: الموضع المنيع الذي يقي صاحبه من الشرور والآفات .

والمعنى: أن أعظم ما يتداوى به المرء ويحصن نفسه من الأسقام عدم الامتلاء من الطعام والشراب ، ولذا قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :

(**الْمَجَاعَةُ وَالظَّمَا**) فالمجاعة: هي: الجوع بمعنى أنه لا يدخل طعاما على طعام إذ هو الداء الدوي ، فقد سئل طبيب العرب الحارث بن كلدة عن الداء الدوي، فقال:« إدخال الطعام على الطعام هو الذي أهلك البرية وقتل السباع في البرية» (١).

وقيل لجالينوس: ما لك لا تمرض؟، فقال:« لأني لم أجمع بين طعامين رديئين ولم أدخل طعاما على طعام أحبس في المعدة طعاما تأذيت به» (٢).

(١) آداب الطعام (ص٨٤) .
(٢) المرجع نفسه (ص٨٤) .



ومن جميل ما قيل في الطب من الشعر :

ثلاث هن إشراك (١) الحمام (٢) وداعية الصحيح إلى السقام
دوام مدامة (٣) ودوام وطء وإدخال الطعام على الطعام

والظمأ: العطش الذي يعني: عدم الامتلاء من أنواع الشرب .

قوله:(**وَهُمَا** أي: الجوع والعطش .

قوله: (**وَهُمَا لِفَكِّ نُفُوسِنَا قَيْدَانِ**) أي: أنهما سببان لإطلاق النفس من رق العبودية لغير الله فلا تزال النفس مأسورة من أجل تحصيل متاع المطعم والمشرب فمتى منع المرء بالقليل من هذا المتاع تحرر من ذلك الرق وأطلق من ذلك الأسر .

٤٥٨ أَظْمِئْ نَهَارَكَ تُرْوَ فِي دَارِ الْعُلاَ يَوْمًا يَطُولُ تَلَهُّفُ الْعَطْشَانِ

قوله:(**أَظْمِئْ نَهَارَكَ**)أي: بالصيام الشرعي الذي يعني:التعبد لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بالامتناع عن المفطرات من طلوع الفجر وحتى غروب الشمس .

قوله:(**تُرْوَ فِي دَارِ الْعُلاَ**) أي: تحصل على الري في دار العلا وهي الجنة وهذا مأخوذ من قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « إن في الجنة بابا يقال له: باب الريان لا يدخله غير الصائمين فإذا دخلوه أغلق» (٤).

---

(١) إشراك: جمع شرك وهي: حبالة الصائد .
(٢)الحمام -بالكسر- قدر الموت .
(٣) مدامة -بالضم- لعله أراد الخمر .
(٤) متفق عليه .



وسمي بباب الريان لأنه يشرب منه الصائمون فيرتوون منه كونهم ظمئوا في الدنيا بالصيام .

فجازاهم الله بالري في دار القرار .

قوله:(**يَوْمًا يَطُولُ تَلَهُّفُ الْعَطْشَانِ**) المراد: يوم القيامة الذي تشتد أهواله وكرباته .

٤٥٩ حُسْنُ الْغِذَاءِ يَنُوبُ عَنْ شُرْبِ الدَّوَا   سِيمَا مَعَ التَّقْلِيلِ وَالإِدْمَانِ

قوله:(**حُسْنُ الْغِذَاءِ**) أي: أن توفير الغذاء الحسن من الفواكه والخضر والنشويات والبروتينات والدهنيات والسكريات ونحو ذلك من ألوان الطعام وأنواعه والاعتدال في تناوله فيه فائدة للبدن ووقاية من العلل .

ومن تأمل في قوله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– :﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾ [الكهف: ١٩] .

وجد ما يفيد ذلك إذ الأزكى هو: الحلال الطيب النافع .

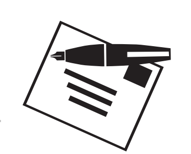
قوله:(**يَنُوبُ عَنْ شُرْبِ الدَّوَا**) أي: أن الطعام والشراب القليل الحلال المفيد يغني عن الدواء .

قوله:(**سِيمَا**) أي: وبخاصة .

قوله:(**مَعَ التَّقْلِيلِ وَالإِدْمَانِ**) أي: ما إذا اجتمع مع حسن الشراب والطعام الإقلال مع الاستمرار .

٤٦٠ إِيَّاكَ وَالْغَضَبَ الشَّدِيدَ عَلَى الدَّوَا   فَلَرُبَّمَا أَفْضَى إِلَى الْخِذْلاَنِ

قوله:(**إِيَّاكَ**) أسلوب تحذير بمعنى: احذر .



قوله:(**وَالْغَضَبَ الشَّدِيدَ**) الغضب: تغير يحصل عند فوران دم القلب ليحصل عنه التشفي في الصدر (١).

والغضب مدخل عظيم من مداخل الشيطان الكبرى يجمع الشر كله فقد روى البخاري عن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن رجلا قال للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : أوصني ، قال: «لا تغضب ، فردد مرارًا قال: لا تغضب» .

وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» (٢).

قوله:(**عَلَى الدَّوَا**) على هنا تفيد المصاحبة كـ (مع) التي تفيد المعية .

قوله:(**فَلَرُبَّمَا أَفْضَى**) أي: انتهى وبلغ بصاحبه .

قوله:(**إِلَى الخِذْلاَنِ**) أي: عدم نفع الدواء .

٤٦١ دَبِّرْ دَوَاءَكَ قَبْلَ شُرْبِكَ وَلْيَكُنْ مُتَآلِفَ الأَجْزَاءِ وَالأَوْزَانِ

قوله:(**دَبِّرْ دَوَاءَكَ**) من التدبير يقال: دبر الأمر وفيه: ساسة ونظر في عاقبته.

والدواء هو: العلاج النافع للداء الذي فيك .

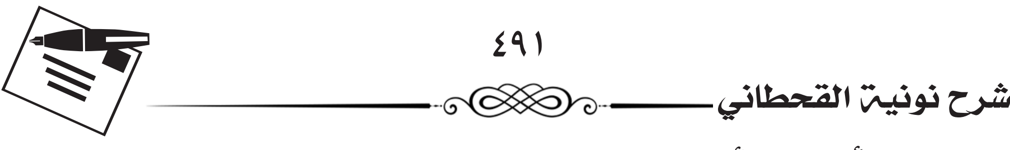
قوله:(**قَبْلَ شُرْبِكَ**) أي: من قبل أن تشربه .

قوله:(**وَلْيَكُنْ مُتَآلِفَ الأَجْزَاءِ**) أي: مجتمع وملتئم قطعه وأشتاته .

قوله:(**وَالأَوْزَانِ**) أي: المقادير .

أشار في هذا البيت -رَحِمَهُ اللَّهُ- إلى حسن التدبير والتنظيم في اختيار الدواء

(١) التعريفات للجرجاني .
(٢) رواه البخاري .



المناسب وتأليفه من أجزاء متناسبة وفق المعايير الطبية حتى يكون ناجعا ولا يؤثر سلبًا .

٤٦٢ وَتَدَاوَ بِالْعَسَلِ الْمُصَفَّى وَاحْتَجِمْ   فَهُمَا لِدَائِكَ كُلِّهِ بُرْآنِ

قوله:(**وَتَدَاوَ بِالْعَسَلِ الْمُصَفَّى**) العسل: شراب معروف مستخرج من بطون النحل قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾[النحل: ٣٩] .

وفي الحديث الصحيح عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « الشفاء في ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية بنار... »[١] .

والعسل المصفى: هو الخالص النقي مما يشوبه ويكدره ولا شك أنه دواء نافع للكثير من الأسقام كما جاء ذلك في صحيح السُّنَّة وفي القرآن .

قوله:(**وَاحْتَجِمْ**) الحجامة: بالكسر امتصاص الدم بالمحجم وتعد من أنفع الأدوية دل على ذلك الشرع والواقع .

فأما دلالة الشرع فمنها:

* الحديث المذكور آنفا .

* وأيضا تداويه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالحجامة .

أضف إلى ذلك تداوي كثيرًا من أصحاب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالحجامة .

وأما دلالة الواقع: فهو مما لا يخفى على أحد عن طريق السمع أو التجربة .

---

(١) رواه البخاري من حديث ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- .



ولكن ينبغي فيمن أراد الحجامة أن يحتاط ويختار لمن يحجمه من هو معروف بالحذق لئلا ينزف دمه من حيث لا يشعر إذ الحجامة لابد من معرفة مواضعها وأوقاتها وأحوال المحجوم ومن يمكن أن يحجم ومن لا يمكن حتى تؤتي ثمارها بإذن ربها .

قوله:(**فَهُمَا**) أي: العسل والحجامة .

قوله:(**لِدَائِكَ كُلِّهِ**) أي: لجميع سقمك ومرضك .

قوله:(**بُرْآنِ**)أي: شفاءان .

٤٦٣ لاَ تَدْخُلِ الْحَمَّامَ شَبْعَانَ الْحَشَا   لاَ خَيْرَ فِي الْحَمَّامِ لِلشَّبْعَانِ

قوله :(**لاَ تَدْخُلِ الْحَمَّامَ**) المراد بالحمام هنا الحمام الذي فيه ماء حار يخرج من الأرض وفيه بخار وحرارة يتداوى به من بعض الأسقام كآلام الأعصاب والظهر والركب ونحو ذلك .

قوله :(**شَبْعَانَ الْحَشَا**) أي: ممتلأ البطن .

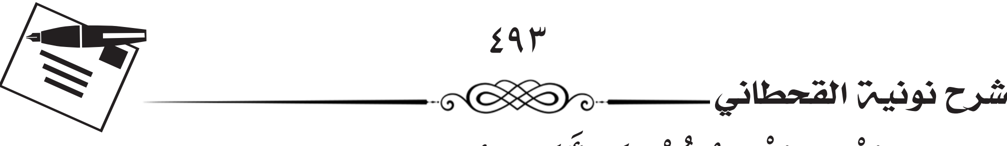
قوله :(**لاَ خَيْرَ فِي الْحَمَّامِ لِلشَّبْعَانِ**) نعم فذلك يؤدي إلى ارتباك في الجهاز الهضمي وتكون النتيجة سلبية وكذلك الحال في حق الجائع .

وعليه: فأحسن الأحوال فيمن أراد التحمم أن يدخله لا جائعا ولا شبعانا.

٤٦٤ وَالنَّوْمُ فَوْقَ السَّطْحِ مِنْ تَحْتِ السَّمَا   يُفْنِي وَيُذْهِبُ نُضْرَةَ الأَبْدَانِ

قوله:(**وَالنَّوْمُ فَوْقَ السَّطْحِ**) أي: فوق سقف البيت ونحوه .

قوله:(**مِنْ تَحْتِ السَّمَا**) أي: بدون حاجب أو حاجز بينك والسماء .



قوله:(**يُفْنِي وَيُذْهِبُ نُضْرَةَ الأَبْدَانِ**) أي: يزيل رواء البدن ورونقه وحسنه وجماله .

لعله -والله أعلم- يرى أن نور القمر مضر بصحة الإنسان البدنية ويذهب جماله لو نام دون حاجب منه .

وأيضا :النوم على السطح غير المحجور يعرض النائم لخطر السقوط دون شعور بخلاف لو كان محجورا .

٤٦٥ لاَ تُفْنِ عُمْرَكَ فِي الْجِمَاعِ فَإِنَّهُ يَكْسُو الْوُجُوهَ بِحُلَّةِ الْيَرَقَانِ

قوله:(**لاَ تُفْنِ عُمْرَكَ فِي الْجِمَاعِ**) أي: لا تذهب حياتك في الإكثار والسرف من وطء الزوجة أو الزوجات .

قوله:(**فَإِنَّهُ**) أي: مداومة الجماع والإسراف منه .

قوله:(**يَكْسُو الْوُجُوهَ**) أي: يغطيها .

قوله:(**بِحُلَّةِ**) أي: بكساء .

قوله:(**الْيَرَقَانِ**) أي: صفرة أو سوادا .

٤٦٦ أُحْذِرْكَ مِنْ نَفَسِ الْعَجُوزِ وَبُضْعِهَا فَهُمَا لِجِسْمِ ضَجِيعِهَا سُقْمَانِ

قوله:(**أُحْذِرْكَ**) بمعنى: احذر وانتبه .

قوله:(**مِنْ نَفَسِ الْعَجُوزِ**) أي: رائحتها التي تنبعث من جسدها ومنها ولباسها .



قوله:(**وَبُضْعِهَا**) أي: جماعها .

قوله:(**فَهُمَا**) أي: نفسها وبضعها .

قوله:(**لِجِسْمِ ضَجِيعِهَا**) أي: لبدن مضاجعها وهو: زوجها المجامع لها .

قوله:(**سُقْمَانِ**) أي: مرضان .

٤٦٧ عَانِقْ مِنَ النِّسْوَانِ كُلَّ فَتِيَّةٍ   أَنْفَاسُهَا كَرَوَائِحِ الرَّيْحَانِ

قوله:(**عَانِقْ**) من العناق وهو: أن يدني عنقه من عنق محبوبه وهو هنا زوجه وضمه إلى صدره .

قوله:(**مِنَ النِّسْوَانِ**) أي: النساء .

قوله:(**كُلَّ فَتِيَّةٍ**) أي: شابة في أول شبابها .

قوله:(**أَنْفَاسُهَا**) أي: ريحها الخارج من فمها وجسدها ولباسها .

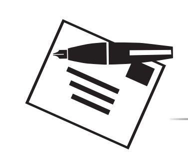
قوله:(**كَرَوَائِحِ الرَّيْحَانِ**) الريحان: نبات معروف طيب الريح .

وقد جاء في السُّنَّة ما يدل على صحة هذا الطلب كما عند البخاري ومسلم من حديث جابر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:« .... ما يعجلك يا جابر؟ قلت: يا رسول الله إني حديث عهد بعرس فقال:« أبكرا تزوجتها أم ثيبا؟ قال: قلت: بل ثيبا قال:«هلا جارية تلاعبها وتلاعبك »[1].

ومما يستطرف به هنا قول الراجز:

فبنت عشر لذة للناظر   شهية دونكها فبادر

(١) رواه البخاري ومسلم .



وبـنـت عـشريـن إلى المعانق   حـبـيـبـة شـاقـيـة للعاشق
بنت الثلاثين بشحمها ولين   موصوفة فـلا تـرد لغير ذين
وبالبنين والـبـنـات توصف   بنت لأربـعـين يـا مـن يعرف
وبنت خمسين عجوز في الزمن   فـوطـؤهـا داء مـضر للبدن
وبـنـت ستين سـمـوم قاتلة   ضجيعها يـرى أمـورا هائلة

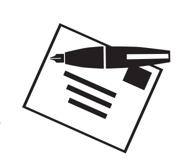
٤٦٨ لاَ خَيْرَ في صُوَرِ الْمَعَازِفِ كُلِّهَا   وَالرَّقْصِ وَالإِيقَاعِ في الْقُضْبَانِ

قوله:(**لاَ خَيْرَ في صُوَرِ الْمَعَازِفِ كُلِّهَا**) المعازف: جمع معزف وهي: آلات العزف واللهو والطرب من عود وطبل ومزهر وموسيقى وشبابة ومزمار ونحو ذلك .

كلها لا خير فيها بل هي شر محض وحكمها التحريم دل على حرمتها الكتاب والسُّنَّة وهو قول الجمهور .

فأما من دلالة الكتاب: فقوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ﴾ [لقمان:٦] .

قال ابن كثير-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:«روى ابن جرير عن أبي الصهباء البكري أنه سمع عبد الله بن مسعود-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -وهو يسأله عن هذه الآية فقال عبد الله بن مسعود-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -: «الغناء والله الذي لا إله إلا هو ، والله الذي لا إله إلا هو، والله الذي لا إله إلا هو ، يرددها -ثلاث مرات- ثم قال ابن كثير: وكذا قال ابن عباس وجابر وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومكحول وعمرو بن



شعيب وعلي بن بذيمة وقال الحسن البصري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- نزلت الآية في الغناء والمزامير» أهـ [١].

وأما من دلالة السُّنَّة: فقد جاء عند البخاري من حديث أبي مالك الأشعري عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحرَ)الفرج(والحرير والخمر والمعازف » [٢].

وجه الدلالة من الحديث قوله:(يستحلون) ومعنى هذا اللفظ أن الأشياء المذكورة في الحديث محرمة ومن ضمنها المعازف جمع معزف وهو جمع معرف ب: (أل) فيشمل ويعم كل ما يعزف عليه من الأدوات الموسيقية .

قال ابن القيم-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في (الإغاثة) هي: الآت اللهو كلها لا خلاف بين أهل اللغة في ذلك .

وقال الذهبي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في (السير) هي: اسم لكل الات الملاهي التي يعزف بها .

وبالتحريم قال جمهور العلماء ومنهم الأئمة الأربعة رحمهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- .

ومعظم القائلين بالإباحة إنما هم مقلدة لابن حزام وهم قلة قليلة بالنسبة للجمهور .

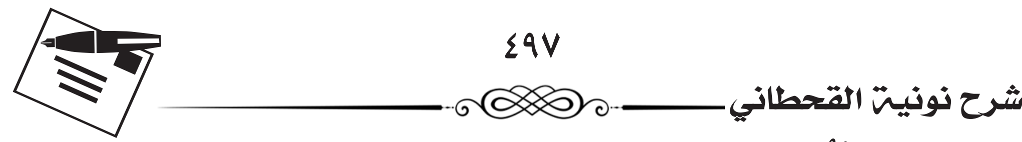
قوله:(**وَالرَّقْصِ**) الرقص: لا أصل له في الشرع المطهر فإن كان صادرا من النساء وفيه تشبه بالكافرات صار حراما لحرمة التشبه وإن كان صادرا من الرجال فهو أشد تحريما .

قوله:(**وَالإِيقَاعِ**) وهو: أن يوقع ألحان الغناء ويبنيها .

---

(١) تفسير ابن كثير للآية مختصرا .

(٢) رواه البخاري .



قوله:(**فِي الْقُضْبَانِ**) بالضم القضب وهي: كل نبات ذي أنابيب تصنع منها المزامير .

٤٦٩ إِنَّ التَّقِيَّ لِرَبِّهِ مُتَنَزِّهٌ عَنْ صَوْتِ أَوْتَارٍ وَسَمْعِ أَغَانِي

قوله:(**إِنَّ التَّقِيَّ لِرَبِّهِ مُتَنَزِّهٌ**) وهو: الذي جعل بينه وبين عقاب الله وعذابه وقاية وذلك كائن بامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

قوله:(**مُتَنَزِّهٌ**) أي: متباعد .

قوله:(**عَنْ صَوْتِ أَوْتَارٍ**) الأوتار: جمع وتر وهي: الحبال المشدودة للعزف والطرب .

قوله:(**وَسَمْعِ أَغَانِي**) سبق بيان حرمة الغناء بدلالة الكتاب والسُّنَّة وقول جمهور علماء الأمة تبين أن من علامات أهل التقوى البعد عن المعاصي جملة وتفصيلا ومنها معصية سماع المعازف والغناء عافانا الله من كل معصية وبلاء .

٤٧٠ وَتِلاَوَةُ الْقُرْآنِ مِنْ أَهْلِ التُّقَى سِيمَا بِحُسْنِ شَجًا وَحُسْنِ بَيَانِ

قوله:(**وَتِلاَوَةُ الْقُرْآنِ**) أي: المتابعة والاستمرار في قراءته .

قوله:(**مِنْ أَهْلِ التُّقَى**) وهم المتقون لربهم الذين قاموا بأوامره واجتنبوا نواهيه وصدقوا بما صح من أخباره كل ذلك يرجون رحمته ويخشون عذابه .

قوله:(**سِيمَا**) أي: بخاصة .

قوله:(**بِحُسْنِ شَجًا**) أي: بتزيين وتغن .



وهذا ما دعانا إليه سبحانه في قوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤] .

وقوله: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ [القيامة: ١٦] .

وفي السُّنَّة : ما رواه الحاكم وصححه الألباني من حديث البراء بن عازب -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « زينوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا » (١).

وقد مر عليه الصلاة والسلام على أبي موسى الأشعري -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- وهو يقرأ القرآن بصوت جميل فسمع له فلما لقيه قال -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داوود » (٢).

٤٧١ أَشْهَى وَأَوْفَى لِلنُّفُوسِ حَلاَوَةً   مِنْ صَوْتِ مِزْمَارٍ وَنَقْرِ مَثَانِ

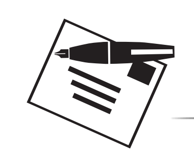
قوله :(**أَشْهَى**) أي : ألذ وأعذب

قوله :(**وَأَوْفَى**) أي : أتم وأكمل

قوله :(**لِلنُّفُوسِ حَلاَوَةً**) أي : انشراحا وبهجة وسرورا

قوله :(**مِنْ صَوْتِ مِزْمَارٍ**) المزمار : آلة من خشب أو معدن تنتهي قصبتها ببوق صغير ينفخ فيها الزامر فتحدث صوتا يتغنى به والمزمار: محرم شرعا كونه واحد من آلات العزف المحرمة وكونه صوت الشيطان وكونه ملعون على لسان نبينا -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ففي البخاري من حديث أبي مالك الأشعري -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال :«ليكونن أقوام من أمتي

(١) رواه الحاكم والدارمي وصححه الألباني .
(٢) رواه البخاري .



يستحلون الحر [١] والحرير والخمر والمعازف» [٢].

والمعازف : جمع معزف والمعزف : هو واحد من آلات اللهو والطرب ومنه المزمار بل هو أشدها وأخبثها فقد ورد لعنه بالنص كما في حديث أنس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال : قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة : مزمار عند نعمة ورنة عند مصيبة» [٣]. واللعن كما هو معلوم لا يكون إلا على كبيرة من كبائر الذنوب .

وهو صوت الشيطان كما أخبر الكريم المنان فقال : ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ ﴾ [الإسراء: ٣٤] ، قال ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ-:« قيل :هو الغناء وقال مجاهد : باللهو والغناء أي : استخفهم بذلك » [٤] .

قوله:(**وَنَقْرِ مَثَانِ**) المثاني : من أوتار العود الذي بعد الأول واحدها مثنى.

٤٧٢ وَحَنِينُهُ فِي اللَّيْلِ أَطْيَبُ مَسْمَعٍ مِنْ نَغْمَةِ النَّايَاتِ وَالْعِيدَانِ

قوله:(**وَحَنِينُهُ**) حن حنينا : صوت بتشديد الواو : وصوت الحنين يعبر عن رقة قلب صاحبه على من يحن عليه وشدة شوقه على من يحن إليه .

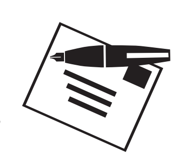
والمراد هنا دويه بالقرآن بصوت الخاشع المتدبر .

قوله:(**فِي اللَّيْلِ**) أي : في وقت الليل .

قوله:(**أَطْيَبُ مَسْمَعٍ**) يعني : أفضل وألذ ما يسمع .

---

(١) الحر: أي : الفرج بمعنى : يستحلون الزنا -عياذا بالله- .
(٢) رواه البخاري .
(٣) حسنه الألباني وغيره .
(٤) تفسير ابن كثير للآية .



قوله:(**مِنْ نَغْمَةٍ**) النغمة : جرس الكلمة وحسن الصوت في القراءة وغيرها

قوله:(**النَّايَاتِ**) نوع من أنواع الملاهي .

قوله :(**وَالْعِيدَانِ**) جمع عود وهو : آلة موسيقية وترية يضرب عليها بريشة ونحوها والناظم هنا –رَحِمَهُ اللَّهُ– لم يرد المقارنة بين كلام الرحمن ومزمار الشيطان وإنما أراد أن الخير كله في القرآن فهو أشهى وأوفى للنفوس وأن الشر كله في صوت الشيطان فكيف أعرض الناس عن الأعلى واستبدلوا به الأدنى.

٤٧٣ أَعْرِضْ عَنِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ زَاهِدًا فَالزُّهْدُ عِنْدَ أُولِي النُّهَى زُهْدَانِ

قوله:(**أَعْرِضْ عَنِ الدُّنْيَا**) أي: تولى وأعرض عنها ولا تقبل عليها فعمرها قصير ومجلسها حقير والإعراض عنها يكون بترك المحظور شرعا من المعتقدات والأقوال والأعمال .

قوله:(**الدَّنِيَّةِ**) أي: الحقيرة وإنما سميت بالدنيا لأنها دنية ليست بشيء بالنسبة للآخرة أو لأنها قريبة من الآخرة .

قوله:(**زَاهِدًا**) الزهد: لغة :الإعراض عن الشيء وتركه .

اصطلاحا: انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه .

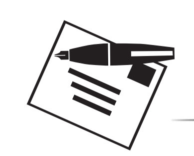
وقيل: أن يدع الانسان ما لا ينفعه في الآخرة .

والورع : أن يدع ما يضره في الآخرة يعني ترك الحرام بينما الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة يدخل في ذلك ترك المباح » (١) .

وبهذا يكون الزهد أعلى من الورع .

---

(١) انظر كتاب الزهد للإمام أحمد (ص ١٠) .



٤٧٤ زُهْدٌ عَنِ الدُّنْيَا وَزُهْدٌ في الثَّنَا طُوبَى لِمَنْ أَمْسَى لَهُ الزُّهْدَانِ

قوله:(**زُهْدٌ عَنِ الدُّنْيَا**) أي: الإنصراف عن الدنيا وبهرجها وقد جرت العادة بتخصيص اسم الزاهد بمن ترك الدنيا ومن زهد في كل شيء سوى الله فهو الزاهد الكامل وفي كتاب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- حث كبير وبليغ على الزهد في الدنيا والاعراض عنها من ذلك قول الله:﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان: ٣٣] .

قوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- :﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [النساء: ٧٧] .

وقوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- :﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[الرعد: ٢٦] .

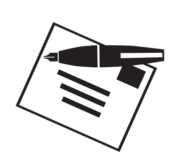
وقال الله -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾[الحديد: ٢٧] .

فما الدنيا إلا كظل زائل أو أحلم منام

أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظِلٍّ زَائِلٍ إِنَّ اللَّبِيبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ

وقال آخر:

ومن كانت الدنيا مناه وهمه سبته المنايا واستعبدته المطامع



وفي السُّنَّة يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « كن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل » (١) .

وقوله سلى الله عليه وسلم : « ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » (٢) .

وسيد الزهاد هو نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل (٣) ما يملأ بطنه (٤) .

ونام -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على الحصير حتى أثر على جنبه الشريف ثم قال: « ما لي وللدنيا ما أنا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » (٥) .

وكان عليه الصلاة والسلام يقول: « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة » (٦) .

وعلى هذا الخلق الكريم درج السلف رحمهم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- » (٧) .

فهذا الصديق أبو بكر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يقول عن نفسه (وددت أني شعرة في جنب مؤمن) ولما حضرته الوفاة قال : انظروا ثوبي هذا فاغسلوهما ثم كفنوني فيهما فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت .

وعن الحسن قال: قال أبو بكر: (والله لوددت أني كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد) .

وعن عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قالت : مات أبو بكر فما ترك دينارا ولا درهما وكان

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه ابن ماجه وغيره وصححه الألباني .
(٣) القل : التمر الرديء .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه الترمذي وقال حديث حسن .
(٦) متفق عليه .
(٧) انظر كتاب الزهد للإمام أحمد (ص ١٣٨) فما بعدها .



قد أخذ ماله قبل ذلك فألقاه في بيت المال وهذا الفاروق عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كان في وجهه خطان أسودان من البكاء .

وعن أنس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال : تقرقر بطن عمر في عام الرمادة قال : فنقر بطنه بإصبعه تقرقر إنه ليس لك عندنا غيره (يعني: الزيت مع الخبز اليابس) حتى يحي الناس.

وعن الأحنف بن قيس قال : كنا نشهد طعام عمر فيوما لحما ويوما قديدا ويوما زيتا.

وأبطأ على الناس يوم جمعة حبسه غسل ثوبه لم يكن له سواه.

وخطب في الناس وهو خليفة المسلمين وكان عليه إزارا فيه اثنتا عشرة رقعة

وقال ابن عباس لعمر : مصر الله بك الأمصار وفتح بك الفتوح وفعل بك وفعل قال: وددت أني انجو لا اجر ولا وزر.

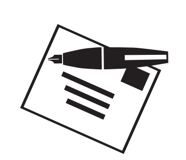
وهذا ذو النورين عثمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كان يصوم النهار ويقوم الليل إلا هجعة من أوله ، وهو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- من جهز جيش العسرة وحفر بئر رومة ووسع المسجد النبوي من ماله الخاص.

وكان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت.

ونام في ملحفة له في المسجد وليس حوله أحد وهو يومئذ أمير المؤمنين.

وهذا أبو الحسن علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- باع سيفه ليشتري له إزارا ، واستأجره صاحب بستان يدلي له ماء كل دلو بتمرة.

واشترى يوما تمرا بدرهم فحمله في ملحفة قالوا: نحمل عنك يا أمير المؤمنين قال : أبو العيال أحق أن يحمل.



وهو القائل: إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتين طول الأمل واتباع الهوى فأما طول الأمل فينسي الآخرة وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل.

وهو القائل: من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب .

وهذه الصديقة بنت الصديق رضي اله عنهما تقسم سبعين ألفا وهي ترقع درعها ، وأهدى إليها معاوية بن أبي سفيان -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ- مائة ألف درهم فقسمتها فقالت لها جاريتها لو اشتريت بدرهم لحما فقالت لها لو ذكرتني لفعلت .

وهذا عمر بن عبد العزيز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- قال : « إن لي نفسا تواقة تاقت الإمارة فلما نلتها تاقت الخلافة فلما نلتها تاقت الجنة » (١) .

وقال مالك ابن دينار -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « الناس يقولون عني زاهد إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها » (٢) .

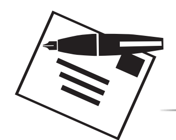
وقال الثوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « ليس الزهد في الدنيا بأكل الغليظ من الطعام ولبس الخشن من الثياب ولكنه قصر الأمل وارتقاب الموت » (٣) .

وقيل لابن المبارك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- كيف تعرف العالم الصادق؟ قال: « الذي يزهد في الدنيا ويقبل على آخرته » (٤) .

قوله(**وَزُهْدٌ فِي الثَّنَا**) الثناء : المدح.

والزهد فيه يعني: الرغبة عنه فيستوي عنده ذامه ومادحه.

(١) علو الهمة للمقدم .
(٢) سير اعلام النبلاء (٥/ ١٣٤) .
(٣) سير اعلام النبلاء (٧/ ٢٤٣) .
(٤) الآداب الشرعية (٢/ ٤١) .



فهذا رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبدالله ورسوله» [١] .

وهذا ابن مسعود-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -يقول: « لو تعلمون مني ما أعلم من نفسي لحثوتم على رأسي التراب» [٢] .

قوله:(**طُوبَى**) أي: العيش الطيب لك وقيل : حسنى لك وقيل : خير لك

قوله :(**لِمَنْ أَمْسَى لَهُ الزُّهْدَانِ**) أي: لمن صحبه الزهدان الزهد في الدنيا والزهد في الثناء .

٤٧٥ لاَ تَنْتَهِبْ مَالَ الْيَتَامَى ظَالِمًا وَدَعِ الرِّبَا فَكِلاَهُمَا فِسْقَانِ

قوله:(**لاَ تَنْتَهِبْ**) نهب الشيء نهبا : أخذه قهراً .

قوله:(**مَالَ الْيَتَامَى ظَالِمًا**) اليتيم من توفي عنه أبوه دون سن البلوغ ذكرا كان أو أنثى وسمي يتيما ليتمه واليتم : هو الانفراد ، ولا شك أن أكل مال اليتيم ظلما محرم شرعا بدلالة الكتاب والسُّنَّة الصحيحة .

فمن القرآن: يقول الكريم المنان :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [النساء :١٠] .

ومن السُّنَّة الصحيحة: ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -أن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: « اجتنبوا السبع الموبقات »، قالوا : وما هن ؟، قال: « الشرك بالله والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا

(١) رواه البخاري .
(٢) الفوائد (ص ١٩٢) .



وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات»(١).

وروى النسائي في سُننه:«اللهم إني أحرج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة»(٢).

ومعنى: أحرج أي: ألحق الحرج وهو : الاثم بمن ضيع حقهما وأحذر من ذلك تحذيرا بليغا وأزجر عنه زجرا أكيدا .

قوله:(**وَدَعِ الرِّبَا**) أي: اترك وتجنب الربا .

والربا لغة: الزيادة ومنه قول الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ–: ﴿ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾[الحاقة :١٠]أي : زائدة .

وقوله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ–: ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [فصلت :٣٩] أي: زادت ونمت .

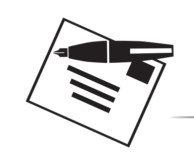
وفي لسان الشرع : «هو الزيادة في بيع شيئين يجري فيهما الربا » (٣) .

والتعامل بالربا محرم بدلالة الكتاب والسُّنَّة والإجماع والشرائع السماوية السابقة .

فمن الكتاب : يقول العزيز الوهاب : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[البقرة :٢٧٥] .

ومن السُّنَّة :ما جاء عند مسلم من حديث جابر بن عبد الله –رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا– أن النبي –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : « لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال : هم سواء» (٤) .

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) أخرجه النسائي .
(٣) الشرح الممتع (٤/ ٥) .
(٤) رواه مسلم .



واللعن لا يكون إلا على كبيرة من الكبائر .

وقال -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- : « اجتبوا السبع الموبقات، قالوا ما هن؟ فذكر منهن الربا » (١) .

وأما الاجماع :فقد أجمع السلف والخلف على حرمته قال المقدسي -رَحِمَهُٱللَّهُ-: « وهو: أي: الربا محرم بالكتاب والسُّنَّة والاجماع » .

وقال النووي -رَحِمَهُٱللَّهُ- : « أجمع المسلمون على تحريم الربا وأنه من الكبائر ومحرم في جميع الشرائع » .

وحكى الإجماع على حرمته العلامة ابن عثيمين -رَحِمَهُٱللَّهُ-

وأما الشرائع السماوية السابقة: فقد أشار القرآن إلى ذلك قال الله : ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ﴿١٦٠﴾ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ ... ﴾ [النساء :١٦٠-١٦١] .

قوله:(**فَكِلاَهُمَا**) إشارة إلى أكل مال اليتيم وأكل الربا .

قوله:(**فِسْقَانِ**) الفسق بالكسر الميل والعدول عن طريق الحق .

٤٧٦ وَاحْفَظْ لِجَارِكَ حَقَّهُ وَذِمَامَهُ وَلِكُلِّ جَارٍ مُسْلِمٍ حَقَّانِ

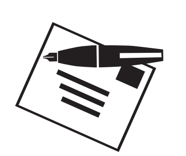
قوله :(**وَاحْفَظْ**) أي: صن وارع .

قوله :(**لِجَارِكَ**) الجار : هو من جاورك في الدار أو في مكان العمل أو نحو ذلك .

قوله :(**حَقَّهُ**) الجيران ثلاثة: الأول: جار له ثلاثة حقوق :

---

(١) رواه الشيخان .



الأول : وهو الجار المسلم القريب منك نسبا ، له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة .

الثاني : جار له حقان : وهو الجار المسلم غير القريب منك نسبا ، له حق الجوار وحق الإسلام ، وكذلك: الجار الكافر القريب منك نسبا ، له حق الجوار وحق القرابة

الثالث : الجار الكافر غير القريب منك نسبا ، له حق واحد حق الجوار

وحق الجار الإحسان إليه وإكرامه وعدم أذيته وصونه في بدنه وعرضه وماله وقد أوصى الله به إحسانا فقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾ [النساء :٣٦] .

وفي السُّنَّة الصيحة: يقول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » (١) .

وعن أبي هريرة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال : قال رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره » (٢) .

وفي رواية لمسلم : « فليحسن إلى جاره » .

وعن أبي ذر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك » (٣) .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) رواه مسلم .



ولله در القائل حين قال:

وحفاظ جار لا تضعه فإنه ... لا يبلغ الشرف الجسيم مضيع

وقال آخر:

يلومنني أن بعت بالرخص منزلي ... ولم يعلموا جارا هناك ينغص

فقلت لهم: كفوا الملام فإنما ... بجيرانها تغلوا الديار وترخص

قوله:(**وَذِمَامُهُ**) -بالكسر- أي: حرمته والحرمة ما لايحل انتهاكها .

قوله:(**وَلِكُلِّ جَارٍ مُسْلِمٍ حَقَّانِ**) سبق الإشارة إلى أن الصحيح أن الجيران ثلاثة أصناف .

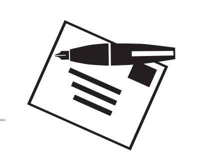
٤٧٧ وَاضْحَكْ لِضَيْفِكَ حِينَ يُنْزِلُ رَحْلَهُ ... إِنَّ الْكَرِيمَ يُسَرُّ بِالضِّيفَانِ

قوله:(**وَاضْحَكْ لِضَيْفِكَ**) المراد بالضحك التبسم ففي القرآن ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ [النمل: ١٩] ، وفي السُّنَّة الصيحة «وتبسمك في وجه أخيك صدقة» .

والمعنى : ابتسم في وجه الضيف إذا نزل بك واحذر العبوس إذ العبوس في وجه الضيفان يخل بالمروءة وآية بخل صاحبه.

والضيف هو:الذي ينزل بك مسافرًا لأجل أن تتلقاه بالإيواء والطعام والشراب وما يحتاج إليه »[١] .

(١) شرح رياض الصالحين(٤/ ١٠٢) .



والذي يظهر -والله أعلم- أن الضيف أعم من هذا فمن نزل بك قريبًا كان أو بعيدًا مسافرًا كان أو غير مسافر فهو ضيف يجب إكرامه

قوله:(**حِينَ يُنْزِلُ رَحْلَهُ**) الرحل : ما يجعل على ظهر البعير للركوب عليه.

ويقال : ما يستصحب من الأثاث .

قوله:(**إِنَّ الْكَرِيمَ يُسَرُّ بِالضِّيفَانِ**) صدق -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- علامة الكرم وآية الجود السرور بالضيف وإكرامه بل آية الإيمان كما صح في الحديث عن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال :« كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه »(١) .

ألا ترى رحمك الله كيف كان الخليل إبراهيم- عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- يسر بضيفانه قال الله :﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٧] ، فانظر إلى جود الخليل- عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- :

١- ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ ﴾أي: أسرع نحو أهله ليقري أضيافه ولم يتوانى أو يتباطأ.

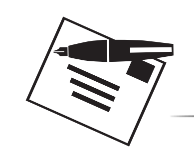
٢- ﴿ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ ﴾ وهذا أجود وأشهى ما يكون من الطعام ومن اللحوم .

٣- ﴿ سَمِينٖ ﴾ وهذا وصف للعجل أنه سمين ليس بالهزيل وهذا أوفر ما يكون من اللحم .

٤ -﴿ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾وهذا غاية الكرم ومنتهى الجود أنه قربه إليهم ولم يدعهم إلى مكان الطعام .

٥ -﴿ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾ وهذا غاية الأدب التلطف بالقول ﴿ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾ فلم يقل آمرا: كلوا فيا لله ما أجمل هذه الحلة (إكرام الضيف) من عرف بها عرف بشرف المنزلة وعلو المكانة وانقاد له قومه .

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- .



وفي منثور الحكم (من جاد ساد) .

ومن إكرام الضيف : ملاطفته وطيب الكلام معه وطلاقة الوجه وإظهار البشر والبشاشة عند قدومه .

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله　　فيخصب عندي والمكان جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى　　ولكنما وجه الكريم خصيب

وقال آخر:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا　　نحن الضيوف وأنت رب المنزل

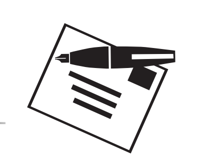
٤٧٨ وَاصِلْ ذَوِي الأَرْحَامِ مِنْكَ وَإِنْ جَفَوا　　فَوِصَالُهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْهِجْرَانِ

قوله:(**وَاصِلْ**) أي: صل ولا تقطع .

قوله:(**ذَوِي الأَرْحَامِ مِنْكَ**) الأرحام: جمع رحم وهم: الأقارب من الإخوة والأعمام والأخوال وبنيهم، وكل من يمت إليك بنسب فيجب عليك أن تصلهم وإن قطعوك .

قوله:(**وَإِنْ جَفَوا**) أي: وإن حصل منهم الهجر والقطيعة .

قوله:(**فَوِصَالُهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْهِجْرَانِ**) هذا حق لا إشكال فيه وذلك أن صلة الأرحام واجبة وذلك بما جرى به العرف واتبعه الناس إذا أنه لم يبين في الكتاب والسُّنَّة نوعها ولا جنسها ولا مقدارها من ذلك مثلا: الزيارة والسؤال عنهم والإحسان إليهم بالمال والجاه وبأي لون من ألوان الصلة لكن لو فرض أن



الأعراف فسدت وصار الناس لا يبالون بالقطيعة وصارت القطيعة عندهم صلة فلا عبره بهذا العرف .

وقد دل على حرمة القطيعة الكتاب والسُّنَّة .

فأما دلالة الكتاب: فقوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الرعد: ٢٥] .

وقوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾[محمد:٢٢-٢٣].

فبين -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أن قاطعي أرحامهم ملعونون أي: مبعدون ومطرودون عن رحمة الله واللعن لا يكون إلا على كبيرة من كبائر الذنوب .

وأما دلالة السُّنَّة: فقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : « من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته » (١) .

وعن عائشة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- قالت: قال رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله» (٢) .

واعلم - رحمك الله- أن الناس من أرحامهم ثلاثة:

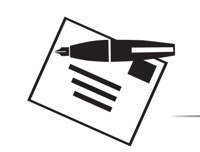
١- الواصل: وهو من يتفضل ولا يتفضل عليه .

٢- المكافئ: وهو من يتفضل بقدر ما يتفضل عليه .

٣- القاطع: وهو من يتفضل عليه ولا يتفضل .

---

(١) رواه البخاري.
(٢) متفق عليه .



٤٧٩ وَاصْدُقْ وَلاَ تَحْلِفْ بِرَبِّكَ كَاذِبًا وَتَحَرَّ فِي كَفَّارَةِ الأَيْمَانِ

قوله:(**وَاصْدُقْ**) أي: تحر الصدق في القول والفعل .

قوله:(**وَلاَ تَحْلِفْ بِرَبِّكَ كَاذِبًا**) أي: تجنب الأيمان الكاذبة كأن تحلف بالله أنك فعلت الشيء وأنت لم تفعله أو أنك لم تفعل الشيء وأنت فعلته والحلف على ضربين:

١ - حلف بالله: وحكمه الجواز ما إذا كان صاحبه صادقا فيه ولا يستحسن الإكثار من الأيمان لقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- :﴿ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩] .

٢-حلف بغير الله: وحكمه التحريم كونه شرك أو كفر ثم قد يكون كفرًا أكبرا وقد يكون كفرًا أصغرا وهكذا قد يكون شركًا أكبرا أو شركًا أصغرا .

وفي الحديث الصحيح: « من حلف بغير الله فقد كفر ، أو أشرك » (١) .

وعن ابن مسعود- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -: «لئن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا » (٢) .

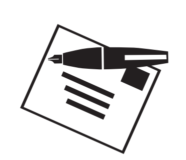
قوله:(**وَتَحَرَّ**) أي: بالغ في التحري .

قوله:(**فِي كَفَّارَةِ**) الكفارة:ما يستغفر به الآثم من صدقة وصوم ونحو ذلك.

قوله:(**الأَيْمَانِ**) جمع يمين واليمين الشرعي: أن يحلف المرء باسم من أسماء الله أو صفة من صفاته تأكيدا على فعل شيء أو تركه .

---

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.
(٢) حديث صحيح رواه الطبراني في الكبير بإسناد صحيح عن ابن مسعود موقوفا .



والأيمان ثلاثة أنواع:

١- اليمين المعقودة: وهي: أن يعقد المسلم اليمين عقدا جازما على فعل شيء أو تركه كأن يقول: والله لا أفعل كذا أو والله لأفعلن كذا .

وهذا اليمين إن برها وإلا لزمته الكفارة التي ذكرها الله في كتابه بقوله:﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾[المائدة: ٨٩].

والإطعام يكون بمقدار نصف صاع لكل مسكين ونصف الصاع بالمد مدان بمد الرجل المتوسط يده وبالوزن بما يساوي كيلو ونصف وقيل: كيلو وعشرين جراما من الطعام تقريبًا .

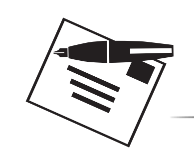
والكفارة يجب أن تكون مرتبة حسب ما جاء في الآية فالتخيير يكون بين الإطعام والكسوة وتحرير رقبة فمن لم يستطع واحدة منها فليصم ثلاثة أيام .

٢- اليمين اللغو: وهي: ما يجري على اللسان عادة من غير عقد عليها كقول: بلى والله ونعم والله ولا والله ونحوها ، أو أن يحلف على شيء يظنه حقًا فيتبين له خلافه .

واليمين اللغو: ليس فيه كفارة ولا يلحق بصاحبه إثم لقول الله﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾[المائدة: ٨٩] .

٣- اليمين الغموس: وهي: أن يحلف المرء على شيء كذبا ليقتطع به مال أمرئ مسلم .

واليمين الغموس من كبائر الذنوب لقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«الكبائر:



الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس »[١] .

وسميت بالغموس: لأنها تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار .

٤٨٠ وَتَـوَقَّ أَيْـمَانَ الْغَمُوسِ فَإِنَّهَا تَـدَعُ الدِّيَارَ بَلاَقِعَ الْحِيطَانِ

قوله :(**وَتَوَقَّ**) أي: اجعل بينك وبين أيمان الغموس وقاية وذلك بحذرها وعدم الوقوع فيها .

قوله :(**أَيْمَانَ الْغَمُوسِ**) سبق بيان معنى اليمين الغموس في البيت السابق .

قوله:(**فَإِنَّهَا تَدَعُ الدِّيَارَ بَلاَقِعَ الْحِيطَانِ**) البلقع والبلقعة : الأرض المقفرة التي لا شيء بها وهذا .

اللفظ مأخوذ من قوله –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– :« اليمين الفاجرة تذر الديار بلاقع» أي: أنها قد تكون سببًا في فناء الناس وهلاكهم وفي إهلاك الحرث والنسل وفي وقوع العقوبة العاجلة والآجلة .

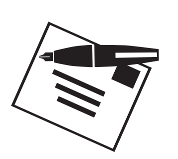
٤٨١ حَدُّ النِّكَاحِ مِنَ الْحَرَائِرِ أَرْبَعٌ فَاطْلُبْ ذَوَاتِ الدِّينِ وَالإِحْصَانِ

قوله:(**حَدُّ النِّكَاحِ**) أي : منتهى النكاح وغايته .

قوله:(**مِنَ الْحَرَائِرِ**) الحرائر : جمع حرة والحرة : المرأة التي ليست بأمة .

قوله:(**أَرْبَعٌ**) أي : أربع أزواج حرائر فلا يجوز الجمع فوق أربع لقول الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– : ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** ﴾ [النساء: ٣] .

(١) رواه البخاري.



وأما الإماء فله أن ينكح ما شاء من العدد أفرادًا أو جمعًا .

قوله:(**فَاطْلُبْ**) أي : اسع جادًا وجاهدًا في الطلب والحرص على:

قوله:(**ذَوَاتِ الدِّينِ**) أي: صواحب الدين لقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «فاظفر بذات الدين تربت يداك» (١) .

قوله :(**وَالإِحْصَانِ**) أي : العفائف الأطهار لقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ ﴾[النساء: ٢٥] .

المراد بالطول : المهر .

والمراد بالمحصنات : الحرائر المؤمنَات الطاهرات .

دلت الآية : أن الأصل الحرص على نكاح الحرة المؤمنة الطاهرة فلا يلجأ إلى الأمة العفيفة إلا عند عجزه عن مهر الحرة .

٤٨٢ لاَ تَنْكِحَنَّ مُحِدَّةً في عِدَّةٍ ... فَنِكَاحُهَا وَزِنَاؤُهَا شِبْهَانِ

قوله :(**لاَ تَنْكِحَنَّ مُحِدَّةً**) المحدة : الممتنعة عن الزينة والخضاب ونحوهما لوفاة زوجها .

قوله :(**فِي عِدَّةٍ**) العدة بكسر العين المهملة مأخوذة من العد والإحصاء أي: ما تحصيه المرأة وتعده من الأيام أو الأقراء وهم :اسم للمدة التي تنتظر فيها المرأة وتمتنع عن التزويج بعد فراق زوجها لها بالطلاق أو بالخلع أو بالوفاة .

قوله :(**فَنِكَاحُهَا**) أي : أن مجرد العقد بها ناهيك عن النكاح الذي يعني

(١) متفق عليه .



الدخول بها .

قوله :(**وَزِنَاؤُهَا**) الزنا : هو نكاح المرأة من غير عقد صحيح .

قوله:(**شِبْهَانِ**) أي :أن النكاح الذي يراد به الدخول في العدة شبيه بالزنا فكله سفاح وإن كان مجرد عقد فالعقد فاسد .

٤٨٣ عِدَدُ النِّسَاءِ لَهَا فَرَائِضُ أَرْبَعٌ ... لَكِنْ يَضُمُّ جَمِيعَهَا أَصْلانِ

قوله:(**عِدَدُ النِّسَاءِ**) - بكسر- العين المهملة جمع عدة وقد سبق بيان معناه في البيت السابق .

وللعدة أسباب: الطلاق مطلقًا والخلع والموت .

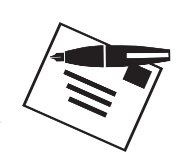
قوله :(**لَهَا فَرَائِضُ أَرْبَعٌ**)لها فرائض أربع.

الأولى : المطلقة الحائل التي تحيض والمدخول بها وجب عليها أن تعتد بثلاثة قروء »[(١)] . وذلك لقول الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ **وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ** ﴾ [البقرة: ٢٢٨] .

الثانية : المطلقة الحامل وتعتد بوضع الحمل لقول الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ **وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ** ﴾ [الطلاق: ٤] .

الثالثة: المطلقة التي لا تحيض لصغرها أو أنها لم تحض أصلا ، أو أنها آيسة قد انقطع حيضها فعدتها ثلاثة أشهر وذلك لقول الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ– : ﴿ **وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ** ﴾ [الطلاق: ٤] .

(١) والقرء: اسم للحيض أو للطهر على خلاف بين العلماء فمنهم من قال في المطلقة التي تحيض أن تعتد بثلاثة أطهر، ومنهم من قال : بل تعتد بثلاث حيض .



الرابعة : المطلقة التي لم يدخل بها فلا عدة عليها لقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾ ﴾[الأحزاب: ٤٩].

والخلوة تأخذ حكم الدخول في أصح أقوال أهل العلم لقضاء عمر بن الخطاب -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ- بذلك .

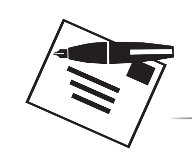
الخامسة : المتوفى عنها زوجها لا تخلوا إما أن تكون حاملا أو حائلا فإن كانت حائلا فعدتها أربعة أشهر وعشرا لقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ ﴾ [البقرة: ٢٣٤] ، وإن كانت حاملا فعدتها وضع الحمل لحديث سبيعة الأسلمية -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا- أنها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل ابن بعكة رجل من بني عبد الدار فقال لها : مالي أراك تجملتي للخطاب ترجين النكاح فإنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة اشهر وعشر قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه سلم فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي» (١) .

والحمل المعتبر هو: ما تم أربعة أشهر سواء نزل حيا أو ميتا .

أما عدد الإماء فكالحرائر في حال الحمل سواء كان السبب من طلاق أو وفاة .

---

(١) أخرجه أحمد وابو داؤود والترمذي وابن ماجه من حديث علي وصححه الألباني .



والأمة المطلقة من ذوات الحيض في عدتها أقوال لأهل العلم:

١- عدتها حيضتان، قال الشيخ صالح السحيمي -حفظه الله -: « والأمة المطلقة من ذوات الحيض عدتها حيضتان» [١].

٢- عدتها حيضة واحدة وإلى هذا أشار الناظم بقوله:

عدد الجوار من الطلاق بحيضة ومن الوفاة الخمس والشهران

٣- لا فرق بين عدة الحرة وعدة الأمة قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : «والصواب أنه لا فرق بين عدة الحرة وعدة الأمة ما لم يمنع من ذلك إجماع فإن منع منه إجماع فالحجة به» [٢].

ومن الصغيرات والآيسات عدتهما شهران والمتوفى عنها زوجها تعتد بشهرين وخمسة أيام على النصف من عدة الحرة.

قوله:(**لَكِنْ يَضُمُّ جَمِيعَهَا أَصْلاَنِ**) أي: أن هذه العدد تضم تحت أصلين وهما:

١- الطلاق ٢- الوفاة.

ولذا قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :

٤٨٤ تَطْلِيقُ زَوْجٍ دَاخِلٍ أَوْ مَوْتُهِ قَبْلَ الدُّخُولِ وَبَعْدَهُ سِيَّانِ

قوله:(**تَطْلِيقُ زَوْجٍ دَاخِلٍ**) أي: إذا طلق الزوج زوجه وقد دخل بها فإنها تعتد حسب ما سيتبين لنا قريبًا بإذن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- .

---

(١) انظر القطوف الدواني (ص ٥٦٦).
(٢) الشرح الممتع (٥/ ٦٥٥).

قوله:(**أَوْ مَوْتُهِ قَبْلَ الدُّخُولِ وَبَعْدَهُ سِيَّانِ**) أي: أن المرأة تعتد من وفاة زوجها قبل الدخول بها أي: قبل نكاحها وجماعها وبعده عدة واحدة وهي: أربعة أشهر وعشرا .

٤٨٥ وَحُدُودُهُنَّ عَلَى ثَلاثَةِ أَقْرُءٍ أَوْ أَشْهُرٍ وَكِلاَهُمَا جِسْرَانِ

قوله:(**وَحُدُودُهُنَّ عَلَى ثَلاثَةِ**) الحد -هنا- معناه: العدة .

أي: عدتهن ثلاثة أقرؤ .

والقرؤ: - بالضم - والفتح - هو: الحيض ، وقيل: الطهر .

ولعل القول الأول هو: الأظهر .

أي: أن المطلقة الحائل [١] . التي تحيض تعتد بثلاث حيض لقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] .

قوله:(**أَوْ أَشْهُرٍ**) أي: تعتد بثلاثة أشهر وهذه هي عدة المطلقة التي لا تحيض أصلا أو لصغر سنها وكذلك اليائسة من المحيض لقوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ﴾[الطلاق: ٤] .

قوله:(**وَكِلاَهُمَا**) أي: الاعتداد بالقروؤ والاعتداد بالأشهر .

قوله:(**جِسْرَانِ**) بكسر الجيم أي: ممران للعدة .

---

(١) الحائل: أي: غير الحامل .

٤٨٦ وَكَذَاكَ عِدَّةُ مَنْ تُوُفِّيَ زَوْجُهَا   سَبْعُونَ يَوْمًا بَعْدَهَا شَهْرَانِ

قوله:(**وَكَذَاكَ**) أي: وكذلك من العدد المحدودة شرعا .

قوله:(**عِدَّةُ مَنْ تُوُفِّيَ زَوْجُهَا**) أي: وعلى المرأة أن تعتد من وفاة زوجها سواء دخل بها أم لم يدخل ما دام أنه عقد عليها النكاح .

قوله:(**سَبْعُونَ يَوْمًا بَعْدَهَا شَهْرَانِ**) أي: أربعة اشهر وعشرا هذه هي عدة المرأة المتوفى عنها زوجها لقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] .

٤٨٧ عِدَدُ الْحَوَامِلِ مِنْ طَلَاقٍ أَوْ فَنَا   وَضْعُ الأَجِنَّةِ صَارِخًا أَوْ فَانِي

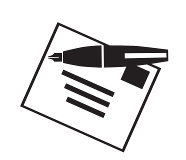
قوله:(**عِدَدُ الْحَوَامِلِ**) أي: أن المرأة الحامل يجب عليها أن تعتد من طلاق زوجها لها أو من وفاته عنها بوضع الحمل وهذا هو ما بينه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في بقية هذا البيت عند قوله:(**مِنْ طَلَاقٍ أَوْ فَنَا**) يعني: من طلاق أو موت .

قوله:(**وَضْعُ الأَجِنَّةِ**) أي: وضع الحمل لقوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤] .

قوله:(**صَارِخًا أَوْ فَانِي**) أي: سواء استهل بالصراخ الدال على حياته أو وضع ميتا فكل ذلك يسمى وضع الحمل .

والحمل المعتبر: « هو ما أتم أربعة أشهر سواء نزل حيا أو ميتا » (١) .

(١) انظر القطوف الدواني (٥٦٦) .



٤٨٨ وَكَذَاكَ حُكْمُ السِّقْطِ فِي إِسْقَاطِهِ ... حُكْمُ التَّمَامِ كِلاَهُمَا وَضْعَانِ

قوله:(وَكَذَاكَ حُكْمُ السِّقْطِ فِي إِسْقَاطِهِ) .

السقط: الجنين الذي يوضع في أشهره الأولى قبل تمامه .

قوله:(حُكْمُ التَّمَامِ) أي: أن حكم السقط كحكم المولود إذا تم في نهاية عدة الحامل .

قوله:(كِلاَهُمَا وَضْعَانِ) أي: أن الذي يوضع سقطا أو تاما فهو وضع تنتهي به عدة الحامل لعموم قوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ٤] .

٤٨٩ مَنْ لَمْ تَحِضْ أَوْ مَنْ تَقَلَّصَ حَيْضُهَا ... قَدْ صَحَّ فِي كِلْتَيْهِمَا الْعَدَدَانِ

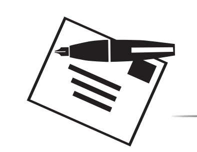
قوله:(مَنْ لَمْ تَحِضْ) أي: النساء اللائي لم يحضن أصلا مع بلوغهن سن المحيض أو الصغار اللائي لم يأتهن الحيض بعد .

قوله:(أَوْ مَنْ تَقَلَّصَ حَيْضُهَا) أي: النساء اللاتي انقطع عنها الحيض لكبر سنها أو نحوه .

قوله:(قَدْ صَحَّ) أي: ثبت في القرآن .

قوله:(فِي كِلْتَيْهِمَا) أي: في من لم تحض أصلا مع أنها من البالغات والصغار اللائي لم يحضن كذلك وفي اليائسة من الحيض لكبر سن ونحوه .

قوله:(الْعَدَدَانِ) أي: لزم في حقهن العدة .



٤٩٠ كِلْتَاهُمَا تَبْقَى ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ حُكْمَاهُمَا في النَّصِّ مُسْتَوِيَانِ

قوله:(**كِلْتَاهُمَا**) من سبق ذكرهما آنفا .

قوله:(**تَبْقَى ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ**) هذه هي عدتها من طلاق .

قوله:(**حُكْمَاهُمَا في النَّصِّ مُسْتَوِيَانِ**) أي: في نص القرآن كما قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ ﴾[الطلاق: ٤] .

٤٩١ عِدَدُ الْجُوَارِ مِنَ الطَّلَاقِ بِحَيْضَةٍ وَمِنَ الْوَفَاةِ الْخُمْسُ وَالشَّهْرَانِ

قوله:(**عِدَدُ الْجُوَارِ**) الجواري: جمع جارية وهن الإماء وسميت الأمة جارية لجريها مستسخرة في أشغال مواليها .

قوله:(**مِنَ الطَّلَاقِ بِحَيْضَةٍ**) أي: أن الأمة المطلقة الحائل عدتها حيضة واحدة وقد سبق شيء من التفصيل في هذه المسألة آنفا.

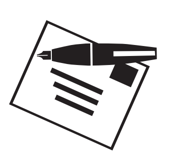
قوله:(**وَمِنَ الْوَفَاةِ**) أي: وعدتها من وفاة زوجها عنها .

قوله:(**الْخُمْسُ وَالشَّهْرَانِ**) أي: شهران وخمسة أيام وذلك هو النصف من عدة الحرة المعلوم بأربعة أشهر وعشر وقد حكى بعضهم الإجماع على ذلك .

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ اللَّهُ- :« والصواب أنه لا فرق بين عدة الحرة وعدة الأمة ما لم يمنع منه إجماع فإن منع منه إجماع فالحجة به »[1] .

---

(١) الشرح الممتع (٥/ ٦٥٥) .



٤٩٢ فَبِطَلْقَتَيْنِ تَبِينُ مِنْ زَوْجٍ لَهَا   لاَ رَدَّ إِلاَّ بَعْدَ زَوْجٍ ثَـانِي

قوله:(فَبِطَلْقَتَيْنِ تَبِينُ مِنْ زَوْجٍ لَهَا) أي: أن الأمة تبين من زوجها بينونة كبرى بطلقتين بخلاف الحرة فإنها لا تبين البينونة الكبرى إلا بثلاث طلقات.

والعلماء في هذه المسألة على أربعة أقوال: (١)

القول الأول: أن المعتبر الزوجة إن كانت حرة ملك الزوج ثلاثا وإن كانت أمة ملك الزوج اثنتين سواء كان الزوج حرًا أم رقيقاً .

القول الثاني: أن المعتبر الزوج فإن كان حرا ملك ثلاثا ولو كانت زوجته رقيقة وإن كان رقيقا ملك اثنتين ولو كانت أمته حرة.

القول الثالث: إنه يعتبر بهما إن كانا حرين فثلاثا وإن كانا رقيقين فاثنتين وإن كان أحدهما حرا والآخر رقيقا فإنه لا يملك الثلاثة.

القول الرابع : إن الزوج يملك ثلاثا سواء كان حرا أم رقيقا وسواء كانت الزوجة حرة أو رقيقة وهذا مذهب أهل الظاهر وكأن ابن القيم يميل إليه في (زاد المعاد) لأن النصوص عامة قال -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ ﴾ إلى أن قال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ ﴾ [البقرة :٢٢٩-٢٣٠] .

ولم يستثن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- شيئا ولأن وقوع الطلاق من الحر والعبد على حد سواء والآثار المرفوعة في ذلك ضعيفة لا تقوم بها حجة والآثار الموقوفة على الصحابة متضاربة مختلفة فتطرح ونبقى على العموم. ا هـ .

قوله (لاَ رَدَّ) أي : لا رجعة.

(١) انظر هذه الأقوال في الشرح الممتع (٥/ ٥٠٠) .

قوله:(**إِلاَّ بَعْدَ زَوْجٍ ثَانِي**) أي: حتى تنكح زوجا غيره دون قصد التحليل وهذا كما قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿**فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ**﴾ [البقرة:٢٣٠].

٤٩٣ وَكَذَا الْحَرَائِرُ فَالثَّلاَثُ تَبِينُهَا فَيُحِلُّ تِلْكَ وَهَـذِهِ زَوْجَـانِ

قوله:(**وَكَذَا الْحَرَائِرُ**) الحرائر: جمع حرة وهي كل امرأة ليست بأمة.

قوله:(**فَالثَّلاَثُ**) أي: فالثلاث الطلقات التي تتخللها رجعة.

قوله:(**تَبِينُهَا**) أي: تصيرها بائنة بينونة كبرى.

قوله:(**فَيُحِلُّ تِلْكَ**) المشار إليه الأمة التي بانت من زوجها بينونة كبرى.

قوله:(**وَهَذِهِ**) المشار إليها هنا الحرة التي بانت من زوجها بينونة كبرى.

قوله:(**زَوْجَانِ**)زوجان(المراد: أنه لا يحل للحرة أن تعود لزوجها الأول من بينونة كبرى حتى تنكح زوجا غيره ومثلها الأمة.

٤٩٤ فَلْتَنْكِحَا زَوْجَيْهِمَا عَنْ غِبْطَةٍ وَرِضًا بِلاَ دَلْسٍ وَلاَ عِصْيَانِ

قوله:(**فَلْتَنْكِحَا زَوْجَيْهِمَا**) أي: الأولان.

قوله:(**عَنْ غِبْطَةٍ**) - بكسر- الغين أي: عن مسرة.

قوله:(**وَرِضًا**) أي: برضاهما من دون إكراه لأحدهما.

قوله:(**بِلاَ دَلْسٍ**) الدلس: - بفتح الدال المهملة - الخديعة والخيانة من الدلسة وهي: الظلمة.



قوله :(وَلاَ عِصْيَانِ) المعصية ترك المأمور واقتراف المحظور .

والمعنى المراد من هذا البيت : أنه يباح لمن بانت من زوجها الأول بينونة كبرى قبول زواجها منه بضوابط وهي :

١- أن تكون قد نكحت زوجا غيره من بعده وطلقت منه بشرط عدم قصد التحليل للأول .

٢- أن يكون عودتها للزوج الأول عن رضا وقناعة دون إكراه لها .

٣- أن يكون بالطريقة الشرعية المعلنة دون خفاء أو تدليس أو حيلة محرمة .

٤٩٥ حَتَّى إِذَا امْتَزَجَ النِّكَاحُ بِدَلْسَةٍ فَهُمَا مَعَ الـزَّوْجَـيْنِ زَانِيَتَانِ

قوله :(حَتَّى إِذَا امْتَزَجَ النِّكَاحُ) أي : امتشج اختلط .

قوله :(بِدَلْسَةٍ) أي : بخديعة وخيانة ومن ذلك زواج التحليل المحرم.

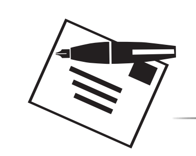
قوله :(فَهُمَا) أي : الزوجتان (الحرة والأمة).

قوله :(مَعَ الزَّوْجَيْنِ) المحللين والمحلل لهما.

قوله :(زَانِيَتَانِ) أي : حكمهما حكم الزواني عافانا الله .

هذا ما ظهر لي أنه المراد من هذا البيت -والله أعلم- .

ويحتمل أن المراد أن نكاح الزوج الثاني للبائنة بينونة كبرى حرة كانت أو أمة قبل انقضاء عدتها من زوجها الأول فهذا النكاح مساو للزنا -والله أعلم-.



٤٩٦ إِيَّـاكَ وَالتَّيْسَ المُحَلِّلَ إِنَّـهُ وَالمُسْتَحِلُّ لِـرَدِّهَـا تَيْسَانِ

قوله :(**إِيَّاكَ**) بمعنى : احذر واجتنب .

قوله :(**وَالتَّيْسَ**) هو الذكر من المعز إذا أتى عليه سَنَة والجمع تيوس وأتياس وتيسة .

قوله :(**المُحَلِّلَ**) وهو من يتزوج الحرة بعد انقضاء عدتها من ثلاث أو الأمة بعد انقضاء عدتها من اثنتين كما جرى عليه قول الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- لا لقصد النكاح ولكن لقصد التحليل للزوج الأول واشتهر عند الفقهاء : (بالتيس المستعار) .

قوله :(**إِنَّهُ**) أي : المحلل .

قوله :(**وَالمُسْتَحِلُّ لِرَدِّهَا**) وهو الزوج الأول .

قوله :(**تَيْسَانِ**) أي : شبيهان بذكر المعز .

٤٩٧ لَعَنَ النَّبِيُّ مُحِـلِّـلاً وَمُحَـلَّـلاً فَكِلاَهُمَا في الـشَّرْعِ مَلْعُونَانِ

قوله:(**لَعَنَ النَّبِيُّ مُحِلِّلاً وَمُحَلَّلاً**) وهذا كما جاء في الحديث الصحيح عن علي-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -قال: قال رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « لعن الله المحلل والمحلل له» (١) .

قوله :(**فَكِلاَهُمَا**) أي : المحلل والمحلل له .

قوله :(**في الشَّرْعِ**) أي : في شريعة الله .

(١) أخرجه الشيخان وأبو داوود والترمذي وابن ماجه وغيرهم بإسناد صحيح .



قوله :(**مَلْعُونَانِ**) أي : مبعدان و مطرودان من رحمة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- .

وهل تدخل المرأة في هذا الوعيد؟ .

الجواب : نعم إن كانت مطاوعة لهما أو لأحدهما -والله أعلم- .

٤٩٨ لاَ تَضْرِبَنْ أَمَةً وَلاَ عَبْدًا جَنَى فَكِلاَهُمَا بِيَدَيْكَ مَأْسُورَانِ

قوله:(**لاَ تَضْرِبَنْ أَمَةً وَلاَ عَبْدًا**) أي: احذر أن تؤذي الأَمَة وهي المرأة المملوكة والعبد: وهو: الرجل المملوك بالضرب ونحوه .

قوله:(**جَنَى**) أي: وقع في خطأ .

قوله:(**فَكِلاَهُمَا**) أي: العبد والأمة .

قوله:(**بِيَدَيْكَ مَأْسُورَانِ**) أي: مملوكان .

وفي هذا يقول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«هم إخوانكم وخولكم [١] ، جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم » [٢] .

وهذا أنس بن مالك-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -يقول :« خدمت النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عشر سنين فما قال لي أف ولا لم صنعت ولا ألا صنعت» [٣] .

٤٩٩ أَعْرِضْ عَنِ النِّسْوَانِ جُهْدَكَ وَانْتَدِبْ لِعِنَاقِ خَـيْرَاتٍ هُنَاكَ حِسَانِ

قوله:(**أَعْرِضْ عَنِ النِّسْوَانِ جُهْدَكَ**) أي: ابذل جهدك وطاقتك في الإعراض

(١) خولكم: مجاز عن القدرة والملك أي: الحشم والخدم .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه الشيخان .



عن النساء الأجانب وذلك لأنهن أعظم فتنة على الرجال لقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء» (١) .

وقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» (٢) .

قوله:(**وَانْتَدِبْ**) وانتدب(ندب فلانا إلى الأمر ندبا: دعاه .

قوله:(**لِعِنَاقِ**) مأخوذ من العنق بمعنى: أدنى عنقه وضمه إلى صدره .

قوله:(**خَيْرَاتٍ هُنَاكَ حِسَانِ**) أي: خيرات الأخلاق حسان الوجوه وهذا هو ما وصف به الله- تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أولئك الحور بقوله: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الرحمن :٧٠] - نسأل الله من فضله- .

٥٠٠ في جَنَّةٍ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانِ

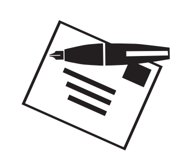
قوله:(**فِي جَنَّةٍ**) الجنة: البستان الذي كثرت وتنوعت أشجاره وعظمت ثماره والمراد بها هنا جنة الآخرة .

قوله:(**طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا**) أي: زكت وطهرت .

والطيب: كل ما تستلذه الحواس أو النفس وكل ما خلا من الأذى والخبث.

قوله:(**مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانِ**) أي: صنفان كل صنف له لذة ولون ليس للنوع الآخر وهذا هو ما ذكره الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بقوله: ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ ﴾[الرحمن :٥٢] - نسأل الله من فضله- .

(١) رواه مسلم وابن ماجه والترمذي وقال الترمذي حسن صحيح .
(٢) رواه مسلم وابن ماجه والترمذي .



٥٠١ أَنْهَارُهَا تَجْرِي لَهُمْ مِنْ تَحْتِهِمْ مَحْفُوفَةً بِالنَّخْلِ وَالـرُّمَّـانِ

قوله:(أَنْهَارُهَا) جمع نهر وهو: الماء العذب الغزير الجاري وفي الجنة أنهار من خمر وأنهار من ماء وأنهار من عسل وأنهار من لبن قال الله:﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ ﴾ [محمد:١٥] .

قوله:(تَجْرِي لَهُمْ) أي: أن أنهارها جارية غير ساكنة .

قوله:(مِنْ تَحْتِهِمْ) أي: من تحت غرفها وتحت أشجارها .

قوله:(مَحْفُوفَةً) أي: محوطة .

قوله:(بِالنَّخْلِ) أي: بشجر النخل الذي فيه ثمر التمر .

قوله:(وَالرُّمَّانِ) أي: بشجر الرمان الذي فيه ثمر الرمان- نسأل الله من فضله -.

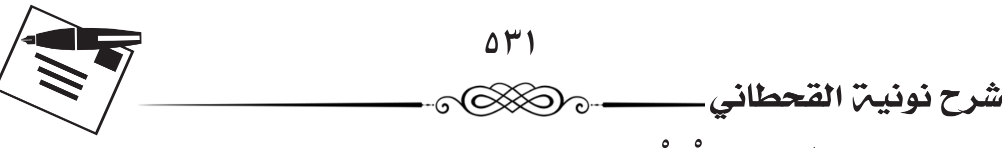
٥٠٢ غُرُفَاتُهَا مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَقُصُورُهَا مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ

قوله:(غُرُفَاتُهَا) بضمتين وبفتح الراء وإسكانها أي: درجاتها ومنازلها واحدتها غرفة وهي: أعلى منازل الجنة وأفضلها .

قوله:(مِنْ لُؤْلُؤٍ) اللؤلؤ: الدر الذي يخرج من الصدف .

قوله:(وَزَبَرْجَدٍ) الزبرجد: جوهر معروف ويقال: هو الزمرد - بالذال - المعجمة لا بالدال المهملة

قوله:(وَقُصُورُهَا) أي: مبانيها العالية .



قوله:(**مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ**) العقيان: ذهب متكاثف في مناجمه خالص مما يختلط به من الرمال والحجارة ونحوه -نسأل الله من فضله -

٥٠٣ قُصِرَتْ بِهَا لِلْمُتَّقِينَ كَوَاعِبًا   شُبِّهْنَ بِالْيَاقُوتِ وَالْمُرْجَانِ

قوله:(**قُصِرَتْ**) - بالضم - حبست .

قوله:(**بِهَا لِلْمُتَّقِينَ كَوَاعِبًا**) الكواعب: الأثداء القائمة على الصدور التي لم تتكسر فهن عذارى نواهد والمراد: أن هؤلاء النساء الكواعب محبوسات على أزواجهن المتقين فلا يردن غيرهم .

قوله:(**شُبِّهْنَ بِالْيَاقُوتِ**) حجر من الجواهر أجوده الأحمر الرماني .

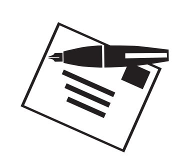
قوله:(**وَالْمُرْجَانِ**) الخرز الأحمر المعروف وقيل: صغار الدر وهي أشد صفاء من كباره والمراد: أن هؤلاء الزوجات لفرط الجمال وصفاء اللون مع حمرته يشبهن جوهر الياقوت والمرجان وفي ذلك قال الله : ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الرحمن :٥٨] - نسأل الله من فضله- .

٥٠٤ بِيضُ الْوُجُوهِ شُعُورُهُنَّ حَوَالِكٌ   حُمْرُ الْخُدُودِ عَوَاتِقُ الأَجْفَانِ

قوله:(**بِيضُ الْوُجُوهِ**) هذا وصف من أوصاف الحور العين قال الله :﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الصافات ٤٩] .

قوله:(**شُعُورُهُنَّ حَوَالِكٌ**) الحوالك: جمع حالك وهو: المشتد سواده .

قوله:(**حُمْرُ الْخُدُودِ**) الخدود: جمع خد والخد هو: جانب الوجه وهو ما جاوز مؤخرة العين إلى منتهى الشدق وهذا وصف آخر للحور العين أن خدودهن



فيها حمرة تسلب القلوب .

قوله:(**عَوَاتِقُ الأَجْفَانِ**) الأجفان: بالفتح جمع جفن والجفن: غطاء العين من أعلاها وأسفلها وفي المثل:(أنه لشديد جفن العين)-نسأل الله من فضله-.

٥٠٥ فُلْجُ الثُّغُورِ إِذَا ابْتَسَمْنَ ضَوَاحِكًا هِيفُ الخُصُورِ نَوَاعِمُ الأَبْدَانِ

قوله:(**فُلْجُ الثُّغُورِ**) الفلج: التباعد ما بين الثنايا .

والثغور: جمع ثغر وهو مقدم الأسنان .

قوله:(**إِذَا ابْتَسَمْنَ ضَوَاحِكًا**) أي: أنك تلحظ جمال التباعد ما بين الثنايا عند ابتسامهن فتحير لجماله الأفهام وتطيش لأجله الأحلام .

قوله:(**هِيفُ الخُصُورِ**) الخصور: جمع خصر وهو: وسط الإنسان المستدق فوق الوركين والهيف: بفتحتين ضمور الخاصرة ودقتها .

قوله:(**نَوَاعِمُ الأَبْدَانِ**) النواعم: جمع ناعم والمراد: ليون اللمس - نسأل الله من فضله -.

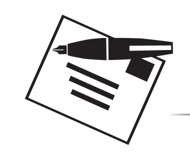
٥٠٦ خُضْرُ الثِّيَابِ ثُدِيُّهُنَّ نَوَاهِدٌ صُفْرُ الحُلِيِّ عَوَاطِرُ الأَرْدَانِ

قوله:(**خُضْرُ الثِّيَابِ**) أي: عليهن ثياب خضر يزيدهن جمالا فوق جمالهن .

قوله:(**ثُدِيُّهُنَّ**) جمع ثدي .

قوله:(**نَوَاهِدٌ**) وهي: الأثداء القائمة على الصدور التي لم تتكسر .

قوله:(**صُفْرُ الحُلِيِّ**) وهو ما يزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة .



قوله:(**عَوَاطِرُ**) أي: متعطرات متطيبات .

قوله:(**الأَرْدَانِ**) جمع ردن بالضم وهو أصل الكم - نسأل الله من فضله -.

٥٠٧ طُوبَى لِقَوْمٍ هُنَّ أَزْوَاجٌ لَهُمْ   فِي دَارِ عَـدْنٍ فِي مَحَـلِّ أَمَـانِ

قوله:(**طُوبَى لِقَوْمٍ**) أي: عيش لهم طيب في الآخرة .

قوله:(**هُنَّ أَزْوَاجٌ لَهُمْ**) أي: الحور العين زوجات المتقين .

قوله:(**فِي دَارِ عَدْنٍ**) العدن: محل الإقامة والخلود قال الله:﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[البينة :٨] .

قوله:(**فِي مَحَلِّ أَمَانِ**) أي: في مقام أمين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [الدخان :٥١] .

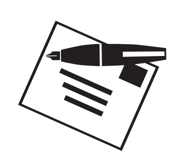
وقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[يونس :٦٢] .

٥٠٨ يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرٍ لَذِيذٍ شُرْبُهَا   بِأَنَامِلِ الخُـدَّامِ وَالْـوِلْـدَانِ

قوله:(**يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرٍ**) أي: من شراب خمر الأخرة وهو غير خمر الدنيا الذي يحرم شربه ومن شرب من خمر الدنيا يحرم من شرب خمر الآخرة .

قوله:(**لَذِيذٍ شُرْبُهَا**) أي: شراب لذيذ طيب قال الله:﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [محمد :١٥] .

وقال الله:﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الصافات :٤٥-٤٧] .



ومعنى: لا غول أي: لا تغتال عقولهم فتذهب بها .

قوله:(بِأَنَامِلِ) الأنامل: رؤوس الأصابع واحدتها أنملة .

قوله:(الخُدَّامِ) أي: الذين يقومون بخدمة اهل الجنة .

قوله:(وَالْوِلْدَانِ) أي: الغلمان وهم خدام أهل الجنة لا يهرمون ولا يتغيرون.

قال -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾[الواقعة :١٧-١٨] .

وقال الله: ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الطور :٢٤] .

وقال الله: ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإنسان :١٩-٢٢] . - نسأل الله من فضله بمنه وكرمه - .

٥٠٩ لَوْ تَنْظُرِ الحُورَاءَ عِنْدَ وَلِيِّهَا وَهُمَا فُوَيْقَ الْفُرْشِ مُتَّكِئَانِ

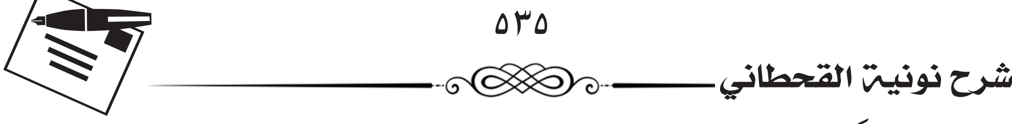
قوله:(لَوْ تَنْظُرِ الْحُورَاءَ) الحوراء: هي المرأة الشديدة البياض العين في شدة سوادها وسميت الحوراء حوراء لأنه يحار الطرف في حسنها وجمع الحوراء حور .

قوله:(عِنْدَ وَلِيِّهَا) أي: زوجها .

قوله:(وَهُمَا) أي: الحورية وزوجها .

قوله:(فُوَيْقَ) أي: فوق .

قوله:(الْفُرْشِ) جمع فراش وهو ما يفرش على السرر ونحوه .



قوله:(**مُتَّكِئَانِ**) أي: مستويان قاعدان على وطاءين متمكنين- نسأل الله من فضله - .

٥١٠ يَتَنَازَعَانِ الْكَأْسَ فِي أَيْدِيهِمَا وَهُمَا بِلَذَّةِ شُرْبِهَا فَرِحَانِ

قوله:(**يَتَنَازَعَانِ**) أي: يتناولان قال الله: ﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[الطور : ٢٣] .

قوله:(**الْكَأْسَ**) إناء فيه خمر قال الله:﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الإنسان : ١٧] .

قوله:(**فِي أَيْدِيهِمَا وَهُمَا**) أي: الحورية وزوجها .

قوله:(**بِلَذَّةِ شُرْبِهَا**) أي: يشربان بلذة وتشهي .

قوله:(**فَرِحَانِ**) أي: مسروران - نسأل الله من فضله-.

٥١١ وَلَرُبَّمَا تَسْقِيهِ كَأْسًا ثَانِيًا وَكِلاَهُمَا بِرُضَابِهَا حُلْوَانِ

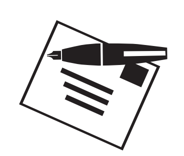
قوله:(**وَلَرُبَّمَا تَسْقِيهِ**) الهاء ضمير يعود على الحورية أي: تسقي زوجها .

قوله:(**كَأْسًا ثَانِيًا**) أي: إناء من خمر غير الأول .

قوله:(**وَكِلاَهُمَا**) المشار إليهما الحورية وزوجها .

قوله:(**بِرُضَابِهَا**) الرضاب بالضم : الريق .

قوله:(**حُلْوَانِ**) أي: تام الحلاوة -والله أعلم- نسأل الله من فضله-.



٥١٢ يَتَحَدَّثَانِ عَلَى الأَرَائِكِ خَلْوَةً وَهُمَا بِثَوْبِ الْوَصْلِ مُشْتَمِلاَنِ

قوله:(**يَتَحَدَّثَانِ**) أي: يتراجعان الحديث فيما بينهما .

قوله:(**عَلَى الأَرَائِكِ خَلْوَةً**) أي: كونهما مختليان على الأسرة .

قوله:(**وَهُمَا بِثَوْبِ الْوَصْلِ**) أي: بثوب الوصال والإلتحاف .

قوله:(**مُشْتَمِلاَنِ**) اشتمال الثوب: إدارته على جميع الجسد – نسأل الله من فضله–.

٥١٣ أَكْرِمْ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَأَهْلِهَا إِخْـوَانُ صِـدْقٍ أَيُّـمَا إِخْـوَانِ

قوله:(**أَكْرِمْ**) صيغة تعجب أي: ما أكرمها .

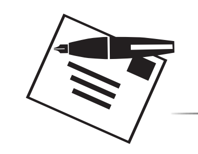
قوله:(**بِجَنَّاتِ**) الجنات: جمع جنة والمراد: الجنة التي أعدها الله للأبرار .

قوله:(**النَّعِيمِ**) ما استمتع به مما يحسن به الحال ويرتاح فيه البال ويستقر فيه العيش .

قوله:(**وَأَهْلِهَا**) أي: وأكرم بأهلها .

قوله:(**إِخْوَانُ صِدْقٍ**) أي: من صفات أخوتهم: الصدق وهو مطابقة الأقوال للأعمال .

قوله:(**أَيُّمَا إِخْوَانِ**) أي : أعظم بهم من إخوان – نسأل الله من فضله–.



٥١٤ جِـيرَانُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحِزْبُهُ أَكْـرِمْ بِهِمْ فِي صَفْوَةِ الْجِـيرَانِ

قوله:(**جِيرَانُ**) جمع جار والجار هو: الملاصق لك في المسكن ونحوه .

قوله:(**رَبِّ**) انظر البيت رقم (٤٩).

قوله:(**الْعَالَمِينَ**) جمع عالم والعوالم كثيرة منها: عالم الإنس ، عالم الجن ، عالم الملائكة ، عالم الطيور .

قوله:(**وَحِزْبُهُ**) أي: أنصاره .

قوله:(**أَكْرِمْ بِهِمْ**) صيغة تعجب أي: ما أكرمهم .

قوله:(**فِي صَفْوَةِ الْجِيرَانِ**) الصفو من الشيء خياره وخالصه - نسأل الله من فضله-.

٥١٥ هُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَهُ وَيَرَوْنَهُ وَالْمُقْلَتَانِ إِلَيْهِ نَاظِرَتَانِ

قوله:(**هُمْ**) أي: الأبرار الأطهار .

قوله:(**يَسْمَعُونَ كَلامَهُ**) أي: أنهم يسمعون كلام الله .

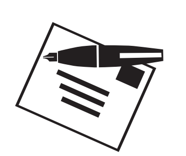
قوله:(**وَيَرَوْنَهُ**) أي: أنهم يرون الله رؤية حقيقية بأعينهم .

قوله:(**وَالْمُقْلَتَانِ**) أي: العينان .

قوله:(**إِلَيْهِ نَاظِرَتَانِ**) أي: ناظرتان إلى الله .

ورؤية الله ثابتة بالكتاب والسُّنَّة المتواترة والإجماع .

فأما دلالة الكتاب فقوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣] .



وقال الله : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦] والزيادة: هي رؤية الله كما في الحديث الصحيح المرفوع .

وقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[المطففين:١٥]

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :« فلما حجب الكفار عن رؤيته دل على أن الأبرار يرونه وإلا لم يكن بينهما فرق »[1] .

وأما دلالة السُّنَّة: فمن ذلك قوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته »[2] .

قال ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :« وهذا التشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي لأن الله يقول:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى :١١]، ولا شبيه له ولا نظير »[3] .

وأما الإجماع: وأجمع السلف على رؤية المؤمنين لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- دون الكفار يرون الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في عرصات القيامة وبعد دخول الجنة كما يشاء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وهي رؤية حقيقية تليق بالله ، لا كما فسرها أهل التعطيل برؤية الثواب ونحوه - نسأل الله من فضله-.

٥١٦ وَعَلَيْهِمُ فِيهِا مَلابِسُ سُنْدُسٍ وَعَلَى الْمَفَارِقِ أَحْسَنُ التِّيجَانِ

قوله:(**وَعَلَيْهِمُ**) أي: الأبرار الأطهار .

قوله:(**فِيهِا**) أي: الجنة .

---

(١) شرح اللمعة (ص ٤٥) .

(٢) متفق عليه .

(٣) شرح اللمعة (ص ٤٥) . .



قوله:(**مَلاَبِسُ سُنْدُسٍ**) السندس: -بضم السين والدال- رقيق الديباج والحرير واحده سندس .

قوله:(**وَعَلَى المُفَارِقِ**) جمع مفرق بكسر الراء وفتحها وهو: ما يوضع على رؤوس الملوك من الذهب والجواهر والإكليل .

قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ [الإنسان :٢١] .

وقال الله -عَزَّوَجَلَّ- : ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الكهف :٣١] .

٥١٧ تِيجَانُهُمْ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ أَوْ فِضَّةٍ مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ

قوله:(**تِيجَانُهُمْ مِنْ لُؤْلُؤٍ**) اللؤلؤ: الدر يتكون في الأصداف من رواسب أو جواهر صلبة لماعة مستديرة .

قوله: (**وَزَبَرْجَدٍ**) سبق بيانه في البيت رقم (٥٧٢) .

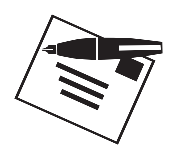
قوله:(**أَوْ فِضَّةٍ مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ**) العقيان بكسر العين ذهب متكاثف في منجمه خالص مما يختلط به من الرمال والحجار .

٥١٨ وَخَوَاتِمٌ مِنْ عَسْجَدٍ وَأَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ كُسِيَتْ بِهَا الزَّنْدَانِ

قوله:(**وَخَوَاتِمٌ**) جمع خاتم وهو: الحلقة ذات الفص تلبس في الأصبع .

قوله:(**مِنْ عَسْجَدٍ**) العسجد: الذهب والجوهر .

قوله:(**وَأَسَاوِرٌ**) جمع أسورة والأسورة جمع أساور وهي زينة تلبس في الزند من اليد وهي من زينة الملوك .



قوله:(**مِنْ فِضَّةٍ**) أي: نوع تلك الأساور من الفضة البيضاء .

قوله:(**كُسِيَتْ بِهَا الزَّنْدَانِ**) الزند بالفتح موصل طرف الذراع في الكف والجمع زنود .

قال -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فاطر :٦٦] ، وقال الله : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[الكهف :٢٣] .

وهذا هو ما ذكره سبحانه أيضا في كتابه فقال: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ [الكهف :٣١] . وقوله: ﴿ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ [الإنسان :٢١] . .

٥١٩ وَطَعَامُهُمْ مِنْ لَحْمِ طَيْرٍ نَاعِمٍ   كَالْبُخْتِ يُطْعَمُ سَائِرُ الأَلْوَانِ

قوله:(**وَطَعَامُهُمْ مِنْ لَحْمِ طَيْرٍ**) ، وهذا كما قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الواقعة : ٢١] .

قوله:(**نَاعِمٍ**) أي: حسن العيش والغذاء .

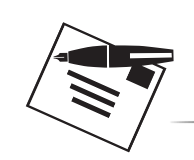
قوله:(**كَالْبُخْتِ**) بالضم الإبل الخرسانية .

قوله:(**يُطْعَمُ سَائِرُ الأَلْوَانِ**) أي: مختلف الأصناف والأنواع .

وفي هذا يقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الواقعة : ٢٠-٢١]

٥٢٠ وَصِحَافُهُمْ ذَهَبٌ وَدُرٌّ فَائِقٌ   سَبْعُونَ أَلْفًا فَوْقَ أَلْفِ خِوَانِ

قوله:(**وَصِحَافُهُمْ ذَهَبٌ**) الصحاف: جمع صحفة وهي: إناء من آنية الطعام



نوعها من ذهب .

قال الله: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴾[الزخرف : ٧١] .

قوله:(**وَدُرٌّ فَائِقٌ**) الفائق: الخيار من كل شيء .

قوله:(**سَبْعُونَ أَلْفًا فَوْقَ أَلْفِ خِوَانِ**) الخوان: بالكسر والضم والكسر أفصح والخوان: مفرد أخونة وهو: ما يؤكل عليه الطعام .

٥٢١ إِنْ كُنْتَ مُشْتَاقًا لَهَا كَلِفًا بِهَا شَوْقَ الْغَرِيبِ لِرُؤْيَةِ الأَوْطَانِ

قوله:(**إِنْ كُنْتَ مُشْتَاقًا لَهَا**) أي: الجنة ولا شك في شوق الأتقياء الأنقياء لها.

قوله:(**كَلِفًا بِهَا**) أي: مولعا عاشقا بالفوز بها .

قوله:(**شَوْقَ الْغَرِيبِ لِرُؤْيَةِ الأَوْطَانِ**) من المعلوم أن الغريب عن وطنه يشتاق ويحن لرؤيته ونحن في هذه الدار في دار غربة والوطن الأصل هي الدار الآخرة فأهل الإيمان والتقوى يشتاقون لموطنهم الأصل :جنة عرضها السماوات والأرض وهم يلتمسون ذلك بكل سبب .

وقد ذكر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- جملة من الأسباب التي توصل العاشق لمعشوقه من ذلك:

٥٢٢ كُنْ مُحْسِنًا فِيمَا اسْتَطَعْتَ فَرُبَّمَا تُجْزَى عَنِ الإِحْسَانِ بِالإِحْسَانِ

قوله:(**كُنْ مُحْسِنًا**) هذا هو السبب الأول: الإحسان وهو: « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » [١] .

---

(١) رواه مسلم .



وعليه: فيجب علينا أن نلزم الإحسان في عقيدتنا وعباداتنا ومعاملاتنا وسلوكنا .

قال -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة :١٩٥] .

قوله:(**فِيمَا اسْتَطَعْتَ**) أي: ما استطعت إلى ذلك سبيلا لقول الله:﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [التغابن :١٦] .

ولقوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- : « وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم» (١) .

قوله:(**فَرُبَّمَا**) بالتشديد والتخفيف تفيد التقليل لغة وهي هنا تفيد التحقيق واليقين .

قوله:(**تُجْزَى عَنِ الإِحْسَانِ بِالإِحْسَانِ**) وهذا من كمال عدله وإحسانه إلى خلقه حيث يجازيهم بالإحسان إحسانا .

٥٢٣ وَاعْمَلْ لِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَطِيبِهَا فَنَعِيمُهَا يَبْقَى وَلَيْسَ بِفَانِ

قوله:(**وَاعْمَلْ لِجَنَّاتِ النَّعِيمِ**) وهذا هو السبب الثاني: العمل الصالح وهو: الخالص الصائب إذ العمل الصالح لا شك أنه من أقوى الأسباب الموصلة إلى الجنة قال الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الكهف : ١٠٧] .

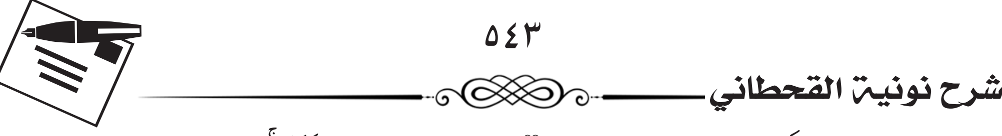
قوله:(**وَطِيبِهَا**) أي: طيب عيشها .

قوله:(**فَنَعِيمُهَا يَبْقَى**) أي: يدوم لا ينقطع ولا ينفد .

قوله:(**وَلَيْسَ بِفَانِ**) أي: ليس له نهاية ونفي الضد يدل على كمال الوصف.

---

(١) رواه البخاري ومسلم .



قال الله : ﴿ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [التوبة : ٢١-٢٢] .

وقال الله: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فاطر : ٣٥] .

٥٢٤ أَدِمِ الصِّيَامَ مَعَ الْقِيَامِ تَعَبُّدًا　　فَكِلاَهُمَا عَمَلاَنِ مَقْبُولاَنِ

قوله:(**أَدِمِ الصِّيَامَ**) أي: داوم واستمر على الصيام وهذا الحث من الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يشمل الفرض والنفل كالاثنين والخميس والثلاث البيض من كل شهر ويوم عرفة ويوم عاشوراء والست من شوال ونحوها .

والصيام هو: التعبد لله بالامتناع عن الأكل والشرب والجماع وسائر المفطرات من طلوع الفجر وحتى غروب الشمس .

قوله:(**مَعَ الْقِيَامِ**) أي: وداوم على قيام الليل فلقد سُئلت عائشة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا- عن عمل رسول الله فقالت: «أيكم يطيقه ، فلقد كان عمله ديمة » (١) .

وقال -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- : « لا تكن مثل فلان؛ كان يقوم من الليل فترك » (٢) .

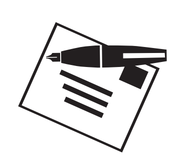
وقال في رجل ترك قيام الليل: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنه » .

قوله:(**تَعَبُّدًا**) أي: اقصد التعبد لله بالصيام والقيام وغيرها من صالح الأعمال .

قوله:(**فَكِلاَهُمَا**) أي: الصيام مع القيام .

قوله:(**عَمَلاَنِ مَقْبُولاَنِ**) أي: بصلاح القصد وصلاح العمل .

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه البخاري ومسلم .



٥٢٥ قُمْ في الدُّجى واتْلُ الْكِتَابَ ولاتَنَمْ إلاَّ كَنَوْمَةِ حَائِرٍ وَلْهَانِ

قوله:(**قُمْ في الدُّجى**) أي: في اشتداد ظلمة الليل .

قال الله: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾[الإسراء: ٧٩] .

وقال الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾[المزمل: ١-٢] .

وقال -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- : « شرف المؤمن صلاته بالليل وعزه استغناؤه عما في أيدي الناس » (١) .

وعن أبي هريرة-رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ -عن النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- قال: « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » (٢) .

فيا لله ما أجمل تك اللحظات ، وما أسعد تلك الخلوات المباركات الزاكيات التي يقف فيها العبد يناجي رب الأرض والسماوات يلهج لسانه بالدعوات مستمدا منه الهبات والأعطيات .

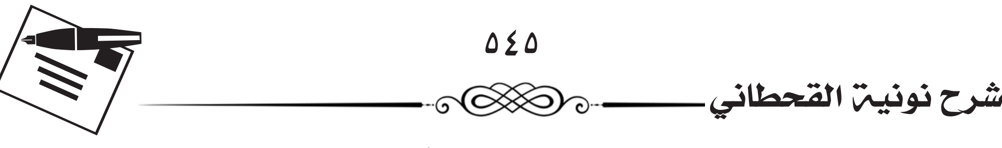
بكى الباكون للرحمن ليلا وباتوا سجدا لا يسأمونا
بقاع الأرض من شوق إليهم تحن متى عليها يسجدونا

قوله:(**وَاتْلُ الْكِتَابَ**) أي: داوم قراءة القرآن واحذر الغفلة عنه وتدبر ما فيه من أحكام وعظات .

فهو الهدى والنور والشفاء والرحمة .

---

(١) رواه ابن عساكر وحسنه الألباني .
(٢) رواه مسلم .



قال الله -جَلَّجَلَالُهُ-: ﴿ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يونس: ٥٧] .

وقال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] .

وقال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢] .

وقال الله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤] .

وفي الحديث يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »(١) .

وقال: « اقرؤا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه»(٢) .

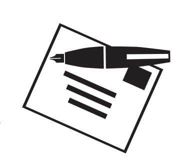
قوله: **(وَلاَ تَنَمْ)** مراده لا تنم عن قيام الليل قال الله في وصف رهبان الليل: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[الذاريات: ١٧-١٨].

وقال الله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل: ٢-٥] .

قوله: **(إِلاَّ كَنَوْمَةِ حَائِرٍ)** أي: مضطرب متردد والمراد أنه نائم يقظان وهذا الحث من الناظم -رَحِمَهُ اللَّهُ- على المبالغة في الحرص على قيام الليل ولكن ينبغي أن تعلم أن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، ولزورك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه .

---

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه مسلم .



وخير الأمور الوسط الوسيط وشره الإفراط والتفريط

قوله:(وَلْهَانِ) الولهان: الشديد الحزن والجزع على فقد حبيب .

٥٢٦ فَلَرُبَّمَا تَأْتِي الْمَنِيَّةُ بَغْتَةً فَتُسَاقُ مِنْ فُرُشٍ إِلَى الأَكْفَانِ

قوله:(فَلَرُبَّمَا تَأْتِي الْمَنِيَّةُ) أي: الموت .

قوله (بَغْتَةً) أي : فجأة قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- :﴿ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[يونس: ٤٩] .

وقال-تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-:﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨].

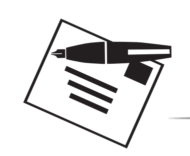
قوله (فَتُسَاقُ مِنْ فُرُشٍ إِلَى الأَكْفَانِ) أي : تنزع من على الفرش الوثيرة والسرر الرفيعة العالية إلى الإدراج في الأكفان .

والأكفان : جمع كفن وهو الثوب الذي يلف فيه الميت .

وَأَلبَسُوني ثِياباً لا كِمامَ لها وَصارَ زادي حَنُوطِي حينَ حَنَّطَني

وقال آخر:

تَؤَمِّلُ في الدُنيا طَويلاً وَلا تَدري إِذا جَنَّ لَيلٌ هَل تَعيشُ إِلى الفَجرِ
فَكَم مِن صَحيحٍ ماتَ مِن غَيرِ عَلَّةٍ وَكَم مِن عَليلٍ عاشَ دَهراً إِلى دَهرِ
وَكَم مِن فَتىً يُمسي وَيُصبِحُ آمِناً وَقَد نُسِجَت أَكفانُهُ وَهوَ لا يَدري



٥٢٧ يا حَبَّذَا عَيْنَانِ في غَسَقِ الدُّجى   مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِيَتَانِ

قوله:(**يَا حَبَّذَا**) يا : أداة نداء .

حبذا : أسلوب مدح .

قوله :(**عَيْنَانِ في غَسَقِ الدُّجى**) أي : في شدة الظلمة.

قوله :(**بَاكِيَتَانِ**) أي : دامعتان قال -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء:١٠٩] .

وقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة: ١٦] . وقال الله: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم: ٥٨] .

وفي الحديث الصحيح يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين سهرت في سبيل الله» (١) .

وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع» (٢) . وقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله -وذكر منهم- ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » (٣) .

ولقد كان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « يقوم من الليل فيسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء» (٤) .

---

(١) رواه الترمذي من حديث ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وصححه الألباني .
(٢) رواه الترمذي وقال حديث صحيح .
(٣) رواه الشيخان .
(٤) رواه أحمد وصححه الألباني في المشكاة وصححه .

وكان أبو بكر رجلاً بكاء ، وكان قد اتخذ لنفسه في فناء داره مسجدًا ، فكان يقوم ويشتد بكاؤه ، وكان يتقصف إليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يتعجبون منه وينظرون إليه ، وكان عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يصلي بالناس فيسمع نحيبه من وراء ثلاثة صفوف » [1] .

يا خاطب الحور في خدرها   وطالبا ذاك على قدرها
انهض بجد ولا تكن وانيا   وجاهد النفس على صبرها
وقم إذا الليل بدا وجهه وصم   نهارا فهو من مهرها

٥٢٨ لاَ تَقْذِفَنَّ الْمُحْصَنَاتِ وَلاَ تَقُلْ   مَا لَيْسَ تَعْلَمُهُ مِنَ الْبُهْتَانِ

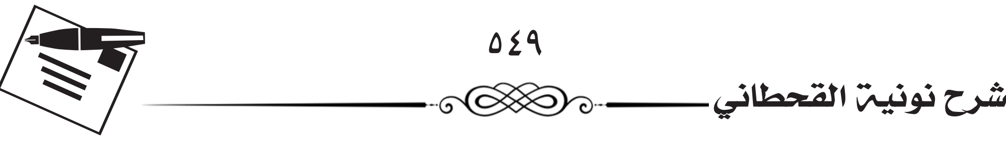
قوله:(**لاَ تَقْذِفَنَّ**) أي : لا ترمي بالزنا فالقذف شرعا : رمي المحصنة بالزنا

قوله:(**الْمُحْصَنَاتِ**) العفائف الطاهرات .

وحكم القذف : التحريم لقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ ﴾ [النور :٤] .

وحد القاذف : إن لم يأتي بأربعة شهداء عدول أن يجلد ثمانين جلدة ومن عقوبته عدم قبول شهادته ويكون فاسقا بقذفه إلا أن يحدث توبة ، قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥ ﴾ [النور :٥] .

(١) المختار أحكام وآداب للحديث في شهر رمضان (ص ١٢٠) .



والقاذف معرض نفسه للعن قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور :٢٣-٢٤].

قوله :(**وَلاَ تَقُلْ مَا لَيْسَ تَعْلَمُهُ**) أي : احذر القول بلا علم وأشده خطرا وأعظمه جرما القول على الله بلا علم ثم القول على رسوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم القول على علماء الإسلام والمسلمين ثم القول على سائر عباد الله بما ليس فيهم أو ما لم يصدر منهم .

واعلم رحمك الله أن التقول على الله وعلى رسوله بلا علم من أعظم الفواحش والمنكرات دل على حرمتها الكتاب وصحيح السُّنَّة وأقوال سلف الأمة .

فأما دلالة القرآن فقد قال الكريم المنان : ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٣] .

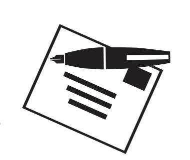
ففي هذه الآية رتب الباري -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- المحرمات بدأ بأقلها وهي الفواحش وختم بأشدها وهي القول على الله بلا علم .

وقال ربنا الكريم : ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾[النحل: ١١٦] .

وأما دلالة السُّنَّة : فقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» (١) .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .



وجاء عند مسلم من حديث عمر بن الخطاب-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -الطويل وفيه: «...فأخبرنا عن الساعة ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» (١) .

وأما هدي السلف وأقوالهم فكثيرة ومستفيضة منها:

ما قاله ابن مسعود- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-: «إن من العلم أن تقول لما لا تعلم لا أعلم»(٢).

وقال ابن عباس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- : « إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله » (٣) .

وقال الشعبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « لا أدري نصف العلم » (٤) .

وقال بكر بن عبد الله أبو زيد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : « جنة العلم لا أدري» (٥) .

قوله:(**مِنَ الْبُهْتَانِ**) البهتان : هو الكذب المفترى .

ولا شك أن القول على الله ورسوله بلا علم من أعظم الكذب وأشد الفرى.

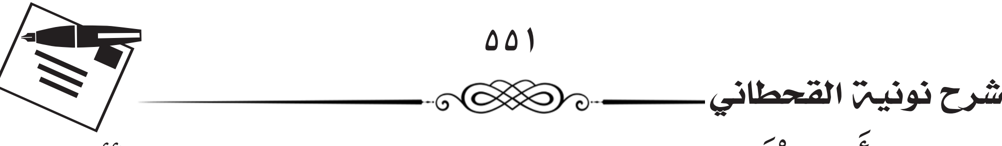
٥٢٩ لاَ تَدْخُلَنَّ بُيُوتَ قَوْمٍ حُضَّرٍ إِلاَّ بِنَحْنَحَةٍ أَوِ اسْتِئْذَانِ

قوله:(**لاَ تَدْخُلَنَّ بُيُوتَ قَوْمٍ حُضَّرٍ**) أي : إياك والدخول في بيوت أناس حاضرين في بيوتهم إلا بإذن منهم لقوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [النور :٢٧] .

قوله:(**إِلاَّ بِنَحْنَحَةٍ**) وهي : عبارة عن تردد الصوت في الجوف .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) شرح حلية طالب العلم (ص١٦٨) .
(٣) الآداب الشرعية (٢/ ٥٤) .
(٤) الآداب الشرعية (٢/ ٥٤) .
(٥) حلية طالب العلم .



قوله :(أَوِ اسْتِئْذَانٍ) والاستئذان هو : قول الداخل : السلام عليكم أأدخل؟ ثلاثا دل على هذا قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ ﴾ [النور :٢٧-٢٨] .

وقال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ ﴾ [النور :٦١] .

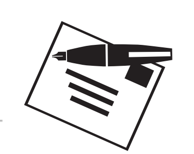
وقوله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:«إذا استئذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له، فليرجع»[(١)].

قال صاحب منظومة الآداب:

وَسُنَّةٌ اسْتِئْذَانُهُ لِدُخُولِهِ ... عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَقْرَبِينَ وَبُعَّدِ
ثَلاثًا وَمَكْرُوهٌ دُخُولٌ لِهَاجِمٍ ... وَلاَسِيَّمَا مِنْ سَفْرَةٍ وَتَبَعُّدِ
وَوَقْفَتُهُ تِلْقَاءَ بَابٍ وَكُوَّةٍ ... فَإِنْ لَمْ يُجَبْ يَمْضِي وَإِنْ يُخْفَ يَزْدَدِ
وَتَحْرِيْكُ نَعْلَيْهِ وَإِظْهَارُ حِسِّهِ ... لِدَخْلَتِهِ حَتَّى لِمَنْزِلِهِ اشْهَدِ
وَإِنْ نَظَرَ الإِنْسَان مِنْ شِقِّ بَابِهِ ... بِلاَ إِذْنِ أَنْ يَفق عَيْنَيْهِ لَمْ يَد

تبين مما سبق أن الاستئذان ثلاثا سَنة متبعة وكراهة الدخول على الأهل من غير استئذان ولم يشرع الاستئذان إلا من أجل البصر ففي الحديث المرفوع : «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر»[(٢)] .

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه البخاري .



فلا يجوز لأحد أن يقف تلقاء الباب أو النافذة بل يقف عن يمين الباب أو شماله حتى لا يقع بصره على موضع لا يحل النظر إليه أو على شيء يكره رب الدار لأحد، رؤيته فعن عبد الله بن بسر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إذا أتى بابًا يريد أن يستأذن لم يستقبله جاء يمينا أو شمالا، فإن أذن له وإلا ينصرف»(١).

وكان أحمد بن حنبل -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- إذا دخل على أهله يتنحنح (٢).

٥٣٠ لاَ تَجْزَعَنَّ إِذَا دَهَتْكَ مُصِيبَةٌ إِنَّ الصَّبُورَ ثَوَابُهُ ضِعْفَانِ

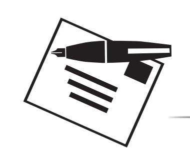
قوله: (**لاَ تَجْزَعَنَّ**) الجزع: عدم الصبر ومنه قول الله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [المعارج: ١٩-٢٠]. والمعنى: احذر التسخط على أقدار الله المؤلمة.

قوله: (**إِذَا دَهَتْكَ مُصِيبَةٌ**) أي: إذا حلت ونزلت بك مصيبة في بدن أو أهل أو مال فإنما أنت في دار امتحان قال الله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

قوله: (**إِنَّ الصَّبُورَ**) على وزن فعول وهو كثير الصبر

قوله: (**ثَوَابُهُ ضِعْفَانِ**) أي: له أجران: أجر البلاء وأجر الصبر والصابر ظافر له أجر بغير حساب كما قال الله: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني في المشكاة.
(٢) الآداب الشرعية (١/ ٤٢٤).



٥٣١ فَإِذَا ابْتُلِيتَ بِنَكْبَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا ... اللهُ حَسْبِي وَحْــدَهُ وَكَفَانِي

الصبر لغة هو: الحبس والكف .

اصطلاحا: هو حبس النفس على الطاعات ، وعن المعاصي ، وعلى أقدار الله المؤلمة .

تبين من هذا أن الصبر أنواع ثلاثة:

١- صبر على طاعة الله .

٢- صبر عن معصيته -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- .

٣- صبر على أقداره المؤلمة.

تناول الناظم -رَحِمَهُ اللَّهُ- في هذا البيت النوع الثالث من أنواع الصبر .

قوله: (**فَإِذَا ابْتُلِيتَ بِنَكْبَةٍ**) أي : إذا امتحنت بنازلة أوضائقة .

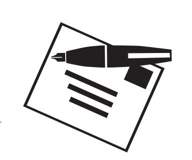
قوله: (**فَاصْبِرْ لَهَا**) أي : احبس نفسك على تحمل مرارتها وذلك بعدم التشكي والتسخط قالا وحالا الذي يظهر من خلاله الجزع وعدم الصبر .

والصبر خلق كريم بلسم للآلام ومبعث للآمال أمر به سبحانه في كتابه فقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ** ٢٠٠ ﴾ [آل عمران :٢٠٠] .

وقال-تَبَارَكَ وَتَعَالَى-:﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان :١٧].

وفي السُّنَّة يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « والصبر ضياء» [(١)] .

(١) رواه مسلم .



وقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر» (١) .

وقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « ليودن أهل العافية يوم القيامة أن جلودهم قرضت بالمقاريض مما يرون من ثواب أهل البلاء» (٢) .

قوله: (**اللهُ حَسْبِي**) أي: أن الله كافيني في جلب الخيرات ودفع المضرات ومن كان الله حسبه فقد كفاه ومن كان الله كافيه فلا مطمع لأحد فيه .

قوله: (**وَحْدَهُ وَكَفَانِي**) كفاه الشيء كفاية استغنى به عن غيره فهو كافة وكفي .

٥٣٢ وَعَلَيْكَ بِالْفِقْهِ الْمُبَيِّنِ شَرْعَنَا ... وَفَرَائِضِ الْمِيرَاثِ وَالْقُرْآنِ

قوله: (**وَعَلَيْكَ**) فعل أمر بمعنى احرص والزم .

قوله: (**بِالْفِقْهِ**) الفقه لغة: الفهم ومنه قول الله: ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ ﴾ [طه: ٢٧-٢٨] . أي: يفهموا قولي .

وقوله: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ [هود: ٩١] .

أي: ما نفهم كثيرًا من قولك .

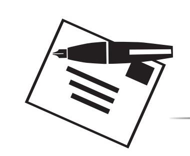
والفقه في لسان الشرع: العلم بالأحكام الشرعية العملية بأدلتها التفصيلية.

والمراد: احرص على أن تتفقه في الدين .

إذ أن الفقه في الدين قرين الجهاد في سبيل الله قال الله: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه الترمذي وحسنه الألباني .



﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

وفي السُّنَّة الصحيحة: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»(١).

قوله: (**الْمُبَيِّنِ**) أي: الموضح لما أشكل والمفصل لما أجمل.

قوله: (**شَرْعَنَا**) أي: ديننا وطريقنا وملتنا.

قوله: (**وَفَرَائِضِ**) جمع فريضة بمعنى مفروضة.

والفرض لغة: القطع والحز.

وفي الشرع: ما أوجبه الله على عباده من فعل مأمور وترك محظور.

ومتى ذكرت الفرائض تبادر إلى الذهن أنه العلم الذي عرف بعلم المواريث الشرعية ولذا قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وفرائض الميراث.

قوله: (**الْمِيرَاثِ**) التركة التي يخلفها الميت للورثة من بعده.

ومن هنا نستطيع القول بأن الفرائض عبارة عن نصيب مقدر شرعا لوارث.

قوله: (**وَالْقُرْآنِ**) أي: ما جاء في كتاب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- مما أوجبه الله -جَلَّ وَعَلَا- علينا.

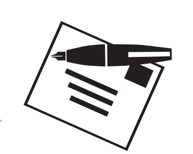
٥٣٣ عِلْمُ الْحِسَابِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ ... عِلْمَانِ مَطْلُوبَانِ مُتَّبَعَانِ

قوله: (**عِلْمُ الْحِسَابِ**) المراد به هنا الحساب الذي يتوصل به الإنسان إلى قسمة المواريث بين مستحقيها وليس المراد به الحساب العام.

قوله: (**وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ**) أي: علم الشريعة الإسلامية التي أرسل بها محمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبلغها كافة للناس كما أمر بلا بخس ولا شطط كما قال

---

(١) رواه البخاري.



-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» [١] .

وفي خطبة حجة الوداع بعد أن بين لهم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حرمات المسلمين وغيرها قال:«اللهم هل بلغت فقالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال:« اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد» [٢] . ثلاث مرات

قوله:(**عِلْمَانِ مَطْلُوبَانِ**) أي: أنهما علمان لا يزال الناس جادين في طلبهما في كل عصر ومصر.

قوله:(**مُتَّبَعَانِ**) أي: معمول بهما .

٥٣٤ لَوْلاَ الْفَرَائِضُ ضَاعَ مِيرَاثُ الْوَرَى وَجَرَى خِصَامُ الْوُلْدِ وَالشِّيبَانِ

قوله:(**لَوْلاَ**) حرف امتناع لوجود .

قوله:(**الْفَرَائِضُ**) سبق بيانه في البيت رقم (٥٣٢) .

والمراد: لولا العناية بعلم الفرائض لضاعت التركات في غير مستحقيها .

قوله:(**ضَاعَ مِيرَاثُ الْوَرَى**) أي: حصل إهدار للمال الموروث ووضعه في غير مستحقيه .

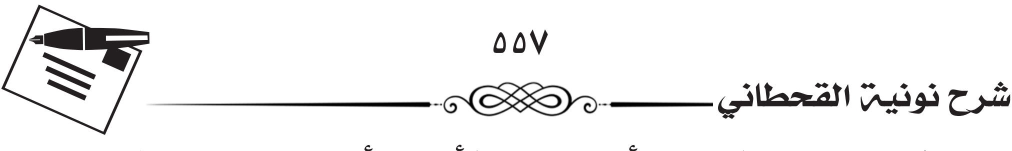
قوله:(**وَجَرَى خِصَامُ**) أي: خلاف ونزاع .

قوله:(**الْوُلْدِ**) وهم الفروع المراد أبناء الميت وإن نزلوا بمحض الذكور .

قوله:(**وَالشِّيبَانِ**) وهم الأصول وإن علوا بمحض الذكور .

---

(١) رواه أحمد في المسند وابن ماجه في السُنن والحاكم في المستدرك وقال الألباني اسناده صحيح .
(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٢١٨) .



والحواش: وهم الإخوة وأبناؤهم، والأعمام وأبناؤهم بمحض الذكور .

٥٣٥ لَوْلاَ الْحِسَابُ وَضَرْبُهُ وَكُسُورُهُ   لَمْ يَنْقَسِمْ سَهْمٌ وَلاَ سَهْمَانِ

قوله:(**لَوْلاَ الْحِسَابُ**) سبق بيانه في البيت رقم (٥٣٣) .

وهذا العلم وسيلة إلى اعطاء كل ذي حق حقه لأنه لا يمكن لك أن تعرف مخرج الفروض وتصحيح المسائل إلا إذا عرفت الحساب .

قوله:(**وَضَرْبُهُ**) أي: ضرب المقامات ليتوصل بها إلى أصل المسألة .

مثاله: هالك عن زوجة وأم وأخوين لأم وأخ شقيق انظر للشكل:

	١٢	
الربع:	زوجة	٣
السدس:	أم	٢
الثلث:	أخوين الأم	٤
عصبة	أخ شقيق	٣

وهذا الأصل (١٢) نتج عن ضرب الأربعة مقام الزوجة في الثلاثة مقام الإخوة لأم .

٣ × ٤ = ١٢

وأصول المسألة سبعة هي (٢، ٣، ٤، ٦، ٨، ١٢، ٢٤) .

وبإمكاننا أن نعرف أصل المسألة وذلك بالنظر إلى أقرب عدد من تلك الأصول السبعة يقبل القسمة على جميع مقامات المسألة .



فمثلا: هالك عن زوجة وابن وأم :

	٢٤	
الثمن:	زوجة	٣
سدس:	أم	٤
عصبة:	ابن	١٧

فأصل المسألة (٢٤) وذلك لأنه أقرب عدد من الأصول السبعة يقبل القسمة على مقام .

الزوجة(٨) ومقام الأم (٦) .

قوله:(**وَكُسُورُهُ**) الكسور: جمع كسر ويراد به الكسر العشري الذي هو:

(النصف ، الربع ، الثمن ، الثلثان ، الثلث ، السدس) .

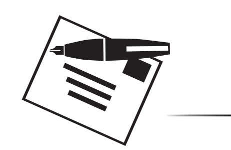
١/٢ ١/٤ ١/٨ ٢/٣ ١/٣ ١/٦

قوله:(**لَمْ يَنْقَسِمْ سَهْمٌ وَلاَ سَهْمَانِ**) أي: لا يستطاع بدون علم الحساب والضرب والكسر قسمة الأسهم بين مستحقيها كون ذلك وسيلة لإيصال الفرائض إلى أهلها .

٥٣٦ لاَ تَلْتَمِسْ عِلْمَ الْكَلاَمِ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى التَّعْطِيلِ وَالْهَيَمانِ

قوله:(**لاَ تَلْتَمِسْ**) التماس الشيء: طلبه المرة بعد الأخرى .

قوله: (**عِلْمَ الْكَلاَمِ**) المراد به: الفلسفة والجدل والقول بالرأي المجرد عن



الدليل الصريح والتعليل الصحيح ولا شك أن من عدل عن الكتاب والسُّنَّة كان مصيره الفلسفة والكلام .

قوله: (**فَإِنَّهُ**) أي: علم الكلام .

قوله: (**يَدْعُو إِلَى التَّعْطِيلِ**) وهو: القول بنفي الأسماء أو الصفات أو بعضها ويحرفونها عن ظاهرها ويقال لهم المؤولة .

قوله: (**وَالْهَيَمَانِ**) التحير يقال: هام يهيم إذا خرج على وجهه لا يدري أين يتوجه .

واحذر قوانين أرباب الكلام فما بها من العلم غير الشك والتهم

قاموس فلسفة مفتاح زندقة كم من ملم به قد باء بالندم

وقد اختلف أهل العلم في حكم تعلم علم الكلام والمنطق:

١- فمنهم من أباحه مطلقًا .

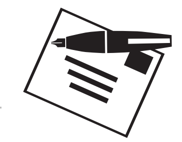
٢- ومنهم من حرمه مطلقًا.

ومنهم من فصل فيه فجوزوه عند الحاجة إليه وعند المأمن من الزلل وهذا هو الصحيح .

٥٣٧ لاَ يَصْحَبُ الْبِدْعِيَّ إِلاَّ مِثْلُهُ تَحْتَ الدُّخَانِ تَأَجُّجُ النِّيرَانِ

قوله:(**لاَ يَصْحَبُ**) الصاحب: المرافق .

قوله:(**الْبِدْعِيَّ**) أي: الواقع في البدعة. والبدعة هي: الإحداث في الدين ما ليس فيه كبدعة الجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة والصوفية ونحوهم .



قوله:(**إِلاَّ مِثْلُهُ**) أي: مبتدعا مثله ولقد كان السلف رحمهم الله إذا أرادوا معرفة حال الشخص سألوا عن أقرانه. وحقا: إن الطيور على أشكالها تقع ، وقل لي من تصاحب أقول لك من أنت؟ .

قوله:(**تَحْتَ الدُّخَانِ تَأَجُّجُ النِّيرَانِ**) والمعنى: أن الدخان لا يتأتى إلى من نار ملتهبة تحته .

وعليه فالواجب الحذر الحذر من البدع وأهلها فإن من البدع ما هي ظاهرة يمكن إدراكها ومنها ما تكون خفية مستترة كالجمر تحت الرماد يزخرفها أهلها ويصبغونها بالصبغة الشرعية .

يقضى على المـرء في أيـام محنته　　　حتى يرى حسنًا ما ليس بالحسن

والبدعة أخطر على المرء من المعصية قال سفيان الثوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: « البدعة أحب إلى إبليس من المعصية» .

٥٣٨ عِلْمُ الْكَلاَمِ وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ　　　يَتَغَايَرَانِ وَلَيَسْ يَشْتَبِهَانِ

قوله:(**عِلْمُ الْكَلاَمِ**) سبق بيانه آنفا في البيت رقم(٥٣٦) .

قوله:(**وَعِلْمُ شَرْعِ مُحَمَّدٍ**) أي: العلم الشرعي الذي جاء به محمد -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- ومصدره الوحيين (الكتاب والسُّنَّة) .

قوله:(**يَتَغَايَرَانِ**) أي: يفترقان لا يجتمعان .

قوله:(**وَلَيَسْ يَشْتَبِهَانِ**) أي: ليس بينهما أدنى شبه كما أنه لا يوجد شبه بين الخالق والمخلوق .

فمصدر الوحيين هو الله الخالق -تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ- .



بينما مصدر علم الكلام هم الفلاسفة من اليونان كسقراط وأفلاطون وأرسطو ومن شابههم ممن أغرقوا في كلام لا يفيدوا علما ولم يهدهم سبيلا بل زادهم حيرة واضطرابا .

٥٣٩ أَخَذُوا الْكَلاَمَ عَنِ الْفَلاَسِفَةِ الأُلَى　　　جَحَدُوا الشَّرَائِعَ غِرَّةً وَأَمَانِ

قوله:(**أَخَذُوا الْكَلاَمَ**) أي: استفادوه واستمدوه .

قوله:(**عَنِ الْفَلاَسِفَةِ**) الفلاسفة: جمع فيلسوف .

والفيلسوف هو: العالم الباحث في فروع الفلسفة .

جاء في شرح الطحاوية:«... الفلاسفة المسمون عند من يعظمهم بالحكماء فإن من علم حقيقة قولهم علم أنهم لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولا كتبه ولا ملائكته ولا اليوم الآخر فإن مذهبهم إن الله موجود لا ماهية له ولا حقيقة .....»(١) .

والفلسفة: عبارة عن دراسة المبادئ الأولى وتفسير المعرفة تفسيرا عقليا بحتا وكانت تشمل العلوم جميعا واقتصرت في هذا العصر على المنطق والأخلاق وعلم الجمال وما وراء الطبيعة .

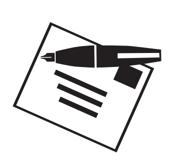
قوله:(**الأُلَى**) اسم موصول بمعنى: الذين وإنما حذفت)الواو(من الأولى فقيل (الألى) لئلا يلتبس اللفظ بالأولى المقابلة للأخرى

قوله:(**جَحَدُوا**) أي: كفروا .

قوله:(**الشَّرَائِعَ**) جمع شريعة والمراد: الشريعة السماوية .

---

(١) شرح الطحاوية (٢٢٨) .



قوله:(**غِرَّةً**) بالكسر غفلة والجمع غرر .

قوله:(**وَأَمَانِ**) أي: اطمئنان .

٥٤٠ حَمَلُوا الأُمُورَ عَلَى قِيَاسِ عُقُولِهِمْ فَتَبَلَّدُوا كَتَبَلُّدِ الحَيْرَانِ

قوله:(**حَمَلُوا الأُمُورَ عَلَى قِيَاسِ عُقُولِهِمْ**)أي: تكلفوا تفسير النصوص عن هوى وتعصب لا سيما نصوص صفات الباري -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- على خلاف ما أراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبخلاف ما فسرها الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون لهم بإحسان من ذلك:

صفة الوجه لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : فسره أهل التعطيل بالثواب .

وصفة اليدين: فسرهما أهل التعطيل بالنعمة أو القدرة .

وصفة المجيء: فسره أهل التعطيل بمجيء أمره .

وصفة الرضى والمحبة: فسرها أهل التعطيل بالثواب .

وصفة الغضب والسخط: فسرهما أهل التعطيل بالانتقام .

وصفة الكراهة: فسرها أهل التعطيل بالإبعاد .

ولا شك في بطلان تأويلهم وذلك لأن قولهم خلاف ظاهر النصوص وخلاف طريقة السلف وليس عليه دليل صحيح .

قوله:(**فَتَبَلَّدُوا**) أي: صاروا بلداء .

والبليد: من حرم الذكاء والمضاء في الأمور .

قوله:(**كَتَبَلُّدِ**) الكاف: يفيد التشبيه أي: يشبهون في بلادتهم الحيارى .

قوله:(**الْحَيْرَانِ**) هو المضطرب المتردد وهذه الصفة التي وصفها الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- تنطبق في حق كل من عدل عن الكتاب والسُّنَّة إلى علم الكلام المذموم أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسُّنَّة وعند التعارض يتأول النص ويرده إلى الرأي والآراء المختلفة فيؤول أمره إلى الحيرة والضلال والشك .

فهذا أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي يقول :

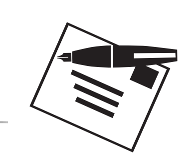
نِهَايَةُ إِقْدَامِ العُقُولِ عِقَالُ ... وَأَكْثَرُ سَعْيِ العَالَمِينَ ضَلالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا ... وَغَايَةُ دُنْيَانَا أَذَىً وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا ... سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا
فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوْلَةٍ ... فَبَادُوا جَمِيعًا مُسْرِعِينَ وَزَالُوا
وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ قَدْ عَلَتْ شُرُفَاتِهَا ... رِجَالٌ، فَزَالُوا وَالْجِبَالُ جِبَالُ

ومما قاله: لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ، وَالْمَنَاهِجَ الْفَلْسَفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَلِيلًا، وَلَا تَرْوِي غَلِيلًا، وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ، اقْرَأْ فِي الْإِثْبَاتِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] ، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي :﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] ، ثم قال: ومن جرب تجربتي عرف مثل معرفتي » [1] .

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِاللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالْكَرِيمِ الشَّهْرِسْتَانِيُّ: إِنَّهُ لَمْ يَجِدْ عِنْدَ الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ إِلَّا الْحَيْرَةَ وَالنَّدَمَ، حَيْثُ قَالَ:

---

(١) شرح الطحاوية (١٤٥-١٤٦) .



فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوْلَةٍ فَبَادُوا جَمِيعًا مُسْرِعِينَ وَزَالُوا
لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الْمَعَاهِدَ كُلَّهَا وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَى ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ[(١)]

وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيُّ: « يَا أَصْحَابَنَا، لَا تَشْتَغِلُوا بِالْكَلَامِ، فَلَوْ عَرَفْتُ أَنَّ الْكَلَامَ يَبْلُغُ بِي إِلَى مَا بَلَغَ مَا اشْتَغَلْتُ بِهِ... إِلَى أَنْ قَالَ : وَهَا أَنَا ذَا أَمُوتُ عَلَى عَقِيدَةِ عَجَائِزِ نَيْسَابُورَ» [(٢)] .

٥٤١ مُرْجِيُّهُمْ يُزْرِي عَلَى قَدَرِيِّهِمْ وَالْفِرْقَتَانِ لَدَيَّ كَافِرَتَانِ

قوله :(**مُرْجِيُّهُمْ**) يريد -رَحِمَهُ اللَّهُ- المرجئة وهي : طائفة ضالة يقولون بإرجاء العمل عن الإيمان أي : تأخيره عنه فليس العمل عندهم من الإيمان .

والإيمان عندهم : مجرد الإقرار بالقلب فالفاسق عندهم مؤمن كامل الإيمان وإن فعل ما فعل من المعاصي وترك ما ترك من الطاعات » [(٣)] .

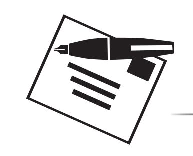
ومجمل مذهبهم أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة ولا شك في انحراف مذهبهم عن الجادة .

قوله :(**يُزْرِي**) أي : يعيب ويقدح .

قوله :(**عَلَى قَدَرِيِّهِمْ**) القدرية هم: نفاة القدر القائلون أن للعبد قدرة وإرادة مستقلين عن إرادة الله وقدرته وأول من أظهر القول به معبد الجهني في أواخر

---

(١) المرجع نفسه .
(٢) المرجع نفسه .
(٣) شرح لمعة ا لإعتقاد لابن عثيمين (ص١٣١) .



عصر الصحابة تلقاه عن رجل مجوسي في البصرة »[١] .

قوله :(**وَالْفِرْقَتَانِ**) أي :المرجئة والقدرية

قوله :(**لَدَيَّ**) أي : عندي ومعتقدي

قوله:(**كَافِرَتَانِ**) يظهر أن الناظم -رَحِمَهُ اللَّهُ- كفر القدرية و المرجئة الكفر المخرج من الملة من حيث الحكم العام ولا أخاله أنه أراد بهذا الحكم التفصيل الذي ينطبق على جميع أفراده إذ أن الحكم على المعين لا يكون إلا باستيفاء الشروط وانتفاء الموانع كما هو معلوم في عقيدة السلف ومن تبعهم من الخلف.

ومن موانع تكفير المعين:

١- الجهل .
٢- الخطأ .
٣- النسيان .
٤- التأويل .
٥- الاكراه .

دل على هذه الموانع القرآن والسُّنَّة قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ [البقرة:٢٨٦] ، وفي الحديث : « قال الله قد فعلت» ، وقال الله : ﴿ **إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ** ﴾ [النحل:١٠٦] .

وفي الحديث يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « رُفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

٥٤٢ وَيَسَبُّ مُخْتَارِيُّهُمْ دَوْرِيَّهُمْ وَالْقَرْمَطِيُّ مُلاَعِنُ الرُّفْضَانِ

قوله:(**وَيَسَبُّ**) أي: يقدح ويعيب .

---

(١) المرجع نفسه .



قوله:(**مُخْتَارِيُّهُمْ**) المختارية : أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي كان خارجيا »[(١)] ، ثم صار .

زبيريا [(٢)] ، ثم صار شيعيا [(٣)] ، وكيسانيا [(٤)] ، قال بإمامة محمد بن الحنفية بعد أمير المؤمنين علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وكان يظهر أنه من رجاله ودعاته خداعا وزخرفا وتبرأ منه الإمام محمد بن الحنفية-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

ومن مذهب المختار الباطل أنه : يجوز البداء على الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ومن معان البداء:

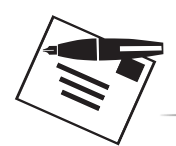
* البداء في العلم .
* البداء في الأمر .
* البداء في الإرادة [(٥)] .

قوله :(**دَوْرِيُّهُمْ**) الدورية : هم الفلاسفة المنكرون للصانع المعتقدون في كل ستة وثلاثين ألف سَنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه.

قال ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ- عند قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ **أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ** ﴿٣١﴾ ﴾ [يس:٣١] ، أي: ألم يتعظوا بمن أهلك الله قبلهم من المكذبين للرسل كيف لم تكن لهم إلى هذه الدنيا رجعة ولم يكن الأمر كما زعم كثير من جهلتهم وفجرتهم من قولهم :﴿ **إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ** ﴿٣٧﴾ ﴾ [المؤمنون:٣٧] وهم القائلون بالدور من

---

(١) خارجيا: نسبة إلى الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي وعلى معاوية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- .
(٢) زبيريا : نسبة إلى عبدالله بن الزبير-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- الذي قتل على يد الحجاج بن يوسف .
(٣) شيعيا : نسبة إلى الشيعة الذين يزعمون نصرة آل البيت كذبا وزورا ويسبون الصحابة ويكفرونهم ويكفرون أمهات المؤمنين .
(٤) كيسانيا : نسبة : إلى كيسان مولى أمير المؤمنين علي-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.
(٥) انظر الملل والنحل (ص ١٢٢) .



الدهرية وهم الذين يعتقدون جهلا منهم أنهم يعودون إلى الدنيا كما كانوا فيها» أ. هـ.

قوله :(**وَالْقَرْمَطِيُّ**) نسبة إلى القرامطة وهم فرقة من فرق الشيعة الفاطمية الباطنية وأشهرهم أربع طوائف القرامطة والدروز والاسماعيلية والنصيرية وهم من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون بنبوة زرادشت ومزدك ولهم تواجد كبير في دولة البحرين وعقيدتهم ظاهرها التشيع لعلي-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -ورفض إمامة الشيخين أبي بكر وعمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وباطنها الكفر المحض من ذلك: الدعوة إلى الالحاد وإنكار الله سبحانه و-تَبَارَكَ وَتَعَالَى- والكفر بالنبوات والدعوة إلى إبطال الشرائع وإنكار البعث والحساب وتأويل أركان الإسلام ونحو ذلك .

قوله :(**مُلاَعِنُ**) أي: يلعن واللعن : هو الطرد والإبعاد .

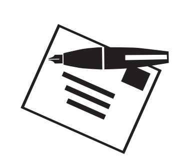
قوله :(**الرُّفْضَانِ**) أي : الرافضة الاثنا عشرية .

٥٤٣ وَيَعِيبُ كَرَّامِيُّهُمْ وَهْبِيُّهُمْ وَكِلاَهُمَا يَرْوِي عَنِ ابْنِ أَبَانِ

قوله :(**وَيَعِيبُ**) أي: ينتقص ويزدري .

قوله:(**كَرَّامِيُّهُمْ**) نسبة إلى الكرامية وهم :أصحاب أبي عبدالله محمد بن كرام وهو ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه .

ومذهبهم : أن العقل يحسن ويقبح قبل الشرع وفي الإيمان أنه إقرار باللسان فقط دون التصديق بالقلب ودون سائر الأعمال وفي الإمامة أنها تثبت بإجماع الأمة دون النص والتعيين وجواز عقد البيعة لإمامين وغرضهم إثبات إمامة



علي في المدينة والعراق وإمامة معاوية في الشام [١] .

وأن المنافق مؤمن وهو مخلد في النار لأنه آمن ظاهرًا لا باطنا ويدخل الجنة من آمن ظاهرًا وباطنًا [٢] .

قوله:(**وَهْبِيَّهُمْ**) نسبة إلى عبد الوهاب بن رستم إمام الإباضية بالمغرب حين ثار عليه أبو قدامة يزيد بن فندين [٣] .

قوله:(**وَكِلاَهُمَا**) أي : الكرامية والوهبية .

قوله:(**يَرْوِي عَنِ ابْنِ أَبَانِ**) إشارة إلى أبان بن سمعان اللاحقي فإبان وبنوه وأتباعه هم الذين أسسوا مذهب المعطلة وسائر الفرق وهو من شيوخ الجعد بن درهم مؤسس الجهمية فإن الجهم يروي عن الجعد بن درهم والجعد عن أبان وبنيه وأبان عن طالوت بن أخت لُبيب بن الأعصم اليهودي عن لبيد بن الأعصم اليهودي فهي سلسلة الكذب والدجل والكفر والإلحاد -والعياذ بالله- [٤] .

٥٤٤ لِحَجَاجِهِمْ شُبَهٌ تُخَالُ وَرَوْنَقٌ مِثْلُ السَّرَابِ يَلُوحُ لِلظَّمْآنِ

قوله :(**لِحَجَاجِهِمْ شُبَهٌ**) الحجاج بالكسر جمع حجة : وهي الدليل والبرهان.

والمراد : أن جدالهم مزخرف بالتلبيس والشبه وفي التنزيل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ، وفي السُّنَّة النبوية يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :

(١) انظر الملل والنحل (ص ٩٢-٩٧) .
(٢) القطوف الدواني (ص٥٩٩) الحاشية .
(٣) القطوف الدواني (ص٥٩٩) الحاشية .
(٤) القطوف الدواني (ص٦٠٠) .



«حج آدم موسى»[1] ، أي: خصمه وغلبه يقال: حاجه فحجه أي: غلبه بالحجة.

قوله: (**تَخَالُ**) أي: تظن.

قوله: (**وَرَوْنَقٌ**) أي: حسن وجمال.

قوله: (**مِثْلُ السَّرَابِ**) السراب هو: ما يرى في نصف النهار من اشتداد الحر كالماء في المفاوز يلصق بالأرض.

قوله: (**يَلُوحُ**) أي: يظهر

قوله: (**لِلظَّمْآنِ**) أي: للعطشان وفي التنزيل: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ ﴾ [النور: ٣٩]، وهكذا شبه الله المبطلين يحشونها بزخارف القول ويمررونها على ضعاف العلم والإيمان وحقيقتها أنها ليست على شيء من الدليل والتعليل حجج تهافت كالزجاج تخافها مثل السراب يلوح للضمآن

وقال آخر:

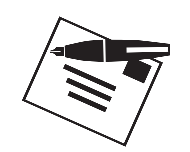
فِي زُخْرُفِ الْقَوْلِ تَزْيِينٌ لِبَاطِلِهِ وَالْحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرِ
تَقُولُ: هَذَا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ وَإِنْ ذَمَمْتَ تَقُلْ: قَيْءُ الزَّنَابِيرِ

٥٤٥ دَعْ أَشْعَرِيَّهُمُ وَمُعْتَزِلِيَّهُمْ يَتَنَاقَرُونَ تَنَاقُرَ الْغِرْبَانِ

قوله: (**دَعْ**) أي: اترك.

قوله: (**أَشْعَرِيَّهُمُ**) نسبة إلى الأشاعرة وهم أصحاب أبي الحسن الأشعري

(١) متفق عليه.



الذين هم على مذهبه قبل أن يرجع إلى معتقد أهل السُّنَّة .

وهم في الجملة لا يثبتون من الصفات إلا سبعا وهي: الحياة والعلم والقدرة والكلام والإرادة .

والسمع والبصر وقد جمعت في البيت التالي:

حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ وَالكَلامُ لَهُ   إِرَادَةٌ وَكَذَاكَ السَّمْعُ وَالبَصَرُ

ويؤولون بقية الصفات بتأويلات عقلية والأشاعرة يوافقون أهل السُّنَّة غالبا في أصول الإعتقاد عدا الصفات وبعض الأمور الأخرى .

وعلى الرغم من أن أبا الحسن الأشعري رجع إلى معتقد أهل السُّنَّة والجماعة إلا أن اعتقاده الأول لا زال متبوعا .

قوله :(**وَمُعْتَزِلِيِّهُمْ**) نسبة إلى المعتزلة وسموا بالمعتزلة لاعتزال رئيسهم ومؤسسهم واصل بن عطاء مجلس الإمام الحسن البصري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- .

ومن فساد معتقدهم : تعطيل الصفات كالجهمية وفي القدر قدرية ينكرون تعلق قضاء الله وقدره بأفعال العبد وفي فاعل الكبيرة (الفاسق) أنه في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر هذا في الدنيا أما في الآخرة فهم كالخوارج يحكمون بأنه مخلد في النار وتابعه على ذلك عمرو بن عبيد .

قوله :(**يَتَنَاقَرُونَ**) أي: أن الأشاعرة مع المعتزلة يتنازعون ويعيب بعضهم بعضا .

قوله :(**تَنَاقُرَ الْغِرْبَانِ**) أي: أشبه بالغربان في تنازعهم .

٥٤٦ كُلٌّ يَقِيسُ بِعَقْلِهِ سُبُلَ الهُدَى وَيَتِيهُ تَيْهَ الْـوَالِـهِ الهَـيْـمَانِ

قوله :(**كُلٌّ**) أي: من سبق ذكرهم آنفا من المعتزلة والأشاعرة والقرامطة ونحوهم.

قوله :(**يَقِيسُ بِعَقْلِهِ**) القياس لغة : المساواة .

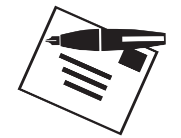
وفي اصطلاح الفقهاء: إلحاق فرع بأصل في حكم شرعي لعلة جامعة بينهما.

والمراد به هنا أصحاب التأويل الذين يعتمدون في تأويل النصوص الشرعية على أقيسة منطقية وأخرى فلسفية باطلة صنعتها عقولهم السقيمة فتاهوا وضاعوا وحاروا وهذا جزاء من تنكب صراط الله المستقيم ودينه القويم وذلك هو الخسران المبين.

قال الله :﴿ **فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ** ﴾ [آل عمران: ٧] ، فعن عائشة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- قالت : قال رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» (١) .

قوله(**سُبُلَ الهُدَى**) أي : طرق الهداية وهذا كما قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ **يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ** ﴾ [المائدة:١٦]، فسبل السلام هي طريق الهداية وإنما جمعت باعتبار تعدد طرقها واختلاف أنواعها كالعبادات القلبية والقولية والبدنية (الفعلية) والمالية وإن كانت بمجموعها تعد طريقا واحدا وهو طريق الله المستقيم وسبيله القويم قال ربنا الكريم ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ**

(١) رواه البخاري ومسلم .



﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام :١٥٣] ، وقال الله : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف :١٠٨] .

قوله:(**وَيَتِيهُ**) أي : يضل .

قوله :(**تَيْهَ الْوَالِهِ**) أي: الشديد الحيرة والاضطراب .

قوله :(**الْهَيَمانِ**) الذي لا يدري إلى أين يتجه وفي التنزيل ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ [الشعراء :٢٢٥] .

٥٤٧ فَـاللهُ يَجْـزِيهِـمْ بِـمَا هُـمْ أَهْلُهُ وَلَـهُ الثَّنَا مِـنْ قَـوْلِهِـمْ بَـرَّانِي

قوله :(**فَاللهُ يَجْزِيهِمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ**) أخذ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يدعوا على تلك الطوائف الضالة بلطيف العبارة حيث أحالهم على ربهم أن يجازيهم بما يستحقونه وبما شاء وهو العزيز الغفور .

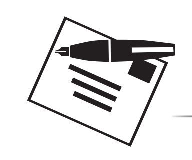
قوله:(**وَلَهُ الثَّنَا**) أي: لله الثناء المطلق بأسمائه وصفاته وأقداره الشرعية والكونية على نعمه الظاهرة والباطنة .

قوله :(**مِنْ قَوْلِهِمْ**) الذي قالوه في حق الله كذبا وزورا ، كالتمثيل والتعطيل والإلحاد والشرك والكفر والأقيسة الباطلة وما شابه ذلك من فساد المعتقد والمنهج .

قوله :(**بَرَّانِي**) أي : برأني وعافاني ونجاني مما وقع فيه أولئك الضلال .

٥٤٨ مَنْ قَاسَ شَرْعَ مُحَمَّدٍ في عَقْلِهِ قَذَفَتْ بِهِ الأَهْـوَاءُ في غَدْرَانِ

قوله:(**مَنْ قَاسَ شَرْعَ مُحَمَّدٍ في عَقْلِهِ**) أي: من قال في الشريعة التي جاء بها



محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- برأيه وعقله وهواه فقد هوى .

قوله:(**قَذَفَتْ بِهِ الأَهْوَاءُ**) أي: ألقت به الأهواء إلى مستنقع الشهوات والشبهات .

قوله:(**فِي غُدْرَانِ**)-بالضم- جمع غدير والغدير: القطعة من الماء يغادرها السيل .

وَآفَـةُ الْعَقْلِ الْهَـوَى فَمَنْ عَلاَ　　عَـلَى هَـوَاهُ عَقْلُهُ فَـقَـدْ نَجَا

٥٤٩ لاَ تَفْتَكِرْ فِي ذَاتِ رَبِّكَ وَاعْتَبِرْ　　فِيمَا بِـهِ يَـتَـصَرَّفُ الْمَـلَـوَانِ

قوله:(**لاَ تَفْتَكِرْ**) فكر بفتح الفاء وتشديد الكاف بالفتح وفتح الراء في الأمر فكرا أعمل العقل فيه وعليه: فالتفكير هو إعمال العقل .

قوله:(**فِي ذَاتِ رَبِّكَ**) ذات الشيء: نفسه وشخصه .

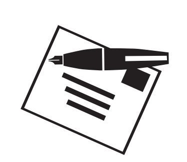
والمعنى: احذر إعمال العقل في ذات الله-تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بأن تسأل عن كيفيته وكيفية صفاته فإنه- جَلَّ وَعَلَا- لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام ولا يشبهه الأنام.

قال الله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠] .

وقال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وقال: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] .

ومن سلك غير سبيل المؤمنين في أسماء الله وصفاته فإنما هو في شقاق مبين ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [البقرة : ١٣٧] .



قوله:(وَاعْتَبِرْ) أي: قف وتأمل وادكر .

قوله:(فِيمَا بِهِ يَتَصَرَّفُ الْمَلَوَانِ) أي: في أحداث الليل والنهار ففيهما عبرة لمن اعتبر وآية لمن ادكر قال الله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] .

وروي أن أبا الدرداء- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -قال: تفكر ساعة خير من عبادة ليلة».

ولا شك أن من تأمل في هذا الكتاب الكوني الفسيح رسخ معتقده وقوي إيمانه فالسماء من رفعها؟ ومن بالكواكب زينها ؟الأرض من مهدها وبسطها وأرسا جبالها؟ وقال: ﴿ فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ [الملك: ١٥] الليل من حاك دجاه؟، الصبح من صاغ ضحاه؟، القمر من أتمه وأسراه؟، الصخر من فجر منه المياه؟، الهواء تحسه الأيدي ولا تراه من أخفاه؟، النخل من شق نواه؟، النحل بطونها تقاطرت شهدا من حلاه؟، اللبن من بين فرث ودم من صفاه؟، الثعبان يعيش والسم يملأ فاه من أحياه؟، الأعمى في وسط الزحام من يقود خطاه؟، البصير في الحفرة يحذرها من أهواه؟، المريض من بعد يؤس من عافاه؟، الصحيح من بالمنايا دهاه؟، الطبيب وقد كان يرجى بإذن ربه شفاه من أرداه؟ .

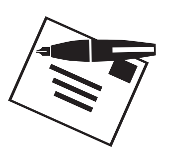
قل للطبيب تخطفته يد الردى ... من يا طبيب بطبه أرداكا؟!
قل للمريض نجا وعوفي بعد ما ... عجزت فنون الطب من عافاكا؟!
قل للصحيح يموت لا من علة ... من بالمنايا يا صحيح دهاكا؟!



قل للبصير وقد كان يحذر حفرة ... فهوى بها من ذا الذي أهواكا؟!
بل سائل الأعمى خطى بين الزحام ... بلا اصطدام من يقود خطاكا ؟!
وإذا ترى الثعبان ينفث سمه ... فاسأله من ذا بالسموم حشاكا؟!
واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو ... تحيا وهـذا السم يملأ فاكا ؟!
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت ... شهدا وقل للشهد من حلاكا ؟!
بل سائل اللبن المصفى كان بين ... فرث ودم من ذا الذي صفاكا؟!
وإذا رأيت النخل مشقوق النوى ... فاسأله من يا نخل شق نواكا؟!
وإذا ترى صخرا تفجر بالمياه ... فسله من بالماء شق صفاكا؟!
وإذا رأيت الليل يغشى داجيا ... فاسأله من يا ليل حاك دجاكا؟!
وإذا رأيت الصبح يسفر ضاحيا ... فاسأله من يا صبح صاغ ضحاكا؟!
هذي عجائب طالما أخذت بها ... عيناك أو أصغت لها أذناكا
والله في كل العجائب ماثل ... إلا تـــراه فـإنـه سـيراكـا

٥٥٠ وَاللهُ رَبِّي مَـا تُكَيَّفُ ذَاتُـهُ ... بِخَوَاطِرِ الأَوْهَـامِ وَالأَذْهَـانِ

قوله: (**وَاللهُ رَبِّي مَا تُكَيَّفُ ذَاتُهُ**) أي: أن الله ربي لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام ومن ولج باب التكييف لذاته أو صفاته فقد غوى قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-:



﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ [القصص :٥٠] .

قوله:(**بِخَوَاطِرِ**) جمع خاطر : وهو ما يخطر بالقلب من أمر .

قوله :(**الأَوْهَامِ**) جمع وهم وتوهمت الشيء : ظننته والمراد : أنه لا ينتهي إليه عقل .

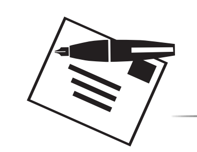
قوله:(**وَالأَذْهَانِ**) جمع ذهن بالكسر وهو : العقل والمراد: أنه لا ينتهي إليه عقل والله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لا يعلم كيف هو إلا هو وإنما نعرفه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بأسمائه وصفاته .

٥٥١ أَمْرِرْ أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ كَمَا أَتَتْ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ وَلاَ هَذَيَانِ

قوله:(**أَمْرِرْ أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ كَمَا أَتَتْ**) أي : الواجب علينا نحو نصوص الكتاب والسُّنَّة في باب الأسماء والصفات إبقاء دلالتها على ظاهرها من غير تغيير لأن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين والنبي -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إنما يتكلم باللسان العربي فوجب إبقاء دلالة كلام الله وكلام رسوله -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على ما هي عليه في ذلك اللسان ولأن تغييرها عن ظاهرها قول على الله بلا علم وهو حرام لقوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- :﴿ **قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣** ﴾ [الأعراف :٣٣] .

قوله :(**مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ**) التأويل : صرف الكلام عن ظاهره لمعنى آخر .

قوله :(**وَلاَ هَذَيَانِ**) اضطراب العقل لمرض أو غيره .



٥٥٢ هُوَ مَذْهَبُ الزُّهْرِي وَوَافَقَ مَالِكٌ   وَكِلاَهُمَا في شَرْعِنَا عَلَمَانِ

قوله:(**هُوَ**) ضمير غائب يعود على ما سبق ذكره من إثبات أسماء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وصفاته كما جاءت بها النصوص من غير تمثيل ولا تعطيل .

قوله :(**مَذْهَبُ**) المذهب هو : الطريقة والمعتقد الذي يذهب إليه .

قوله :(**الزُّهْرِي**) هو : محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري أول من دون الحديث وسمع عن بعض الصحابة تابعي مدني ومن الحفاظ الثقات ومن المكثرين في الحديث مع إتقان وفقه توفي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- سَنة (١٢٥هـ) [١] .

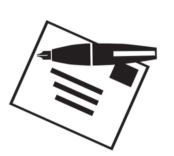
قوله :(**وَوَافَقَ مَالِكٌ**)أي : وافق هذا المعتقد الصحيح الإمام مالك بن أنس ابن مالك بن عامر الأصبحي أبو عبدالله الإمام الفقيه والمحدث الحافظ إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة ينسب إليه مذهب المالكية روى عن كثير من التابعين وروى عنه خلق كثير من المحدثين الحفاظ وكان في غاية الدقة والثقة في الحديث له مصنفات كثيرة أشهرها الموطأ توفي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- سَنة (١٧٩ هـ) وعمره (٨٥) سَنة [٢] .

قوله:(**وَكِلاَهُمَا**) أي: الزهري ومالك رحمهما الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- .

قوله:(**في شَرْعِنَا**) أي: في أبناء ديننا وشريعتنا الإسلامية .

قوله:(**عَلَمَانِ**) أي: جبلان عظيمان من أعلام الإسلام .

(١) حاشية اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٦٨) .
(٢) حاشية اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٦٩) الحاشية .



٥٥٣ لله وَجْــهٌ لاَ يُحَــدُّ بِـصُــورَةٍ وَلِـرَبِّـنَـا عَـيْـنَـانِ نَـاظِـرَتَـانِ

شرع -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في هذا البيت وأبيات بعده في إثبات بعض صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- .

قوله:(لله وَجْهٌ) الوجه صفة ثابتة لله بدلالة الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن :٢٧] .

وقال -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لسعد بن أبي وقاص-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها» (١) .

وأجمع السلف على اثبات الوجه لله كما يليق به -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- (٢) .

قوله:(لاَ يُحَدُّ بِصُورَةٍ) أي: لا يعرف بصورة مخلوق وعليه: فيجب اثباته لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

وقد فسره أهل التعطيل بالثواب ولا شك في بطلان قولهم وذلك لأن قولهم خلاف ظاهر النصوص وخلاف طريقة السلف وليس عليه دليل صحيح(٣) .

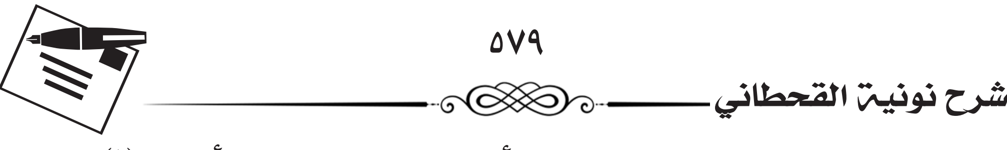
قوله:(وَلِرَبِّنَا عَيْنَانِ) العينان: ثابتتان لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بدلالة الكتاب والسُّنَّة والإجماع قال الله: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[الطور :٤٨] .

والمعنى: أن أعيننا معك نحفظك ونرعاك ونعتني بك . (٤)

وقد دل الحديث الصحيح عن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن لله عينين اثنتين

---

(١) متفق عليه .
(٢) شرح لمعة الاعتقاد (ص٢١) .
(٣) شرح لمعة الاعتقاد (ص٢١) .
(٤) شرح الواسطية (ص١٧٠) .



فقط حين وصف الدجال وقال: « إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور» (١).

وفي لفظ : « أعور العين اليمنى » (٢) .

وجه الدلالة : أنه لو كان لله أكثر من اثنتين لكان البيان به أوضح من البيان بالعور لأنه لو كان لله أكثر من عينين لقال : إن ربكم له أعين لأنه إذا كان له أعين أكثر من اثنتين صار وضوح أن الدجال ليس برب أبين (٣) .

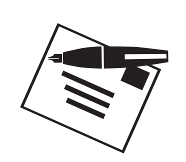
وقد أجمع السلف على ثبوت العينين لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- حكى ذلك أبو الحسن الأشعري وأبو بكر الباقلاني والأمر في هذا واضح .

وعليه فعقيدتنا التي ندين الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بها أن لله عينين تليقان بجلاله بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

وقد فسر أهل التعطيل والتحريف العين بالرؤية بدون عين ولا شك في بطلان قولهم وذلك لأن قولهم خلاف ظاهر اللفظ ومخالف لإجماع السلف ولا دليل على قولهم ولأننا إذا قلنا بأنها الرؤية ، وأثبت الله لنفسه عينا فلازم ذلك أنه يرى بتلك العين وحينئذ يكون في الآية دليل على أنها عين حقيقة (٤) .

قوله :(**نَاظِرَتَانِ**) الرؤية بالعينين صفة ثابتة لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- دل عليها القرآن والسُّنَّة والإجماع قال الله:﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه :٤٦] الخطاب لموسى وهارون عليهما السلام والمعنى : أسمع ما تقولان وأسمع ما يقال لكما وأراكما وأرى من أرسلتما إليه وأرى ما تفعلان وأرى ما يفعل بكما لأنه إما يساء إليهما بالقول أو بالفعل فإن كان بالقول فهومسموع وإن كان

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) شرح الواسطية (ص ١٧٠-١٧١) .
(٤) شرح الواسطية (ص ١٧٥) .



بالفعل فهو مرئي عند الله [١] .

وقال الله : ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [الشعراء :٢١٨-٢١٩] . والخطاب لمحمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، والرؤية هنا رؤية البصر .

والمعنى : أن الله يرى نبيه محمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حين يقوم للصلاة وحده وحين يتقلب في الصلاة مع الساجدين في صلاة الجماعة وفي الحديث الصحيح: « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك[٢] أي : يراك بعينيه رؤية حقيقية.

وأجمع السلف على ثبوت النظر لله -عَزَّ وَجَلَّ-.

وعليه : فيجب إثبات النظر لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- كما أثبته لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.

وقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم » [٣] .

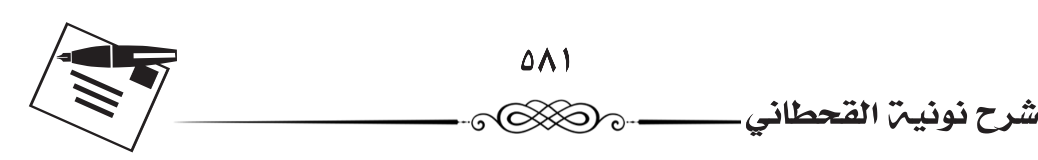
٥٥٤ وَلَهُ يَدَانِ كَمَا يَقُولُ إِلَهُنَا وَيَمِينُهُ جَلَّتْ عَنِ الأَيْمَانِ

قوله:(**وَلَهُ**) الهاء ضمير متصل يعود على الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بمعنى : ولله -جَلَّ وَعَلَا- .

قوله :(**يَدَانِ**) اليدان من صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- الثابتة له بالكتاب والسُّنَّة والإجماع ، قال الله : ﴿ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة:٦٤] .

---

(١) شرح الواسطية (ص ١٧٨) .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .



وقال -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :«يمين الله ملأى لا يغيظها نفقة سحاء الليل والنهار» إلى قوله : « بيده الأخرى القبض يرفع ويخفض» (١) .

وأجمع السلف على إثبات اليدين لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فيجب إثباتهما له بدون تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف (٢) .

وقد فسرهما أهل التعطيل بالنعمة أو القدرة ونحوها ولا شك في بطلان قولهم لأن قولهم خلاف ظاهر النصوص ومخالف لإجماع السلف ولا دليل على قولهم (٣) .

ولقد وردت صفة اليدين لله -عَزَّ وَجَلَّ- في كتاب الله مفردة كما في قوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ [الملك :١] ، ومثناة كما في قوله: ﴿ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[المائدة:٦٤] . ومجموعة كما في قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [يس :٧١] ، والتوفيق بينها أن نقول:

أن الوجه الأول : مفرد مضاف فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي الثنتين .

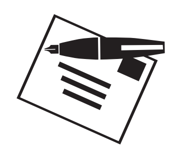
وأما الجمع : فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر وحينئذ لا ينافي التثنية على أنه قد قيل إن أقل الجمع اثنان

قوله :(**كَمَا يَقُولُ إِلَهُنَا**) أي : فيجب إثباتها لله كما أثبتها هو لنفسه وتفويض كيفيتها له -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- .

قوله :(**وَيَمِينُهُ**) أي : يمين الله.

---

(١) رواه مسلم ورواه البخاري بمعناه .
(٢) شرح لمعة الاعتقاد (ص٢٢) .
(٣) المرجع السابق .



قوله :(**جَلَّتْ عَنِ الأَيْـمَانِ**) أي : عظمت وتنزهت عن مشابهة أيمان المخلوقين.

٥٥٥ كِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ وَصْفُهَا وَهُمَـا عَلَى الثَّقَلَيْنِ مُنْفِقَتَانِ

قوله :(**كِلْتَا يَـدَيْ رَبِّي يَمِينٌ وَصْفُهَا**) أي : أن يديه -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- موصفتان بأنهما يمين فلا يقال في حقه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أن أحدهما شمال لقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «وكلتا يديه يمين » (١) .

قوله :(**وَهُمَا عَلَى الثَّقَلَيْنِ**) أي : على الجن والإنس

قوله :(**مُنْفِقَتَانِ**) لقوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «يد الله ملأى سحاء (كثير العطاء) الليل والنهار أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه » (٢) .

٥٥٦ كُرْسِيُّهُ وَسِعَ السَّمَواتِ الْعُلَى وَالأَرْضَ وَهْوَ يَعُمُّهُ الْقَدَمَانِ

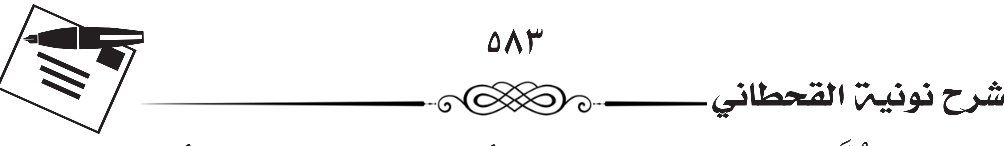
قوله :(**كُرْسِيُّهُ**) قال ابن عباس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- : « إنه موضع قدمي الله -عَزَّ وَجَلَّ- » (٣) .

وهذا الأثر له حكم الرفع لأنه من علم الغيب الذي لا مجال للرأي فيه ، وقد دل على كرسي الله القرآن والسُّنَّة الصحيحة .

فمن القرآن :﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[البقرة: ٢٥٥] .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) رواه أحمد وصححه الألباني في مختصر العلو (ص٤٥) .



ومن السُّنَّة قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « أن السماوات السبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض »[(١)] .

قوله :(**وَسِعَ السَّمَواتِ الْعُلَى وَالأَرْضَ**) يعني: أن كرسيه محيط بالسماوات والأرض وأكبر منهما لأنه لولا أنه أكبر ما وسعها [(٢)] وهذا يدل على عظمة خالقه وهو الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- .

قوله :(**وَهْوَ**) أي : الكرسي .

قوله :(**يَعْمُّهُ الْقَدَمَانِ**) ثبت ذكر القدمين في قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: « فأما النار فلا تمتلئ فيضع قدمه عليها فتقول قط قط فهنا لك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض »[(٣)] .

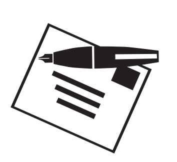
وقد مر بنا آنفا أثر ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- الصحيح أنه موضع قدمي الرحمن فنثبته لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- حقيقة كما أثبته لنفسه بدون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

٥٥٧ وَاللهُ يُضْحَكُ لاَ كَضِحْكِ عَبِيدِهْ وَالْكَيْفُ مُمْتَنِعٌ عَلَى الرَّحْمَنِ

قوله:(**وَاللهُ يَضْحَكُ**) الضحك : صفة من صفات الله الثابتة له بالسُّنَّة والإجماع يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر** يدخلان الجنة - وتمام الحديث - يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد »[(٤)] .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة والبيهقي من حديث أبي ذر وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٠٩) .
(٢) شرح الواسطية (ص٩٥) .
(٣) متفق عليه .
(٤) متفق عليه.



وأجمع السلف رحمهم الله على إثبات الضحك لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- [(١)] .

قوله:(**لاَ كَضِحْكِ عَبِيدِهْ**) أي: ليس كضحك عباده بل ضحك يليق بجلاله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، وفسره أهل التعطيل بالثواب ، ولا شك في بطلان قولهم لمخالفته لظاهر اللفظ ومخالفة إجماع السلف ولا دليل على قولهم .

قوله :(**وَالْكَيْفُ مُمْتَنِعٌ عَلَى الرَّحْمَنِ**) أي: ممتنع على وجه التحريم تكييف جميع صفات الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ويجب إبقاء دلالتها على ظاهرها من غير تكييف، والسؤال فيها بكيف؟ علامة أهل البدع .

٥٥٨ وَاللهُ يَـنْـزِلُ كُـلَّ آخِـرِ لَيْلَةٍ لِـسَـمَائِـهِ الدُّنْيَا بِـلاَ كِتْمَانِ

قوله :(**وَاللهُ يَنْزِلُ**) نزوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إلى سماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل من صفاته الثابتة له بالسُّنَّة وإجماع السلف .

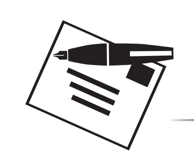
قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول:من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له» [(٢)] .

وأجمع السلف على ثبوت نزول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل وفسره أهل التعطيل بنزول أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته » [(٣)] .

ولا شك في بطلان قولهم لمخالفته ظاهر اللفظ ومخالفة إجماع السلف ولا دليل على قولهم .

---

(١) شرح لمعة الإعتقاد (ص ٢٨) .
(٢) متفق عليه.
(٣) شرح لمعة الإعتقاد (ص٢٧) .



قوله:(**كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ**) أي:أن نزوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- في الثلث الأخير من الليل، والليل يبدأ من غروب الشمس إتفاقا لكن الخلاف حصل بانتهائه هل يكون بطلوع الفجر؟ ، أو بطلوع الشمس؟ ، والظاهر أن الليل الشرعي ينتهي بطلوع الفجر ، والليل الفلكي ينتهي بطلوع الشمس .

قوله :(**لِسَمَائِهِ الدُّنْيَا**) أي : لسماء الدنيا المعروفة .

قوله :(**بِلاَ كِتْمَانِ**) أي : بلا إسرار ولا إخفاء .

٥٥٩ فَيَقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُجِيبَهُ فَأَنَا الْقَرِيبُ أُجِيبُ مَنْ نَادَانِي

قوله :(**فَيَقُولُ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُجِيبَهُ**) هذا كما ورد في الحديث القدسي الذي مر علينا في البيت السابق .

قوله :(**فَأَنَا الْقَرِيبُ أُجِيبُ مَنْ نَادَانِي**) وهذا كما قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

وعليه : فلنحرص على اغتنام تلك الخلوات من نفائس تلك الأوقات التي يتنزل فيها رب الأرض والسماوات عساها أن تفرج الكربات وتكشف المدلهمات وتقال العثرات وتجاب الدعوات .

٥٦٠ حَاشَا الإِلَـهَ بِأَنْ تُكَيَّفَ ذَاتُهُ فَالْكَيْفُ وَالتَّمْثِيلُ مُنْتَفِيَانِ

قوله:(**حَاشَا**) أي: تبرأ وتنزه سبحانه .

قوله:(**الإِلَهَ**) هو الذي ألهته القلوب محبة وتعظيماً وهو الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- .



قوله:(**بِأَنْ تُكَيَّفَ ذَاتُهُ**) أي: أن تكيف ذاته وصفاته .

قوله:(**فَالْكَيْفُ**) هو: ذكر الصفة غير مقيدة بمماثل .

قوله:(**وَالتَّمْثِيلُ**) ذكر الصفة مقيدة بمماثل .

(فكل ممثل مكيف وليس لكل مكيف ممثل) فالتكييف أعم من التمثيل .

قوله:(**مُنْتَفِيَانِ**) أي: ممتنعان في حق الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- والدليل في امتناع التكييف قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] .

٥٦١ وَالأَصْـلُ أَنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ تَعَالَى الرَّبُّ ذُو الإِحْسَانِ

قوله:(**وَالأَصْلُ**) أي: أن من أصول أهل السُّنَّة والجماعة في باب الصفات أن الله ليس كمثله شيء .

قوله:(**أَنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**) في ذاته ولا في صفاته قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] .

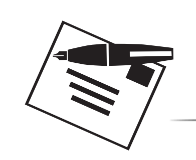
قوله:(**تَعَالَى**) أي: ترفع عن مشابهة أو مماثلة المخلوقين .

قوله:(**الرَّبُّ**) اسم من أسمائه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الدال على ربوبيته المتضمن لإلاهيته ومعناه: تربيته لخلقه بنعمه وتنشئته لهم شيئًا فشيئًا وتربيته لأوليائه بما يصلح قلوبهم، وعليه فربوبية الله لخلقه على قسمين:

١-ربوبية عامة: لجميع خلقه بإنعامه عليهم بالرزق والخلق والملك والعافية .

٢- ربوبية خاصة: لأوليائه بالهداية والصلاح والتوفيق .

قوله:(**ذُو الإِحْسَانِ**) أي: صاحب الإحسان .



٥٦٢ وَحَدِيثُهُ الْقُرْآنُ وَهْوَ كَلَامُهُ   صَوْتٌ وَحَرْفٌ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

سبق بيان ذلك في الأبيات السابقة برقم (١ ، ٣٨ ، ٦٦) .

٥٦٣ لَسْنَا نُشَبِّهُ رَبَّنَا بِعِبَادِهِ   رَبٌّ وَعَبْدٌ كَيْفَ يَشْتَبِهَانِ

قوله:(**لَسْنَا نُشَبِّهُ رَبَّنَا بِعِبَادِهِ**) أي: أننا نعتقد عقيدة راسخة في القلوب عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ليس له شبيه في ذاته أو صفاته وأن تشبيه الله بأحد خلقه محرم شرعا مرفوض عقلا مذموما فطرة قال الله:﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[الشورى: ١١].

قوله:(**رَبٌّ وَعَبْدٌ كَيْفَ يَشْتَبِهَانِ**) رب: كامل الذات والصفات غني بذاته لا يفتقر لأحد من مخلوقاته وجميعها مفتقرة إليه .

وعبد: ناقص الذات والصفات مفتقر لخالقه في جميع احواله .

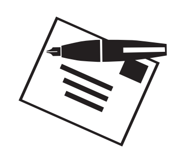
فكيف يشتبهان؟ وهذا التباين معلوم بالضرورة ذاتا وصفة .

٥٦٤ فَالصَّوْتُ لَيْسَ بِمُوجِبٍ تَجْسِيمَهُ   إِذْ كَانَتِ الصِّفَتَانِ تَخْتَلِفَانِ

قوله:(**فَالصَّوْتُ لَيْسَ بِمُوجِبٍ تَجْسِيمَهُ**) تقرر لدينا سلفا عقيدة راسخة تباين الخالق والمخلوق ذاتا وصفة .

ومر علينا أن الله يتكلم بصوت مسموع فلا يستلزم ولا يستقيم تجسيم صوته -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أي: تشبيهه بأصوات المخلوقين .

بل هو متكلم- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بصوت بائن من خلقه وكما يليق بجلاله وكماله.



قوله:(**إِذْ كَانَتِ الصِّفَتَانِ تَخْتَلِفَانِ**) أي: ما دمنا وقد آمنا إيمانا جازما بتباين صفات الله وصفات عبده .

٥٦٥ حَرَكَاتُ أَلْسُنِنَا وَصَوْتُ حُلُوقِنَا مَخْلُوقَةٌ وَجَمِيعُ ذَلِكَ فَانِي

قوله:(**حَرَكَاتُ أَلْسُنِنَا وَصَوْتُ حُلُوقِنَا**) أي: أن حركات اللسان وصوت الحلق بقراءة القرآن مخلوقة لله -تَبَارَكَوَتَعَالَى- أما القرآن فهو كلام الله المنزل غير مخلوق وهذا هو ما كان يقوله بعض السلف: صوتي بالقرآن مخلوق .

قوله:(**وَجَمِيعُ ذَلِكَ**) أي: ما ذكر من حركات الألسن وصوت الحلق .

قوله:(**فَانِي**) أي: زائل .

٥٦٦ وَكَمَا يَقُولُ اللهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ حَيًّا وَلَيْسَ كَسَائِرِ الْحَيَوَانِ

قوله:(**وَكَمَا يَقُولُ اللهُ رَبِّي**) أي: ونؤمن إيمانا صادقا بما قاله الله عن نفسه بأنه الحي الموصوف بالحياة الكاملة الدائمة التي لم يسبقها فوت ولم يلحقها موت .

قوله:(**لَمْ يَزَلْ حَيًّا**) الحياة: صفة ذاتية له-عَزَّوَجَلَّ-لم يزل ولا يزال متصفا بها .

قال -تَبَارَكَوَتَعَالَى- : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾[البقرة: ٢٥٥] .

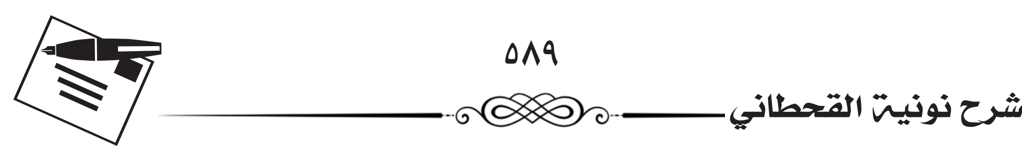
وقال: ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ ﴾ [طه : ١١١] .

وفي الحديث يقول-صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-:«إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام» (١) .

قال الإمام الطحاوي -رَحِمَهُٱللَّهُ- :«حي لا يموت قيوم لا ينام... » .

---

(١) رواه مسلم .



قال ابن أبي العز عند شرحه لهذه العبارة: «....واعلم أن هذين الإسمين أعني: الحي القيوم مذكوران في القرآن معا في ثلاث سور كما تقدم وهي من أعظم أسماء الله الحسنى حتى قيل: أنهما الاسم الأعظم... إلى أن قال: فعلى هذين الاسمين مدار الأسماء الحسنى كلها وإليهما ترجع معانيها...» (١) .

قوله:(**وَلَيْسَ كَسَائِرِ الْحَيَوَانِ**) أي: أن حياة الباري -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لا تشابه المخلوقين فحياته -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ذاتية له لم يزل ولا يزال متصفا بها لم يسبقها فوت ولم يلحقها موت بينما حياة المخلوقات حياة ناقصة يسبقها عدم ويلحقها موت وهو قيوم على خلقه ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ -نعاس- وَلَا نَوْمٌ ﴾ بينما قيام خلقه يعتريه نقص من نعاس ونوم وذهول ونسيان ونحوه .

٥٦٧ وَحَيَاةُ رَبِّي لَمْ تَـزَلْ صِفَةً لَهُ   سُبْحَانَهُ مِنْ كَامِلٍ ذِي الشَّانِ

قوله :(**وَحَيَاةُ رَبِّي لَمْ تَزَلْ صِفَةً لَهُ**) سبق تقرير ذلك أن صفة الحياة لله صفة ذاتية، **حيث أن صفات الله على قسمين:**

١- صفات ثبوتية: وهي التي أثبتها لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كالحياة والعلم والقدرة والإرادة ونحوها .

٢- صفة سلبية: وهي التي نفاها عن نفسه كالظلم والموت والنوم ونحوها من الصفات التي تدل على عدم الكمال .

والصفات الثبوتية على قسمين :

١- صفات ذاتية : وهي الصفات التي لم يزل ولا يزال متصفا بها كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر ونحوها .

---

(١) شرح الطحاوية (ص ٦٢-٦٣) .



٢- صفات فعلية: وهي الصفات التي يفعلها -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- متى شاء كالنزول والاستواء والمجيء والغضب والضحك ونحوها .

قوله :(**سُبْحَانَهُ**) أي : تنزه وتقدس عن النقائص والعيوب .

قوله :(**مِنْ كَامِلٍ**) صفاته -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- صفات كمال ومدح لا نقص فيها بوجه من الوجوه .

قوله:(**ذِي الشَّانِ**) أي: صاحب الأمر قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- :﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن :٢٩] .

قال السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : «...وهذه الشؤون هي تقاديره وتدابيره التي قدرها في الأزل وقضاها لا يزال -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يمضيها وينفذها في أوقاتها التي اقتضتها حكمته وهي أحكامه الدينية التي هي الأمر والنهي والقدرية التي يجريها على عباده مدة مقامهم في هذه الدار... »(١) .

٥٦٨ وَكَـذَاكَ صَوْتُ إِلَهِنَا وَنِـدَاؤُهُ حَقًّا أَتَـى فِي مُحْكَمِ الْـقُـرْآنِ

قوله :(**وَكَذَاكَ صَوْتُ إِلَهِنَا وَنِدَاؤُهُ حَقًّا**) أي : يقينا جازما أن كلامه ونداءه بصوت ليس له مثل ولا شبيه .

قوله :(**أَتَى فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ**) أي : ثبت ذلك في القرآن المحكم .

أما كونه -عَزَّوَجَلَّ- متكلما فقوله-تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤].

وأما كونه -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- مناديا فقوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ [مريم : ٥٢].

---

(١) تفسير السعدي للآية .

وأما كون كلامه ونداؤه بصوت فقوله :﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ۝٥٢ ﴾ [مريم : ٥٢].

فالنداء والمناجاة لا تكون إلا بصوت .

وفي الحديث عن عبدالله بن أنيس –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –أن النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: « يحشر الله الخلائق فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان» [١] .

٥٦٩ وَحَيَاتُنَا بِحَرَارَةٍ وَبُرُودَةٍ وَاللهُ لاَ يُعْزَى لَهُ هَذَانِ

قوله:(**وَحَيَاتُنَا بِحَرَارَةٍ وَبُرُودَةٍ**) أي: أن حياتنا على الحرارة الممزوجة بالبرودة فلا تستقيم الحياة بواحدة منهما دون الأخرى .

قوله:(**وَاللهُ لاَ يُعْزَى لَهُ**) أي : لا ينسب إليه .

قوله:(**هَذَانِ**) أي : الحرارة والبرودة فهو –عَزَّ وَجَلَّ– حي بذاته لا يفتقر في حياته إلى شيء من مخلوقاته وكل ما سواه مفتقر إليه ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥ ﴾[فاطر:١٥] .

٥٧٠ وَقِوَامُهَا بِرُطُوبَةٍ وَيُبُوسَةٍ ضِدَّانِ أَزْوَاجٌ هُمَا ضِدَّانِ

قوله :(**وَقِوَامُهَا**) أي: الشيء الذي تقوم عليه حياة الإنسان .

قوله:(**بِرُطُوبَةٍ**) الرطوبة : الندى والبلل يقال : رطب،رطوبة، رطابة: ندي وابتل .

---

(١) رواه البخاري معلقا وأحمد وأبو يعلى في مسنديهما .



قوله :(**وَيُبُوسَةٍ**) اليبوسة : الجفاف يقال :يبس يبسا ،ويبوسة : جف بعد رطوبة .

هذه الأربع هي التي تقوم عليه حياة الإنسان أو أي مخلوق آخر والتي تسمى بالطبائع الأربع التي بها اعتدال الصحة : الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة .

قوله :(**ضِدَّانِ أَزْوَاجٌ هُمَا ضِدَّانِ**) أي : متقابلان وهذه طبيعة الحياة الدنيا لا تستقر على حال بل حالها الجمع بين المتضادات ليل ونهار رطوبة ويبوسة حرارة وبرودة جوع وشبع غنى وفقر عز وذل قوة وضعف صحة وسقم اجتماع وفرقة وهكذا فلا يمكن أن تسير هذه الحياة على نمط واحد البتة .

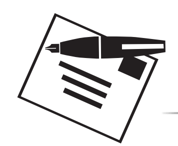
ثَمَانِيَةٌ تَجرِي عَلَى النَّاسِ كُلِّهِم وَلا بُدَّ لِلإِنسَانِ يَلقَى الثَّمَانِيَهْ
سُرُورٌ وَحُـزنٌ وَاجتِمَاعٌ وَفُرقَةٌ وَيُـسرٌ وَعُـسرٌ ثُمَّ سُقمٌ وَعَافِيَه

٥٧١ سُبْحَانَ رَبِّي عَنْ صِفَاتِ عِبَادِهِ أَوْ أَنْ يَكُونَ مُرَكَّبًا جَسَدَانِ

قوله:(**سُبْحَانَ رَبِّي عَنْ صِفَاتِ عِبَادِهِ**) أي : تنزه ربنا وتقدس و-تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بصفاته العلا الكاملة عن صفات عباده المعيبة الناقصة .

قوله:(**أَوْ أَنْ يَكُونَ مُرَكَّبًا جَسَدَانِ**) لعله أراد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- تنزيه البارئ سبحانه عن مشابهة المخلوق في تركيبه من جسد وروح لا نفي الأسماء والصفات -والله أعلم- .

وواجبنا تنزيه الله عن كل صفة نقص وعيب قال الله : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الصافات :١٨٠] .



٥٧٢ إِنِّي أَقُـولُ فَأَنْصِتُوا لِمَقَالَتِي ... يَا مَعْشَرَ الخُلَطَاءِ وَالإِخْـوَانِ

قوله:(**إِنِّي أَقُولُ فَأَنْصِتُوا لِمَقَالَتِي**) أي :اصغوا واسمعوا وعَوا قولي هذا .

قوله:(**يَا مَعْشَرَ**) المعشر: كل جماعة أمرهم واحد وفي التنزيل ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ ﴾[الرحمن :٣٣] .

قوله:(**الخُلَطَاءِ**) الشركاء قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ ﴾ [ص : ٢٤] .

قوله :(**وَالإِخْوَانِ**) هم : من يجمعك بهم نسب أو سبب كالرضاع والدين والصنعة ونحوها .

٥٧٣ إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي المَصَاحِفِ مُثْبَتٌ ... بِأَنَامِلِ الأَشْيَـاخِ وَالشُّبَّانِ

قوله :(**إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي المَصَاحِفِ مُثْبَتٌ**) المعنى : أن ما هو مرسوم في المصاحف من مخطوط أو مطبوع .

قوله :(**بِأَنَامِلِ**) الأنامل : جمع أنملة وهي: عقدة الأصبع الذي فيه الظفر .

قوله :(**الأَشْيَاخِ**) جمع شيخ وهو من أدرك الشيخوخة وهي غالبا عند الخمسين وهو فوق الكهل ودون الهرم .

قوله :(**وَالشُّبَّانِ**) جمع شاب وهو من وصل إلى سن البلوغ ودون الكهل .

والمعنى الإجمالي : أن ما ثبت رسمه في المصاحف بأيدي الأشياخ والشباب من المسلمين هو كلام الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ولذا قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :



٥٧٤ هُـوَ قَـوْلُ رَبِّي آيُـهُ وَحُـرُوفُـهُ   وَمِـدَادُنَـا وَالـرَّقُّ مَخْلُوقَانِ

قوله :(هُوَ) أي : القرآن الكريم .

قوله :(قَوْلُ رَبِّي آيُهُ وَحُرُوفُهُ) أي : كلامه آياته وحروفه .

قوله :(وَمِدَادُنَا) المداد : هو السائل الذي يكتب به .

قوله :(وَالرَّقُّ) أي: ما يكتب عليه من الرقاع والجلود والأوراق والقراطيس ونحوها .

قوله :(مَخْلُوقَانِ) أي : المداد والأوراق .

٥٧٥ مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ ضِدَّ مَقَالَتِي   فَالْعَنْهُ كُـلَّ إِقَـامَـةٍ وَأَذَانِ

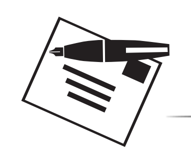
قوله:(مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ ضِدَّ مَقَالَتِي) يعني: من قال في القرآن خلاف قولي من أنه كلام ربي آيه وحروفه منزل غير مخلوق، وأن مداده وأوراقه مخلوقتان لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- .

قوله:(فَالْعَنْهُ كُلَّ إِقَامَةٍ وَأَذَانِ) أي: استمر في لعنه عند كل أذان وإقامة للصلاة كونه معتقدا عقيدة مخالفة لعقيدة السلف الصالح .

واللعن هو: الطرد والإبعاد من رحمة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- .

٥٧٦ هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ وَالصُّدُورِ حَقِيقَةً   أَيْـقِـنْ بِـذَلِـكَ أَيَّـمَا إِيـقَـانِ

قوله:(هُوَ) أي: القرآن الكريم .



قوله:(**فِي الْمَصَاحِفِ**) جمع مصحف والمصحف: مجموع من الصحف في مجلد وغلب استعماله في القرآن الكريم .

فهو مرسوم في الصحف .

قوله:(**وَالصُّدُورِ**)والصدور(جمع صدر والصدر: مقدم كل شيء وصدر الإنسان: الجزء الممتد من أسفل العنق إلى فضاء الجوف .

فهو محفوظ في الصدور .

قوله:(**حَقِيقَةً**) الحقيقة: الشيء الثابت يقينا والمراد: أن القرآن الكريم واقع حقيقة في المصاحف تدوينا وفي الصدور حفظا .

قوله:(**أَيْقِنْ بِذَلِكَ**) أي: اعتقد وآمن بذلك .

قوله:(**أَيَّمَا إِيقَانِ**) أي: يقينا جازمًا لا يخالطه شك ولا يمازجه ريب .

٥٧٧ وَكَذَا الْحُرُوفُ الْمُسْتَقِرُّ حِسَابُهَا   عِشْرُونَ حَرْفًا بَعْدَهُنَّ ثَمَانِي

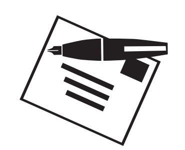
قوله :(**وَكَذَا الْحُرُوفُ الْمُسْتَقِرُّ حِسَابُهَا**) أي: وقد استقر حساب الحروف الهجائية العربية وعدها.

قوله:(**عِشْرُونَ حَرْفًا بَعْدَهُنَّ ثَمَانِي**) أي: بثمانية وعشرين حرفا .

٥٧٨ هِيَ مِنْ كَلامِ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ   حَقًّا وَهُنَّ أُصُولُ كُلِّ بَيَانِ

قوله:(**هِيَ**) أي: الحروف الهجائية العربية .

قوله:(**مِنْ كَلامِ اللهِ**) المعنى: أن القرآن الكريم مؤلف من الأحرف الهجائية



العربية لا يخرج عنها ، قال الله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥] .

قوله:(**جَلَّ جَلالُهُ**) أي: عظم في ذاته وأسمائه وصفاته وأمره الشرعي والكوني .

قوله:(**حَقًّا**) لا ريب في ذلك .

قوله :(**وَهُنَّ**) أي: الأحرف الهجائية .

قوله:(**أُصُولُ**) الأصول: جمع أصل وهو: ما يبنى عليه غيره كأصل الجدار وأصل الشجرة .

قوله:(**كُلِّ بَيَانِ**) البيان: الحجة والمنطق الفصيح .

والمراد: أن الكلام العربي مؤلف من تلك الأحرف العربية .

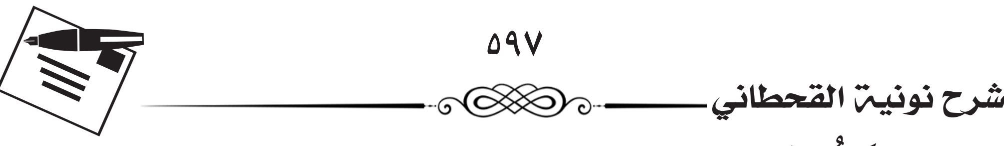
٥٧٩ حَاءٌ وَمِيمٌ قَوْلُ رَبِّي وَحْدَهُ   مِنْ غَيْرِ أَنْصَارٍ وَلاَ أَعْوَانِ

قوله:(**حَاءٌ وَمِيمٌ**) المراد: أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- استفتح بعض سور القرآن بهذين الحرفين « حم » .

كما هي في سورة « فصلت ، وغافر ، والشورى ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف» .

وفي ذلك إشارة إلى أن القرآن الكريم معجزة في بيانه حيث أنه يتألف من تلك الأحرف الهجائية التي أعجزت البلغاء وأعيت الفصحاء .

فإن كان كما يقولون أنه كلام بشر فليأتوا بحديث مثله بل بعشر سور مثله بل بسورة من مثله إن كانوا صادقين وهم عن ذلك مسبوقين .



قوله:(**قَوْلُ رَبِّي وَحْدَهُ**) أي: أن القرآن الكريم كلام ربي وحده لا شريك له في ذلك ولا عوين وتلك الأحرف المقطعة التي افتتحت بها بعض سور القرآن من ضمن كلام الله المنزل الذي تحدى به الثقلان .

قوله:(**مِنْ غَيْرِ أَنْصَارٍ وَلاَ أَعْوَانِ**) أي: أن الله غني بذاته عن جميع مخلوقاته فلا يحتاج إلى نصير ينصره ولا إلى عوين يعينه .

٥٨٠ مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ مَا قَدْ قَالَهُ عَبْدُ الْجَلِيلِ وَشِيعَةُ اللِّحْيَانِ

قوله:(**مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ**) يشير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- إلى بعض من قال إن القرآن ليس كلام الله من الجهمية ومن تفرع عنهم أمثال : رجل يقال له عبدالجليل [1] ، وآخر اشتهر بلقبه اللحياني [2] ، ولذا قال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :

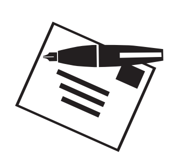
قوله:(**مَا قَدْ قَالَهُ عَبْدُ الْجَلِيلِ وَشِيعَةُ اللِّحْيَانِ**) أي: أن من حكى في القرآن ما حكاه عبد الجليل واللحياني سواء كانت حكاية مقرونة بالاعتقاد او مفارقة للإعتقاد ولو مجرد قوله فإن هذين ومن تقدمهما ومن تأخر عنهما ممن هو على شاكلتهما كلهم قد ضل سواء السبيل في صفة الكلام لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- .

وشيعة اللحيان: أي: أنصاره وأتباعه .

٥٨١ فَقَدِ افْتَرَى كَذِبًا وَإِثْمًا وَاقْتَدَى بِكِلاَبِ كَلْبِ مَعَرَّةِ النُّعْمَانِ

قوله:(**فَقَدِ افْتَرَى كَذِبًا وَإِثْمًا**) أي: من قال في القرآن بمقالة من سبق ذكره في البيت السابق فقد اختلق الكذب وقال بالإثم .

(١) ولا أعلم عنه شيء لكن يفهم من البيت أنه كان منحرفا في هذا الباب .
(٢) وهكذا يقال في اللحياني كما قيل في عبد الجليل .



قوله:(**وَاقْتَدَى**) أي: شابه وتأسى .

قوله:(**بِكِلاَبِ كَلْبِ مَعَرَّةِ النُّعْمَانِ**) معرة النعمان: بلدة بين حماة وحلب اجتاز به النعمان بن بشير -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا- فدفن به ولدا فأضيف إليه .

والمراد: بكلب معرة النعمان أبو العلاء المعري سيأتي بيانه قريبًا بإذن الله .

٥٨٢ خَالَطتُّهُمْ حِينًا فَلَوْ عَاشَرْتُهُمْ　　　لَضَرَبْتُهُمْ بِصَوَارِمِي وَلِسَانِي

قوله:(**خَالَطتُّهُمْ حِينًا**) ي: شاركتهم وقتا من الدهر ولعله يشير إلى مخالطته إياهم زمنا يسيرا ، بدلالة قوله: فلو عاشرتهم .

إذ أن معنى الحين: وقت من الدهر مبهم طال أو قصر .

قوله:(**فَلَوْ عَاشَرْتُهُمْ**) أي: صحبتهم وخالطتهم طويلا .

قوله:(**لَضَرَبْتُهُمْ بِصَوَارِمِي**) الصوارم: جمع صارم وهو السيف القاطع .

قوله:(**وَلِسَانِي**) أي: هجوتهم بلساني .

٥٨٣ تَعِسَ الْعَمِيُّ أَبُو الْعَلاَءِ فَإِنَّهُ　　　قَدْ كَانَ مَجْمُوعًا لَهُ الْعَمَيَانِ

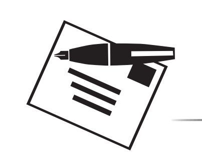
قوله:(**تَعِسَ**) أي: هلك .

قوله:(**الْعَمِيُّ**) أي: الأعمى . وهو: من فقد بصره .

قوله:(**أَبُو الْعَلاَءِ**) وهو: أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المعري عاش في زمن دولة بني عباس وتوفي سَنة (٤٤٩ هـ) فاقد البصر والبصيرة فيلسوف ملحد معروف بإلحاده وزندقته وإغراقه في الفلسفة [١] ، وإنكاره لكلام الله

---

(١) انظر تأريخ بغداد (٤/ ٢٤٠) .



-تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- واعتقاده أن القرآن مخلوق بل هو الذي يهزأ بأحكام القرآن في مثل قوله:

يَدٌ بِخَمْسِ مِئِين عَسْجَدٍ وُدِيَتْ ما بالُها قُطِعَتْ في رُبُعِ دِينارِ؟
تَناقُضٌ ما لَنا إلّا السُّكُوتُ لَهُ ونَسْتَجِيرُ بِمَوْلانا مِن النَّارِ

فهو يعترض في هذين البيتين على حكم الله في قطع يد السارق فيقول قاتله الله هذه اليد التي ديتها خمسمائة دينار من ذهب كيف تقطع إذا سرق صاحبها ما يساوي ربع دينار فيقول معترضًا على حكم الله أن هذا من التناقض في شريعة الله .

فرد عليه بعض الصالحين :

قُلْ لِلْمَعَرِّيِّ عارٌ أيُّما عارِ جَهْلُ الفَتى وهْوَ عَنْ ثَوْبِ التُّقى عارِ
يَدٌ بِخَمْسِ مِئي مِن عَسْجَدٍ وُدِيَتْ لَكِنَّها قُطِعَتْ في رُبْعِ دِينارِ
حِمايَةُ الدَّمِ أغْلاها وأرْخَصَها خِيانَةُ المالِ فانْظُرْ حِكْمَةَ البارِي

ومن إلحاده أيضا قوله:

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلْقَاهُ مَرْزُوْقًا
هَذَا الَذِيْ تَرَكَ الْأَوْهَامَ حَائِرَةً وَصَيَّرَ الْعَالِمَ النِحْرِيْرَ زِنْدِيْقًا

يشير قاتله الله في هاتين البيتين إلى أن طلب العلم الشرعي وسلوك السبيل القويم طريقا للفقر وسببا للذل والهوان وأن الجهل والإنحراف سببا للرزق



الموفور فكأنه يعترض على الله كيف أهان من سلك سبيله وأكرم من تنكب دينه ولذا قال :

هَذَا الَذِيْ تَرَكَ الْأَوْهَـامَ حَائِرَةً وَصَـيَّرَ الْعَالِمَ النِحْرِيْرَ زِنْدِيْقًا

وهذا المخذول يجهل ما قاله ربنا في كتابه : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ﴾[الفجر : ١٥-١٧] ، أي : ليس - الأمر كما تقولون .

قوله:(**فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ مَجْمُوعًا لَهُ الْعَمَيَانِ**) أي: عمى البصر وعمى البصيرة فلا عين ترى المبنى] ولا قلب يفقه المعنى قال الله: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ** ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف : ١٧٩] .

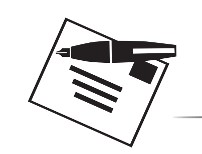
٥٨٤ وَلَقَدْ نَظَمْتُ قَصِيدَتَيْنِ بِهَجْوِهِ أَبْـيَـاتُ كُـلِّ قَصِيدَةٍ مِئَتَانِ

قوله :(**وَلَقَدْ نَظَمْتُ**) نظم الأشياء نظما : ألفها وضم بعضها إلى بعض ونظم الشعر ألف كلاما موزونا مقفى وهو خلاف النثر .

قوله :(**قَصِيدَتَيْنِ**) مثنى قصيدة والقصيدة من الشعر العربي سبعة أبيات فأكثر .

قوله :(**بِهَجْوِهِ**) أي : بذمه .

قوله :(**أَبْيَاتُ كُلِّ قَصِيدَةٍ مِئَتَانِ**) المراد: أني عملت على نظم قصيدتين في هجاء أبي العلاء المعري الذي سبق ذكره مجموع أبياتها أربعمائة بيت والبيت الواحد ما يحتوي على شطر وعجز .



٥٨٥ وَالآنَ أَهْجُو الأَشْعَرِيَّ وَحِزْبَهُ وَأُذِيـعُ مَا كَتَمُوا مِنَ الْبُهْتَانِ

قوله :(**وَالآنَ**) أي :حاليا .

قوله:(**أَهْجُو الأَشْعَرِيَّ**) يعني به أبي الحسن الأشعري -رَحِمَهُ اللَّهُ- ومن المعلوم أن أبا الحسن الأشعري -رَحِمَهُ اللَّهُ- قد عدل عن مذهبه وبرئ منه وختم الله له بالعودة إلى مذهب أهل السُّنَّة والجماعة وقد نص على ذلك في آخر كتبه)الإبانة (بأنه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ اللَّهُ- ويعتذر للناظم -رَحِمَهُ اللَّهُ- في هجوه لأبي الحسن أنه لعله لم يبلغه عدوله عن مذهبه في باب الصفات إلى مذهب أهل السُّنَّة والجماعة

وبالتالي : فلا يوافق الناظم على هجوه وشدته على أبي الحسن رحمهما الله .

قوله:(**وَحِزْبَهُ**)وحزبه(أي: أنصاره وأتباعه .

قوله:(**وَأُذِيعُ**) أي: أبث وأنشر .

قوله:(**مَا كَتَمُوا**) أي: ما أضمروه ولم يظهروه .

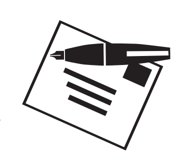
قوله:(**مِنَ الْبُهْتَانِ**)أي: من الكذب المفترى.

وفي الحديث يقول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :« الغيبة ذكرك أخاك بما يكره قالوا: أرأيت يا رسول الله إن كان فيه ما نقول؟ قال:« إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فقد بهته»[(١)].

يريد بذلك : فضح ما عليه الأشعرية من المخالفات في باب الصفات .

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .



٥٨٦ يَا مَعْشَرَ المُتَكَلِّمِينَ عَدَوْتُمُ عُدْوَانَ أَهْلِ السَّبْتِ فِي الحِيتَانِ

قوله:(**يَا مَعْشَرَ**) المعشر: كل جماعة أمرهم واحد .

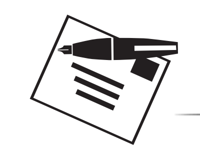
قوله:(**المُتَكَلِّمِينَ**) لعله يريد بهم هنا -والله أعلم- الأشعرية لأنه توعد في البيت السابق هجاء الأشعري أبي الحسن -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- [١] وأتباعه ويدخل فيه أهل الكلام غيرهم من الفلاسفة والمتكلمين دخولا أوليا لأنهم لم يفيدوا علما لم يكن معروفا وإنما أتو بزيادة كلام قد لا يفيد وهو ما يضربونه من القياس لإيضاح ما علم بالحس» [٢] .

فحصل عند أهل الكلام من التخبيط والتضليل أكثر من الكشف والتعريف ولقد انتهى بهم الأمر إلى الحيرة والاضطراب وذلك جزاء كل من عدل عن الكتاب والسُّنَّة إلى علم الكلام المذموم ، ومن تأمل في كلام من خاضوا هذا البحر الفلسفي الأجاج ، وهم ينصحون من بعدهم بعدم الخوض فيما خاضوه كالرازي والشهرستاني والجويني وغيرهم ، لوجد في كلامهم عبرة وعظة لمن ادكر [٣] .

قوله:(**عَدَوْتُمُ**) أي: جاوزتم الحد في الظلم وذلك بأن اعتديتم على النقل بالعقل وعلى الأثر الصحيح بالرأي والذوق والقياس والحدس القبيح .

قوله:(**عُدْوَانَ أَهْلِ السَّبْتِ فِي الحِيتَانِ**) وهذا ما ذكره الله في كتابه بقوله: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ

(١) وأبو الحسن الأشعري قد رجع عن مذهبه إلى مذهب أهل السُّنَّة والجماعة كما بينا آنفا .
(٢) شرح الطحاوية (ص ١٤٣) .
(٣) سبق الإشارة إلى بعض ذلك في شرح البيت رقم (٥٤٠) .



﴿ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأعراف:١٦٣].

وقصتهم أن الله ابتلى أهل هذه القرية بأن تأتيهم الأسماك يوم السبت ظاهرة على وجه البحر قريبة المأخذ يسهل صيدها وفي سائر الأيام لا تأتي ولا يقدرون عليها وصيد يوم السبت محرم عليهم فاحتالوا وذلك بأن وضعوا لها الشباك يوم الجمعة فوقعت فيها يوم السبت فأخذوها يوم الأحد.

والناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- شبه حيل وشبه وفلسفة أهل الكلام بعدوانهم على النصوص والآثار الصحيحة بعدوان أهل السبت على محارم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

٥٨٧ كَفَّرْتُمُ أَهْلَ الشَّرِيعَةِ وَالْهُدَى وَطَعَنْتُمُ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ

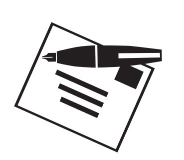
قوله:(**كَفَّرْتُمُ**) أي: حكمتم بالكفر ظلما وعدوانا.

قوله:(**أَهْلَ الشَّرِيعَةِ وَالْهُدَى**) أي: أهل شريعة الإسلام والمراد بهم هنا أهل السُّنَّة والجماعة.

قوله:(**وَطَعَنْتُمُ**) أي: قدحتم وعبتم.

قوله:(**بِالْبَغْيِ**) أي: بتجاوز الحد في ظلم وجور أهل السُّنَّة والجماعة.

قوله:(**وَالْعُدْوَانِ**) أي: بتجاوز الحد في الاعتداء عليهم ورميهم بكل قبيح كالقول بأنهم مجسمة ونواصب قديما ولا زال ومن الطعونات الزائدة في أهل السُّنَّة اليوم قولهم فيهم بأنهم جامدون تقليديون نصيون لا يفقهون واقعهم أهل قشور غلاة إرهابيون ونحو ذلك.



٥٨٨ فَلأَنْصُرَنَّ الحُقَّ حَتَّى أَنَّنِي   أَسْطُو عَلَى سَادَاتِكُمْ بِطِعَانِي

قوله:(فَلأَنْصُرَنَّ) هذا قسم مقدر تقديره: والله لأنصرن .

قوله:(الْحَقَّ) هو: الإسلام الذي شرعه الله لعباده وكلفهم به وبعث لأجله الرسل .

قوله:(حَتَّى أَنَّنِي أَسْطُو) أي: أصول وأجول وأقهر وأذل .

قوله:(عَلَى سَادَاتِكُمْ) أي : رؤوسكم وأشرافكم .

قوله :(بِطِعَانِي) أي : أطعن في باطلهم بالحق وأكشف زيغ شبههم بالعلم وأدفع شركهم بالتوحيد ، وأقمع بدعتهم بالسُّنَّة .

٥٨٩ اللهُ صَيَّرَنِي عَصَا مُوسَى لَكُمْ   حَتَّى تَلَقَّفَ إِفْكَكُمْ ثُعْبَانِي

قوله :(اللهُ صَيَّرَنِي) أي : جعلني .

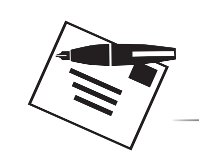
قوله :(عَصَا مُوسَى لَكُمْ) أي : بمثابة عصا موسى التي أبطلت كيد سحرة فرعون.

قوله :(حَتَّى تَلَقَّفَ) أي : تبتلع وتلتقم وتلتهم بسرعة فائقة.

قوله :(إِفْكَكُمْ) أي : كذبكم وبهتانكم وشبهكم.

قوله :(ثُعْبَانِي) أي : حجتي وبرهاني.

فشبه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- العلم الذي اجتباه ربه بعصا موسى وشبه شبه القوم بكيد سحرة فرعون ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾[طه:٦٩] .



٥٩٠ بِأَدِلَّةِ الْقُرْآنِ أُبْطِلُ سِحْرَكُمْ   وَبِـهِ أُزَلْـزِلُ كُلَّ مَنْ لاَقَـانِي

قوله :(بِأَدِلَّةِ الْقُرْآنِ) أي : بحجج القرآن وبراهينه.

قوله :(أُبْطِلُ سِحْرَكُمْ) أي : أدحض وأدمر وأحطم بريق شبهكم وزخارف أقوالكم.

قوله :(وَبِهِ) الها ضمير متصل يعود على القرآن الكريم.

قوله :(أُزَلْزِلُ كُلَّ مَنْ لاَقَانِي) أي: أزحزح وأهز بشدة جميع من واجهني في عقيدتي ومنهجي فإذا هو موليا دبره مصروع مهزوم .

٥٩١ هُوَ مَلْجَئِي هُوَ مَدْرَئِي هُوَ مُنْجِنِي   مِنْ كَيْدِ كُلِّ مُنَافِقٍ خَـوَّانِ

قوله :(هُوَ) ضمير يراد به الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

قوله :(مَلْجَئِي) أي : من أستند إليه وأعتضد به .

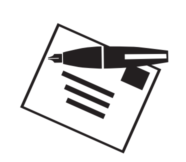
قوله :(هُوَ مَدْرَئِي) أي: من أدفع به عن نفسي شر كل ذي شر .

قوله :(هُوَ مُنْجِنِي أي : مخلصني .

قوله :(مِنْ كَيْدِ) أي : من خداع ومكر .

قوله :(كُلِّ مُنَافِقٍ) المنافق : من يظهر الإسلام ويبطن الكفر .

قوله :(خَوَّانِ) أي: كثير الغدر والخيانة ومنه قول الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحج :٣٨] .



٥٩٢ إِنْ حَلَّ مَذْهَبُكُمْ بِأَرْضٍ أَجْدَبَتْ أَوْ أَصْبَحَتْ قَفْرًا بِلاَ عُمْرَانِ

قوله :(**إِنْ حَلَّ**) بمعن: نزل .

قوله :(**مَذْهَبُكُمْ**) أي : طريقكم ومعتقدكم الأشعري الباطل الذي ذهبتم إليه .

قوله :(**بِأَرْضٍ أَجْدَبَتْ**) أي : يبست وأقحطت لفساد مذهبكم .

قوله :(**أَوْ**) تفيد هنا العطف بمعنى الواو)أجدبت وأصبحت قفرًا .

قوله :(**أَصْبَحَتْ قَفْرًا بِلاَ عُمْرَانِ**) أي : غدت أرضا خالية من السكان والعمران .

٥٩٣ وَاللهُ صَيَّرَنِي عَلَيْكُمْ نِقْمَةً وَلِهَتْكِ سِتْرِ جَمِيعِكُمْ أَبْقَانِي

قوله :(**وَاللهُ صَيَّرَنِي**) أي : جعلني .

قوله :(**عَلَيْكُمْ**) يريد الأشعرية .

قوله :(**نِقْمَةً**) أي : عقوبة .

قوله :(**وَلِهَتْكِ سِتْرِ جَمِيعِكُمْ**) أي: فضح وإزالة ما تستترون به من عذوبة اللفظ وحلاوة المنطق وزخارف الأقوال والأعمال وذلك بالأدلة الناصعة والبراهين الواضحة التي تدحض شبهكم التي لطالما خطفتم به قلوب كثير من الضعفاء .

قوله :(**أَبْقَانِي**) أي : أمد في عمري .



٥٩٤ أَنَا فِي حُلُوْقِ جَمِيعِهِمْ عُودُ الْحَشَا أَعْيَى أَطِبَّتَكُمْ غُمُوضُ مَكَانِي

قوله :(**أَنَا فِي حُلُوْقِ جَمِيعِهِمْ**) أي : الأشعرية وهكذا قد غص به –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– حلوق جميع أهل الأهواء والبدع .

قوله :(**عُودُ الْحَشَا**) أي : عودا يابسا تشرق به الحلوق .

قوله :(**أَعْيَى**) أي :أعجز وأجهد وأتعب ومنه قول الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ– : ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٥﴾﴾[ق : ١٥] .

قوله :(**أَطِبَّتَكُمْ**) جمع طبيب والمراد هنا حذاقكم ورؤوسكم وأسيادكم

قوله :(**غُمُوضُ مَكَانِي**) أي: خفاء مكاني ومراده –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– أن الله تكفل بحفظه ورعايته بعينه وآخذ أبصارهم عنه .

٥٩٥ أَنَا حَيَّةُ الْوَادِي أَنَا أَسَدُ الشَّرَى أَنَ مُرْهَفٌ مَاضِي الْغِرَارِ يَمَانِي

قوله :(**أَنَا حَيَّةُ الْوَادِي**) شبه نفسه –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– بأنه للخصوم من المبتدعة كحية الوادي التي ترقي ولا يبرأ من سمها .

قوله :(**أَنَا أَسَدُ الشَّرَى**) وهذا تشبيه آخر بأنه لخصومة المبتدعة كأسد الشرى ، والشرى: جبيل بتهامة كثير السباع.

قوله :(**أَنَ مُرْهَفٌ**) شبه نفسه –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– بالسيف المرقق الذي لا يسلم عدوه منه في الوقت الذي يعد لين الطبع والعريكة مع إخوانه أهل السُّنَّة والجماعة.

قوله :(**مَاضِي**) أي: نافذ.



قوله :(الْغِرَارِ) - بالكسر - حد السيف .

قوله :(يَمَانِي) أي: سيف من سيوف اليمن المشهورة في نفوذها وفتكها بالعدو.

٥٩٦ بَيْنَ ابْنِ حَنْبَلَ وَابْنِ إِسْمَاعِيلِكُمْ سَخَطٌ يُذِيقُكُمُ الْحَمِيمَ الآنِ

قوله :(بَيْنَ ابْنِ حَنْبَلَ) المراد به: الإمام أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني أبو عبد الله ولد سَنة (١٦٤هـ) ببغداد وطلب العلم وهو صغير ورحل في طلبه إلى سائر الأقطار وعرف بإمام أهل السُّنَّة والجماعة عبر التاريخ .

وهو -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- إمام المذهب الحنبلي في الفقه وله مواقف شهيرة أشهرها وقوفه أمام بدعة القول بخلق القرآن توفي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- سَنة (٢٤١) .

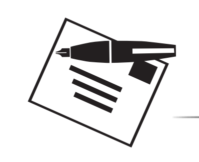
قوله:(وَابْنِ إِسْمَاعِيلِكُمْ) يحتمل به أحد رجلين:

١- علي بن إسماعيل المشهور بأبي الحسن الأشعري الذي تنتسب إليه الأشعرية وقد سبق التنبيه أنه عدل عن مذهبه السابق ورجع إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ويعتذر للناظم أنه لم يبلغه تراجعه

٢-اسماعيل ابن جعفر الصادق الذي نسبت إليه الإسماعيلية ومن أشهر القابها الباطنية والقرامطة والمزدكية .

وتعد الإسماعيلية من أخبث فرق الرفض ومذهبهم ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض دعاة إلحاد وكفر بالنبوات وإنكار للبعث والحساب ونفاة للصفات ومعطلة للذات .

والاحتمال الأول أقوى لأنه توعد في البيت رقم (٥٨٥) بقوله: والآن



أهجو الأشعري وحزبه.... فيكون هذا تابعًا له -والله أعلم- .

قوله:(**سَخَطٌ**) أي: كراهة وغضب .

قوله:(**يُذِيقُكُمُ الْحَمِيمَ**) أي: الماء الحار .

قوله:(**الآنِ**) أي: الذي قد انتهى حره وبلغ غايته ومنتهاه في الحرارة والغليان والمعنى العام: أن ابن حنبل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يسقيكم مما يحمله من التوحيد الخالص والسُّنَّة النقية ما به تشرق حلوقكم وتقض مضاجعكم كما يسقى الكافر يوم القيامة في نار جهنم من الحميم الآن .

٥٩٧ دَارَيْتُمُ عِلْمَ الْكَلَامِ تَشَزُّرًا وَالْفِقْهُ لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِ يَدَانِ

قوله:(**دَارَيْتُمُ**) أي: لاينتم ولا طفتم .

قوله:(**عِلْمَ الْكَلَامِ**) المراد: علم الفلسفة والسفسطة والجدل وتقديم العقل على النقل ، ورد الأثر بالرأي والذوق .

قوله:(**تَشَزُّرًا**) أي: غضبا .

قوله:(**وَالْفِقْهُ**) لغة: الفهم ومنه قول الله: ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝٢٨ ﴾ [طه: ٢٧-٢٨] أي : يفهموا كلامي .

وقول الله: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ [هود: ٩١] أي: ما نفهم .

وشرعا: العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية .

والمراد به - هنا - الفقه في لسان الشرع .

قوله:(**لَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِ يَدَانِ**) أي: ليس لكم فيه يد بيضاء لبعدكم عن النصوص الصريحة والآثار الصحيحة. ولكم يد طولى وسابقة أولى في الآراء



والأقيسة الفاسدة .

٥٩٨ الْفِقْهُ مُفْتَقِرٌ لِخَمْسِ دَعَائِمٍ لَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهَا لَكُمْ ثِنْتَانِ

قوله:(**الْفِقْهُ**) أي: الفقه الشرعي .

قوله:(**مُفْتَقِرٌ**) أي: محتاج .

قوله:(**لِخَمْسِ دَعَائِمٍ**) أي: لخمس أعمدة وأصول يستند عليها وقد ذكرها في البيت التالي .

قوله:(**لَمْ يَجْتَمِعْ مِنْهَا لَكُمْ ثِنْتَانِ**) أي: لم تظفروا باثنتين منها .

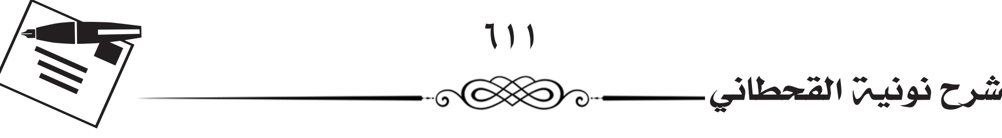
٥٩٩ حِلْمٌ وَإِتْبَاعٌ لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ وَتُقًى وَكَفُّ أَذًى وَفَهْمُ مَعَانِ

قوله:(**حِلْمٌ**) هذا هو الأصل الأول: الحلم بالكسر الأناة وضبط النفس فالحلم عن من جهل عليك أو أساء في حقك خلق حميد من أجل الأخلاق إن لم يكن سيدها .

قوله:(**وَإِتْبَاعٌ لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ**) وهذا هو الأصل الثاني: المتابعة لرسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- وذلك كائن بلزوم سنته عليه الصلاة والسلام وعدم الحيدة عنها لا إفراطًا ولا تفريطًا .

قال الله:﴿ **قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١** ﴾[آل عمران :٣١] .

قوله:(**وَتُقًى**) وهذا هو الأصل الثالث: تقوى الله -تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ- ومراقبته ظاهرًا وباطنًا وذلك كائن بفعل ما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر كل ذلك



على نور من الله وابتغاء مرضاته فذلك هو عنوان التوفيق، وللفقه أصل وطريق قال الله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

قوله:(**وَكَفُّ أَذًى**) وهذا هو الأصل الرابع: كف الأذى عن المسلمين قولًا وفعلا قال الله:﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٨] .

وقال –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:« المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» (١) .

قوله:(**وَفَهْمُ مَعَانٍ**) وهذا هو الأصل الخامس: فهم أحكام الشريعة وأسرارها وسبر أغوارها ، وفقه التنزيل على الإجمال أو التفصيل ونحو ذلك مما يتعلق بالفقه الشرعي.

هذه هي دعائم الفقه وأصوله ولا يمنع هذا من دعائم وأصول أخرى .

٦٠٠ آثَرْتُمُ الدُّنْيَا عَلَى أَدْيَانِكُمْ   لاَ خَيْرَ فِي دُنْيَا بِلاَ أَدْيَانِ

قوله:(**آثَرْتُمُ**) أي: قدمتم .

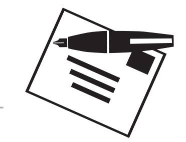
قوله:(**الدُّنْيَا**) أي: شهواتها الفانية وملذاتها الزائلة .

قوله:(**عَلَى أَدْيَانِكُمْ**) أي: على أوامر الله ونواهيه التي جاءت في كتابه أو على لسان رسوله –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– والتي بها سعادة الدارين .

فالعقلاء لا يبيعون الباقي النفيس بالفاني الخسيس بل هذا دأب السفهاء الذين قال الله فيهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[البقرة :١٦] .

---

(١) رواه النسائي والترمذي وقال عنه حسن صحيح .



قوله:(**لاَ خَيْرَ فِي دُنْيَا بِلاَ أَدْيَانِ**) أي: وربي إنه لحق ليس هناك ثمت خير في عيش خال عن دين الله وشرعه القويم الذي يكفل سعادة الدارين فمن عاش بلا دين فهو كسارحة النعم بل أضل سبيلا .

٦٠١ وَفَتَحْتُمُ أَفْوَاهَكُمْ وَبُطُونَكُمْ فَبَلَعْتُمُ الدُّنْيَا بِغَيْرِ تَوَانِ

قوله:(**وَفَتَحْتُمُ أَفْوَاهَكُمْ وَبُطُونَكُمْ**) وذلك بركونكم إلى الدنيا وميلكم إلى شهواتها .

قوله:(**فَبَلَعْتُمُ الدُّنْيَا**) أي: نلتم المأرب وحصلتم على المطلب وما حصلتموه إنما هي شهوات تنقضي عما قريب أشبه بحلم نائم أو ظل زائل .

أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظِلٍّ زَائِلٍ إِنَّ اللَّبِيبَ بِمِثْلِهَا لَا يُخْدَعُ

قوله:(**بِغَيْرِ تَوَانِ**) أي: من دون تأخر وكسل .

ولا شك أن المسارعة نحو هذه الدنيا والركض فيها خلاف المأمور به شرعا إذ أن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أمر في أمر الآخرة بالمسارعة والمسابقة والتنافس والسعي.

فقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨] .

وقال: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٣٣] .

وقال: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ ﴾ [المطففين: ٢٣] .

وقال: ﴿ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ٩]، وقال: ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ ﴾ [الإسراء: ١٩].

وفي أمر الدنيا حث على الإقلال ، ورغب في الزهد ،وعبر بالمشي الهادئ.

فقال: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء: ٧٧] .

وقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ [القصص: ٧٧] .

وقال: ﴿ فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [الملك: ١٥] .

وعليه: فالتواني في أمر الآخرة والركض وراء الدنيا عكس للمأمور به شرعا عافانا الله .

٦٠٢ كَذَّبْتُمُ أَقْوَالَكُمْ بِفِعَالِكُمْ وَحَمَلْتُمُ الدُّنْيَا عَلَى الأَدْيَـانِ

قوله: (**كَذَّبْتُمُ أَقْوَالَكُمْ بِفِعَالِكُمْ**) وذلك بعدم مطابقة الأفعال للأقوال حتى غدت أقوالكم عارية عن الصحة .

ومن ذلك مثلا التزهيد في الدنيا والحث على التقلل منها قولًا والملموس فعلا أنكم أكثر من يجمع ويمنع ويلعب ويرتع .

قوله: (**وَحَمَلْتُمُ الدُّنْيَا عَلَى الأَدْيَانِ**) وذلك بميلكم إلى الدنيا ورغبتكم عن الدين .

٦٠٣ قُرَّاؤُكُمْ قَدْ أَشْبَهُوا فُقَهَاءَكُمْ فِئَتَانِ لِلرَّحْمَنِ عَاصِيَتَانِ

قوله: (**قُرَّاؤُكُمْ**) المراد بهم: من يقرؤون القرآن ويتلون آياته ولا يفقهونه أو لا يعملون به مع فقههم له .

قوله: (**قَدْ أَشْبَهُوا**) [قد] إذا جاءت مع الفعل الماضي فإنها تفيد التحقيق ، والشبيه هو: المماثل والمناظر .



قوله:(**فُقَهَاءَكُمْ**) المراد بهم -هنا- من يفقهون الدين علما ويفقدونه عملا .

قوله:(**فِئَتَانِ**) أي: جماعتان وطائفتان .

قوله:(**لِلرَّحْمَنِ عَاصِيَتَانِ**) أي: عاصيتان لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- بسبب ما تقدم من إهمالهم للقرآن فقها وعملًا مع تلاوتهم له وإهمالهم للشرع عملا مع علمهم به وهؤلاء ينطبق عليهم قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- :﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف:٣].

٦٠٤ يَتَكَالَبَانِ عَلَى الْحَرَامِ وَأَهْلِهِ فِعْلَ الْكِلَابِ بِجِيفَةِ اللُّحْمَانِ

قوله:(**يَتَكَالَبَانِ**) أي: يتواثبان ويتنافسان .

قوله:(**عَلَى الْحَرَامِ**) أي: على قول الحرام وفعله ووسائله وأسبابه وسبله .

قوله:(**وَأَهْلِهِ**) أي: مرتكبيه فهم أخدانهم وجلاسهم .

قوله:(**فِعْلَ الْكِلَابِ بِجِيفَةِ اللُّحْمَانِ**) أي: أشبه بوثوب الكلاب على الميتة .

٦٠٥ يَا أَشْعَرِيَّةُ هَلْ شَعَرْتُمْ أَنَّنِي رَمَدُ الْعُيُونِ وَحِكَّةُ الأَجْفَانِ

قوله:(**يَا أَشْعَرِيَّةُ**) سبق ذكرهم في البيت رقم (٥٤٥) .

قوله:(**هَلْ شَعَرْتُمْ أَنَّنِي**) أي: هل أحسستم وعلمتم بأني لكم داء كالرمد .

قوله:(**رَمَدُ الْعُيُونِ**) ما يصيب العين من الهيجان والانتفاخ .

قوله:(**وَحِكَّةُ الأَجْفَانِ**) أي: وأشبه لكم بالحكة التي تصيب الأجفان .

والأجفان: جمع جفن وهو: غطاء العين من أعلاها وأسفلها .



٦٠٦ أَنَا فِي كُبُودِ الأَشْعَرِيَّةِ قَرْحَةٌ   أَرْبُـو فَأَقْتُلُ كُلَّ مَنْ يَشْنَانِي

قوله:(**أَنَا فِي كُبُودِ الأَشْعَرِيَّةِ قَرْحَةٌ**) يصف الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أنه للأشعرية بمثابة القرحة في الكبد .

والقرحة: عبارة عن جرح يدمي ويسيل .

والتقرح في الكبد داء دوي وعاقبته الهلكة .

قوله: (**أَرْبُو**) أي: أزيد وأنمو .

قوله:(**فَأَقْتُلُ كُلَّ مَنْ يَشْنَانِي**) أي: يبغضني .

مراده -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أنه لفلاسفة الأشعرية سهم مسدد في كبودهم بكشف أقنعتهم ودحض شبههم ، وأنه كلما أتت الأيام زاد في فضحهم بذلك أقض مضاجعهم .

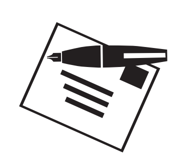
٦٠٧ وَلَقَدْ بَرَزْتُ إِلَى كِبَارِ شُيُوخِكُمْ   فَصَرَفْتُ مِنْهُمْ كُلَّ مَنْ نَاوَانِي

قوله:(**وَلَقَدْ بَرَزْتُ إِلَى كِبَارِ شُيُوخِكُمْ**) أي: ظهرت على أئمتكم وعلمائكم طالبا منهم المناظرة وإبداء ما عندهم من الشبه والعلل والحجج .

قوله:(**فَصَرَفْتُ مِنْهُمْ**) فرددت ودفعت ما عندهم من الفلسفة والشبه بالحجج القاطعة والبراهين الناصعة .

قال الله: ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ١٨ ﴾ [الأنبياء:١٨].

قوله:(**كُلَّ مَنْ نَاوَانِي**) أي: من عاداني ونازعني وحاجني .



٦٠٨ وَقَلَبْتُ أَرْضَ حِجَاجِهِمْ وَنَثَرْتُهَا   فَوَجَدتُّهَا قَـوْلاً بِـلاَ بُرْهَانِ

قوله:(**وَقَلَبْتُ**) أي: حولت وبدلت .

قوله:(**أَرْضَ حِجَاجِهِمْ**) الحجاج: جمع حجة وهي: الدليل والبرهان .

ولا شك أن المتكلمين ليس لهم حجة ولا برهان سوى جدل عقيم وفلسفة طائلة .

قوله:(**وَنَثَرْتُهَا**) أي: فرقتها وفصلتها .

قوله:(**فَوَجَدتُّهَا قَوْلاً بِلاَ بُرْهَانِ**) حقًا ما قاله -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- إن المتكلمين لا يمتلكون أدنى حجة صحيحة سوى ضرب من الفلسفة والسفسطة التي لا تقوم على دليل ولا تعليل .

٦٠٩ وَاللهُ أَيَّـدَنِي وَثَـبَّـتَ حُجَّتِي   وَاللهُ مِـنْ شُبُهَاتِهِمْ نَجَّانِي

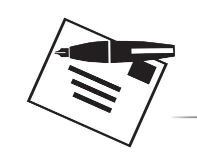
قوله:(**وَاللهُ أَيَّدَنِي**) أي: قواني وآزرني .

قوله:(**وَثَبَّتَ حُجَّتِي**) أي: مكنني من الدليل والبرهان .

قوله:(**وَاللهُ مِنْ شُبُهَاتِهِمْ**) الشبهة: الالتباس في الأمر وأهلها يلبسون الباطل لباس الحق كي يستميلوا به قلوب الخلق .

ومن أوصافهم أنهم يتبعون ما تشابه من القرآن والسُّنَّة ابتغاء الفتنة في الدين قال الله:﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ٧] . وبذلك يحصل اللبس في الدين على الخلق.

وأهل الإيمان يردون ما تشابه منه إلى المحكم قال الله: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ



يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران: ٧] .

قوله:(نَجَّانِي) أي: خلصني وعافاني .

٦١٠ وَالْحَمْدُ للهِ الْمُهَيْمِنِ دَائِمًا حَمْدًا يُلَقِّحُ فِطْنَتِي وَجَنَانِي

قوله:(وَالْحَمْدُ لله) الحمد: ذكر المحمود بصفات الكمال محبة وتعظيماً .

و[أل] من الحمد تفيد استغراق جميع انواع المحامد فهو المحمود حمدًا مطلقًا في ذاته وأسمائه وصفاته وأقداره الشرعية والكونية .

واللام من: لله: تفيد الاستحقاق فهو المستحق لمطلق الحمد .

قوله:(الْمُهَيْمِنِ) الشهيد على عباده بأعمالهم الرقيب عليهم .

قوله:(دَائِمًا) أي: حمدًا دائما مستمرًا بلا انقطاع .

قوله:(حَمْدًا) مفعولًا مطلقًا يفيد توكيد الحمد واستمراره .

قوله:(يُلَقِّحُ) أي: ينقح ويهذب .

وله:(فِطْنَتِي) أي: ذهني .

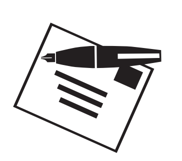
قوله:(وَجَنَانِي) أي: قلبي .

٦١١ أَحَسِبْتُمُ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي مِمَّنْ يُقَعْقَعُ خَلْفَهُ بِشِنَانِ

قوله:(أَحَسِبْتُمُ) أي: أظننتم .

قوله:(يَا أَشْعَرِيَّةُ) سبق ذكرهم في البيت رقم (٥٤٥).

قوله:(أَنَّنِي مِمَّنْ يُقَعْقَعُ خَلْفَهُ) أي: يخدع ويروع .



وقعقع الشيء: أي: أحدث صوتا عند التحريك .

قوله:(**بِشِنَانِ**) جمع شن وهو: قربة الماء الصغيرة البالية .

يقال: ما يقعقع له بالشنان مثل: يضرب لمن لا يتضع لحوادث الدهر .

٦١٢ أَفَتُسْتَرُ الشَّمْسُ المُضِيئَةُ بِالسُّهَا   أَمْ هَلْ يُقَاسُ الْبَحْرُ بِالْخُلْجَانِ

قوله:(**أَفَتُسْتَرُ الشَّمْسُ المُضِيئَةُ**) أي: هل يصح ويستقيم عقلا وواقعا أن تختفي الشمس القاهرة بضيائها .

قوله:(**بِالسُّهَا**)-بضم وتشديد السين المهملة- وهو الكوكب الخفي الخافت الذي يمتحن الناس به أبصارهم ؟، وفي المثل (أريها السها وتريني القمر) كلا هذا مما لا يصح ولا يستقيم .

وأراد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بالشمس: نور الدليل والبرهان .

وبالسها: فلسفة أهل الكلام .

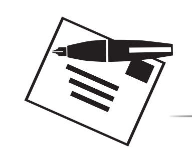
قوله:(**أَمْ هَلْ يُقَاسُ الْبَحْرُ بِالْخُلْجَانِ**) يعني: وهل يمكن أن يقاس ويقارن البحر العظيم الممتد ماؤه بالخليج من الماء الممتد في اليابس أو النهير يقتطع من النهر الكبير إلى جهة ما للإنتفاع به؟ .

وأراد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :«بالبحر» علم الكتاب والسُّنَّة الصحيحة .

وبالخليج: علم الفلسفة والكلام .

وبالتالي : فلا يصح المقارنة بينهما البتة .

إِذَا عَيَّـرَ الطَّائِـيَّ بِالبُخلِ مَـادِرٌ   وَعَيَّـرَ قِسًّـا بِـالسفَاهَـةِ بَاقِـلُ



وَقَالَ السُّهَا لِلشَّمسِ أَنْتِ كَسِيفَةٌ ... وَقَالَ الدُّجَى لِلبَدرِ وَجهُكَ حَائِـلُ
وَطَاوَلَتِ الأَرْضُ السَّماءَ سَفَاهَـةً ... وَفَاخَرَتِ الشُّهبَ الحَصَى وَالجَنَادِلُ
فَيَا موتُ زُرْ إِنَّ الْحَيَـاةَ ذَميمَـةٌ ... وَيَا نَفسُ جِدِّي إِنَّ دَهرَكِ هَـازِلُ

٦١٣ عَمْرِي لَقَدْ فَتَّشْتُكُمْ فَوَجَدتُّكُمْ ... حُمُـرًا بِـلاَ عِنَنٍ وَلاَ أَرْسَـانِ

قوله:(عَمْرِي) هذا قسم مقدر تقديره أقسم بعمري » [1] .

قوله:(لَقَدْ) اللام للتأكيد و[قد] من علامات الفعل إذا سبقت الفعل الماضي أفادت التحقيق .

قوله:(فَتَّشْتُكُمْ) أي : تتبعتكم وفحصتكم

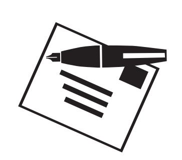
قوله:(فَوَجَدتُّكُمْ حُمُرًا) أي: أشبه بالحمير لا تحملون إلا النعيق والنهيق ، وفي التنزيل شبه الله الكفار بالحمر فقال :﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ [المدثر: ٥٠] .

قوله:(بِلاَ عِنَنٍ) العنن : جمع عنان -بالكسر - وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة ويجمع أيضا على أعنة .

قوله:(وَلاَ أَرْسَانِ) جمع رسن - بالتحريك- وهو: الحبل وما كان من زمام أنف .

---

(١) القسم بالعمر مما جرى به لسان العرب نظيره قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « أفلح وأبيه إن صدق» فلا يصح أن يقال: جواز الحلف بغير الله لما ورد بل إن الحلف بغير الله شرك وهذا من المتشابه الذي يرد إلى المحكم وهي النصوص الزاجرة عن الحلف بسواه .
وما ورد من ذلك إنما هو من قبيل ما جرت به لسان العرب كقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لمعاذ: «ثكلتك أمك يا معاذ...» فهو لا يريد الدعاء عليه وإنما يؤتى به للدعابة أو للزجر أو نحو ذلك .



٦١٤ أَحْضَرْتُكُمْ وَحَشَرْتُكُمْ وَقَصَدتُّكُمْ   وَكَسَرْتُكُمْ كَسْرًا بِلاَ جُبْرَانِ

قوله :(**أَحْضَرْتُكُمْ وَحَشَرْتُكُمْ**) أي : عملت على إحضار مقالاتكم وجمع شبهكم لدحضها وكشفها .

قوله :(**وَقَصَدتُّكُمْ**) أي: تعمدت التوجه نحو شبهكم.

قوله :(**وَكَسَرْتُكُمْ**)أي : عملت على كسر زخارف أقوالكم وزيف معتقدكم بالحجة الدامغة والأدلة الساطعة، فبان عواركم وبدت سوءاتكم .

قوله:(**كَسْرًا**) مفعولا مطلقا يراد به التوكيد والشدة.

قوله:(**بِلاَ جُبْرَانِ**) أي: لا يمكن صلاحه .

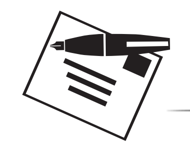
أراد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أنه نكى بالفلاسفة والمتكلمين نكاية عظيمة بفضحهم وكشف أقنعتهم وإماطة اللثام عن وجوههم بما لا يستطيعون بعده ستر حالهم.

وحقا ما قاله -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- فقد أتى على المبتدعة وبدعهم من القواعد حتى خر عليهم السقف من فوقهم ومن تأمل هذه المنظومة أدرك ذلك يقينا.

٦١٥ أَزَعَمْتُمُ أَنَّ الْقَرَانَ عِبَارَةٌ   فَهُمَا كَمَا تَحْكُونَ قُرْآنَانِ

قوله :(**أَزَعَمْتُمُ**) أيها الأشعرية.

قوله :(**أَنَّ الْقَرَانَ عِبَارَةٌ**) هذا هو معتقد الأشعرية، أن القرآن عبارة عن كلام الله والكلابية يعتقدون أن القرآن حكاية عن كلام الله ،واتفقوا أن القرآن الذي في المصحف ليس كلام الله بل هو إما حكاية أو عبارة ،والفرق بينهما أن الحكاية المماثلة كما يحكي الصدى كلام المتكلم، أما العبارة فيعني بها أن المتكلم



عبر عن كلامه النفسي بحروف وأصوات خلقت، وكلا القولين باطلين:

والحق أن القرآن كلام الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ– منزل غير مخلوق

قوله :(**فَهُمَا كَمَا تَحْكُونَ قُرْآنَانِ**) والقرآن عندهم :

١– القرآن غير المخلوق وهو كلامه النفسي .

٢– القرآن المخلوق والذي عبر عنه بالأصوات والحروف .

٦١٦ إِيـمَانُ جِبْرِيلٍ وَإِيـمَانُ الَّذِي رَكِبَ الْمَعَاصِي عِنْدَكُمْ سِيَّانِ

قوله:(**إِيمَانُ جِبْرِيلٍ**) المراد به جبريل– عَلَيْهِ السَّلَامُ– أمين الوحي إلى عامة الرسل .

قوله:(**وَإِيمَانُ الَّذِي رَكِبَ الْمَعَاصِي**) أي: غرق وأبحر في اقتراف المعاصي والذنوب الصغيرة والكبيرة الظاهرة والباطنة. ولا يراد به المعين .

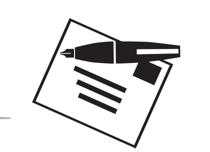
قوله:(**عِنْدَكُمْ**) أي: المرجئة .

قوله:(**سِيَّانِ**) أي: سواء .

وخلاصة المراد بيانه في هذا البيت: أن المرجئة في باب الإيمان يرون أن الإيمان هو المعرفة بالقلب، وعليه فإبليس عندهم مؤمنًا كامل الإيمان وإيمانه يساوي إيمان أبي بكر الصديق–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –.

وذلك: لأنه لا يضر مع الإيمان ذنب ، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة ، كما هو معتقدهم ، ولا شك في بطلان هذا القول وفساده .

والحق ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة أن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فلا يعطي الاسم المطلق ، ولا يسلب مطلق الاسم .



وعليه: فلا نحب الفاسق حبا مطلقا ولا نبغضه بغضا مطلقا بل نحبه على ما معه من الإيمان ونبغضه على ما معه من المعصية .

٦١٧ هَذَا الجُوَيْهِرُ وَالْعُرَيْضُ بِزَعْمِكُمْ   أَهُمَا لِمَعْرِفَةِ الهُدَى أَصْلاَنِ

قوله:(**هَذَا الجُوَيْهِرُ وَالْعُرَيْضُ**) الجويهر والعريض تصغير للفظ الجوهر والعرض وهما لفظان من ألفاظ الفلاسفة أرادوا بهما نفي أسماء الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ– وصفاته .

والجوهر هو: حقيقة الشيء أو هو : الجسم الذي يقوم بنفسه .

والعرض هو: الشيء الملموس أو هو: الجسم الذي يقوم بغيره لا بنفسه .

قوله:(**بِزَعْمِكُمْ**) أي: بظنكم الكاذب .

قوله:(**أَهُمَا**) أي: الجوهر والعرض .

قوله:(**لِمَعْرِفَةِ الهُدَى**) أي: لوضوح وبيان طريق الهداية .

قوله:(**أَصْلاَنِ**) أي: مصدران ومرجعان لاستبانة طريق الحق من الضلال.

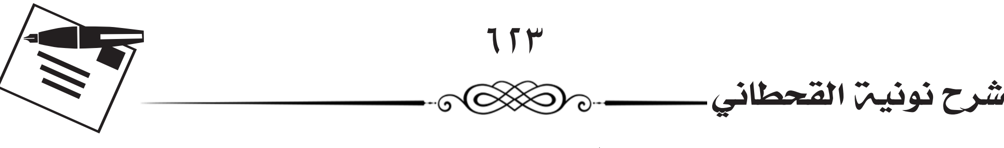
كلا: فما ذلك إلا فلسفة خائرة وسفسطة بائرة فافقه هديت وكفيت .

٦١٨ مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ يَعْرِفْهُمَا   وَأَقَرَّ بِالإِسْلاَمِ وَالْفُرْقَانِ

قوله:(**مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا**) أي: من الجن والإنس .

قوله:(**وَلَمْ يَعْرِفْهُمَا**) أي: الجوهر والعرض .

قوله:(**وَأَقَرَّ بِالإِسْلاَمِ**) معتقدا ومنهجًا قولًا وعملًا ظاهرًا وباطنًا .



والإسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله .

قوله:(**وَالْفُرْقَانِ**) أي: القرآن وهو أصل الإسلام الأول .

قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [الفرقان :١] .

٦١٩ أَفَمُسْلِمٌ هُوَ عِنْدَكُمْ أَمْ كَافِرٌ   أَمْ عَاقِلٌ أَمْ جَاهِلٌ أَمْ وَانِي

قوله:(**أَفَمُسْلِمٌ هُوَ عِنْدَكُمْ أَمْ كَافِرٌ**) الهمز: للإستفهام .

من اعتنق الإسلام ظاهرًا وباطنًا لكنه يجهل الجوهر والعرض عندكم عاقل أم مجنون؟ وهل هو: جاهل لا يوصف بالعلم قطعا؟ وهل هو كسول ضعيف غير جاد؟ .

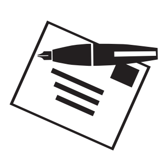
عجبا كيف بلغ بالقوم أن امتحنوا الناس بالجوهر والعرض وحكموا على من لا يعرفهما بالكفر والجنون والجهل والتواني:﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور :١٦] .

٦٢٠ عَطَّلْتُمُ السَّبْعَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى   وَالْعَرْشَ أَخْلَيْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ

قوله:(**عَطَّلْتُمُ**) من التعطيل وهو النفي للشيء .

قوله:(**السَّبْعَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى**) أي: السبع السماوات المرتفعة والمعلومة .

قوله:(**وَالْعَرْشَ**) هو: سرير الملك والمراد به هنا عرش الله المستو عليه استواء يليق بجلاله وكماله بلا تمثيل ولا تعطيل قال الله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ



ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ [طه :٥] .

قوله:(**أَخْلَيْتُمْ**) أي: أفرغتم وعطلتم .

قوله:(**مِنَ الرَّحْمَنِ**) الرحمن: اسم له -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- خاص لا يشاركه فيه أحد من خلقه منه يشتق صفة الرحمة المتعلقة بوصفه وذاته -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- .

وخلاصة الأمر: أن الفلاسفة القائلون بالجوهر والعرض قائلون ومعتقدون خلو السبع السماوات من الملائكة وسائر المخلوقات التي لا يعلمها إلا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- .

وهكذا ينفون استواء الرحمن على العرش وهذا قول ومعتقد في غاية السفه والبطلان .

٦٢١ وَزَعَمْتُمُ أَنَّ الْبَلاَغَ لأَحْمَدٍ   فِي آيَـةٍ مِـنْ جُمْـلَـةِ الْـقُـرْآنِ

قوله:(**وَزَعَمْتُمُ أَنَّ الْبَلاَغَ لأَحْمَدٍ**) يريد بهذا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أن الأشعرية ومن على شاكلتهم يزعمون أن البلاغ الذي كلف به رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في باب الصفات جمع في آية من كتاب الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- .

قوله :(**فِي آيَةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْقُرْآنِ**) هذه الآية هي قول الله :﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾[الشورى : ١١]. وهم إنما أرادوا بهذا نفي الصفات عن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وحجتهم تنزيه الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عن مشابهة المخلوقات وبهذا القول الباطل عطلوا نهاية الآية الآنفة التي تثبت لله الأسماء والصفات : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[الشورى : ١١] ، فكيف آمنوا بأولها وكفروا بآخرها إن هذا وربي إلا حال أهل الكتاب الذين قال الله فيهم : ﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ

وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[البقرة : ٨٥].

والحق يقال أن هذه الآية المباركة يرد بها على الممثلة وعلى المعطلة فهي سلاح ذو حدين فمن قال بالتمثيل قلنا له : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ، ومن قال بالتعطيل قلنا له : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى : ١١].

والذي قال أول الآية هو الذي قال آخرها ، والذي قال : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[مريم : ٦٥]. هو الذي قال : ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[الأنعام : ١٠٣]، وقال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤].

وعليه فنفي الصفات الثابتة لله في كتابه أو على لسان نبيه –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ما هو إلا ضرب من الفلسفة الباطلة، والقواعد المنطقية البائرة– عافانا الله–.

٦٢٢ هَذِي الشَّقَاشِقُ وَالْمَخَارِفُ وَالْهَوَى وَالْمَذْهَبُ الْمُسْتَحْدَثُ الشَّيْطَانِي

قوله:(**هَذِي الشَّقَاشِقُ**) جمع شقشقة بكسر الشينين وهي: شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج .

قوله:(**وَالْمَخَارِفُ**) أي: الطرق .

قوله:(**وَالْهَوَى**) أي: النفس المائلة إلى الشهوة .

قوله:(**وَالْمَذْهَبُ الْمُسْتَحْدَثُ**) أي: الطريق المبتدع الجديد .

قوله:(**الشَّيْطَانِي**) لا شك أن طرق المبتدعة هي طرق الشيطان كما جاء في حديث ابن مسعود–رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ –قال: «خط لنا النبي –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– خطا مستقيما وقال: هذا سبل الله وخط خطوطا قصيرة على جانبي الخط وقال: وهذه سبل على كل سبيل شيطان ثم تلا قول الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ– :﴿ وَأَنَّ هَٰذَا



صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام ١٥٣]. (١)

٦٢٣ سَمَّيْتُمُ عِلْمَ الأُصُولِ ضِلاَلَةً   كَاسْمِ النَّبِيذِ لِخَمْرَةِ الأَدْنَانِ

قوله :(**سَمَّيْتُمُ عِلْمَ الأُصُولِ**) الأصول : جمع أصل .

والأصل : ما يبنى عليه غيره كأصل الجدار الذي هو أساسه وأصل الشجرة التي يتفرع منه أغصانها.

وأصول العلوم: قواعدها التي تبنى عليها كأصول التفسير والحديث والفقه واللغة ونحوها.

ولا شك أن علم الأصول علم جليل القدر بالغ الأهمية غزير الفائدة عظيم النفع لمن تأمل وادكر ولهذا يقال : من حرم الأصول حرم الوصول.

قوله :(**ضِلاَلَةً**) أي : ضياعًا وانحرافًا عن الجادة وهذا قول في غاية البطلان إذ كيف يصفون القواعد والأسس التي تبنى عليها فنون العلم بأنها تيها وضياعا وانحرافا؟!.

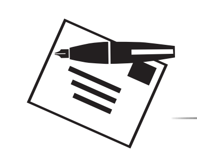
قوله :(**كَاسْمِ النَّبِيذِ**) النبيذ: شراب مسكر يتخذ من عصير العنب أو التمر أو منهما أو من غيرهما ويترك حتى يختمر.

قوله :(**لِخَمْرَةِ**) الخمرة : من الخمر وهو: ما أسكر وغطى العقل وستره ومنه سمي الخمار بالخمار.

قوله :(**الأَدْنَانِ**) جمع دن بالفتح وهو وعاء ضخم ونحوها.

---

(١)رواه الحاكم وصححه الألباني .



٦٢٤ وَنَعَتْ مَحَارِمُكُمْ عَلَى أَمْثَالِكُمْ وَاللهُ عَنْهَا صَانَنِي وَحَمَانِي

قوله:(وَنَعَتْ) أذاعت وأظهرت .

قوله:(مَحَارِمُكُمْ) المراد بها هنا نساؤكم .

قوله:(عَلَى أَمْثَالِكُمْ) أي : عليكم.

مراده -والله أعلم- أن من شقوتكم وضلالكم وبدعكم أن نساءكم ينعينكم إذا أصابتكم مصيبة الموت بأصوات منكرة من النياحة المحرمة كالندب والعويل والدعاء بالويل والثبور ولطم الخدود وشق الجيوب ونتف الشعور ونحوها.

قوله:(وَاللهُ عَنْهَا) أي : عن فواحشكم وجرائمكم وبدعكم المنكرة.

قوله :(صَانَنِي وَحَمَانِي) أي : حفظني ودافع عني.

٦٢٥ إِنِّي اعْتَصَمْتُ بِحَبْلِ شَرْعِ مُحَمَّدٍ وَعَضَضْتُهُ بِنَوَاجِذِ الأَسْنَانِ

قوله :(إِنِّي اعْتَصَمْتُ) أي: لجأت وامتنعت .

قوله :(بِحَبْلِ شَرْعِ مُحَمَّدٍ) أي : بأمان الشريعة المحمدية التي أرسله الله بها قال الله :﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] .

وقال الله :﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[آل عمران: ١٠١] .

قوله :(وَعَضَضْتُهُ) أي : تمسكت به .



قوله :(**بِنَوَاجِذِ الأَسْنَانِ**) النواجذ: جمع ناجذ وهو الضرس وهذا كناية عن شدة الاستمساك وفي الحديث الصحيح: «...فعليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ »(١) .

٦٢٦ أَشَعَرْتُمُ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي ... طُوفَانُ بَحْرٍ أَيُّمَا طُوفَانِ

قوله :(**أَشَعَرْتُمُ يَا أَشْعَرِيَّةُ أَنَّنِي**) أي: هل أيقنتم وأدركتم أيها الأشعرية أني لكم كطوفان البحر؟ .

قوله :(**طُوفَانُ بَحْرٍ**) أي: بمثابة طوفان البحر الذي يغرق من داهمه وقابله

والمعنى :أني لكم فيضانا عظيما من العلم الشرعي الذي يقض مضاجعكم ويغرق شبهاتكم ويكشف حقيقة أمركم.

قوله :(**أَيُّمَا طُوفَانِ**) أي هنا أداة وصف تدل على الكمال كقولك : محمد رجل أي رجل وهو كما قال –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– فقد كان للمبتدعة بما حباه الله تعال من العلم الغزير أشبه بطوفان نوح الذي أغرق من في الأرض كلهم جميعا سوى من سلك سبيل النجاة فركب الفلك وهكذا الحال في حق من سلك سبل السلام نجا ومن أعرض كان من المغرقين .

٦٢٧ أَنَا هَمُّكُمْ أَنَا غَمُّكُمْ أَنَا سُقْمُكُمْ ... أَنَا سُمُّكُمْ فِي السِّرِّ وَالإِعْلاَنِ

قوله :(**أَنَا هَمُّكُمْ**) الهم : هو الحزن والخوف الشديد لما يستقبل من الأمر .

قوله :(**أَنَ غَمُّكُمْ**) الغم : هو الكرب أو الحزن لما يحصل للقلب لسبب ما

(١) رواه أبو داوود والترمذي وقال حسن صحيح .



قد مضى ، ولقد كان النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كثيرًا ما يدعوا قائلاً : « اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن... » [١] .

قوله :(**أَنَا سُقْمُكُمْ**) السقم : المرض والسقيم : من طال مرضه

قوله :(**أَنَا سُمُّكُمْ**) السم : عبارة عن مادة سامة تضر بالبدن وقد تقتله ومنه سمي الموت :بالسام .

قوله :(**فِي السِّرِّ وَالإِعْلاَنِ**) يعني في غيبتكم وحضرتكم .

وحقا : فهو -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- للمبتدعة بمثابة السقم والسم للبدن بما حباه الله من قوة الحجة والبرهان ، وبالتالي فقد كان هم مستقبلهم وحزن ماضيهم والهم والحزن عنوان التعاسة والضنك والشقاء .

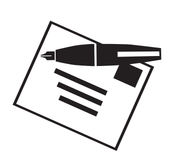
ولهذا نفاهما الله عن أوليائه في دار كرامته : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس :٦٢] .

٦٢٨ أَذْهَبْتُمُ نُورَ الْقُرَانِ وَحُسْنَهُ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ وَالِهٍ لَهْفَانِ

قوله :(**أَذْهَبْتُمُ نُورَ الْقُرَانِ وَحُسْنَهُ**) أي : أن فلسفتكم الخائرة البائرة الباطلة الطائلة التي لا يجنى من خبايها فائدة أذهبت عنكم حسن القرآن وبهائه وجماله فغدوتم حيارى تائهين .

قوله :(**مِنْ كُلِّ قَلْبٍ وَالِهٍ**) أي: شديد الحزن .

(١) رواه الشيخان والثلاثة في سُننهم .



قوله :(لَهْفَانِ) أي: متحسر مكروب .

٦٢٩ فَوَحَقِّ[١] جَبَّارٍ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ كَقَوْلِ الْجَانِي

قوله :(**فَوَ حَقِّ جَبَّارٍ**) الفاء بحسب ما قبله ، الواو : حرف قسم .

حق جبار: مقسم به والجبار: اسم من أسمائه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ومعناه : الذي له المشيئة النافذة وكل المخلوقات مقهورة له خاضعة لعظمته منقادة لحكمه ومن معانيه أنه يجبر الكسير ويغني الفقير وييسر العسير ويجبر المريض والمصاب والشيخ الكبير وذي العيال الكثير.

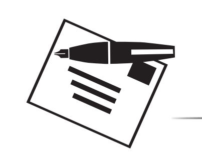
قوله :(**عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**) سبق بيان صفة الاستواء في البيت رقم (٤٥).

قوله :(**مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ**) أي: أننا نعتقد صفة الاستواء ونثبتها لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كما أثبتها لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من غير تقييد لها بمماثل.

قوله :(**كَقَوْلِ الْجَانِي**) الجاني: هو المذنب الذي جنى تمثيل هذه الصفة وغيرها من الصفات ولقد فسر أهل التعطيل صفة الاستواء بالاستيلاء ولا شك في بطلان تفسيرهم لأنه خلاف ظاهر النصوص وخلاف طريقة السلف وليس عليه دليل صحيح ولا يعرف في اللغة العربية بهذا المعنى .

---

(١) حقه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- على العباد عبادته فهو وحده المستحق للألوهية (العبودية) دونما سواه قال الله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦] وعند البخاري من حديث معاذ بن جبل -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال قال لي النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : « يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم ، قال:حق الله على العباد أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به» .



٦٣٠ وَوَحَقِّ مَنْ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالهُدَى بِمُحَمَّدٍ فَزَهَا بِهِ الحَرَمَانِ

قوله :(**وَوَحَقِّ مَنْ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالهُدَى**) الواو الأول :حرف عطف يعاد على القسم الأول ، والواو الثاني : حرف قسم .

حق من ختم : المقسم به وهو الله -تَبَارَكَوَتَعَالَى- الذي ختم الرسالة.... .

والمراد بالرسالة والهدى : دين الإسلام الذي ختم به الرسالات السماوية السابقة ، علما بأن الإسلام هو دين جميع الرسل قال الله : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩] .

فأصول الإسلام وثوابته كا لدعوة إلى التوحيد وأصول الإيمان الستة والدعوة إلى مكارم الأخلاق والنهي عن الفواحش والمنكرات قواسم مشتركة دعا إليها جميع الأنبياء أقوامهم والخلاف إنما كان في بعض التشريعات التعبدية قال الله :﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[المائدة: ٤٨] .

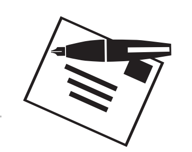
قوله :(**بِمُحَمَّدٍ**) هو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ختم الله -تَبَارَكَوَتَعَالَى- به الرسالة فليس ثم نبي بعده وليس بعد رسالته رسالة فهو خاتم الأنبياء ودينه خاتم الأديان

قال الله -تَبَارَكَوَتَعَالَى- : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] .

وفي الحديث أنه : « لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم» (١) .

وأيضا قوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- : « ...فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» (٢) .

(١) رواه ابن ماجه وابن عساكر .
(٢) رواه البخاري ومسلم .



قوله :(**فَزَهَا بِهِ الْحَرَمَانِ**) أي: زين وجمل وأنير برسالته كلا من مكة والمدينة، فمكة مهبط الوحي وموطن البعثة والمدينة دار الهجرة والنصرة .

٦٣١ لأُقَطِّعَنَّ بِمِعْوَلِي أَعْرَاضَكُمْ مَا دَامَ يَصْحَبُ مُهْجَتِي جُثْمَانِي

قوله :(**لأُقَطِّعَنَّ بِمِعْوَلِي**) المعول : هو الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر والجمع معاول، والمراد به هنا معول العلم الذي به تدحض الشبهات ويقطع به أعناق المبتدعة وأهل الأهواء والخصومات

قوله:(**أَعْرَاضَكُمْ**) لا شك أن الوقوع في الشبهات ومواطن الريب داع للوقوع في العرض كما في حديث النعمان بن بشير -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- : «...فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام...»[1] .

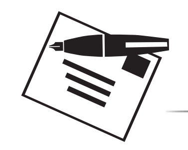
ولما كان أهل الأهواء في الشبهات غرقى كان التحذير منهم جملة وتفصيلا بالقدر الذي تتحقق به المصلحة وتدرأ به المفسدة واجب صيانة للدين وحراسة لشريعة رب العالمين وهو واحد من المواطن التي تجوز فيه الغيبة كما قال الناظم -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

القدحُ ليس بِغيبةٍ في سِتَّةٍ مُتظلِّمٍ ومُعـرِّفٍ ومُحـذِّرِ
ولِمُظهرٍ فِسقًا ومُستَفتٍ ومَن طلبَ الإعانةَ في إزالةِ مُنكرِ

قوله:(**مَا دَامَ يَصْحَبُ مُهْجَتِي**) المهجة: الروح والجمع: مهج .

قوله:(**جُثْمَانِي**) أي: جسدي .

(١) رواه ابن ماجه وابن عساكر .



والمراد: أنه لن يفتر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن التحذير من أهل الأهواء ما دام حيا .

٦٣٢ وَلأَهْجُوَنَّكُمُ وَأَثْلِبُ حِزْبَكُمْ حَتَّى تُغَيِّبَ جُثَّتِي أَكْفَانِي

قوله:(**وَلأَهْجُوَنَّكُمُ**) الهجاء: الذم منثورا أو منظوما .

قوله:(**وَأَثْلِبُ**) يقال: ثلبه: إذا صرح في العيب فيه وتنقصه .

قوله:(**حِزْبَكُمْ**) الحزب: الجماعة إذا اجتمعت على رسم واسم معين .

قوله:(**حَتَّى تُغَيِّبَ جُثَّتِي أَكْفَانِي**)أي: لا أزال مستمرا في هجائكم والتحذير منكم إلى أن أموت فيدرج جسدي في كفني .

٦٣٣ وَلأَهْتِكَنَّ بِمَنْطِقِي أَسْتَارَكُمْ حَتَّى أُبَلِّغَ قَاصِيًا أَوْ دَانِي

قوله:(**وَلأَهْتِكَنَّ**) هتك الستار نحوه هتكا: جذبه فأزاله من موضعه أو شق منه جزأ فبدا ما وراه .

قوله:(**بِمَنْطِقِي**) أي: بما ألفظه من لساني من الأقوال نظمًا ونثرًا عدلاً وقسطًا لا ظلمًا وجورًا .

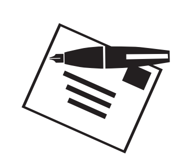
قوله:(**أَسْتَارَكُمْ**) الأستار: جمع ستر وهو ما يخفى به من السوءة والعورة .

والمراد: لأظهرن ما تخفونه من العور والشر .

قوله:(**حَتَّى أُبَلِّغَ**) أي: أوصل عيبكم وما تضمرونه من شروركم .

قوله:(**قَاصِيًا**) أي: بعيدًا .

قوله:(**أَوْ دَانِي**) أي: قريبًا .



٦٣٤ وَلأَهْجُوَنَّ صَغِيرَكُمْ وَكَبِيرَكُمْ   غَيْظًا لِمَنْ قَدْ سَبَّنِي وَهَجَانِي

قوله:(**وَلأَهْجُوَنَّ**) الهجاء هو: الذم نظماً أو نثرًا .

قوله:(**صَغِيرَكُمْ وَكَبِيرَكُمْ**) المراد بالكبار والصغار هنا الأتباع والمتبوعين من أهل الأهواء والبدع والفلاسفة والمتكلمين .

قوله: **غَيْظًا** أي: غضبا والناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- مأجور على إغاظته لأعداء السُّنَّة قال الله :﴿ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ﴾[التوبة: ١٢٠] .

قوله:(**لِمَنْ قَدْ سَبَّنِي**) أي: شتمني وعابني .

قوله:(**وَهَجَانِي**) أي: ذمني وتنقصني .

٦٣٥ وَلأُنْزِلَنَّ بِكُمْ أَلِيمَ صَوَاعِقِي   وَلَتُحْرِقَنَّ كُبُودَكُمْ نِـيرَانِي

قوله:(**وَلأُنْزِلَنَّ بِكُمْ أَلِيمَ صَوَاعِقِي**) شبه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- مواجهته للمبتدعة ومنهم الأشعرية . كأنه وإياهم في ميدان نزال وقد صوب نحوهم صواعقه المرسلة في هذه المنظومة .

قوله:(**وَلَتُحْرِقَنَّ كُبُودَكُمْ**) الكبود: جمع كبد وهو: عضو في الجانب الأيمن من البطن تحت الحجاب الحاجز .

قوله:(**نِيرَانِي**) المراد بها أبياتي المنظومة هنا والتي تشبه النار في إحراقكم وإخمادكم . فاجتماع الصواعق والنيران في ميدان النزال لطرف كاف في النكاية بالطرف الآخر .

٦٣٦ وَلأَقْطَعَنَّ بِسَيْفِ حَقِّي زُورَكُمْ وَلَيُخْمِدَنَّ شُوَاظَكُمْ طُوْفَانِي

قوله :(**وَلأَقْطَعَنَّ بِسَيْفِ حَقِّي زُورَكُمْ**) أي: سأعمل على تقطيع كذبكم وبهتانكم الذي لازمكم بسيف الحق والعدل الذي وهبنيه ربي .

قوله :(**وَلَيُخْمِدَنَّ**) يقال: خمدت النار خمدا وخمودا سكن لهبها ولم يطفأ جمرها .

قوله :(**شُوَاظَكُمْ**) أي: شرركم .

قوله :(**طُوْفَانِي**) الطوفان من كل شيء ما كان كثيرًا وعظيما بحيث يطغى على غيره كطوفان نوح- عَلَيْهِ السَّلَامُ- الذي عم .

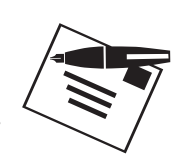
وهذا منه -رَحِمَهُ اللَّهُ- تشبيه بديع بأن الحق والعدل الذي اجتباه ربه به أشبه بالسيف الصارم الذي يقطع به أعناق المبطلين وأن العلم الذي وهبه ربه أشبه بالطوفان الذي عم شرر أهل الباطل فأخمده وأطفأ حره .

٦٣٧ وَلأَقْصِدَنَّ اللهَ في خِذْلاَنِكُمْ وَلَيَمْنَعَنَّ جَمِيعَكُمْ خِـذْلاَنِي

قوله :(**وَلأَقْصِدَنَّ الله**) أي: لأتجردن لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- حين أعمل على دحركم وتفريقكم وكشف شبهكم والتحذير منكم

قوله :(**في خِذْلاَنِكُمْ**) خذل ،خذلا ،خذلانا : بان وانقطع والمعنى المراد: في فضحكم وإفشالكم

قوله :(**وَلَيَمْنَعَنَّ جَمِيعَكُمْ خِـذْلاَنِي**) أي: أن خذلاني إياكم الكامن بفضحكم وإفشالكم حصن منيع واق لي من كيدكم ومكركم وهذا رجاء منه



وهو كما قال وذلك لأن الله وعد عباده بنصرهم وحفظهم كما قال- تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] ، وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج : ٣٨] ، وفي الحديث الصحيح أن النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: « لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ،حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك »[(١)] .

٦٣٨ وَلأَحْمِلَنَّ عَلَى عُتَاةِ طُغَاتِكُمْ حَمْلَ الأُسُودِ عَلَى قَطِيعِ الضَّانِ

قوله :(**وَلأَحْمِلَنَّ عَلَى عُتَاةِ طُغَاتِكُمْ**) أي: لأجهدن في الكر على رؤوس المبتدعة وجبابرتهم الطواغيت وذلك بسبر أحوالهم وبيان ما وصلوا إليه من طرق الضلال وسوء الحال .

قوله :(**حَمْلَ الأُسُودِ**) أي: كما تحمل الأسود المفترسة.

قوله :(**عَلَى قَطِيعِ**) القطيع: الطائفة.

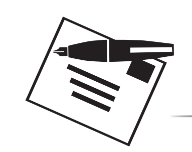
قوله :(**الضَّانِ**) ذو الصوف من الغنم وهو غير المعز.

وهذا منه - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - تصوير بديع في شدة تحذيره من طواغيت البدع حيث شبه ذلك بحمل الأسود المفترسة على قطيع الضأن التي لا تبقي ولا تذر.

٦٣٩ وَلأَرْمِيَنَّكُمُ بِصَخْرِ مَجَانِقِي حَتَّى يَهِدَّ عُتُوَّكُمْ سُلْطَانِي

قوله : (**وَلأَرْمِيَنَّكُمُ بِصَخْرِ مَجَانِقِي**) أي: لأقذفنكم بالمجانق الشبيهة بالصخور في قوتها وصلابتها، والمجانق: جمع منجنيق وهي: آلة ترمى بها الحجارة كالمدفع في عصرنا .

(١) أخرجه البخاري ومسلم من حديث جبير بن مطعم- رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - .



قوله :(**حَتَّى يَهِدَّ**) أي: يزلزل ويقوض .

قوله :(**عُتُوَّكُمْ**) أي: كبريائكم .

قوله :(**سُلْطَانِي**) أي: حجتي وبرهاني القوي النافذ .

وفي هذا البيت شبه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- حجته العلمية الدامغة للبدعة ورؤوسها بصخور المنجنيق التي تهد بها البنيان الشامخ المتعالي .

٦٤٠ وَلأَكْتُبَنَّ إِلَى الْبِلاَدِ بِسَبِّكُمْ   فَيَسِيرَ سَيْرَ الْبُزْلِ بِالرُّكْبَانِ

قوله :(**وَلأَكْتُبَنَّ إِلَى الْبِلاَدِ بِسَبِّكُمْ**) أي: لأنشرن في الآفاق تحريرا بعيوبكم ونقائصكم الملاصقة لكم والملازمة إياكم لزوم الظل للعود .

قوله :(**فَيَسِيرَ سَيْرَ الْبُزْلِ**) البزل : -بضمتين- جمع بزول وهي: الناقة التي تطلع نابها بدخولها في السن التاسعة .

قوله :(**بِالرُّكْبَانِ**) جماعة المسافرين .

أراد الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بهذا البيت الإخبار عن سرعة إنتشار ما سيحرره من المنظوم والمنثور حتى يبلغ به الآفاق وذلك في فضح رؤوس المبتدعة وكشف أقنعتهم حتى يحذرهم القاصي والداني .

٦٤١ وَلأُدْحِضَنَّ بِحُجَّتِي شُبُهَاتِكُمْ   حَتَّى يُغَطِّيَ جَهْلَكُمْ عِرْفَانِي

قوله :(**وَلأُدْحِضَنَّ**) أي: لأبطلن .

قوله :(**بِحُجَّتِي**) أي: بنور الدليل والبرهان .

قوله :(**شُبُهَاتِكُمْ**) أي: خلطكم وإلباسكم الحق بالباطل

قوله :(**حَتَّى يُغَطِّيَ جَهْلَكُمْ عِرْفَانِي**) أي: يغشى جهلكم بالحق نور العلم والمعرفة حينئذ ينكشف غطاء الجهل ويتضح سبيل الرشاد ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال : ٤٢] .

٦٤٢ وَلأَغْضَبَنَّ لِقَوْلِ رَبِّي فِيكُمُ غَضَبَ النُّمُورِ وَجُمْلَةِ الْعِقْبَانِ

قوله :(**وَلأَغْضَبَنَّ**) الغضب هو: السخط

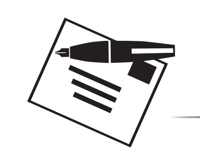
قوله :(**لِقَوْلِ رَبِّي**) أي: انتصارا لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وذلك لكونكم أسخطتموه ببدعكم وأغضبتموه بمحدثاتكم

والمعنى المراد: لأسخطن عليكم ولأغضبن في وجوهكم بسبب أنكم أغضبتم إلهكم وربكم ببدعكم المحدثة وهذا هو هدي النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد كان لا يغضب لنفسه قط وإنما يغضب إذا انتهكت حرمات الله -جَلَّ وَعَلَا- .

قوله:(**غَضَبَ النُّمُورِ**) النمور: جمع نمر وهو: حيوان مفترس أرقط من الفصيلة السنورية .

قوله:(**وَجُمْلَةِ الْعِقْبَانِ**) العقبان بالكسر جمع عقاب بالضم وهو: طائر كاسر من الجوارح ، قوي المخالب ، أعقف المنقار ، حاد البصر ، خفيف الجناح، سريع الطيران ، معروف بالعز والمنعة ويضرب به المثل في ذلك فيقال: « أمنع من عقاب الجو » .

وقد شبه الناظم -رَحِمَهُ اللَّهُ- جرحه للمبتدعة بأعتى وأشد الجوارح البرية النمور وأعز وأمنع الطيور الجوية العقبان ويكمن غضبه في هجائهم والتحذير منهم بكل وسيلة أوتيها .



٦٤٣ وَلأَضْرِبَنَّكُمُ بِصَارِمِ مِقْوَلِي ضَرْبًا يُزَعْزِعُ أَنْفُسَ الشُّجْعَانِ

قوله :(**وَلأَضْرِبَنَّكُمُ بِصَارِمِ**) الصارم هو: السيف القاطع .

قوله :(**مِقْوَلِي**) أي: قولي القوي القاطع بالبرهان الساطع .

قوله :(**ضَرْبًا**) مفعولا مطلقا والمعنى: ضربا قويا شديدا .

قوله :(**يُزَعْزِعُ**) يحرك ويزلزل .

قوله :(**أَنْفُسَ الشُّجْعَانِ**) أي: الأبطال المغاوير .

٦٤٤ وَلأَسْعَطَنَّ مِنَ الْفُضُولِ أُنُوفَكُمْ سَعْطًا يُعَطَّسُ مِنْهُ كُلُّ جَبَانِ

قوله :(**وَلأَسْعَطَنَّ**) يقال: سعطه الدواء : إذا صبه وأدخله في أنفه .

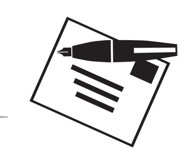
قوله :(**مِنَ الْفُضُولِ أُنُوفَكُمْ**) أي: من فضول هجائي وذمي إياكم.

قوله :(**يُعَطَّسُ مِنْهُ**) أي: يحصل من ورائه العطاس .

قوله :(**كُلُّ جَبَانِ**) الجبان هو:المتهيب من الإقدام مما لا ينبغي أن يخاف منه.

٦٤٥ إِنِّي بِحَمْدِ اللهِ عِنْدَ قِتَالِكُمْ لَمُحَكَّمٌ فِي الْحَرْبِ ثَبْتُ جَنَانِ

قوله :(**إِنِّي بِحَمْدِ اللهِ**) الحمد هو: وصف المحمود بالكمال محبة وتعظيما والله وحده له الحمد المطلَق في الدنيا والآخرة حمدا على السراء وعلى الضراء بجميع أنواع المحامد والصفات فهو المحمود ذاتا واسما ووصفا وقدرًا .



قوله :(**عِنْدَ قِتَالِكُمْ**) أي: عند قتالي إياكم وقتاله -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- للمبتدعة لم يكن بالسيف والسنان ، وإنما كان بالحجة والبرهان جدالا ومحاجة ومناظرة مشافهة وتحريرا .

قوله :(**لَمُحَكَّمٌ فِي الْحُرْبِ**) بقوة الدليل النقلي والعقلي ووضعه في موضعه وحضوره في آنه وكذلك بقوة ووضوح التعليل واستخراج الشبه وكشفها بهذا وغيره دمغ الباطل وزهق وظهر الحق وائتلق .

قوله :(**ثَبْتُ جَنَانٍ**) أي: قوي القلب رابط الجأش لا يفزع ولا يروع .

٦٤٦ وَإِذَا ضَرَبْتُ فَلاَ تَخِيبُ مَضَارِبِي وَإِذَا طَعَنْتُ فَلاَ يَرُوغُ طِعَانِي

قوله :(**وَإِذَا ضَرَبْتُ فَلاَ تَخِيبُ مَضَارِبِي**) أي: ومن منحة الباري لي وتوفيقه إياي أن سدد مضاربي في العدو فتصيب منه مقتل .

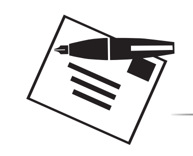
قوله :(**وَإِذَا طَعَنْتُ فَلاَ يَرُوغُ طِعَانِي**) وكذا من هباته لي أن صوب طعاني في الأعداء فتصيب المطعن ، وكل هذا إنما أدركه بنور العلم وصلاح السريرة -والله حسيبه -.

٦٤٧ وَإِذَا حَمَلْتُ عَلَى الْكَتِيبَةِ مِنْكُمُ مَزَّقْتُهَا بِلَوَامِعِ الْبُرْهَانِ

قوله :(**وَإِذَا حَمَلْتُ**) أي: من سلاح الدليل والتعليل عند الجدال والمناظرة والإبانة والكشف ما يحمله المجاهد في سبيل الله الذي قد أعد عدته الحربية.

قوله :(**عَلَى الْكَتِيبَةِ**) هي: الطائفة من الجيش المجتمعة وجمعها كتائب.

قوله :(**مِنْكُمُ**) أيها المبتدعة.



قوله :(مَزَّقْتُهَا) أي: فرقتها وقطعتها إربًا إربًا.

قوله :(بِلَوَامِعِ الْبُرْهَانِ) أي: بالأدلة الرضية والحجج البهية.

٦٤٨ الـشَّرْعُ وَالْـقُـرْآنُ أَكْـبَرُ عُدَّتِي　　　فَهُمَا لِقَطْعِ حِجَاجِكُمْ سَيْفَانِ

قوله :(الشَّرْعُ وَالْقُرْآنُ) أي: السُّنَّة المطهرة والكتاب المبين.

قوله :(أَكْبَرُ عُدَّتِي) العدة بالضم ما أعده الإنسان وهيأه لحوادث دهره من المال والسلاح وغير ذلك.

في هذا البيت بين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أن عدته القتالية في مواجهة خصومه هما الوحيين (القرآن والسُّنَّة)فبهما يماط اللثام ويكشف قناع الصعافقة اللئام فيندحر باطلهم وتكسر شوكتهم .

قوله :(فَهُمَا) إشارة إلى العدة المذكورة.

قوله :(لِقَطْعِ حِجَاجِكُمْ) أي: لدفع ورفع حجاجكم الواهية.

قوله :(سَيْفَانِ) السيف الأول :القرآن الكريم، والسيف الثاني: السُّنَّة المطهرة وحقًا ، هما سيفان لا ينبوان وحصنان لا يهدمان.

٦٤٩ ثَقُلاَ عَلَى أَبْدَانِكُمْ وَرُؤُوسِكُمْ　　　فَهُمَا لِكَسْرِ رُؤُوسِكُمْ حَجَرَانِ

قوله :(ثَقُلاَ) المراد بهما: القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة .

قوله :(عَلَى أَبْدَانِكُمْ) أيها المبتدعة الضلال فما امتثلتم ولا أطعتم.

قوله :(وَرُؤُوسِكُمْ) فما أدركتم ولا فقهتم .



قوله :(**فَهُمَا**) ضمير غائب يصح للمثنى المذكر والمثنى المؤنث، وهو هنا عائد على الكتاب والسُّنَّة .

قوله :(**لِكَسْرِ رُؤُوسِكُمْ حَجَرَانِ**) أي: كفيلان بدمغ ما تحمله رؤوسكم من الأهواء والضلالات .

٦٥٠ إِنْ أَنْـتُـمُ سَـالَمْـتُـمُ سُولِمْتُمُ وَسَلِمْتُمُ مِنْ حَـيْرَةِ الخِـذْلاَنِ

قوله :(**إِنْ**) أداة شرط جازمة تجزم فعلين فعل الشرط وجوابه .

قوله :(**أَنْتُمُ**) ضمير مخاطب والمراد بهم أهل الأهواء والخصومات.

قوله :(**سَالَمْتُمُ**) فعل الشرط مجزوم بـ (إن) وعلامة جزمه السكون وإنما رفع هنا لضرورة الشعر.

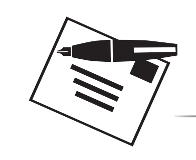
قوله :(**سُولِمْتُمُ**) وهذا جواب الشرط مجزوم بـ(إن) وعلامة جزمه السكون وإنما رفع لضرورة الشعر ، والمعنى المراد: إن أنتم يامعشر المبتدعة سالمتمونا بالتوبة إلى الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- من المحدثات والرجوع إلى السُّنَّة الصحيحة سالمناكم بالكف عن ذمكم والتحذير منكم وبيان عواركم ، وهذا اقتباس من قول الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ **وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ** ﴾ [الأنفال: ٦١] .

قوله :(**وَسَلِمْتُمُ**) في دينكم (عقيدة ومنهجا) .

قوله :(**مِنْ حَيْرَةِ الخِذْلاَنِ**) أي: من داء الشكوك والاضطراب والقلق.

٦٥١ وَلَئِنْ أَبَيْتُمْ وَاعْتَدَيْتُمْ فِي الْهَوَى فَنِضَالُكُمْ فِي ذِمَّتِي وَضَـمَانِي

قوله :(**وَلَئِنْ أَبَيْتُمْ**) أي: رفضتم الجنوح للسلم بترك الإحداث في الدين



والرجوع إلى الحق المبين .

قوله :(**وَاعْتَدَيْتُمْ فِي الْهُوَى**) أي: مضيتم في أهوائكم وشهواتكم المنحرفة .

قوله :(**فَنِضَالُكُمْ**) أي: مباراتكم في الرمي والمراد بالرمي هنا القذف بالحق على الباطل فيدمغه قال الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– : ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ** ﴾ [الأنبياء:١٨] .

وقال الله –جَلَّ وَعَلَا–:﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء: ٨١] .

قوله : (**فِي ذِمَّتِي وَضَمَانِي**) الذمة والضمآن بمعنى واحد وهو الكفالة والإلتزام .

٦٥٢ يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا أَسَافِلَةَ الْوَرَى يَا عُمْيُ يَا صُمٌّ بِلاَ آذَانِ

قوله:(**يَا أَشْعَرِيَّةُ**) سبق البيان في البيت رقم (٥٤٥) .

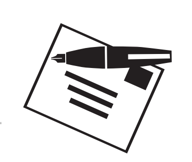
قوله:(**يَا أَسَافِلَةَ الْوَرَى**) أي: أراذل الخلق وغوغاؤهم .

قوله:(**يَا عُمْيُ**) عن الحق فهم لا يبصرون .

قوله:(**يَا صُمٌّ**) عن الحق فهم لا يسمعون .

قوله:(**بِلاَ آذَانِ**) المراد: آذان القلوب التي تعقل الحق وتعتقده أي: وليس لهم آذان تعي الحق وتعتنقه .

يصدق فيهم قول الله –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– : ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾** ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .



٦٥٣ إِنِّي لأُبْغِضُكُمْ وَأُبْغِضُ حِزْبَكُمْ بُغْضًا أَقَلُّ قَلِيلِهِ أَضْغَانِي

قوله:(**إِنِّي لأُبْغِضُكُمْ**) أي: أمقتكم .

قوله:(**وَأُبْغِضُ حِزْبَكُمْ**) أي: أمقت جماعتكم (الأشعرية) التي إليها تنسبون .

قوله:(**بُغْضًا أَقَلُّ قَلِيلِهِ أَضْغَانِي**) أي: مقتًا أقل قليلة أحقادي المتراكمة عليكم فما بالكم بكثيره ؟! .

وهذا المعتقد هو عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة التابع لمعتقد الأنبياء والرسل النابع من صميم الوحي المنزل والمسمى بعقيدة (الولاء والبراء) .

فهذا ابراهيم- عَلَيْهِ السَّلَامُ- ومن آمن معه يتبرؤون من قومهم الكفار قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤] .

وقال الله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة:١١٤] .

وقال الله في شأن نبيه وصحبه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [الفتح:٢٩] .

وقال الله: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ ﴾[التوبة:١].

وقال الله -عَزَّ وَجَلَّ- : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:٥٤] .



والدلائل في هذا الباب ظاهرة ومستفيضة وقد أفرد بعض أهل العلم المصنفات والرسائل في عقيدة الولاء والبراء فمن أحب فليرجع إليها .

٦٥٤ لَوْ كُنْتُ أَعْمَى المُقْلَتَيْنِ لَسَرَّنِي   كَيْلاَ يَرَى إِنْسَانكُمْ إِنْسَانِي

قوله:(**لَوْ كُنْتُ أَعْمَى المُقْلَتَيْنِ**) أي: العينين .

قوله:(**لَسَرَّنِي**) أي: لأفرحني ذلك .

قوله:(**كَيْلاَ يَرَى إِنْسَانكُمْ إِنْسَانِي**) هذا هو علة الفرح بالعمى كيلا يرى بهما أشعريا لسوء مطلعه وفحش منهجه وقبح معتقده .

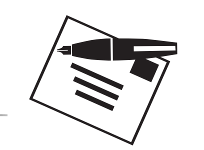
إن دل هذا فإنما يدل على صفاء معتقد الناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في باب: (الولاء والبراء) وغيره قال الله-عَزَّوَجَلَّ-:﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾[المجادلة: ٢٢].

٦٥٥ تَغْلِي قُلُوبُكُمُ عَلَيَّ بِحَرِّهَا   حَنَقًا وَغَيْظًا أَيَّمَا غَلَيَانِ

قوله:(**تَغْلِي قُلُوبُكُمُ عَلَيَّ بِحَرِّهَا**) أي: أن قلوبهم تفور وتتوقد بالحقد والغيظ وشدة الغضب لنزالي إياهم ورميهم بالصواعق الملتهبة التي أودعتهم كهشيمة في موقد وتلك الصواعق إنما هي صواعق الأدلة المشرقة لأهلها المحرقة لأعدائها فبها انكشفت سوءتهم وبان عوارهم .

قوله:(**حَنَقًا وَغَيْظًا**) أي: بغضا وغضبا .

قوله:(**أَيَّمَا غَلَيَانِ**) أي: هنا أداة وصف دالة على الكمال والمعنى: أن الغليان



في قلوبكم بلغ ذروته ووصل غايته ولكن ﴿قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩﴾[آل عمران: ١١٩] .

٦٥٦ مُوتُوا بِغَيْظِكُمُ وَمُوتُوا حَسْرَةً وَأَسًى عَلَيَّ وَعَضُّو كُلَّ بَنَانِ

قوله:(**مُوتُوا بِغَيْظِكُمُ**) وهذا مأخوذ من قول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩﴾[آل عمران: ١١٩] .

والمعنى: موتوا كمدا وغيظا فلا أزال سمكم الناقع الذي لا يشفى وجرحكم الذي لا يبرى .

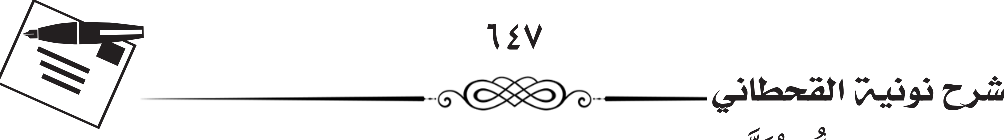
قوله:(**وَمُوتُوا حَسْرَةً**) أي: وموتوا ندامة وتأسفا .

قوله:(**وَأَسًى عَلَيَّ**) أي: وموتوا أسى وحزنًا لفواتي إياكم ونكايتي بكم .

قوله:(**وَعَضُّو كُلَّ بَنَانِ**) من الندم يقال: عض على يده: ندم وفي التنزيل العزيز:﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٢٧] .

٦٥٧ قَدْ عِشْتُ مَسْرُورًا وَمِتُّ مُخَفَّرًا وَلَقِيتُ رَبِّي سَرَّنِي وَرَعَانِي

قوله:(**قَدْ عِشْتُ مَسْرُورًا**) يحكي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في هذا البيت سعادته وطيب حياته وإنما تكمن السعادة القلبية تحت ظلال المعتقد الصحيح والمنهج النقي من الضلالات وحُسن العبادة والمعاملة ، قال الله -عَزَّوَجَلَّ- : ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل: ٩٧] .



قوله: (وَمِتُّ مُخَفَّرًا) وهنا يحكي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أنه في موته كان محميا مجارا ممنوعا.

وهذا القول منه تفاؤلا ورجاء وحُسن ظن بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

وفي الحديث: «...ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة»(١).

وإلا في الحقيقة فإنه لا يعلم أحد على ما سيختم له إلا الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

قوله: (وَلَقِيتُ رَبِّي سَرَّنِي وَرَعَانِي) وهنا يحكي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- آخرته وهذا باعتبار ما سيكون وإنما هذا كائن نتيجة سلامه المعتقد والمنهج كما ذكره الباري في قوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

وقال -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [النبأ: ٣٦].

وكل هذا صادر عن تفاؤل ورجاء وحُسن ظن بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- كما سبق تقريره وتحريره آنفًا.

٦٥٨ وَأَبَاحَنِي جَنَّاتِ عَـدْنٍ آمِنًا ... وَمِنَ الْجَحِيمِ بِفَضْلِهِ عَافَانِي

قوله: (وَأَبَاحَنِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) أي: أدخلني وأسكنني بجوده ورحمته وفضله جنات عدن.

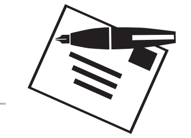
والعدن: هو موطن الاستقرار والإقامة الذي لا يعقبه تحويل ولا تبديل.

قوله: (آمِنًا) من جميع المخاوف الظاهرة والباطنة الحسية والروحية.

وهذا تحقيقا لقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢].

---

(١) متفق عليه.



وقول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[فصلت: ٣٠] .

قوله:(**وَمِنَ الْجَحِيمِ**) الجحيم: اسم من أسماء النار الدالة على شدة عذابها وتأجج نارها .

قوله :(**بِفَضْلِهِ**) أي: بكرمه وجوده وهذا لا شك فقد ورد في الحديث المرفوع أن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال : « لن يدخل أحد الجنة بعمله »، قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : «ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل » .

وما العمل الصالح إلا وسيلة لنيل رحمته وفضله ليس إلا .

قوله:(**عَافَانِي**) من حرها ووقودها .

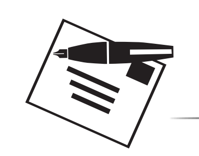
٦٥٩ وَلَقِيتُ أَحْمَدَ فِي الْجِنَانِ وَصَحْبَهُ وَالْكُلُّ عِنْدَ لِقَائِهِمْ أَدْنَانِي

قوله:(**وَلَقِيتُ أَحْمَدَ فِي الْجِنَانِ وَصَحْبَهُ**) هذا كله من باب الرجاء والدعاء والفأل وحسن الظن بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فيحكي معبرا بالفعل الماضي (ولقيت) باعتبار ما سيكون وكأنه قد وقع .

فقال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن نفسه قد التقيت بمحمد -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وكذلك بصحبه في الجنان ، فأدنوني منهم وأكرموني ولذا قال في عجز البيت :

قوله:(**وَالْكُلُّ عِنْدَ لِقَائِهِمْ أَدْنَانِي**) أي: قربني وأكرمني .

نسأل الله لنا وله الكرامة في دار كرامته وأن يجمعنا بالنبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وصحبه والطيبين من آل بيته وأعلام الإسلام من أتباعه إنه سميع مجيب الدعاء .



٦٦٠ لَمْ أَدَّخِرْ عَمَلاً لِرَبِّيَ صَالِحًا   لَكِنْ بِإِسْخَاطِي لَكُمْ أَرْضَانِي

قوله :(**لَمْ أَدَّخِرْ عَمَلاً لِرَبِّيَ صَالِحًا**) أي: لم أتخذ وأعد عملا صالحا لوقت حاجتي إليه وهو يوم اللقاء وهذا منه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- من باب هضم النفس وغمطها وحرب كبريائها وحب علوها وظهورها وإلا فيكفيه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- هذه المنظومة الجامعة التي بين فيها عقيدته الصحيحة ومنهجه المستقيم وعبادته الصالحة فهذه مؤهلات له تشهد له بصلاحه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وجمعنا به في دار كرامته .

قوله :(**لَكِنْ بِإِسْخَاطِي لَكُمْ**) أي: بإغضابي إياكم قدحا وتحذيري منكم نصحا وكشفي لبوائقكم تدينا .

قوله :(**أَرْضَانِي**) أي: أكرمني حتى رضيت وذلك بغفران الذنب وقبول صالح العمل وإسكاني فسيح الجنان .

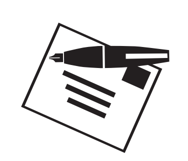
٦٦١ أَنَا تَمْرَةُ الأَحْبَابِ حَنْظَلَةُ الْعِدَا   أَنَا غُصَّةٌ فِي حَلْقِ مَنْ عَادَانِي

قوله :(**أَنَا تَمْرَةُ الأَحْبَابِ**) أي: أني للأحباب وهم (أهل السُّنَّة والجماعة) الذين سلم منهجهم ومعتقدهم بمثابة التمرة الطيبة حلو مذاقها نافع غذاؤها.

قوله :(**حَنْظَلَةُ الْعِدَا**) أي: وأنا للأعداء (وهم عداة أهل السُّنَّة والجماعة) على اختلاف مشاربهم وتعدد أسمائهم وأوصافهم بمثابة الحنظلة .

والحنظلة: نبتة معروفة شديدة المرارة لا ريح لها .

قوله :(**أَنَا غُصَّةٌ فِي حَلْقِ**) الغصة : ما اعترض في الحلق فأشرق به والجمع غصص .



قوله :(**مَنْ عَادَانِي**) أي: من حاربني وناوءني .

٦٦٢ وَأَنَا المُحِبُّ لأَهْلِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ وَأَنَا الأَدِيبُ الشَّاعِرُ الْقَحْطَانِي

قوله :(**وَأَنَا المُحِبُّ لأَهْلِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ**) أي: من خلقي ومنهجي ومعتقدي حبي لأهل السُّنَّة والجماعة على مختلف أعصارهم وأمصارهم ، وأهل السُّنَّة والجماعة هم: الذين ترسموا طريقة المصطفى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهديه ، وأولى الناس بهذا الوصف هم أصحابه فهم القوم الذين هدى الله واختارهم لصحبة نبيه وأثنى عليهم في كتابه واكتحلت أعينهم برؤية خير خلقه وعاصروا الوحيين القرآن والسُّنَّة فحبي لهم صدقا وولائي لهم فرضا ودفاعي عنهم واجبا وترسمي خطاهم منهجا وهكذا الحال في حق من بهداهم اقتدى وبمنهجهم اهتدى .

قوله :(**وَأَنَا الأَدِيبُ الشَّاعِرُ الْقَحْطَانِي**) حقا وصدقا إنه أديب شاعر لا يبارى وما هذه المنظومة التي بين أيدينا إلا دليل من أدلة أدبه وغزارة مشاعره وسلاسة أسلوبه وسهولة ألفاظه وحسن تصويره وإبداعه وجماله فقد جمع في منظومته هذه بين علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) .

قوله :(**الْقَحْطَانِي**) نسبة إلى جده قحطان فهو: أبو محمد عبد الله بن محمد الأندلسي السلفي المالكي كان فقيها حافظا جمع تأريخا لأهل الأندلس .

قال أبو سعيد الإدريسي في تأريخ سمرقند: إنه كان من أفضل الناس وثقاتهم

وقال السمعاني: كان حافظا في طلب العلم إلى المشرق والمغرب .



توفي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في بخارى سَنة نيف وسبعين وثلاثمائة ، من الهجرة النبوية (١).

٦٦٣ سَلْ عَنْ بَنِي قَحْطَانَ كَيْفَ فِعَالُهُمْ يَوْمَ الْهِيَاجِ إِذَا الْتَقَى الزَّحْفَانِ

قوله :(**سَلْ عَنْ بَنِي قَحْطَانَ**) أي: لك أن تسأل عن الخلال والخصال التي ينعم بها بنو قحطان والتي ينسب إليهم صاحب منظومتنا هذه والفرع للأصل ينسب وذاك الشبل من ذاك الأسد .

قوله:(**كَيْفَ فِعَالُهُمْ يَوْمَ الْهِيَاجِ**)أي: كيف بأسهم وشدتهم وفرط شجاعتهم وحسن إدارتهم في القتال وميادينه .

قوله:(**إِذَا الْتَقَى الزَّحْفَانِ**) أي: الجيشان .

٦٦٤ سَلْ كَيْفَ نَثْرُهُمُ الْكَلاَمَ وَنَظْمُهُمْ وَهُمَا لَهُمْ سَيْفَانِ مَسْلُولاَنِ

قوله:(**سَلْ كَيْفَ نَثْرُهُمُ الْكَلاَمَ**) النثر: الكلام الجيد يرسل بلا وزن ولا قافية وهو خلاف النظم .

قوله:(**وَنَظْمُهُمْ**) النظم: الكلام الجيد الموزون المقفى وهو خلاف النثر .

---

(١) ذكر هذه الترجمة الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة في مقدمته لهذه القصيدة التي اعتنى بضبطها شكلا دون شرح أو تعليق .
وقد اعترض الشيخ الدكتور صالح السحيمي المدرس بالمسجد النبوي على هذه الترجمة قائلا: «إنما أورده عن صاحب (أربح البضاعة) وما نقله عن الزركلي من أن وفاته كانت سَنة ٣٨٧ هـ محال لأن الوقائع والأحداث والأشخاص الذين رد عليهم القحطاني مثل المعري الهالك سَنة ٤٤٩ هـ وابن تومرت المتوفي سنة ٥٢٤ هـ أو من أدخل الأشعرية إلى بلاد المغرب والأندلس بين القرنين الخامس والسادس الهجري ...الأمر الذي يؤكد أن القحطاني كان بعد ذلك الوقت يقين .



قوله:(**وَهُمَا**) ضمير غائب يعود على النظم والنثر .

قوله:(**لَهُمْ**) أي: لبني قحطان .

قوله:(**سَيْفَانِ مَسْلُولاَنِ**) أي: مشهوران منتزعان من غمديهما وهذا صحيح فالشعر في كبود الأعداء أشد عليهم من نضح النبل كما في الأثر وكان للنبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شعراء يجاهدون وينافحون بشعرهم وبيانهم كحسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- .

والخلاصة: أن بني قحطان إن كانوا أسودا في ميادين القتال بالسنان فهم كذلك أولو قوة في البيان نظما ونثرا . يوضحه ما بعده .

٦٦٥ نَـصَرُوا بِأَلْسِنَةٍ حِـدَادٍ سُلَّقٍ   مِثْلِ الأَسِنَّةِ شُرِّعَـتْ لِطِعَانِ

قوله:(**نَصَرُوا**) أي: شريعة الله .

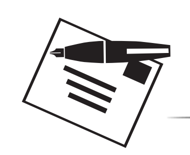
قوله:(**بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ سُلَّقٍ**) أي: سليطة طويلة بذية يقال: سلقه بلسانه: إذا خاطبه بما يكره .

قوله:(**مِثْلِ الأَسِنَّةِ**) الأسنة: حدائد الرماح .

قوله:(**شُرِّعَتْ لِطِعَانِ**) أي: وجهت وصوبت نحو العدو فأصابت المطعن الناجم عنه مقتل .

٦٦٦ سَلْ عَنْهُمُ عِنْدَ الجِدَالِ إِذَا الْتَقَى   مِنْهُمْ وَمِنْ أَضْدَادِهِمْ خَصْمَانِ

قوله:(**سَلْ عَنْهُمُ**) أي: عن حال بني قحطان .



قوله:(**عِنْدَ الْجِدَالِ**)الجدال:هو المفاوضة على سبيل المنازعة لإلزام الخصم(١).

قوله:(**إِذَا الْتَقَى مِنْهُمْ**) أي: من بني قحطان .

قوله:(**وَمِنْ أَضْدَادِهِمْ**) أي: من خصومهم .

قوله:(**خَصْمَانِ**) أي: ضدان .

٦٦٧ نَحْنُ الْمُلُوكُ بَنُو الْمُلُوكِ وِرَاثَةً　　　أُسْدُ الْهِيَاجِ وَأَبْحُرُ الإِحْسَانِ

قوله:(**نَحْنُ الْمُلُوكُ**) أي: سادة الناس وأمراؤهم .

قوله:(**بَنُو الْمُلُوكِ**) أي: وكذلك كان أبآؤنا .

قوله:(**وِرَاثَةً**) أي: حزنا الملك والسيادة والسلطة كابرا عن كابر .

قوله:(**أُسْدُ الْهِيَاجِ**) أي: أن حالنا في الحروب أشبه بالأسود المفترسة .

قوله:(**وَأَبْحُرُ الإِحْسَانِ**) أي: وفي الإحسان قولا عملا تجدنا بحورا .

فالناظم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يذكر عن بني قحطان أنهم من جمعوا بين الشدة في القتال وبين الرفق والإحسان فهم على خصومهم أبعد من الثريا وهم لإخوانهم أقرب إليهم من أنفسهم، وهذا كما قال الله في وصف نبيه ومن معه من أصحابه بقوله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾[الفتح: ٢٩] .

وما قاله الناظم هنا أشبه بقول الشاعر في مدح الصحابة-رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ-:

ومن عجب أن السيوف لديهم　　　تحيض دماء والسيوف ذكور

(١) فن الحوار(ص ٦) .



وأعجب منها أنها في أكفهم　　　تأجج نارا والأكف بحور

٦٦٨ لاَ قَوْمُنَا بُخَلاَ وَلاَ بِأَذِلَّةٍ　　　عِنْدَ الْحُرُوبِ وَلاَ النِّسَاء بِزَوَانِ

قوله:(**لاَ قَوْمُنَا بُخَلاَ**) أي : أن من صفات بن قحطان الجود والكرم وليسوا بالبخلاء .

والجود: صفة لله تعالى فهو جواد يحب الجود كريم يحب الكرم

والجود : صفة لرسول الله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- فهو أجود الناس ، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يدارسه جبريل القرآن .

والجواد : هو الذي يعط بلا منّ .

وقيل : هو الذي يفرح بالإعطاء.

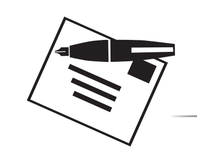
وفي منثور الحكم : من جاد ساد .

وَالجودُ أَشرَفُ ما تَسمو الرِجالُ بِهِ　　　وَقَد يَنالُ بِهِ مُستَجمِع الفَخر

وَالجودُ مِن شَجَرِ الجناتِ فَاحظَ بِهِ　　　وَخُذ بِغُصنٍ أَتى مِن ذلِكَ الشَجَر

إِنَّ السَخي حَبيبٌ لِلإِلهِ لَهُ　　　قُربٌ مِنَ اللَّهِ هذا جاءَ في الخَبَ

قوله:(**وَلاَ بِأَذِلَّةٍ عِنْدَ الْحُرُوبِ**) أي : أن من صفات ابن قحطان العز على الأعداء في ميادين الوغى ، وهذا كما وصف الله أولياءه بقوله -تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ- : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ



﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾[المائدة:٥٤] .

قوله:(**وَلاَ النِّسَاء بِزَوَانِ**) أي: ونساؤنا عفائف طاهرات لا بغايا ولا مسافحات.

٦٦٩ يَا أَشْعَرِيَّةُ يَا جَمِيعُ مَنِ ادَّعَى بِدَعًا وَأَهْوَاءً بِلاَ بُرْهَانِ

قوله:(**يَا أَشْعَرِيَّةُ**) سبق البيان في البيت رقم (٥٤٥) .

قوله:(**يَا جَمِيعُ مَنِ ادَّعَى بِدَعًا وَأَهْوَاءً**) هذا نداء لعموم أهل البدع والأهواء من معتزلة وجهمية ومرجئة وقدرية ورافضة وفلاسفة ونحوهم .

قوله:(**بِلاَ بُرْهَانِ**) أي: بلا حجة واضحة وسلطان بين .

٦٧٠ جَاءَتْكُمُ سُنِّيَّةٌ مَأْمُونَةٌ مِنْ شَاعِرٍ ذَرِبِ اللِّسَانِ مُعَانِ

قوله:(**جَاءَتْكُمُ**) أي: أتتكم هذه المنظومة .

قوله:(**سُنِّيَّةٌ مَأْمُونَةٌ**) هاتان صفتان رئيستان لهذه المنظومة :

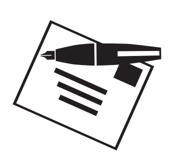
١- كونها سنية: تحمل في طياتها بيان السُّنَّة النبوية الصحيحة والدعوة إليها والتمسك بها ونصرة أهلها وبيان البدعة ومجانبتها وأهلها .

٢- كونها مأمونة: أي: عدل وسط ليس فيها وكس ولا شطط .

قوله:(**مِنْ شَاعِرٍ**) يجيد نظم الشعر .

قوله:(**ذَرِبِ اللِّسَانِ**) أي: فصيحها وهو كذلك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- .

قوله:(**مُعَانِ**) أي: مستمد العون من الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فأمده المعين بعونه .



٦٧١ خَرَزَ الْقَوَافِي بِالْمَدَائِحِ وَالْهِجَا فَكَأَنَّ جُمْلَتَهَا لَدَيَّ عَوَانِي

قوله:(**خَرَزَ الْقَوَافِي**) أي: أحكم مؤخرتها .

والقوافي: جمع قافية والقافية هي مؤخرة الشيء .

وقافية منظومتنا هذه هو حرف [النون] ولذا سميت بالنونية .

قوله:(**بِالْمَدَائِحِ**) المدائح: جمع مديح وهو: الثناء على الممدوح وذكره بجميل الصفات .

قوله:(**وَالْهِجَا**) أي: الذم .

قوله:(**فَكَأَنَّ جُمْلَتَهَا**) أي: عامة ما ذكر فيها .

قوله:(**لَدَيَّ عَوَانِي**) العواني: جمع عانية وهي الأسيرة .

ومراده -رَحِمَهُ اللَّهُ- أن عامة ما ذكر في هذه المنظومة قالها بيسر وسهولة بغير أدنى كلفة أشبه بالأسيرات التي تطلق من قبل الآسر لها باختيار تام .

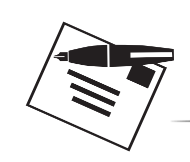
٦٧٢ يَهْوِي فَصِيحُ الْقَوْلِ مِنْ لَهَوَاتِهِ كَالصَّخْرِ يَهْبِطُ مِنْ ذُرَى كَهْلَانِ

قوله:(**يَهْوِي**) أي: يهبط ويسقط .

قوله:(**فَصِيحُ الْقَوْلِ**) أي: بليغه .

قوله:(**مِنْ لَهَوَاتِهِ**) اللهواة: جمع لهاة وهي: اللحمة المشرفة على الحلق .

قوله:(**كَالصَّخْرِ**)يشبه -رَحِمَهُ اللَّهُ- قوة شعره فصاحة ومتانة ودقة في تركيب مبناه ومعناه وسرعة بلغه وتأثيره على أهل السُّنَّة غنمًا وعلى أهل البدعة غرمًا



وتدميرًا كأنه الصخر الهابط من المرتفعات فقال:

قوله:(**مِنْ ذُرَى**) الذرا: جمع ذروة بضم الذال وكسرها وذروة الشيء أعلاه.

قوله:(**كَهْلاَنِ**) اسم: جبل سمي بهذا نسبة إلى قبيلة كهلان اليمنية .

٦٧٣ إِنِّي قَصَدتُّ جَمِيعَكُمْ بِقَصِيدَةٍ هَتَكَتْ سُتُورَكُمُ عَلَى الْبُلْدَانِ

قوله:(**إِنِّي قَصَدتُّ**) أي: عزمت وأردت بهذه المنظومة .

قوله:(**جَمِيعَكُمْ**) المراد: عموم أهل الأهواء والبدع .

قوله:(**بِقَصِيدَةٍ**) القصيدة: من الشعر العربي سبعة أبيات فأكثر والجمع قصائد والمراد بها هنا هذه المنظومة .

قوله:(**هَتَكَتْ سُتُورَكُمُ**) أي: أزالت أستاركم من موضعها فانكشف القناع وظهرت الحقيقة .

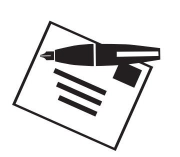
قوله:(**عَلَى الْبُلْدَانِ**) جمع بليد وهو: من حرم الذكاء والمضاء في الأمور .

٦٧٤ هِيَ لِلرَّوَافِضِ دِرَّةٌ عُمَرِيَّةٌ تَرَكَتْ رُؤُوسَهُمُ بِلاَ آذَانِ

قوله:(**هِيَ**) أي: المنظومة .

قوله:(**لِلرَّوَافِضِ**) الروافض: جمع رافضة وهي: الطائفة الضآلة المنحرفة في منهجها ومعتقدها والتي اشتهرت بتكفير الصحابة وأمهات المؤمنين والتنقص منهم ويتمسحون بحب آل البيت كذبا وزورا ويرفعون شعار العداوة لليهود وأحلافهم تلبيسا وخداعا [١].

(١) وقد سبق التعريف بهم تفصيلا وفساد معتقدهم ومنهجهم في البيت رقم (١٣١) .



قوله :(**دِرَّةٌ**) الدرة -بالكسر- السوط الذي يضرب به والجمع درر .

قوله :(**عُمَرِيَّةٌ**) نسبة إلى خليفة المسلمين وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فقد كانت له درة للتأديب.

قوله:(**تَرَكَتْ رُؤُوسَهُمُ بِلاَ آذَانِ**) المعنى: أن هذه المنظومة صدعت رؤوسهم، وأصمت آذانهم ، من شدة وقعها عليهم.

٦٧٥ هِيَ لِلْمُنَجِّمِ وَالطَّبِيبِ مَنِيَّةٌ فَكِلاَهُمَا مُلْقَانِ مُخْتَلِفَانِ

قوله :(**هِيَ لِلْمُنَجِّمِ**) أي: من ينظر في النجوم بحسب مواقيتها وسيرها.

والتنجيم على ضربين :

١- تنجيم محرم : الذي يُعد ضرب من السحر والكهانة كونه مبني على أوهام لا حقيقة لها .

٢- تنجيم مباح: وهو أن الإنسان يستدل بطلوع النجوم على الأوقات والأزمنة والفصول فهذا لا بأس به ولا حرج فيه مثل أن نقول إذا دخل نجم فلان فإنه يكون قد دخل موسم الأمطار ، فهذا لا بأس به ولا حرج فيه [1].

والذي يظهر لي أن مراده -رَحِمَهُ اللَّهُ- بالمنجم : هو من قبيل القسم الأول .

قوله:(**وَالطَّبِيبِ**) من حرفته الطب أو الطبابة وهو:من يعالج المرضى ونحوهم.

ولعله -رَحِمَهُ اللَّهُ- أراد من يتعاطى الطب وهو لا يتقنه أو من يعالج بالطرق غير الشرعية وأقوى من هذا أنه لم يرد به الطبيب المعروف لدينا من يقوم بعلاج المرضى، وإنما أراد به الطبيب الفيلسوف كابن سيناء .

---

(١) انظر فتاوى العقيدة جوابا عن سؤال برقم (٢٠١) (ص٣٣٦) مختصرا .

قوله:(**مَنِيَّةٌ**) المنية : الموت والجمع منايا.

قوله:(**فَكِلاَهُمَا**) أي: المنجم والطبيب .

قوله:(**مُلْقَانِ**) الملقي : هو الضعيف والذي يعد ولا يفي ويتظاهر بما ليس عنده.

قوله (**مُخْتَلِفَانِ**) أي: مفترقان غير متفقان.

٦٧٦ هِيَ فِي رُؤُوسِ الْمَارِقِيْنَ شَقِيقَةٌ ضُرِبَتْ لِفَرْطِ صُدَاعِهَا الصُّدْغَانِ

قوله :(**هِيَ**) أي : المنظومة .

قوله :(**فِي رُؤُوسِ الْمَارِقِيْنَ**) أي : الخارجين من دينهم يقال : مرق السهم من الرمية مروقا إذا أخرج من الجانب الآخر ومنه سميت الخوارج مارقة لقوله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– :«يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[1].

قوله :(**شَقِيقَةٌ**) الشقيقة : وجع يأخذ نصف الرأس والوجه (أي : الصداع النصفي).

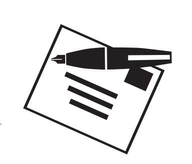
قوله :(**ضُرِبَتْ لِفَرْطِ**) الفرط : الاسم من الإفراط وهو: الإسراف في الشيء ومجاوزة الحد فيه.

قوله :(**صُدَاعِهَا**) الصداع بالضم وجع الرأس .

قوله :(**الصُّدْغَانِ**) مثنى : صدغ بالضم ما بين العين والأذن والجمع أصداغ.

---

(١)رواه البخاري ومسلم .



٦٧٧ هِيَ فِي قُلُوبِ الأَشْعَرِيَّةِ كُلِّهِمْ   صَابٌ وَفِي الأَجْسَادِ كَالسَّعْدَانِ

قوله :(هِيَ) أي : المنظومة .

قوله:(فِي قُلُوبِ الأَشْعَرِيَّةِ كُلِّهِمْ صَابٌ)هذا هو التأثير الباطن على الأشعرية.

والصاب : جمع صابة وهي : المصيبة .

قوله :(وَفِي الأَجْسَادِ كَالسَّعْدَانِ) وهذا هو التأثير الظاهر للمنظومة على الأشعرية .

والسعدان : نبت من أفضل مراعي الإبل له شوك تشبه حلمة الثدي .

فيقال لها: سعدانة الثندؤة .

٦٧٨ لَكِنْ لأَهْلِ الْحَقِّ شَهْدٌ صَافِيًا   أَوْ تَمْرُ يَثْرِبَ ذَلِكَ الصَّيْحَانِي

قوله :(لَكِنْ لأَهْلِ الْحَقِّ) أي : لكن هذه المنظومة لأهل الحق وهم : أهل السُّنَّة والجماعة كا لعسل المصفى غذاء ودواء وهذا تشبيه بديع .

قوله :(شَهْدٌ)شهد - بالفتح وبالضم - العسل في شمعه والجمع شهاد .

قوله :(صَافِيًا) أي : خالصًا نقيًا.

قوله :(أَوْ تَمْرُ يَثْرِبَ) وشبهها -رَحِمَهُ اللَّهُ- بتمر المدينة في جودته غذاء ودواء.

قوله :(ذَلِكَ الصَّيْحَانِي) ضرب معروف من تمر المدينة وهو من أجود التمور نسب إلى صيحان وهو: اسم الكبش كان يربط إليها.



٦٧٩ وَأَنَا الَّذِي حَبَّرْتُهَا وَجَعَلْتُهَا مَنْظُومَةً كَقَلَائِدِ الْمُرْجَانِ

قوله :(**وَأَنَا الَّذِي حَبَّرْتُهَا**) أي : حسنتها وجملتها ومنه قول أبي موسى الأشعري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حين سمعه يقرأ شيئا من القرآن : « لو كنت أعلم أنك تسمع لي لحبرته لك تحبيرًا »[1].

قوله :(**وَجَعَلْتُهَا مَنْظُومَةً**) أي: مجموعة بعضها إلى بعض.

قوله :(**كَقَلَائِدِ**) أي : نظمتها كما تنظم القلائد.

والقلائد : جمع قلادة والقلادة - بالكسر - ما يجعل في العنق من حلي ونحوه

قوله :(**الْمُرْجَانِ**) الخرز الأحمر المعروف وقيل : صغار الدر وهي أشد صفاء من كباره.

٦٨٠ وَنَصَرْتُ أَهْلَ الْحَقِّ مَبْلَغَ طَاقَتِي وَصَفَعْتُ كُلَّ مُخَالِفٍ صَفْعَانِ

قوله :(**وَنَصَرْتُ أَهْلَ الْحَقِّ**) بهذه المنظومة وغيرها .

قوله :(**مَبْلَغَ طَاقَتِي**) أي : غاية جهدي .

قوله :(**وَصَفَعْتُ**) صفعه صفعا ضربه بكفه مبسوطة .

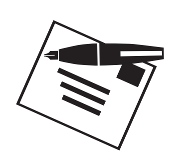
قوله :(**كُلَّ مُخَالِفٍ**) أي: كل منازع في هذا المنهج والمعتقد .

قوله :(**صَفْعَانِ**) صفعة بإظهار الحق وصفعة بإزهاق الباطل .

والمراد أن هذه المنظومة هي لأهل الأهواء بمثابة الصفعات القاسية الشديدة

---

(١)رواه ابن حبان والحاكم وصححه الذهبي .



المتابعة على وجوه المبتدعة والفلاسفة وأهل الكلام .

٦٨١ مَعَ أَنَّهَا جَمَعَتْ عُلُومًا جَمَّةً مِمَّا يَضِيقُ لِشَرْحِهَا دِيوَانِي

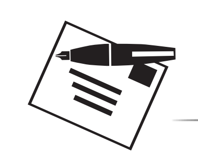
قوله :(**مَعَ أَنَّهَا جَمَعَتْ عُلُومًا جَمَّةً**) أي : بالإضافة إلى نصرتها للسُنَّة وأهلها وقمعها للبدعة وأهلها فقد حوت في ثناياها علوما كثيرة وغزيرة في العقيدة والعبادات والمعاملات والآداب والأخلاق والحساب والفلك وغيرها من العلوم النافعة .

قوله:(**مِمَّا يَضِيقُ لِشَرْحِهَا دِيوَانِي**) أي: لكونها قد اشتملت على علوم متنوعة ونافعة وكثيرة فإن شرحها ونشر فوائدها ودررها وبيان أحكامها وأخبارها مما لا يتسع لها ديوان عظيم .

وصدق -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- علما بأن ما قمت به هنا من الشرح ما هو إلا جهد مقل قليل البضاعة اقتصرت فيه على فك ألفاظها ، وبيان ما تيسر لي من معانيها، واستنباط بعض حكمها وأحكامها .

ودفعني لذلك : أني لم أجد من قام بشرحها [1] ، مع غزارة فوائدها، وقوة حججها، وتنوع علومها ، وسهولة مبناها ، وسلاسة معناها، فعزمت القيام ببعض حقها ، حسب الطاقة فكان هذا الشرح الموسوم بـ (**نيل الأماني شرح نونية القحطاني**) .

(١)ولما فرغت من تبييضها كاملة سوى بضعة عشر بيتا عرضت الجزء الأول من شرحها على شيخنا الفاضل المفضال أبي عبد الرحمن محمد بن محمد المهدي أطال الله في عمره بطاعته وجمعنا به في دار كرامته ذكر لي أنه يشرحها مشافهة لبعض طلابه مستعينا بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- ثم بشرح عثر عليه للعلامة الدكتور/ صالح السحيمي المدرس في المسجد النبوي تحت عنوان (**القطوف الدواني شرح نونية القحطاني**) فعدت إلى ذلك الشرح واستفدت بعض ما تعسر علي في تلك الأبيات البضع عشرة .



٦٨٢ أَبْيَاتُهَا مِثْلُ الْحَدَائِقِ تُجْتَنَى   سَمْعًا وَلَيْسَ يَمَلُّهُنَّ الْجَانِي

قوله :(**أَبْيَاتُهَا مِثْلُ الْحَدَائِقِ**) الحدائق: جمع حديقة : وهي كل أرض ذات شجر مثمر ونخل أحاط به حاجز .

قوله :(**تُجْتَنَى**) أي: تقتطف وتلتقط .

قوله :(**سَمْعًا**) أي: أن جنيها والتقاطها عبر السمع لا عن طريق اليد .

قوله :(**وَلَيْسَ يَمَلُّهُنَّ الْجَانِي**) أي: أن الجاني ثمارها وهو : السامع أبياتها لا يملها فكلما كررها ازداد شوقا لسماعها .

وفي هذا البيت صور منظومته –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– بالحديقة الغناء المتنوعة أشجارها اليانع ثمارها الوارف ظلالها التي لا يملها راء بل يعشقها ويتمناها كل سامع وناظر وهو كما قال –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– .

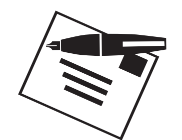
٦٨٣ وَكَأَنَّ رَسْمَ سُطُورِهَا فِي طِرْسِهَا   وَشْيٌ تُنَمِّقُهُ أَكُفُّ غَوَانِي

قوله :(**وَكَأَنَّ رَسْمَ سُطُورِهَا**) شبه –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– ما جرى به قلمه بهذه الأبيات الحسان ، بمثابة نسيج الغواني.

قوله :(**فِي طِرْسِهَا**) الطرس – بالكسر–الصحيفة .

قوله :(**وَشْيٌ**) الوشي: ضرب من الثياب الموشية أي : المنقوشة من كل لون المحسنة.

قوله :(**تُنَمِّقُهُ**) أي: تزينه وتحسنه.



قوله :(**أَكُفُّ غَوَانِي**) الغواني: جمع غانية وهي: الجارية الجميلة سميت بذلك لاستغنائها بحسنها عن الحلي ونحوه.

٦٨٤ وَاللهَ أَسْأَلُهُ قَبُولَ قَصِيدَتِي مِنِّي وَأَشْكُرُهُ لِمَا أَوْلاَنِي

قوله :(**وَاللهَ أَسْأَلُهُ**) هذا توسل منه لله -تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ- ومعناه: أسأل الله .

قوله :(**قَبُولَ قَصِيدَتِي مِنِّي**) أي : أن يتقبل مني ما نظمته هنا فينفع بها العباد ويرفعني بها يوم المعاد ونحن نسأل الله أن يتقبل منا ومنه صالح القول والعمل وأن يجزيه عنا خير الجزاء .

قوله :(**وَأَشْكُرُهُ**) أي : أعترف له بالجميل وأثني عليه الثناء الحسن .

قوله :(**لِمَا أَوْلاَنِي**) أي : لما قلدني وأعطاني من النعم العظيمة والألآء الجسيمة الظاهرة والباطنة التي لا عد لها ولا حد وأعظمها نعمة الهداية للإسلام .

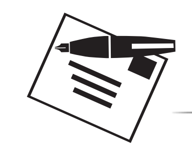
٦٨٥ صَلَّى الإِلَـهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ مَا نَاحَ قُمْرِيٌّ عَلَى الأَغْصَانِ

قوله :(**صَلَّى الإِلَهُ**) الصلاة من الله على عبده تعني: الثناء عليه في الملأ الأعلى، والصلاة من العبد على نبيه بمعنى: طلب الثناء عليه من الله -تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ- .

الإله : اسم من أسمائه -تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ- الدال على الألوهية وهو: المعبود الذي يألهه الخلق أي: يتعبدون له ويتذللون له محبة وتعظيما.

قوله :(**عَلَى النَّبِيِّ**) مشتق من النبأ فهو فعيل بمعنى مفعول أو مشتق من النبوة أي: نبا ينبو إذا ارتفع.

قوله :(**مُحَمَّدٍ**) اسم مفعول أي: أن الناس يحمدونه.



وعليه :فبين محمد وأحمد فرق في الصيغة والمعنى.

أما في الصيغة : فمحمد : اسم مفعول بينما أحمد : اسم تفضيل.

أما الفرق بينهما في الفعل: ففي محمد : يكون الفعل واقعا من الناس أي: أن الناس يحمدونه.

في أحمد: يكون الفعل واقعًا منه يعني أنه -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- أحمد الناس لله -تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ- .

قوله :(**مَا نَاحَ**) هدر وسجع أي: ردد صوته .

قوله :(**قُمْرِيٌّ**) القمري : نوع من الطيور .

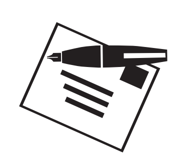
قوله :(**عَلَى الأَغْصَانِ**) الأغصان: جمع غصن : وهو ما تشعب من ساق الشجرة دقيقه وجليله .

٦٨٦ وَعَـلَى جَمِيعِ بَنَاتِهِ وَنِسَائِهِ وَعَلَى جَمِيعِ الصَّحْبِ وَالإِخْوَانِ

قوله :(**وَعَلَى جَمِيعِ بَنَاتِهِ وَنِسَائِهِ**) سبق ذكر بناته ونسائه -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُنَّ- ، بالتفصيل في البيت رقم (٢٧٨) .

قوله :(**وَعَلَى جَمِيعِ الصَّحْبِ**) الصحب: جمع صاحب وهو : من اجتمع بالنبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- مؤمنا به ولو لحظة ومات على ذلك .

قوله :(**وَالإِخْوَانِ**) من جمعك بهم دين الإسلام وهم التابعون ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،قال الله- جَلَّوَعَلَا-:﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [الحجرات:١٠].



٦٨٧ بِـالله قُـولُـوا كُلَّمَا أَنْشَدتُّمُ رَحِمَ الإِلَهُ صَدَاكَ يَا قَحْطَانِي

قوله:(**بِالله**) الباء:حرف قسم تقديره:أقسم عليكم،الله:لفظ الجلالة مقسم به.

قوله:(**قُولُوا**)أي: الهجوا وابتهلوا كلما قرأتم وأنشدتم هذه المنظومة بالدعاء لي بالرحمة والمغفرة .

قوله :(**كُلَّمَا أَنْشَدتُّمُ**) الإنشاد : أداء الشعر بتلحين وحسن إيقاع .

قوله :(**رَحِمَ الإِلَهُ**) هذا المقسم عليه .

والمعنى : أقسم عليكم بالله الذي لا يصح لنا أن نقسم بسواه كلما قرأتم وأنشدتم هذه المنظومة أدعوا ربكم لناظمها بالرحمة الواسعة .

قوله :(**صَدَاكَ**) الصدى: الجسد من الآدمي بعد موته .

قوله :(**يَا قَحْطَانِي**) يعني نفسه -رَحِمَهُ اللَّهُ- وقد سبق التعريف به في البيت رقم (٦٦٢) والتعليق عليه في الحاشية .

ونحن نقول هنا اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العُلا يا ذا المن والعطاء، أن ترحم ناظم هذه المنظومة وأن ترفع درجته في المهديين وأن تجعله مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وأن تجمعنا به في جنات النعيم .

كما نسألك أن توفق كل من قرأ أو سمع هذه المنظومة وشرحها أن يهتدي بها إلى صراطك المستقيم ، إنك على ما تشاء قدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آل بيته الطاهرين، وصحابته أجمعين، وأزواجه أمهات المؤمنين ، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .



خاتمة الكتاب

الحمد لله على جوده وإحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيما لشأنه وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وعلى أصحابه وأزواجه وإخوانه ، أما بعد .

فإلى هنا أكون قد وصلت إلى ما عمدت نيله، على قدر الطاقة ،وقلة البضاعة، ولا زالت النفس تروم المزيد والمزيد ، لكنه جهد مقل «ورحم الله امرئ عرف قدر نفسه» ، وعلى قدر اللحاف مددت رجلي ولو طال اللحاف لها لطالت .

راجيًا من الله أن يستقيم بهذا النيل الصدد ، وينفتح به السدد ، ويتلاحق به المدد، وتنمو البذور، وترسخ الجذور، فتنشرح الصدور، وأن ينفعني به وجميع المسلمين يوم لا ينفع مال ولا بنون .

إن شئت أن تحظى بجنة ربنا وتفوز بالفضل الكبير الخالد
فانهض لفعل الخير واطرق بابه تجـد الإعـانـة مـن إلـه ماجد
واعكف على هذا الكتاب فإنه جمع الفضائل جمع فذ ناقد [1]

---

(١) ومع ذا فلا أدعي فيه العصمة والكمال فإن الكمال لمن خلق ظلومًا جهولاً محالاً فمن وجد فيه عيبًا وهو لا شك واجد فليستر ولينصح لا يهتك ولا يفضح .
إن وجد عيبا فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا

يهـدي إلـيـك أفـضـل مرسل   فيما يقرب من رضـاء الواحد
فـأدم قـراءتـه بقلب خالص   وادع لكاتبه وكـل مساعد

وكتبه/

أبو البدر

عمر بن محمد بن صالح العمراني

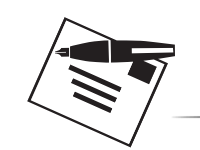
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

بدأت تسويده يوم الخميس غرة شهر الله المحرم عام (١٤٣٤هـ)

وفرغت من تبييضها يوم الأربعاء الثامن من شهر رجب الحرام عام(١٤٣٥ هـ).

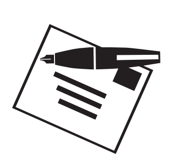
وتم الانتهاء من تنقيح هذا الشرح وتهذيبه في يوم الأحد السادس والعشرين من شهر شعبان عام (١٤٤١ هـ).

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه.

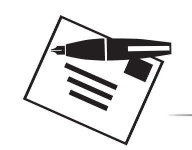


قائمة المراجع

١- الإجماع ، ابن المنذر .
٢- الأخلاق بين الطبع والتطبع ، فيصل الحاشدي .
٣-الآداب الشرعية ، محمد بن مفلح المقدسي .
٤- آداب الطعام ، فيصل الحاشدي .
٥-الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني .
٦-الأصول من علم الأصول ، محمد بن صالح بن عثيمين .
٧-أضواء البيان ، محمد الأمين الشنقيطي .
٨-أعلام السُّنَّة المنشورة حافظ بن أحمد حكمي .
٩-إغاثة اللـهفان محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية .
١٠-اقتضاء الصراط المستقيم ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .
١١-البداية والنهاية ، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي .
١٢-التحصين من كيد الشياطين ، خالد بن عبد الرحمن الجريسي .
١٣-تذكرة الحفاظ ، شمس الدين محمد الذهبي .
١٤-تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي .
١٥-تقريب التذهيب ، ابن حجر العسقلاني .



١٦-تهذيب التهذيب ، ابن حجر العسقلاني .
١٧-تيسير العلام ، عبد الله بن عبدالرحمن آل بسام .
١٨-تيسير الكريم الرحمن ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي .
١٩-جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر القرطبي .
٢٠-الرائد في علم الفرائض ، محمد العيد الخطراوي .
٢١-زاد المعاد ، محمد بن أبي بكرشمس الدين ابن القيم الجوزية .
٢٢-الزهد ، أحمد بن حنبل الشيباني .
٢٣-سُبل السلام ، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني .
٢٤-سُنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني .
٢٥-سُنن أبي داؤود ، سليمان بن الأشعث السجستاني .
٢٦-سُنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي .
٢٧-سُنن النسائي ، أحمد بن شعيب النسائي .
٢٨-سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد الذهبي .
٢٩-السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام .
٣٠-شرح الأصول الثلاثة ، محمد بن صالح العثيمين .
٣١-شرح البيقونية ، محمد بن صالح العثيمين .
٣٢-شرح الحلية ، محمد بن صالح العثيمين .
٣٣-شرح رياض الصالحين ، محمد بن صالح العثيمين .



٣٤-شرح الطحاوية ، ابن أبي العز الحنفي .

٣٥-شرح لمعة ، الإعتقاد محمد بن صالح العثيمين .

٣٦-الشرح الممتع ، محمد بن صالح العثيمين .

٣٧-شرح النووي ، لمسلم لأبي زكريا شرف الدين النووي .

٣٨-شرح الواسطية ، محمد بن صالح العثيمين .

٣٩-شرح الواسطية ، نعمان بن عبدالكريم الوتر .

٤٠-الصحوة الإسلامية ، محمد بن صالح العثيمين .

٤١-صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري .

٤٢-صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري .

٤٣-عدة الصابرين ، شمس الدين ابن القيم الجوزية .

٤٤-العقيدة الصافية ، سيد سعيد عبد الغني .

٤٥-عُلو الهمة ، محمد بن إسماعيل المقدم .

٤٦-فتاوى العقيدة محمد بن صالح العثيمين .

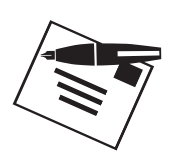
٤٧-الفتاوى المهمة لعموم الأمة عبد العزيز بن باز .

٤٨-الفتاوى المهمة لعموم الأمة ، محمد بن صالح العثيمين .

٤٩-فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني .

٥٠-فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني .

٥١-فتح المجيد ، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .



٥٢-فرق وأديان معاصرة ، ناصر القفاري وناصر العقل .

٥٣-فضل أهل البيت وعلو مكانتهم ، عبد المحسن العباد .

٥٤-فقه الحيض والنفاس ، محمد العثيمين .

٥٥-فقه المذاهب الأربعة ، عبد الرحمن الجزيري .

٥٦-ففروا إلى الله ، لأبي ذر القلموني .

٥٧-فن الحوار ، فيصل الحاشدي .

٥٨-الفوائد ، شمس الدين ابن القيم الجوزية .

٥٩-القطوف الدواني ، صالح السحيمي .

٦٠-قواعد في التعامل مع العلماء ، عبد الرحمن بن معلا اللويحق .

٦١-لمعة الإعتقاد ، ابن قدامة المقدسي .

٦٢-مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان .

٦٣-مجموع الفتاوى ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية .

٦٤-المختار في شهر رمضان ، مجموعة من طلبة العلم في القصيم .

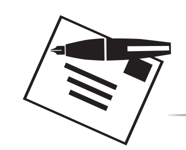
٦٥-مختصر منهاج القاصدين ، ابن قدامة المقدسي .

٦٦-مدارج السالكين ، شمس الدين ابن القيم الجوزية .

٦٧-المدونة الكبرى ، مالك بن أنس الأصبحي .

٦٨-مذكرة في أصول الفقه ، محمد الأمين الشنقيطي .

٦٩-مستدرك الحاكم ، محمد بن عبد الله الحاكم .



٧٠-مسند الإمام أحمد ، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني.

٧١-المعجم الوسيط ، مجموعة من مشايخ اللغة .

٧٢-المغني ، عبد الله بن أحمد بن قدامة .

٧٣-الملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني .

٧٤-منتقى الأشعار ، فيصل الحاشدي .

٧٥-منهاج السُنَّة النبوية ، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية .

٧٦- الموطأ ، مالك بن أنس الأصبحي .



فهرس